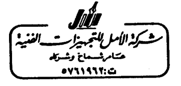
في فقه الإصلاح والتجديد
عند الإمام حسن البنا
« ٦ »

ركن الطاعة

تحليل وشرح أعده
الدكتور علي عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م



دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢ ص ب ١٦٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى المؤمنين الذين يعملون الصالحات ،

وإلى الذين هداهم الله إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

وإلى كل من يريدون أن يسهموا في التمكين لدين الله ،

إليهم أقدم هذا الشرح والتحليل لفكر الإمام حسن البنا

في الإصلاح والتجديد ، وحركة الإحياء الإسلامي ، من خلال :

ركن «الطاعة» في رسالته الجامعة في فقه الإصلاح والتجديد

«رسالة التعاليم» التي ضمنها أركان الإصلاح الإسلامي .

علي عبد الحليم محمود

القاهرة : في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٤١٧هـ

الموافق لشهر سبتمبر من سنة ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى هذا الكتاب

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين،

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد النبى الامين، وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذه هى الحلقة السادسة «ركن الطاعة» من سلسلة «فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا» تأتى بعد الحلقات الخمس التى صدرت من قبل، وهى:

– الفهم: أو فهم أصول الإسلام،

– والإخلاص: فى مجالات العمل الإسلامى،

– والعمل: أو منهج الإصلاح الإسلامى للفرد والمجتمع.

–والجهاد: أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به.

– والتضحية: أو بذل المال والنفس وكل شىء فى سبيل الله.

وهذا الكتاب عن «ركن الطاعة»: أو امتثال الامر، وإنفاذه توًّا فى العسر واليسر، والمنشط والمكره.

سائلا الله تبارك وتعالى أن ينفع بهذه السلسلة كل مخلص لدينه ووطنه، وأمته الإسلامية كلها.

والحديث عن «ركن الطاعة» يستهدف أمورا على جانب كبير من الاهمية نذكر منها بين يدى هذا الكتاب ما يلى:

– إحياء خلق الطاعة فى المسلمين؛ إذ هو من الأخلاق الرفيعة الفاضلة التى دعا الإسلام إلى التحلى بها.

– وتوضيح فقه الطاعة ببيان أبعاده، وغاياته وما يهدف إليه.

– وبيان أنواع الطاعة؛ طاعة الله ورسوله واولى الأمر، وطاعة الوالدين، وطاعة كل من له حق الطاعة من المسلمين.

- وتأكيد أن المسلمين بغير فقه الطاعة لا يستطيعون أن يتقدموا خطوة إلى الأمام نحو ما يرجون من إصلاح دينهم أودنياهم.

- وتفسير حقيقة - ربما يغفل عنها كثير من المسلمين - وهى : أنه لا إسلام بغير طاعة لكل من له حق الطاعة، بشرط واحد هو ألا تكون الطاعة فى معصية الله تبارك وتعالى.

- والتركيز على أن الطاعة فى الإسلام عبادة لله تعالى، يثاب المسلم على الالتزام بها، ويعاقب على تركها، وبيان مكانها ومكانتها بين العبادات التى شرعها الله للمسلمين.

- وتعليم المسلمين أن موكب الدعوة إلى الله لا يستطيع أن يشق طريقه نحو أهدافه إلا أن تكون لهذا الموكب قيادة، وأن تكون لهذه القيادة طاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره، طالما هى فى غير معصية لله تبارك وتعالى.

ذلك ما يستهدفه هذا الكتاب؛ فإن نجح فى تحقيق هذه الأهداف فبفضل الله تعالى وحسن توفيقه، وإلا ففى الاستغفار عن القصور والتقصير فسحة لمن يعرفون قدر أنفسهم وما يملكون.

ومنهجنا فى هذا الكتاب - كالكتب الخمسة التى سبقته - أن نعرف بكلمة الطاعة تعريفا يلقى عليها من الضوء ما يكشف عن كل دلالاتها، وما يكون ذلك فى تصورنا إلا بتتبع مفهوم الكلمة فى : اللغة وفى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وفى تراث المسلمين الفقهى والفكرى والثقافى.

ثم نشرح ونحلل النص الذى كتبه الإمام البنا عن ركن الطاعة؛ مستهدين فى هذا الشرح وذلك التحليل، بما يفتح الله به علينا، من إضافات نرجو أن تزيل عن هذا النص كل إبهام أوغموض، بما نفصل من القول، مستعينين بالله تعالى أولا وأخيرا.

والله تعالى من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل

الفصل الأول:

ضوء على مفهوم الطاعة

ويتناول:

١ - مفهوم كلمة الطاعة فى اللغة.

٢ - مفهوم الطاعة فى القرآن الكريم.

٣ - مفهوم الطاعة فى السنة النبوية المطهرة.

٤ - مفهوم الطاعة فى تراثنا الإسلامى؛ ويشمل:

أولا: طاعة الله ورسوله،

ثانيا: وطاعة الأبوين،

ثالثا: وطاعة ولى الأمر،

رابعا: وطاعة المربى.

١ - مفهوم كلمة الطاعة فى اللغة

● **الطاعة: الانقياد والموافقة،**

وهى والطواعية سواء،

وقيل: إن الطاعة لا تكون إلا عن أمر يصدر من آمر.

- والفعل: طاع، يسند إلى العاقل وإلى غير العاقل:

يقال: طاع فلان فلانا طوعا: انقاد له،

وطاع الغلام أباه: لان وانقاد،

وطاع لسانه بكذا: مرن عليه،

وطاع له: أتاه طائعا سهلا،

وطاع الشجر: أمكن جمع ثماره،

وطاع النَّبات: أمكن رعيه.

- والفعل طاع والفعل أطاع: يتبادلان المواقع والمعانى.

- والفعل طوَّع: مبالغة فى طاع وأطاع، ومنه قول الله تبارك وتعالى ﴿ **فطوَّعتْ لهُ نفسُهُ قتلَ أخيه فقتلَهُ فأصْبحَ منَ الْخاسرينَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: ٣٠].

- والطاعة والطوع والطواعية: الانقياد، يقال: هو طوع أمرك، وطوع يديك، أى منقاد لك.

وهى نقيض الكُره.

- والطاعة: اسم من أطاعه يطيعه طاعة.

- والمطاوعة: الموافقة، وطاوعه فى الأمر مطاوعة وطواعية: وافقه عليه، والمطاوع: الموافق.

- والمطواع: من يسرع إلى الطاعة،

- والطَّيِّعُ: الذى يجىء غير مكره.

● ومن المجاز: فلان طوع المكاره، إذا كان معتادا لها، مُلقى إياها، يقال: فلا
كان معتادا عليه، ما يبرأ إلاَّ ليمرض.

● وتطاوع للأمر أو تطوعه، أو تطوّع به: تكلّف استطاعته، ولم تصدر منه الطاعة بعفوية.

● والتطوّع: اسم لما شُرع زيادة عن الفرض - وهو النافلة - ومن المعروف أن الله تعالى جعل من جنس كل فريضة فرضها علينا تطوعًا يزداد المسلم به قربا إلى الله تعالى.

- ففريضة النطق بالشهادتين، التطوع من جنسها هو: الذكر.

- وفريضة الصلاة من جنسها صلاة التطوع أى النوافل،

- وفريضة الزكاة من جنسها التطوع بالصدقة،

- وفريضة الصيام من جنسها صيام التطوع،

- وفريضة الحج على المستطيع من جنسها العمرة.

فالتطوع بالعبادات رحمة من الله تعالى بعباده يزدادون بأدائها أجرا عند الله تعالى.

● واستطاع الشيء: أطاقه وقدر عليه.

- وتستعمل الاستطاعة للإنسان، والإطاقة: للحيوان.

- والاستطاعة: أخص من القدرة.

- والاستطاعة عند المحققين من العلماء هي: اسم للمعاني التي يتمكن الإنسان بها مما يريده من إحداث فعل مّا، وهى أربعة أشياء:

أ - نية مخصوصة لفاعل الفعل،

ب - وتصور للفعل قبل أدائه،

جـ - ومادة قابلة لتأثير الفعل فى الفاعل،

د - وآلة لممارسة الفعل إن كان الفعل آليًّا.

وضربوا لذلك مثلا بالكتابة، فإن الكاتب يحتاج إلى هذه الأربعة كي يوجد الكتابة.

- ولذلك يقال فلان غير مستطيع للشيء إذا فقد واحداً أو أكثر من هذه الأربعة.

- وضد الاستطاعة: العجز.

- والطاعة عند أهل السنة[1]: هى: موافقة الأمر.
- والطاعة عند المعتزلة[2] هى: موافقة الإرادة.
- والشُّح المطاع الوارد فى الحديث النبوى «... وثلاث مهلكات: شح مطاع...» الحديث[3] معناه أن يطيع الإنسان صاحبه فى الشحّ وهو منع الحقوق التى أوجبها الله تعالى عليه فى ماله.
- ومما قاله بعض علماء اللغة: أن استطاع وأطاع بمعنى واحد واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [المائدة: ١١٢].

قالوا: إن يستطيع ويطيع بمعنى واحد، ومعناه: هل يجيب كقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨)﴾ [غافر: ١٨] أى يجاب.

وقال المفسرون فى هذه الآية: إنهم قالوا ذلك قبل أن قويت معرفتهم بالله، أو أنهم لم يقصدوا قصد القدرة، وإنما قصدوا: هل تقتضى الحكمة أن يفعل الله ذلك.

---

(١) أهل السنة: هم المتمسكون فى عقائدهم بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويقابلهم: المعتزلة حينا والشيعة حينا آخر.
- فهم بالقول باستحقاق أبى بكر وعمر رضى الله عنها الخلافة، يقابلهم الشيعة الذين يقولون باستحقاق على الخلافة قبل أبى بكروعمر رضى الله عنهم أجمعين.
- وهم فى القول بالقدر وعدم خلق القرآن الكريم، وعفو الله عمن يشاء من عباده، وأن مرتكب الكبيرة عاص وليس بكافر وعدم جواز الخروج على الأئمة إذا جاروا.
- يقابلهم المعتزلة بقولهم بالعدل، والتوحيد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو كان فيه خروج على الإمام.
- ويقابلهم أهل الأهواء وهم: الجبرية والقدرية والروافض والخوارج والمعطلة والمشبهة، وهم ست فرق كل واحدة منهم تفرقت إلى اثنتى عشرة فرقة فصاروا اثنين وسبعين فرقة.

(٢) المعتزلة: فرقة من المسلمين قادهم واصل بن عطاء، واعتزل بهم مذهب أهل السنة، ويقوم مذهبهم على أصول خمسة هى: العدل والتوحيد، والوعيد والمنزلة بين المنزلتين - لمرتكب المكيدة - والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو أدى للخروج على الإمام.

(٣) سنذكر هذا الحديث بتمامه عند حديثنا عن كلمة الطاعة فى السُّنةالنبوية المطهرة، فى النقطة الثالثة من هذا الفصل الأول من الكتاب.

وبعـد:

فهـذا هو مفهوم كلمة الطاعة فى اللغة ومعاجمها، فما دلالة هذه الكلمة فى القرآن الكريم؟

هذا ما نرجو توضيحه فى الصفحات التالية.

٢ - مفهوم كلمة الطاعة فى القرآن الكريم

وردت هذه الكلمة فى القرآن تحمل معانى ودلالات عديدة، كما وردت فى صيغ عديدة أيضا، وذلك ما نود توضيحه الآن.

● جاءت كلمة الطاعة تعنى الانقياد والخضوع لله تعالى والانقياد لأمره، أو أمر رسوله ﷺ، مطلقا.

● وجاءت كلمة الطاعة بمعنى طاعة ولى الأمر فيما يأمر به، ما دام لا يأمر بمعصية لله تعالى ورسوله فهى طاعة مقيدة.

● وجاءت كلمة الطاعة منهيا عنها، لأن الآمر بها ليس أهلا لأن يطاع، كالشياطين والكفار والمنافقين والمسرفين والمكذبين وكل حلأف مهين، وكل من غفل قلبه عن ذكر الله واتبع هواه، ومن يضلون عن سبيل الله.

وبيان ذلك والاستشهاد عليه فيما يلى:

أولا:

الطاعة بمعنى الخضوع والانقياد لأمر الله ورسوله، لكى يحصل الطائع على الفوز والرحمة والجنة التى هى أكبر أمل عند كل إنسان عاقل متدبر.

● وقد جاء هذا المعنى فى الآيات الكريمة التالية:

- على لسان نوح عليه السلام يطالب قومه بتقوى الله، أى الخضوع له وخوف عذابه، وبطاعة الله ورسوله، وقد طالبهم بطاعته لأمانته فى دعوته وما أمر الله به، ولإخلاصه، وأنه لا يسأل الناس أجرا على دعوتهم وهدايتهم إلى الحق، وذلك فى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠)﴾

[الشعراء: ١٠٦ - ١١٠].

- وعلى لسان هود عليه السلام، إذ طالب قومه بتقوى الله وطاعته سبحانه، وبطاعته هو

لأمانته فيما يبلغ عن ربه ولإخلاصه فى هذه الدعوة وعدم سؤالهم أجرا على تلك الدعوة[١].

وعلى لسان صالح عليه السلام إذ طالب قومه بما طالب به نوح وهود عليهما السلام، أقوامهما[٢].

- وعلى لسان لوط عليه السلام لنفس الأسباب[٣].

-وعلى لسان شعيب عليه السلام لنفس الأسباب[٤].

- وعلى لسان عيسى عليه السلام[٥].

● وجاء هذا المعنى للطاعة وهو الخضوع والانقياد لله ولرسوله على صيغة الأمر، فى عديد من آيات القرآن الكريم[٦] بصيغة:

أطيعوا الله، أو أطيعوا الله والرسول، أو أطيعوا الله ورسوله. أو اسمعوا وأطيعوا، أو أطيعوا الرسول.

ولنأخذ على ذلك بعض الأمثلة من آيات القرآن الكريم:

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

ففى هذه الآية الكريمة يطالب الله تعالى خاتم رسله محمدا ﷺ بأن يطلب من الناس أن يطيعوا الله فيما أمر به، وفيما نهى عنه، وأن يطيعوا الرسول المبلغ عن ربه، فى كل ما جاءهم به من ربه، ويخبرهم بأنهم إذا لم يطيعوا الله ورسوله فقد كفروا، والله تبارك وتعالى لا يحب الكافرين.

---

(١) سورة الشعراء: الآيات من: ١٢٤ - ١٣١.

(٢) سورة الشعراء: الآيات من: ١٤٢ - ١٥٠.

(٣) سورة الشعراء: الآيات من: ١٦١ - ١٦٤.

(٤) سورة الشعراء: الآيات من: ١٧٧ - ١٨٠.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٦٣.

(٦) وذلك فى تسعة عشر موضعا، جاءت كلها بإحدى هذه الصيغ التى ذكرت: وهى آل عمران: ٣٢، ١٣٢، والنساء: ٥٩ مرتين، والمائدة ٩٢ مرتين، والأنفال: ١، ٢٠، ٤٦، وطه: ٩٠ والنور: ٥٤ مرتين، ٥٦ ومحمد: ٣٣ والمجادلة: ١٣، والتغابن: ١٢ مرتين، ١٦.

والمعنى: أن عدم الخضوع والانقياد لله تعالى ولرسوله كفر، جزاؤه كراهية الله تعالى لهم، ومن كرهه الله فقد خسر كل شيء.

- وقال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾ [آل عمران: ١٣١ - ١٣٣].

وهذه الآيات الكريمة توضح أن اتقاء النار إنما يكون بطاعة الله ورسوله فى كل أمر أو نهى، وفى كل خلق وأدب، فهذه الطاعة مدعاة لرحمة الله تعالى ومغفرته لهم. وكل عاقل مطالب من لدن نفسه بأن يسارع إلى هذه المغفرة لينجح فى الحصول على الجنة التى عرضها السموات والأرض والتى أعدت للمتقين، وليس وراء الجنة منزلة أو مكانة يطمح إليها عباد الله تعالى.

- والذى يلحظ أن الأمر بطاعة الرسول فى كثير من آيات القرآن الكريم مسبوق بالأمر بتقوى الله[(١)].

والمعنى الذى يستفاد من ذلك أن تقوى الله تعد سببا فى طاعة الرسول، فلو لم تكن هذه ما كانت تلك، أى أن تقوى الله - وهى العقيدة الصحيحة فى الله تعالى بتوحيده وعبادته - هى المرتكز الذى يقوم عليه الإيمان، وأن هذا الإيمان يؤدى إلى طاعة الرسول عليه السلام، وطاعة الرسول هى اتباع المنهج الذى جاء به من عند ربه.

ومعنى ذلك أن رفض طاعة الرسول عليه السلام نفى للإسلام ونفى للإيمان، وعصيان لله تبارك وتعالى.

- وكل رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام أمر قومه بأن يطيعوه بعد تقوى الله، وأعلن إليهم صفتين من صفاته توجبان طاعته فيما بلغ عن ربه، وهما:

- الأمانة: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧)﴾ [الشعراء: ١٠٧][(٢)] والأمانة هنا منصبة على أمانته فى التبليغ عن ربه أولا، ثم الأمانة بمعناها العام.

---

(١) كما جاء ذلك فى الآيات التى ذكرنا من سورة الشعراء.

(٢) جاء ذلك فى سورة الشعراء فى الآيات: ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨، على ألسنة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وجاءت هذه العبارة على لسان محمد ﷺ فى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١)﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١].

- والإخلاص: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: ١٠٩][١]، وإنما أبلغكم باتباع ما جئتكم به من عند الله لصالح معاشكم ومعادكم ودون أن طلب منكم أجرًا على ذلك، وإنما أجرى أحتسبه عند الله تعالى.

- وهذه الطاعة لله وللرسول طاعة مطلقة أى ليست مقيَّدة بأى قيد، فهى طاعة فى كل حين وعلى كل حال، أما طاعة غير الله ورسوله ممن لهم حق الطاعة فمقيدة بأن تكون طاعة فى غير ما حرم الله، كما سنوضح بعد قليل.

ثانيا: الطاعة بمعنى الانقياد لولى الأمر

والولىّ كل من ولى أمرًا أو قام به، وهو درجات: أعلاها من ولى أمر المسلمين، أى كان حاكما لهم وتظل الولاية تتدرج إلى ما هو أصغر من ذلك وأقل حتى تشمل من يلى أمر أدنى مسئولية، لكن يبرز من هذه الولاية أولياء لهم أهمية خاصة، ومنهم :

- الحاكم العام أو الخليفة أو الرئيس،
- والوزير ،
- والمحافظ - فى عصرنا هذا - ،
- وكل من ولاه الحاكم ولاية ليقوم بأعبائها
- والوالد وإن علا، ومن يحل محله عند الاقتضاء كالعم والأخ الأكبر والخال وغيرهم.
- وولىّ أمر المرأة الذى بيده عقدة نكاحها.
- والمربىّ، فإن له نوع ولاية، وله طاعة كذلك.

- وقد جاءت المطالبة بطاعة ولىّ الأمر فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ [النساء: ٥٩].

قال علماء تفسير القرآن الكريم وتأويله فى هذه الآية أقوالا عديدة خلاصتها:

---

(١) جاء ذلك فى سورة الشعراء فى الآيات: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠ على السنة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وجاءت هذه العبارة على لسان محمد ﷺ فى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧)﴾ [الفرقان: ٥٧].

أنَّ أُولى الأمر هم:

- الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم،
- أو الصحابة كلهم رضى الله عنهم، أى أهل القرآن والعلم،
- أو أمراء السرايا - أى قواد الجيش - عند عدم خروج الإمام معهم،
- أو علماء الدين الذين يفتون الناس ويعلمونهم دينهم،
- أو أهل العقل والرأى، أى أهل الاجتهاد،
- أو أهل الحل والعقد أى الذين إليهم اختيار الإمام الأعظم،
- أو أهل الإجماع الذين لا يجمعون على خطأ أو باطل أبداً(١).

وكل هؤلاء طاعتهم واجبة، ولا خلاف على ذلك إلا فيما ندر.

● وهذه الآية الكريمة أم فى مجال الطاعة الواجبة، قال فخر الدين الرازى - فى التفسير الكبير -: هذه الآية الشريفة مشتملة على أكثر علم أصول الفقه، وذلك لأن أكثر الفقهاء قالوا: إن أصول الشريعة أربع:

الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، وهذه الآية مشتملة على تقرير هذه الأصول الأربعة بهذا الترتيب.

- الكتاب فى قوله تعالى: ﴿ أطيعوا الله ﴾،
- والسنة فى قوله تعالى: ﴿ وأطيعوا الرسول ﴾.
- والإجماع: فى قوله تعالى: ﴿وأولى الأمر منكم﴾ وفيها دليل على أن إجماع الأمة حجة.
- والقياس فى قوله تعالى: ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ والمعنى أنكم إذا تنازعتم فى شىء حكمه غير مذكور فى الكتاب والسنة والإجماع، فردوا حكمه إلى الأحكام المنصوص عليها فى الوقائع المشابهة له، وذلك هو القياس.

ولكن لا يجوز ترك الكتاب أو السنة واللجوء إلى القياس، ولا يجوز تخصيصهما بسببه.

---

(١) وهناك رأى فى تفسير أولى الأمر بالأئمة المعصومين عن الخطأ وهو رأى الشيعة، والفخر الرازي ينسبه إلى الروافض.

● ومن صفات أولى الأمر التى وصفهم بها القرآن الكريم، أنهم مرجع فى معرفة ظروف الأمن أو الخوف الذى يعترى المجتمع المسلم فى أثناء الحرب أو السلم، بل فى استنباط ما ينبغى وما لا ينبغى فى التعامل مع مضمون أخبار الأمن أو الخوف.

وذلك أن أدب التعامل مع الأخبار التى تحمل معانى الأمن أو الخوف عموما، أو فى أثناء الحرب ألا يخوض فيها الناس دون حذر وترو، لأن هذا الخوض على هذا النحو يضر الأمة كلها.

والأصل أن يردّ الناس مثل هذه الأخبار إلى الله ورسوله؛ أى إلى الكتاب والسنة إن كان فيهما نصوص تضع الأمور فى نصابها، أو أن يردوه إلى أولى الأمر منهم – أى القادة وأمثالهم – العالمين ببواطن الأمور فى سياسة الأمة، حتى لا يقع منهم عمل يضر بأمتهم.

● هذه المعانى جاءت فى قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣) ﴾ [النساء: ٨٣].

– وأمر الأمن أو الخوف الذى يحتاج إلى استطلاع رأى أولى الأمر، هو مما يتعلق بسياسة الأمة فى أى جانب من جوانب سياستها العسكرية أو الاقتصادية أو نحوهما، وهذا الأمر لا يليق إذاعته قبل استطلاع رأى أولى الأمر فيه، حتى لا يقع ضرر من هذه الإذاعة.

● وهذا المعنى داخل فى الطاعة الواجبة لأولى الأمر، لما يقدرون عليه – دون سواهم – من معرفة بواطن الأمور، ومن الاستنباط من هذه الأمور.

● ومن المسلم به أن طاعة أولى الأمر مشروطة فى الإسلام بأن تكون فى غير معصية لله تعالى، لأنه لا طاعة فى معصية ولا طاعة إلا فى معروف. ولا طاعة لمن لا يطيع الله.

– روى البخارى ومسلم بسنديهما عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لأحد فى معصية الله، إنما الطاعة فى المعروف».

– وروى أحمد بسنده من أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لمن لم يطع الله».

● هذا هو هدى الإسلام فى طاعة أولى الأمر، لهم السمع والطاعة والاحترام والتقدير لما يتمتعون به من علم ومكانة وقدرة على الاستنباط، ومعرفة ببواطن الأمور، لهم هذه

الطاعة دون نظر إلى تمييز بينهم بالجنس أو اللون أو الانتماء العائلى أو الإقليمى، لكن بشرط ألا يأمروا أحدا من المسلمين بمعصية، فإن أمروا بذلك فلا سمع لهم ولا طاعة، وإن كانوا هم لا يطيعون الله، فلاطاعة لهم، كما دلَّت على ذلك السنة النبوية المطهرة - كما ذكرنا الآن - وكما سنذكر عند حديثنا عن مفهوم كلمة الطاعة فى السنة النبوية المطهرة.

ثالثا :

الطاعة المنهى عنها

جاءت فى القرآن آيات كريمة كثيرة تنهى عن الطاعة، إما لأن الأمر صادر ممن ليس من أهل الطاعة، وإما لأن الأمر يتضمن معصية لله تعالى.

وهؤلاء الذين ينهى القرآن الكريم عن طاعتهم هم:

- الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما دعا إليه،
- والذين يكثرون الحلف من الحقراء العيابين المغتابين. . . .
- والكافرون عموما،
- والمسرفون على أنفسهم بالشرك واتباع الهوى والمفسدون.
- والذين يخالفون الحق ولو كانوا كثرة لأنهم أهل ظنون وأوهام،
- والذين يشجعون على الشرك بالله ولو كانوا الوالدين،
- والمنافقون.

● والآيات الكريمة التى نهت عن طاعة هؤلاء أو طاعة أحد منهم هى:

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)﴾ [القلم: ٨، ٩].

فقد نهى الله تبارك و تعالى نبيه ﷺ، ونهى كل مسلم عن طاعة المكذبين بدين الله، غير المؤمنين به، مهما حاولوا مساومة المؤمنين ومداهنتهم من أجل تحقيق أغراض هى فى الحقيقة ضد الدين مهما زعموا غير ذلك.

● وفى النهى عن طاعة كل كثير الحلف ذى العيوب، جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣)

﴿أن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ⑭ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ⑮﴾ [القلم: ١٠ - ١٥].

- فالنهى فى هذه الآيات عن طاعة الأراذل من الناس كثيرى الحلف الحقراء فى سلوكهم وتصرفاتهم العيابين المغتابين، الذين ينقلون الأحاديث بين الناس على وجه الإفساد والإضرار، الذين يصدون غيرهم عن الخير، المعتدين الذين تكثر منهم الآثام والمعاصى غلاظ القلب اللؤماء، المضللين الكذابين.

- وإنما كان النهى عن طاعة هؤلاء لأنهم لا يأمرون بخير أبدا، بل يأمرون بالشرور والآثام.

● وفى النهى عن طاعة الكافرين فيما يزينون، جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ⑤⓪ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ⑤① فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ⑤②﴾ [الفرقان: ٥٠ - ٥٢].

- فلقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على الناس وبين آياته لهم، ليؤمنوا ويعملوا بموجبه لما فيه خير فى الدنيا والآخرة، ولكن معظمهم كفروا مؤثرين الباطل على الحق.

- ولو شاء الله لبعث فى كل قرية نبيا ينذر أهلها، ولكنه سبحانه جعل محمداً رسولا عاما للبشرية كلها.

- وطالب الله تعالى رسوله ﷺ بأن يجتهد فى الدعوة إلى الله ويمضى فى طريقها، نابذا ما يزور به الكافرون كفرهم غير مطيع فى شىء مما يريدون، غيرعابئ بما يتعرضون به من أذى للمؤمنين، وإنما عليه أن يستعد لجهادهم جهاداً عظيماً.

● وفى النهى عن طاعة المسرفين الذين آثروا الشرك والهوى واتباع الشهوات على الإيمان والحق والاستقامة؛ جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ①⑤① الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ①⑤②﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢].

- والمسرفون المنهى عن طاعتهم فيما يزينونه للناس هم الذين يتجاوزون حدودهم فى كل عمل يقومون به، والإسراف محظور حتى لو كان فى الخير، والله تعالى يعلن كراهيته للمسرفين فيقول تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ③①﴾ [الأعراف: ٣١]. وكيف يطاع من أخبر الله عنهم أنهم من أصحاب النار فى قوله تعالى: ﴿... وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ④③﴾ [غافر: ٤٣].

- وقد حددت الآية الكريمة صفات المسرفين الذين لا تجوز طاعتهم بأنهم: «يفسدون في الأرض، ولا يصلحون»، أي أنهم يفسدون إفساداً خالصا لا وجه فيه لأي صلاح.

● وفي النهي عن طاعة من يخالفون الحق ويعاندونه مهما يكن عددهم كبيرا؛ جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (116) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (117)﴾ [الأنعام: 116، 117].

- فالنهي هنا عن طاعة أعداء الحق مهما كانوا كثرة أو قوة، لأن شأن الكثرة ألا تكون مع الحق ولا مع الإيمان ولا مع العقل والتدبر، وعن شكر الله، وعن العلم، وعن الوفاء، وعن الصلاح، كما جاءت بذلك آيات قرآنية عديدة، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (24)﴾ [الأنبياء: 24]، وقوله جل شأنه: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (100)﴾ [البقرة: 100]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿... يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (103)﴾ [المائدة: 103]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (60)﴾ [يونس: 60]، وقوله جل وعلا: ﴿... وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (37)﴾ [الأنعام: 37]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102)﴾ [الأعراف: 102]، وقوله عز من قائل: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8)﴾ [التوبة: 8].

- وقد وصف الله تعالى تلك الأكثرية في هذه الآية بأنهم يتبعون الظن والأوهام والتخمينات وليس لهم صلة بالحق والحقيقة، فكيف من هذه صفاته؟ إنهم إن أطيعوا أضلوا الناس عن سبيل الله بما في عقولهم من أوهام وظنون.

● وفي النهي عن طاعة الغافلين عن ذكر الله؛ جاء قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)﴾ [الكهف: 28].

- وهذا لرسول الله ﷺ، ولكنه أمر لكل مسلم بألا يطيع أحداً من هؤلاء الغافلين عن ذكر الله، الغافلين عن الحق وعن كل ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، المنصرفين إلى اتباع الهوى، والبعد عن الصواب في كل أمورهم.

- وفى الآية دعوة إلى مصاحبة الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى المخلصين الذين يبتغون بأعمالهم وجه الله.

- كما فى الآية نهى عن أن تستهوى الحياة الدنيا وزينتها أى مؤمن، وإنما له أن يستمتع بها فى غير سرف ولا مخيلة، وليس له أن يحرم نفسه من طيباتها التى أحلها الله تعالى.

● وفى النهى عن طاعة المنافقين؛ جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ۝ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ۝** ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٨].

- وفى الآية الكريمة بيان لبعض وظائف النبى ﷺ ووظائف الدعاة إلى الله من بعده ﷺ وهى: الشهادة على الناس بالحق، وحمل البشارات للمؤمنين، وإنذار الكافرين بما ينتظرهم عند الله من جزاء، دعوة إلى الله يهدى بها الناس إلى الحق ويخرجهم بها من الظلمات إلى النور.

- ونهى صريح عن طاعة كل كافر، وكل منافق مهما كان لهم من قوة مادية يؤذون بها المؤمنين، أو قوة معنوية إعلامية يزيفون بها الحقائق على المؤمنين لإغرائهم بالباطل.

- وأمر بأن يترك النبى ﷺ والمؤمنون من بعده أمر الأذى الذى يلحقه الكفار والمنافقون بهم، بترك ذلك لله تعالى متوكلين عليه، لأنه سبحانه سوف ينتقم منهم بنفسه أو بالمؤمنين فى وقت مّا.

وبعد:

فهذا مفهوم كلمة الطاعة فى القرآن نرجو أن نكون قد أوضحناه، وبينا مقاصده ومراميه.

ولنتحدث الآن عن مفهوم كلمة الطاعة فى السنة النبوية المطهرة، سائلين الله تعالى العون والسداد.

٣ - مفهوم كلمة الطاعة فى السنة النبوية المطهرة

وردت كلمة الطاعة فى السنة النبوية المطهرة بمعنى الانقياد والسمع لكل ما أمر الله به أو نهى عنه، ولكل ما أمر به رسول الله ﷺ وما نهى عنه، وهى فى هذين المجالين فرض فرضه الله على كل المسلمين.

والطاعة بهذا المعنى هى التى بايع عليها الصحابة رضوان الله عليهم الرسول ﷺ يوم بايعوه على الإسلام، ويوم بايعوه على الحرب تحت شجرة الرضوان، وهى بهذا المعنى واجبة على كل مسلم نحو إمام المسلمين أو قائدهم.

● وقد جاءت الطاعة فى أحاديث الرسول ﷺ دالة على المعانى التالية:

- على عموم الطاعة؛ بشرط أن تكون فى حدود الاستطاعة.

- وعلى الطاعة للحاكم والأمير والولى ما دامت فى غير معصية.

- وعلى طاعة الأمراء والصبر على بعض ما يصدر منهم، حتى لا تكون فتنة.

- وعلى النهى عن الطاعة لبعض الأمراء والإنكار عليهم.

وفى كل معنى من هذه المعانى وردت أحاديث نبوية شريفة نذكر منها ما يوفق الله إليه فيما يلى:

أولا:

الدلالة على عموم الطاعة فى حدود الاستطاعة

١ - روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى، ومن عصى أميرى فقد عصانى».

وفى رواية «... ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن يعص الأمير فقد عصانى».

ورواه مسلم وأبو داود والنسائى وأحمد وابن ماجة بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٢ – وروى مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم».

وفى رواية: «... وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان».

٣ – وروى الترمذى بسنده عن الحارث بن الحارث الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن...

وأنا آمركم بخمس أمرنى الله بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد فى سبيل الله؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم وإن صام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوة الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله».

٤ – وروى أحمد بسنده عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن أُمِّر عليكم عبد حبشى، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجة والحاكم بأسانيدهم عن العرباض رضى الله عنه.

٥ – وروى الطبرانى بسنده – فى الكبير – عن واثلة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الهجرتين: الهجرة البَاتَّة – أى المستمرة، والهجرة البانة أن تثبت مع رسول الله ﷺ – وهجرة البادية أن ترجع إلى باديتك، وعليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك، ومكرهك ومنشطك وأثرة عليك».

٦ – وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية».

٧ – وروى مسلم بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من خلع يداً من طاعة؛ لقى الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».

٨ – وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضى الله عنه: «إنك ستأتى قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

٩ – وروى البيهقى – فى شعب الإيمان – بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى حجة الوداع وهو على الجدعاء وقد جعل رجليه فى غرزى الركاب، يتطاول ليُسمع الناس، فقال: «ألا تسمعون» – يطول فى صوته – فقال قائل من طوائف الناس: فما تعهد إلينا؟

قال: «اعبدوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلون جنة ربكم».

– قال الإمام أحمد فى التعليق على هذا الحديث:

والأصل فى هذا الباب أن طاعة الله تعالى لما كانت واجبة كانت طاعة من ملّكهُم شيئا من أمور الناس واجبة، وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإذا وجبت طاعة الرسول بهذا المعنى، وجبت طاعة من يملّكه الرسول – ﷺ – شيئا مما ملكه الله تعالى، فبأى اسم دُعى؛ فقيل له خليفة أو أمير، أو قاض أو مصدق، أو من كان.

وأى واحد من هؤلاء وجبت طاعته كان عامله أو من يملكه شيئا مما يملكه واجبة، فقيام كل واحد من هؤلاء فيما صار إليه من الأمة منزلة الذى فوقه، إلى أن ينتهى الأمر إلى من له الخلق والأمر وليس فوقه أحد، وهو رب العالمين.

وهذه فى حياة الرسول ﷺ، فأما إذا توفاه الله إلى كرامة من غير نص على إمامة أحد من بعده؛ وجب على أهل النظر من أمته أن يتحروا إمامًا يقوم فيهم مقامه، ويُمضى فيهم أحكامه؛ لأن منزلتهم جميعا إذا مات عن غير خليفة كمنزلة من ناب عنه فى حياته. فلما كانت سنته فى أهل البلاد القاصية أيام حياته أن يؤمر عليهم أميرا، أو يُنفذ إليهم قاضيا. فإن لم يفعل، أمروا عليهم أميرا.

– وقد دلّ ذلك على أن حق الجماعة بعد وفاته –لا عن أحد استخلفه عليهم – أن يكون

لهم فيما بينهم من يقوم مقامه وينفذ أحكامه.

واستدل غير أحمد من العلماء على وجوب نصب الإمام شرعا بإجماع الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ»[1].

١٠ - وروى البخارى بسنده عن أبى بردة عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إنى رأيت الجيش بعينَىّ، وإنى أنا النذير العريان، فالنجاءَ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به، ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق».

١١ - وروى مسلم بسنده عن أبى ذر - رضى اللّه عنه - قال: إن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مجدع الأطراف.

١٢ - وروى مسلم بسنده عن يحيى بن الحصين قال: سمعت جدتى تحدث أنها سمعت النبى ﷺ يخطب فى حجة الوداع وهو يقول: «ولو ستعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا».

١٣ - وروى أحمد وابن ماجة والحاكم بأسانيدهم عن نعرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشيًا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد».

• والطاعة فى حدود الاستطاعة:

وذلك أن القاعدة العامة فى التكاليف كلها هى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا.... ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]، و: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ... ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦].

١٤ - وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعتم».

---

(١) البيهقى: شعب الإيمان: ٦/٥-٦ ط. دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٥ – وروى مسلم بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جَشَره؛ إذ نادي منادى رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة.

فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرًّ ما يعلمه لهم.

وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتجيء فتنةٌ يرقّق بعضها بعضا، وتجئ الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتى، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه، هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه.

ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر».

ثانيا:

الطاعة للحاكم والأمير ما دامت في غير معصية

المبدأ العام الذى أقره الإسلام في الطاعة هو: لا طاعة في معصية الله تعالى، أو: الطاعة في المعروف، أى في أنواع البر والخير.

أكد القرآن الكريم ذلك المبدأ حتى لو كانت الطاعة للوالدين، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

فلو أمر الوالدان بمعصية لله فلا طاعة لهما.

- والإمام أو الحاكم أو الأمير أو كل من له ولاية ينبغى أن يكون هذا شأنه؛ فلا يطاع في معصية، وبهذا وردت الأحاديث النبوية الشريفة التى نذكر منها ما يلى:

١ – روى البخارى ومسلم والنسائى بأسانيدهم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر

بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

٢ - وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب أو كره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

٣ - وروى ابن ماجة بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون عليكم امراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، ويحدثون البدع»، قال ابن مسعود: فكيف أصنع؟ قال: «تسألني يا ابن أم عبد كيف تصنع؟ لا طاعة لمن عصى الله».

٤ - وروى البيهقى - في شعب الإيمان - بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طاعة الإمام حق على المرء المسلم؛ ما لم يامر بمعصية الله، فاذا أمر بمعصية الله، فلا طاعة له».

٥ - وروى أحمد بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

٦ - وروى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لمن لم يطع الله».

٧ - وروى مسلم بسنده عن عليّ رضى الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سَرِيّة واستعمل عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لى حطبًا، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا نارًا، فاوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا وتطيعوا؟ قالوا: بلى.

قال: فادخلوها، فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار!!!

فكانوا كذلك و سكن غضبه، وطفئت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف».

٨ - وروى مسلم بسنده عن وائل بن حجر رضى الله عنه قال: سأل مسلمة بن يزيد الجُعْفى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تامرنا؟ فأعرض عنه.

ثم سأله – أى مرة ثانية – فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمّلوا وعليكم ما حملتم».

٩ – وروى البخاري ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون بعدى أثرة وأمور تنكرونها».

قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟

قال: «تؤدون الحق الذى عليكم وتسألون الله الذى لكم».

ثالثا:

طاعة الأمراء والصبر على بعض ما يصدر منهم حتى لا تكون فتنة

طاعة الحاكم أو الأمير واجبة في العسر واليسر والمنشط والمكره، ولا تجوز معصيته إلا إذا أمر بمعصية الله كما قلنا آنفا، ولكن إذا صدر منه ما لايبلغ أن يكون معصية لله، فهل يعصى أو يقاوم أو يعزل؟

● هذا ما نحاول هنا أن نوضحه في كلمات خلاصتها: أن يطاع الحاكم فيما يأمر به إن كان ما أمر به ليس معصية لله، وإنما فيه تكليف بما هو شاق على المسلم أو فيه مساس ببعض حقوقه أو فيه تجاوز لما لا ينبغى تجاوزه. وكل ذلك بشرط ألا يكون ما يأتيه هذا الحاكم أو الأمير كفرا بواحًا، للمسلمين عليه من الله تعالى برهان.

● في هذه الاحوال يُطالَب المسلم بطاعة حاكمه وبالصبر عليه وعلى أعماله؛ خشية أن يؤدي رفضه لأعماله أو معصيته إلى فتنة تلحق بالمسلمين ضررًا.

● وقد وردت في ذلك أحاديث نبوية شريفة منها ما نذكره فيما يلى:

أ – روى مسلم بسنده عن أسيد بن حضير رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار خلا برسول الله ﷺ فقال: ألا تستعملنى كما استعملت فلانا؟

قال: «إنكم ستلقون بعدى أثَرةً فاصبروا حتى تلقونى على الحوض».

٢ – وروى مسلم بسنده عن علقمة بن وائل الحضرمى عن أبيه قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟

فاعرض عنه.

ثم سأله؛ فاعرض عنه،

ثم سأله في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس.

وقال رسول الله ﷺ : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حُملتم».

٣ - وروى مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله ! إنا كنا بشر، فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟

قال: «نعم» .

قلت: هل وراء ذلك الشرّ خير؟

قال: «نعم»،

قلت: فهل وراء ذلك الخير شرّ؟

قال: «نعم».

قلت: كيف؟

قال: «يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى، ولا يستنون بسنتى، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس».

قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك؟

قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع».

٤ - وروى مسلم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية»؛ أى مات كما يموت عليه أهل الجاهلية من الضلالة والفرقة وفقد الإمام المطاع.

٥ - وروى مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى، فقلت: يا رسول الله: إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟

قال: «نعم» .

فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: «نعم، وفيه دخن»

قلت: وما دخنه؟

قال: «قوم يستنون بغير سنتى، ويهدون بغيرهديى، تعرف منهم وتنكر».

فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: «نعم؛ دعاة على أبواب جهنم؛ من أجابهم إليها قذفوه فيها».

فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا.

قال: «نعم؛ قوم من جلدتنا – أى من أنفسنا – ويتكلمون بألسنتنا».

فقلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركنى ذلك؟

قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»

قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

● والمعنى أن الأئمة إذا فسدوا وكان فى الخروج عليهم فتنة للمسلمين وتفريق لكلمتهم، فإن الصبر عليهم واجب، واعتزال الشر كله واجب.

٦ – وروى مسلم بسنده عن عوف بن مالك الأشجعى رضى لله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم».

قالوا: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟

قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا،ما أقاموا فيكم الصلاة.

الا من وُلى عليه والٍ فرآه يأتى شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتى من معصية الله، ولا ينزعنّ يَدا من طاعة».

● وليس معنى لزوم المسلم الطاعة لحاكمة والصبر على ما يأتى من معصية الله، أن هذا الحاكم غير مسئول عما يأتى، أو أن تسامح المسلمين معه وصبرهم عليه يعفيه مما فعل.

إنه مسئول أمام الله وأمام الناس، ومحاسب على كل خلل يصدر منه، وفى ذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة .

- فمن الآيات قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] .

- وقوله جل شأنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠] .

- وقوله عز وجل: ﴿ ... وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات: ٩] .

- ومن الأحاديث النبوية الشريفة ما نذكره فيما يلى:

٧ - روى مسلم بسنده عن عياض بن حمار رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقسط موفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال » .

٨ - وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: « إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا » .

٩ - وروى البخارى بسنده عن أبى يعلى ومعقل بن يسار رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » .

١٠ - وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء. كلما هلك نبى خلفه نبى، وإنه لا نبىّ بعدى، وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون » .

قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟

قال: « أوفوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم . واسألوا الله الذى لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم » .

١١ - وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: نحن الآخرون السابقون، من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن

يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جُنَّة يُقاتَلُ من ورائه، ويُتَّقَى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره فإن عليه منه».

رابعًا:

الطاعة في مجال النهي عنها، والإنكار على بعض الأمراء

ومعنى ذلك أن المجتمع المسلم ليس مجتمعًا سلبيا، يرى المنكر ثم لا يأخذ منه موقفا، أو يرى الحاكم الظالم وقد استمرأ الظلم، ثم يسكت عليه!!!

إن السكوت على الظالم يكون في حالة واحدة؛ هي خشية أن يقع المسلمون في الفتنة إذا خرجوا على حاكمهم، وعندئذ يكون الإنكار أي الرفض، سواء أكان إنكاراً باللسان أو إنكاراً بالقلب، المهم أن يكون هناك إنكار، وألا يكون هناك رضا عن الظلم والظالمين.

- وفي هذا المعنى وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة.
- فمن الآيات القرآنية:

– قوله تبارك وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)﴾ [الأعراف: ١٩٩].

– وقوله جل شأنه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ... (٧١)﴾ [التوبة: ٧١].

– وقوله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾

[آل عمران: ١١٠].

- ومن الأحاديث النبوية الشريفة ما يلي:

١ – روى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تَخْلُف من بعدهم خُلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

٢ – وروى مسلم بسنده عن أم المؤمنين أم سلمة هند بنت حذيفة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضى وتابع»

قالوا: يا رسول الله. ألا نقاتلهم؟

قال: «لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة».

٣ – وروى مسلم بسنده عن طارق بن شهاب البُجلى الأحمسى رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى ﷺ – وقد وضع رجله فى الغرز – أى الجهاد أفضل؟

قال: «كلمة حق عند سلطان جائر».

٤ – وروى البخارى بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا».

٥ – وروى مسلم بسنده عن أبى سعيد الحسن البصرى أن عائذاً بن عمر رضى الله عنه دخل على عبيد الله بن زياد، فقال – له – : أى بُنىّ إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن شر الرِّعاءِ الحطمة»[1] فإياك أن تكون منهم.

فقال له: اجلس فإنما أنت من نخاله أصحابه محمد ﷺ فقال: – عائذ رضى الله عنه – وهل كانت لهم نخالة، إنما النخالة كانت بعدهم وفى غيرهم.

٦ – وروى الترمذى بسنده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده؛ لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا، ثم تدعونه، فلا يستجاب لكم».

٧ – وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل؛ أنه كان الرجل يلقى الرجل، فيقول: يا هذا

---

(١) الرِّعاء: جمع راع،

والحطمة: الراعى الذى يعنف في رعيه، في سوق ما يرعى وفي سقيه ومرعاه، ولا يرفق به بل يزحم بعضه بعضا، فهو بذلك يحطم ما يرعى، الراعي الحطمة في الناس: هو الحاكم الظالم.

اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك. ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده؛ فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض».

ثم قال: «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم...» إلى قوله: «فاسقون».

ثم قال: «كلا والله لتأمرون بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصراً[1] أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم».

٨ – وروى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

٩ – وروى البخاري بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة: في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

● وبعد:

فإن هذه الأحاديث الشريفة عند التدبر في معناها نجدها تنهى عن طاعة الظالمين والجائرين وتطالب بمقاومتهم والإنكار عليهم وتدين الرضا بما يصنعون.

وفي حالة واحدة فقط تتوقف هذه المقاومة بالقوة؛ إذا كانت سوف تؤدي إلى فتنة في المسلمين أو تفرق حكمتهم.

وإلى هنا نكون قد تجولنا في رحاب السنة النبوية المطهرة لنرى ما دلت عليه الطاعة في أحاديث النبي ﷺ : والله حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) تأطرنه على الحق أطرا: أي تعطفونه عليه بمعنى أن يجعل الحق له إطارا يدور فيه.
وتقصرنه: أي تحبسونه على الحق فلا يفارقه كأنه سجن له.

٤ - مفهوم الطاعة فى تراثنا الإسلامى

نعنى بهذا التراث الإسلامى التراث الفقهى، فهو أهم ألوان هذا التراث الحضارى عند المسلمين؛ وذلك أن ما بذله الفقهاء المسلمون من جهد فى صيانة الفكر الإسلامى عن الانحراف، وتغذيته بنتاج العقل، ودفعه لكى يكون فاعلا فى الحياة الإنسانية، كل ذلك وغيره جعل من التراث الفقهى عند المسلمين قيمة عظمى وقمة يرتفع إليها عن جدارة بين ألوان التراث الإسلامى.

- والفقهاء المسلمون هم الحراس الحقيقيون للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حرسوهما من سوء الفهم، ومن ضيق الفهم، ومن التسيب فى الفهم، ولهذا كانت الإشارة النبوية بالتفقه فى الدين، وربط هذا الفقه برضا الله تبارك وتعالى، فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم وأحمد بأسانيدهم عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين»[1].
- وقد أولى الفقهاء المسلمون موضوع الطاعة أهمية تليق به فى بحوثهم ودراساتهم، فتحدثوا عن الطاعة فى مجالات أربعة هى:

– طاعة الله ورسوله،

– وطاعة الوالدين،

– وطاعة ولى الأمر،

– وطاعة المعلم، أى المربى.

- وإنما كان للطاعة هذا الاهتمام فى كتب الفقهاء، لأنها تمثل الاستجابة لكل تكليف يصدر إلى المسلم من ربه سبحانه وتعالى.

– وهذه التكاليف الموجهة للمسلم من الله تبارك وتعالى هى المنهج الذى اختاره الله تعالى للمسلمين – بل للإنسانية كلها – للعمل بمبادئه والالتزام بقيمه فى حياتهم الإنسانية.

– وهذه التكاليف الشرعية للإنسان هى التى عرفته العقيدة الصحيحة فى كل ما يحيط به، والعبادة السليمة التى خلقه الله تعالى من أجلها، والمعاملة الحسنة لكل من يتعامل معه،

---

(١) ورواه الترمذى بسنده عن ابن عباس، ورواه ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه.

ولولا هذه التكاليف الشرعية؛ أى المنهج لظل الإنسان يخبط فى ظلمات الحيرة والضلال والتظالم.

- وهذه التكاليف الشرعية للإنسان هى التى ضبطت سلوكه مع الحق، ومع ما يجلب له خيرى الدنيا والآخرة، ويدفع عنه كل شر يصيبه فى دينه أو دنياه.

- وهذه التكاليف الشرعية هى التى غرست روح الاخوة والحب والتعاون والتناصر والتكافل بين المسلمين جميعا على مستوى الأفراد والأسر، والجيران والاصدقاء، بل على مستوى المجتمع كله، بل الامة الإسلامية جمعاء.

- هذه التكاليف الشرعية هى المنهج - كما قلنا - وهى عند التحليل والشرح لا تخرج عن الأمر والنهى الصادرين من الله تعالى لعباده، الأمر وما يلحق به ويقل درجة عنه وهو الندب، والنهى وما يلحق به ويقل درجة عنه وهو الكراهية.

- ولا وزن للأمر أو النهى فى ذاتهما؛ أى دون ارتباطهما بالإنسان، ولكن الوزن الحقيقى لهما بالطاعة والالتزام، طاعة الأمر بالامتثال وطاعة النهى بالامتناع، وفى الامتثال لأمر الله والانتهاء عما نهى عنه سعادة الدنيا والآخرة.

- وبغير هذه الطاعة فى الأمر والنهى تضطرب حياة الفرد، وتختل حياة الأسرة، ويضيع المعروف والإحسان بين الأقارب والأرحام والأصدقاء والجيران وبين الناس جميعا.

بل بغير الطاعة لا يحترم عقد ولا عهد، ولا تصح معاملة بين المسلمين، بل لا تستقيم علاقة بين المسلمين وغيرهم من الناس؛ أهل أديان أو مَنْ كان على غير دين.

- إن الطاعة -أى الخضوع والانقياد لمنهج الله تعالى وتكاليفه؛ أى أمره ونهيه فى مختلف شعب الحياة الإنسانية- لا تتم على وجهها الصحيح إلا إذا التزم بها المجتمع كله: أى فئات المجتمع كلها: الأفراد، والأسر، والمربون، والحكام؛ إذ لا جدوى للطاعة إن التزم بها بعض الناس، ولم يلتزم بها بعض آخر، بل ربما كان لها من الاضرار ما لا تحمد عقباه بحال.

- فهذه الطاعة للأمر والنهى يجب أن يصحبها يقين بأنها الوسيلة المثلى لتحقيق مطالب الإنسان المشروعة فى الحياة الدنيا، وأنها لا تضاهيها فى ذلك وسيلة أخرى، لأنها طاعة للخالق سبحانه وتعالى فيما يصلح خلقه.

- وهذه الطاعة للمنهج يجب أن يواكبها شعور عميق بأنها تغرس الرحمة بين الناس قويهم وضعيفهم، وغنيهم وفقيرهم، وتولد التعاطف، لأن واضع المنهج سبحانه وتعالى، يعلم

ان فى الناس أقوياء وضعفاء وأغنياء وفقراء، ولا يرضى بالظلم الذى يؤدى إليه تعطيل النهج الذى كفل للضعفاء والفقراء حقوقا لدى الأقوياء والأغنياء فى أموالهم وما يملكون.

– وهذه الطاعة تمنع الشقاق وتحول بين الناس وبين أن يتعادوا؛ لأنها تلزم كل طرف من أطراف التنازع بالقيام بواجبه وبممارسته حقوقه إلا أن يتسامح ويعفو ويلجأ إلى الإحسان اى قبول ما هو أقل من حقه، وإعطاء ما هو أكثر من واجبه، والإحسان منزلة عليا فى إحداث الاستقرار فى المجتمع الإنسانى، وما يوجه إلى الإحسان مِثْلُ الطاعة.

– ومهما اقل فى الطاعة وما تجلبه من خير، وما تمنعه من شر، فلن أوفيها حقها، فهى من سمات الإنسان الذى بلغ من الرشد حقًا يليق بإنسانيته التى كرمها الله تعالى فيه وأعلى شأنها على كثير مما خلق سبحانه وتعالى.

● وحسبى أن أقول: إن التكاليف الشرعية إذا قوبلت من الإنسان بالطاعة أمكن بناء المجتمع الإنسانى الرشيد، وإنما يقوم هذا المجتمع الذى تسوده طاعة التكاليف على دعائم ثلاثة:

الدعامة الأولى:

هى بناء الإنسان الصالح؛ ليكون مصدر خير لنفسه وأهله والمجتمع الذى يعيش فيه، من خلال تصحيح عقيدته، وتحرير عبادته، وتصويب معاملاته، وتهذيب أخلاقه.

وكل ذلك يوثق العلاقات الاجتماعية، ويرفع الظلم عن الناس، ويحد من مغالاة الناس فى تقديرهم لأنفسهم، ومن رغبات بعضهم فى بخس أقدار الآخرين؛ لأن ذلك مما منعه المنهج وحرمته التكاليف الشرعية بالأمر حينا وبالنهى أحيانا.

والدعامة الثانية:

هى تحقيق العدالة اجتماعية وسياسية واقتصادية، بحيث يكون الناس جميعا أمام القانون – المنهج – سواء، استجابة وطاعة لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالناس جميعا أمام القانون سواء، وواضع القانون هو رب الناس جميعا – وليس ما تواضع الناس على تسميته قانونا وتعارفوا على وضعه هم .

– وهذه العدالة فى إطارها الاجتماعى وضع لها الإسلام تكاليف وطالب بأن تطاع؛ وجملتها

أو تلخيصها فى كلمات هى أن يكون فى مال الغنى حق للفقير، زكاة تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء، أو صدقة يندب الشرع إليها ليزداد الإنسان بها قربا من الله تعالى وتعرضا لثوابه سبحانه.

- ومن البديهى فى إطار العدالة الاجتماعية أن يكون للمرأة وللطفل، وللام وللاخت ولكل فرد فى المجتمع من الحقوق ما يكفل لهم الحياة الإنسانية الكريمة التى لا يكفل اكرم منها منهج آخر.

- ومن العدالة فى إطارها السياسى أن يمارس كل فرد كافة حقوقه وحرياته دون إخلال أو انتقاص لشىء منها، فقد كفل الإسلام هذه الحقوق بما لم يُكفل مثله فى منهج أو نظام على طول التاريخ الإنسانى ماضيه وحاضره بل ومستقبله.

- ومن العدالة فى إطارها السياسى أن يكون فى مقابل ممارسة الفرد لحقوقه أن يقوم بواجباته، ولا قيمة لعدالة لا يقابل الحق فيها بالواجب.

- ومن العدالة فى إطارها الاقتصادى ألا يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم، وإنما يكون للفقراء حق فى هذا المال، وأن يكون لهم حق على الحكومة أو بيت مال المسلمين، وأن يجد الفقير فرصة للعمل الشريف، وفرصة لمواجهة عجزه عن العمل.

وأن يكفل المجتمع والحكومة الأيتام والأرامل وأصحاب الأمراض المعوقة من العمل بالتأهيل والمعونة .

والدعامة الثالثة:

هى جلب المصالح ودفع المفاسد.

وذلك أن كل تكليف فى الشريعة الإسلامية بأمر أو ندب، وبنهى أو كراهية إنما جاء ليحقق مصلحة للفرد والمجتمع والأمة كلها، أو ليدفع ضرًا أو شرًا عنهم جميعًا .

وقد حرصت تكاليف الشريعة الإسلامية - كما يستدل على ذلك من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة -على تحقيق مصالح عامة خمس، جعلها فقهاء الشريعة وعلماء أصول الفقه مقاصد وغايات للتشريع، تجب المحافظة عليها وهى:

- المحافظة على الدين،

- والمحافظة على النفس،

- والمحافظة على العقل،

- والمحافظة على المال،

- والمحافظة على النسل.

وذلك ان الحياة الإنسانية لا تستقيم إلا بالمحافظة على هذه الأمور الخمسة، ونحاول هنا أن نوضحها فيما يلى:

أ ـ المحافظة على الدين:

والدين - وهو ما يتدين به الإنسان - يمثل ميلا فطريا فطر الله الناس عليه، فكل إنسان عاقل يحب أن تكون له عقيدة يؤمن بها وتسهم فى توجيه أخلاقه ومعاملاته.

- ودين الإسلام هو الدين الصحيح السليم خاتم الأديان وأتمها وأكملها وأنسبها للإنسان الذى كرمه الله تعالى، وهو دين متجاوب مع العقل، ولذلك كان للإنسان حرية فى أن يتدين به أو لا يتدين، ورفضت الشريعة الإكراه عليه، قال الله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، بل نهت الشريعة الإسلامية عن فتنة أحد عن دينه بخداع أو ترغيب أو ترهيب، وإنما تترك له الحرية كاملة، قال الله تعالى: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ١٩١]، ونعى القرآن الكريم على الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وهددهم بالعذاب، قال الله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) ﴾

[البروج: ٤ - ١٠].

- والتدين خاصة من خواص الإنسان، تميزه عن سائر المخلوقات، وإذا كانت كل المخلوقات تسبح الله تبارك وتعالى، فإن الإنسان وحده هو الذى يتدين لله ويعبده وفق ما شرع، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وكل ذلك إنما يكون بطاعة هذا المنهج والاستجابة لتلك التكاليف.

ب - والمحافظة على النفس:

اى حمايتها من أن يتعرض أحد بإزهاقها، أو النيل من البدن الذى تعيش فيه، أو الانتقاص من الحرية التى يجب أن تكفل لها.

- وهذه المحافظة على النفس شرعت تشريعات تحميها من أن تتعرض للإبادة، ولهذا شُرع القصاص وجعلت فى تشريعه حياة للمجتمع كله ﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾ [البقرة: ١٧٩].

- وشرعت للعدوان على أطراف الإنسان وأجزاء بدنه تشريعات تحميها، قال الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ (٤٥) ﴾ [المائدة: ٤٥].

- وكل ذلك إنما يتأتى بطاعة التكاليف التى أوجبت ذلك، والتعرض للعقاب عند عدم الطاعة.

جـ - والمحافظة على العقل :

والعقل هو مناط التكليف، وهو بالتالى من أكبر نعم الله تعالى على الإنسان، ولذلك حافظت الشريعة الإسلامية عليه من أن يمس بسوء، إذ العقل وإن كان لصاحبه إلا أن العدوان عليه عدوان على المجتمع كله؛ لأن من فقد عقله بأى نوع من العدوان عليه قد يضر المجتمع الذى يعيش فيه وهو فاقد العقل أى فاقد الأهلية الإنسانية.

- ومع المحافظة على العقل يكون الإنسان قادراً على أن يقدم للمجتمع أنواعا من الإبداع لا يستغنى المجتمع عنها، بل لا يعيش حياة إنسانية كريمة إلا بها.

- لذلك حرم الإسلام كل مأكول أو مشروب أو مشموم يضر بالعقل ، كالنجاسات ولحم الخنزير والخمر والمخدرات والمفترات وكل ما من شأنه أن يضر العقل، وفرض عقوبات على من يضر بعقل غيره أو عقل نفسه.

- وكل ذلك إنما يتيسر تطبيقه وتنفيذه بالطاعة لهذه التكاليف والاستجابة لما تأمر به أو تنهى عنه فى هذا المجال، مجال المحافظة على العقل.

د - والمحافظة على المال :

والإنسان مفطور على حب المال؛ لأن به يتمكن الإنسان من الحصول على مطالبه فى

الحياة، سواء أكانت ضرورية أم حاجية أم كمالية.

ومن أجل ذلك جعلت الشريعة من حقوق الإنسان أن يعمل وأن يكسب وأن يملك ما يقتنيه مما كسبه أو آل إليه بميراث أو وصية أو هبة، وجعل المحافظة على ذلك المال من صميم ما جاء في الإسلام من تشريعات ونظم.

وطالب الإسلام الإنسان بأن ينفق من المال الذى اكتسبه فى أوجه الخير التى دعت إليها الشريعة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)﴾ [البقرة: ٢٦٧].

- ونهى الإسلام عن أن يكون كسب المال مدعاة لإثارة الحسد، وإنما الأصل أن يقنع كل إنسان بما كسب ولا يتطلع إلى ما كسب سواه، قال الله تعالى: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)﴾ [النساء: ٣٢].

- ومن أجل المحافظة على المال حرمت الشريعة كل مايمثل عدوانا عليه كالسرقة والغصب والرشوة والربا والغش، وكنز المال، ونحو ذلك من أى معاملات تضر بالمال.

- وشرعت العقوبات التى من شأنها أن تردع من تحدثه نفسه بالعدوان على مال غيره كالقطع عند السرقة مع توفر شروط القطع، بل شرعت القتل عندما يكون السارق جماعة تقطع الطريق وتقتل وتسلب المال.

- ومن أجل كسب المال واستثماره وتنميته شرعت العقود فى المعاملات وجعلت ركناها: الإيجاب والقبول، ودعت إلى إحياء الأرض الموات، وإعمار الأرض، واستخراج ما فى باطن الأرض من معادن وغيرها.

- وكل ذلك لا سبيل إلى تحقيقه إلا بالطاعة والاستجابة لهذه التكاليف الشرعية.

هـ- والمحافظة على النَّسْل:

والنسل هو النوع الإنسانى، والمحافظة عليه هى المحافظة على الأعراض حتى لا تختلط الأنساب، ولا تضيع، ولا يحدث قتل مقنع للأولاد عن طريق الإجهاض ونحوه.

- ومن أجل المحافظة على النسل شرع الله تعالى الزواج وجعله واجبا على كل قادر عليه، ووضع له نظاما، وأجله بعقد أبدى حتى تنحل عقدة النكاح بأقرب الأجلين: الطلاق أو الموت، وجعل الزواج هو الوسيلة لبناء الأسرة.

- وأحاط الأسرة ومن ولد لها بكل أنواع الرعاية والحماية، وشرع لها: النفقات والوصية والميراث.

- وحافظ على الأعراض من العدوان بالقول أو الفعل، وجعل على العدوان القولى وهو رمى المحصنات بالفاحشة عقوبة جسدية، وعلى العدوان بالفعل -الاغتصاب- أو نحوه كالزنا برضا الطرفين أو أحدهما عقوبة القتل لمن كان محصنا وعقوبة الجلد لمن كان غير محصن، بالإضافة إلى عقوبة اجتماعية هى تفسيقه ورفض شهادته، وإسقاطها إن أدلى بها.

- ومن حوافظ حماية النسل أن حرمت الشريعة اللواط والمسافحة وإتيان الزوجة فى دبرها، وكل ما شأنه أن يحول بين النسل من طريقه المشروع، كما حرمت الزنا حتى يكون النسل منسوبا إلى الأب الحقيقى.

- بل دعت الشريعة إلى النسل وإلى الإكثار منه، وإلى تقوية هذا النسل جسداً وعقلا وروحًا، واعتبرت ذلك إسهاما فى بناء المجتمع بناء فاضلا، يعرف فيه كل مولود أباه ويعتز بالانتماء إليه.

- وكل ذلك إنما يكون ويتحقق إن كانت هناك طاعة لتلك التكاليف الخاصة بالزواج والأسرة، بل لا سبيل إلى المحافظة على النسل إلا بطاعة الله تعالى فيما أمر به، وفيما نهى عنه فى هذا المجال.

وبعد، فإن المحافظة على هذه المصالح أو المقاصد الخمسة إنما يكون بالالتزام بالمنهج الذى وضعه الله تعالى، وبلّغه عنه خاتم رسله محمد ﷺ.

وهذا الالتزام يعنى الطاعة لله ورسوله فى كل ما أمر الله به وفى كل ما نهى عنه، ومن هنا كانت الطاعة على هذا المستوى من الأهمية فى الفقه الإسلامى على وجه الخصوص وفى التراث الإسلامى عموما.

● ومن المعروف بل المقرر فى الفقه الإسلامى أن هذه المصالح الواجب جلبها، وتلك المفاسد الواجب درؤها ودفعها، لها مراتب فى جلبها أو دفعها على نحو ما هو مقرر فى كتب

الفقه وأصوله.

– فمن هذه المصالح ما هو ضرورى لا تستقيم الحياة إلا به، وهذه المصالح جلبها واجب.

ومن هذه المصالح ما هو حاجى – منسوب إلى الحاجة – لا تكمل الحياة إلا به وإن تمت بغيره، وهذه المصالح جلبها مستحب.

من هذه المصالح ما هو تحسينى، وهو ما يجعل الحياة أحسن وأجمل، وهذه المصالح جلبها مندوب أيضا.

وكذلك الشأن فى دفع المفاسد، منه ما هو واجب ومنه ما هو مستحب مندوب إليه؛ إذ منها ما دفعه ضرورى أو حاجىّ أو تحسينى.

● هذا ما قرره فقهاؤنا فى الماضى، وما هو مقرر فى الحاضر، وما لابد منه فى المستقبل.

– وللإمام الغزالى أبى حامد[1] كلمة فى ذلك الموضوع لا نحب أن يفوتنا ذكرها هنا وهى قوله:

«إن جلب المنفعة ودفع المضرة من مقاصد الحق، وصلاح الخلق، فى تحصيل مقاصدهم، ولكنا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع.

ومقصود الشرع من الخلق خمسة:

وهو أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم.

فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة. وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدا ودفعها مصلحة.

● وهذه الطاعة الواجبة على المسلم لهذه التكليفات هى ما يضمن للمجتمع حياة إنسانية كريمة، بل لاحياة إنسانية كريمة إلا بهذه الطاعة.

وللإمام الغزالى كلمة فى الطاعة يقول فيها: «اعلم أن الطاعة والعبادة متابعة الشارع فى الأوامر والنواهى بالقول والفعل، يعنى: كل ما تقول وتفعل، وتترك قوله وفعله يكون باقتداء الشرع...»[2].

---

(١) الإمام الغزالى أبو حامد: المستصفى من علم الأصول، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون تاريخ.

(٢) الإمام الغزالى أبو حامد: رسالة: أيها الولد. ط دار الاعتصام بالقاهرة: ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

ولنشرع فى الحديث عن الطاعة فى مجالاتها الأربعة عن الفقهاء وهى:

طاعة الله ورسوله،

وطاعة الوالدين،

وطاعة ولى الأمر،

وطاعة المربى.

والله تعالى المستعان.

أولا :

طاعة الله ورسوله

طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ هى الإسلام كله، وهى الإيمان كله، وهى الإحسان كله، وهى الامر بكل معروف، وهى النهى عن كل منكر وهى العدل، وهى الدعوة إلى الله وإلى الحق وإلى الطريق المستقيم، بل هى الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

- وطاعة الله ورسوله ليست مجرد كلمة تقال، وليست مجرد المعرفة أو العلم بهذا الدين، ولا هى مجرد الإقرار بالدين أو بأنه دين الحق، وإنما هى -مع كل ذلك- الامتثال لكل أمر جاء من عند الله تعالى، والاجتناب لكل نهى، نهى الله تعالى عنه، أى الالتزام بما فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهى بهذه المعانى كلها باب لرحمة الله تبارك وتعالى يرجو الطائع أن يدخل منه، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) ﴾ [آل عمران: ١٣٢].
- وطاعة الله ورسوله هى الاخذ بالمنهج الذى جاء من عند الله تبارك وتعالى- أى الكتاب والسنة -:

- الاخذ بهذا المنهج كله، لان بعضه لايغنى عن بعض ، ولان المسلم لا ينفعه فى دينه ودنياه إلا الأخذ بهذا المنهج كله، ولا يدفع عنه الضرر فى دينه ودنياه إلا هذا المنهج كله، وفى الماضى فعل بنو إسرائيل ذلك فأخذوا ببعض الكتاب الذى أنزل عليهم دون بعض، فأنكر الله عليهم ذلك فى قوله تعالى: ﴿ ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) ﴾ [البقرة: ٨٥].

- والاخذ بهذا المنهج فى كل حين وإلى أن يلقى الإنسان ربه دون تسويف أو توانٍ أو تواكل، فقد أنزله الله تعالى ليُعمل به ويُلتزَم فى كل وقت، وفى حياة الرسول ﷺ اتفق بعض اليهود على أن يؤمنوا بما جاء به محمد ﷺ فى وقت دون وقت، فما قبل منهم

ذلك، بل فضحهم الله تعالى، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)﴾

[آل عمران: ٧٢].

– والأخذ بهذا المنهج فى كل حال ومع كل قضية، لأنه العلاج لكل مرض والحل لكل مشكلة والفصل الحق فى كل قضية، لأن الأخذ به فى بعض القضايا دون بعض ينفى الإيمان من أصله، ويدل على هجر المنهج وعلى المعصية، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥].

● وطاعة الله ورسوله تعنى أن يكون التلقى عن الله وحده دون سواه، وعن رسوله ﷺ بوصفه المبلغ عن ربه الذى لا ينطق عن الهوى، وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى، لما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله...» الحديث[١].

ولما روى ابن ماجة بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الرجل متكئا على أريكته يُحدِّث بحديث من حديثى فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، الا فإن ما حَرَّم رسول الله، مثلُ ما حَرَّم الله»، ولقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ولما روى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أمرتكم به فخذوه، وما نهيتكم عنه فانتهوا».

– وما يشكك فى العمل بسنة رسول الله ﷺ إلا كافر بالله ورسوله، أو جاهل بما أنزل الله على رسوله.

ولقد حدث ما توقعه رسول الله ﷺ، فكان من الناس من ضَلَّ عن الحق فقال: نأخذ بكتاب الله وحده، ولهؤلاء وأمثالهم نذكر بهذه النصوص الإسلامية الشريفة.

● وطاعة الله ورسوله تعنى ترك التنازع والبعد عن أسباب الفشل، ومقاومة دواعى الضعف، والصبر على تكاليف هذه الطاعة وتحمل أعبائها، ولكن لذلك الصبر أحسن الجزاء وهو

---

(١) ذكرنا الحديث بتمامه عند حديثنا عن مفهوم كلمة الطاعة في السنة النبوية المطهرة.

معيّة الله تبارك وتعالى، يفهم ذلك كله من قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

- وطاعة الله ورسوله يجب أن تقترن بخشية الله تعالى وتقواه، حتى تكون سببا فى الفوز برضى الله تعالى يوم القيامة، والفوز بذلك هو أقصى ما يطمح الإنسان إليه، كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور: ٥٢].

- وطاعة الله ورسوله، يجب أن تجعل صاحبها يكف عن كل ما يغضب الله تعالى، وأن ينتهى عن كل ما حرمه الله، ورأس ما يغضب الله، وأكثر وأشد ما حرّمه هو التولى عن الحق وعن الرسول ﷺ وعما يدعو إليه، لأن هذا التولى والكفر سواء، يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٠].

- وطاعة الله ورسوله قرينة لصلاح العمل وقبوله عند الله تعالى، كما أن معصية الله ورسوله تؤدى إلى بطلان العمل وفساده، وليس لمسلم أن يبطل عمله أى يفسده، وإنما يكون بطلان العمل وفساده بمعصية الله ورسوله، وبفقد الإخلاص فيه، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [محمد: ٣٣].

- والتولى عن طاعة الله ورسوله من صميم الكفر، يفهم ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

فالآية الكريمة تطالب الناس بطاعة الله ورسوله، وتحذرهم من أن التولى عن هذه الطاعة كفر، ويخبرهم بما يعرفونه من أن الله تعالى لا يحب الكافرين، ومن كرهه الله تعالى عذّبه.

وبعد:

فهذا ما تعنيه طاعة الله ورسوله على وجه الإجمال، أمّا ما تعنيه تفصيلا فأمور جزئية نذكرها فى الصفحات التالية، والله المستعان.

ثـانيــا :

آثار طاعة الله ورسوله فى حياة الإنسان

اعظم الآثار واكثرها اهمية تلك التى تتركها طاعة الله ورسوله فى حياة الإنسان، فالإنسان بطاعة الله ورسوله فى عز ومكانة، وبالمعصية فى ذل وانكسار.

- وأهمية طاعة الله ورسوله تبدو فيما تتركه من آثار طيبة فى الناس على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع المسلم كله، بل وعلى مستوى الأمة الإسلامية جمعاء.
- إن طاعة الله ورسوله تجلو عن العقيدة كل شائبة تشوبها من ضلال أو زيغ أو فساد، وتصحح رؤية الإنسان وفكره وعقله عندما ينظر إلى معتقداته فى الله تعالى، وفى ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.
- وإنها لتصحح العبادة وتوجهها إلى الخالق جل شأنه، وتعصمها من التخبط وعبادة العباد، وعبادة كل ما هو دون الله.
- وإن طاعة الله ورسوله توجه الخلق والسلوك، فتحبب فى الفضائل وتنفر من الرذائل، وتغذى بالعدل والإحسان.
- وإنها لتذكى فى النفس الرغبة فى ممارسة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتى هى أحسن.
- وإنها لتحيى فى النفوس روح الجهاد فى سبيل الله، الجهاد بكل أنواعه، حتى تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فلا يعبد غير الله فى الأرض.

وذلك ما نلقى عليه بعض الضوء، فيما يلى، والله سبحانه هو المستعان.

أ - أثر طاعة الله ورسوله فى العقيدة :

طاعة الله ورسوله اى الالتزام بمنهجه، يحرر العقيدة من الوثنية والشرك وتعدد الآلهة، ومشابهة الإله للحوادث، ووصفه سبحانه بما لا يليق به.

- وهذه الطاعة تحرر العقل من الخرافة والوهم، وما يفد إليه من الناس من أباطيل وترهات،

وفى الوقت نفسه تطلق له حرية التفكر وحرية التدبر والنظر[1] ومن أطلق عقله من هذه القيود أمكنه بفطرته أن يهتدى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، بل أمكنه أن يهتدى إلى الله تعالى فيؤمن به عن بيِّنة، أو يكفر عن بينة[2].

- وتحرير العقل من تلك الأوهام والأباطيل، يتيح له رؤية صحيحة، ومعرفة جيدة عن كثير مما يحيط به من ناس وأشياء ومخلوقات لله تعالى لا يحصيها العَدُّ، ومن خلال هذه الرؤية والمعرفة يستطيع العقل البشرى أن يَسبر كثيرا من الأغوار، وأن يجتلى كثيرا من الأسرار، وأن يشق طريقه فى الحياة على علم وبصيرة وهدى.

● طاعة الله ورسوله تحرر العقل من الجهل والتبعية والتقليد، وتطلق له العنان فى الإيمان وفى الإبداع على السواء، إذ الإيمان يقوم على حرية العقل وحرية الإرادة والاختيار، والإبداع كذلك يحتاج إلى حرية فكر وحرية إرادة وحرية اختيار.

● والعقل إذا تحرر من الوهم والخرافة، وأخذ حظه من الحرية والإرادة والاختيار، اهتدى بنفسه إلى تعظيم حرمات الله، فكان ذلك خيرا له، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٠].

وحرمات الله هى ما يجب احترامه وحفظه؛ من الحقوق والواجبات، والناس والأشياء، والأزمنة والأمكنة، وتعظيمها هو توفيتها حقا، وحفظها من الإضاعة.

● فطاعة الله ورسوله تغسل العقيدة فى الله تعالى من أدران ما ران عليها من مظاهر الوثنية والشرك وعبادة غير الله، وتنظفها من أو ضار الأوصاف التى لا تليق بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما أن الطاعة تجلو العقل وتزيح عنه ما علق به من أوهام الأولين وترهاتهم، وتحرره من كل خرافة وتفتح له الطريق نحو العلم والمعرفة، ليحظى من وراء ذلك بسعادة الدنيا والآخرة.

● إن العقيدة بغير طاعة الله ورسوله حيرة وضلال وضياع، فلو كان العقل قادراً على تكوين عقيدة صحيحة فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ما أرسل الله تعالى الرسل ولا أنزل معهم الكتب، ولما كلفهم، ولا أمرهم ولا نهاهم.

---

(١) للتوسع انظر للمؤلف: التربية العقلية - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، من سلسلة: «مفردات التربية الإسلامية».

(٢) انظر السابق.

– ولقد كان للبشرية قبل الإسلام محاولات فى تكوين العقيدة الصحيحة فى الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فلم تستطع بالعقل وحده أن تهتدى إلى شيء، وإنما تخبطت وازدادت ضلالا، فجاء الوحى فوجه العقل وعلم الإنسان الطاعة لله ولرسوله، فكانت العقيدة الصحيحة فى كل ذلك، بل كانت العقيدة الصحيحة فى الإنسان والشيطان وهذا الكون كله[1].

ب – أثر الطاعة فى العبادة.

قال أسلافنا من العلماء: إن العبادة تجمع أصلين:

وهى غاية الحب، وغاية الخضوع، ولا يستحق ذلك سوى الله تبارك وتعالى.

أما الأصلان اللذان تجمعهما العبادة فهما:

الأول: الاستعانة بالله، أى الثقة فيه والاعتماد عليه سبحانه وتعالى، وهى جزء من العبادة، وهى طلب من الله.

والثانى: التوكل على الله، أى الثقة فى الله تعالى والاعتماد عليه، فهى تلتقى مع الاستعانة فى ذلك، وبعض العلماء يقولون: إن التوكل هو الاستعانة.

● والناس، أفضل الناس وأجلهم، هم أهل العبادة والاستعانة. ولذلك كان من أفضل ما يسأل الرب تبارك وتعالى، الإعانة على مرضاته، وهذا هو ما علمه الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضى الله عنه؛ فقد روى أحمد وأبو داود والنسائى بأسانيدهم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «يا معاذ، والله إنى لأحبك، أوصيك يا معاذ، لا تدعَنَّ دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

● والطاعة لله ورسوله تعين بل تلزم على عبادة الله تعالى وفق ما شرع، وعبادة الله مفتاح كل خير ومغلاق كل شر، ومن خلال هذه العبارة يتطهر القلب، وتصفو النفس الإنسانية من الشوائب ويزكوا الخُلُق وينضبط السلوك، ويرقى الحس الاجتماعى ويتعاطف الناس بعضهم مع بعض، ويتعاونون على البر والتقوى، ويتواصون بالحق والصبر.

– وليس كالعبادة الصحيحة لله تعالى عملٌ يهيئ للإنسان حياة دنيوية سعيدة راضية،

---

(١) لمعرفة تفصيل ذلك، انظر للمؤلف: التربية العقلية – مرجع سابق.

وحياة أخروية يحظى فيها المسلم برضا الله تعالى وجنته والقرب منه.

- وحسب العابد لله شرفا أنها استجاب لنداء الله تعالى، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦]، وحيث يقول جل شأنه ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾ [هود: ١٢٣]، وحيث يقول عز وجل: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾ [مريم: ٦٥]، وحيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

حسب العابد لله شرفا ومكانة أن يكون قد استجاب لربه سبحانه وتعالى فى كل هذه النداءات، وما جعله على هذا المستوى من الإجابة إلا الطاعة.

جـ - أثر الطاعة فى الخلق والسلوك

إن طاعة الله ورسوله، تحرر الخلق من كل سوء وتباعد بينه وبين كل رذيلة، وتحول بين الإنسان وبين جميع الأعمال التى لا تليق بكرامته؛ مما نهى الله تعالى عن ممارسته.

وإذا حررت طاعة الله ورسوله أخلاق الإنسان وسلوكه من الرذائل، فإنها تدعوه؛ بل تلزمه بأن يتحلى بكل خلق فاضل؛ أمر الله به أو ندب إليه؛ مما يعزز إنسانية الإنسان وكرامته.

- وطاعة الله ورسوله تعنى الالتزام بالأخلاق التى جاء بها الإسلام، وهذه الأخلاق هى التى تمثلت فى رسول الله ﷺ، فوصفه الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ [القلم: ٤]. قال ابن عباس ومجاهد فى معنى هذه الآية: لعَلى دين عظيم،ولا دين أحبُّ إلىّ ولا أرضى عندى منه، وهو دين الإسلام.

ولقد كان خلق الرسول ﷺ الذى أثنى عليه ربه هو القرآن، فقد روى البخارى بسنده عن هشام بن حكيم رضى الله عنه قال: «سألت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، فقال: لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئا».

- وقد جمع الله تعالى مكارم الأخلاق كلها فى آية كريمة واحدة هى قوله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)﴾ [الأعراف: ١٩٩].

– قال المفسرون: ليس فى القرآن الكريم آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

– وقال الطبرى: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل ما هذا؟

قال لا أدرى حتى أسأل: فسأل، ثم رجع إليه فقال: «إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

– وتلك قمة الأخلاق الفاضلة، بل ليس هناك ما هو أعلى ولا أنبل من هذه الأخلاق: وصل القاطع، وإعطاء من يحرم، والعفو عن الظالم.

● وطاعة الله ورسوله هى التى تجعل الإنسان على هذا المستوى من الأخلاق الفاضلة، لقد أجمل القرآن الكريم محاسن الأخلاق فى هذه الآية الكريمة، وكذلك أجملت السنة الأخلاق الفاضلة والأخلاق الرذيلة فى كلمات كذلك، فقد روى مسلم بسنده عن النواس ابن سمعان رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم؛ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

– فقد قابل رسول الله ﷺ بين البر والإثم، وأخبر أن البر هو حسن الخلق، وأن الإثم هو ما حاك به الصدر وكره صاحبه أن يطلع عليه غيره من الناس.

– ومعنى ذلك أن حسن الخلق هو الدين كله الذى هو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذىء».

● وطاعة الله ورسوله هى التى تؤدى إلى ذلك؛ وحسب الإنسان أن يكون موضع حب الله تبارك وتعالى، فضلا عن أنه ليس موضع بغضه وسخطه سبحانه وتعالى.

● وإذا كانت طاعة الله ورسوله تقيم الناس على حسن البر وهو حسن الخلق؛ أى هو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام،فإن أبرز هذه الأخلاق وأهمها وأجداها على صاحبها وعلى المجتمع كله هى: العدل والإحسان.

– والإحسان هو لب الإيمان وحقيقته، وله عند الله تعالى أعظم الجزاء، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، قال ابن عباس فى تفسيرها: هل جزاء من قال لا إله إلا الله، وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة؟!

- والإحسان له مجالات لا تحصى، فهو إحسان مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ بالطاعة لكل أمر أو نهى، وإحسان مع النفس بإلزامها بأمر الله ونهيه، وإحسان بمعنى التجويد والإتقان الذى كتبه الله على كل شىء، وإحسان الى الناس بإيصال الخير لهم ودفع الشر عنهم، وإحسان بمعنى ان يأخذ الإنسان أقل مما له، وأن يعطى أكثر مما عليه.

د - أثر الطاعة فى الدعوة إلى الله

أمر الله تعالى كل مسلم على بصيرة بالإسلام أن يدعو غيره من الناس إلى هذا الدين ليدخلوا فيه إن كانوا من غير المسلمين وليلتزموا بمنهجه إن كانوا من المسلمين غير الملتزمين، وليمارسوا الدعوة إليه إن كانوا من المسلمين الملتزمين.

- فالدعوة إلى الله وممارسة العمل فى مراحلها المتعددة أثر ونتيجة لأمر الله تعالى بممارسة الدعوة فى قوله تعالى على لسان خاتم رسله ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقوله جل شأنه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

- فهى دعوة إلى الله، أى إلى دينه ومنهجه ونظامه وما شرع.
- ودعوة إلى الخير، والخير هو ما يرغب فيه كل الناس، كالعقل مثلا وكالعدل والفضل وكل نافع للإنسان.
- ودعوة إلى أن يأمر الإنسان نفسه وغيره بكل معروف، والمعروف اسم لكل ما عرف من العقل والشرع حسنه ونفعه.
- ودعوة إلى أن ينهى الإنسان نفسه وغيره عن كل منكر، والمنكر اسم لكل ما عرف من العقل والشرع قبحه وضرره.

- الدعوة إلى الله هى كل ذلك، وهى مأمور بها كل مسلم قادر عليها، وهى من أبرز ما يميِّز دين الإسلام ويدعم عالميته؛ إذ يجب أن يتوجه به المسلمون إلى العالم كله، يدعون إلى الدخول فيه والالتزام بمنهجه، والتضحية من أجله؛ لأن ذلك هو الذى جعل الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس.

- والدعوة إلى الله، دعوة إلى أن يقبل الناس على الله فيتلقوا عنه وحده،ويلتزموا بشرعه

ونظامه، وبهذا يشيع العدل وينحسم الظلم ويعيش الناس آمنين على معاشهم ومعادهم؛ لأنه ما يضر الناس مثل أن يتلقوا عن غير الله أو يعملوا وفق منهج غير منهجه أو نظام غير نظامه.

- والدعوة إلى الخير تقرب الناس بعضهم من بعض ليتعارفوا ويتعاونوا ويتكافلوا، ويتناصروا، ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر، فيعيشوا إخوانا فى الدين؛ يوالى بعضهم بعضا ويعطف غنيهم على فقيرهم وقويهم على ضعيفهم، ويتنافسوا فى فعل الخير ويتعاونوا فى منع الشر.

- والدعوة إلى المعروف تغرس فى المجتمع كل فضيلة وكل فعل حسن، وكل كلمة طيبة، فما من محتاج إلا وتسد حاجته، وما من ضعيف إلا ويؤخذ له حقه، وما من خائف إلا ويؤمن، وما من قريب أو جار أو صديق إلا ويعامل بالبر والإحسان، وما من مستغيث إلا ويغاث، إنه المجتمع الذى يشيع فيه المعروف بكل أنواعه.

والدعوة إلى النهى عن المنكر تنقى المجتمع من العيوب والآثام والفواحش، فتحاصر مرتكبى المنكرات، فلا يجدون من الناس من يرضى أن يجالسهم أو يؤاكلهم أو يشاربهم ما داموا على هذا المنكر، وبذلك ينحسم الشر عن الناس، فما من ظالم إلا ويُمنع من ممارسة الظلم، وما من فاحش إلا وتضيق عليه السبل، ويخضع للعقاب الذى فرضه الله تعالى على مرتكبى الفواحش.

وما من غاش، ولا مرتش، ولا مزور، ولا كذاب، ولا منافق، إلا ويجد المجتمع قد سدَّ أمامه السبل إلى تلك الرذائل، وبهذا يعيش المجتمع آمنا على حاضره ومستقبله، مطمئنا إلى ما يسود الناس من عدل وإحسان، سعيدا بهذا الأمن وذلك الاطمئنان.

● إن كل ذلك أثر من آثار طاعة الله ورسوله، وممارسة الدعوة إلى الله فى الناس؛ فيشق الناس بذلك طريقهم نحو إرضاء الله تعالى بالتقدم والرقى وإعمار الأرض واحترام الإنسان وتكريمه الذى أراده الله تعالى له.

هـ - أثر الطاعة فى الجهاد فى سبيل الله

أمر الله تعالى بالجهاد فى سبيله لتكون كلمته هى العليا ومنهجه هو السائد الذى يحتكم إليه الناس، وجاء الرسول ﷺ ليبلغ هذا الأمر، وليطبقه عمليا فى حياته، ويجعله جزءاً أصيلا من حياة المسلمين فى كل زمان ومكان، بحيث لا يتوقف الجهاد أبداً، إذ هو

فريضة ماضية مستمرة إلى يوم القيامة.

- فالجهاد فريضة فرضها الله على القادر من المسلمين يؤديها تقربا إلى الله كسائر العبادات، فيثاب على فعلها ويعاقب على تركها، قال الله عز وجل: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة: ١١١].

- وإذا استيقظت روح الجهاد فى الأمة دفعت عن نفسها كيد أعدائها، وعاشت حياتها آمنة مطمئنة، حرة مستقلة، عزيزة فى أرضها، صائنة لعرضها وشرفها، قادرة على رسم سياستها واقتصادها دون أن يفرض عليها أعداؤه الأسلوب الذى يحقق مصالحها على الأمد البعيد أو القريب.

- إن ممارسة الجهاد فى سبيل الله تعالى هى التى تضمن للأمة الإسلامية أن تجد لها مكانا يليق بها وبحضارتها بين كبار الأمم التى تتحكم فى العالم اليوم، لأن الأمة الإسلامية تملك من المقومات ما لا تملكه أى أمة أخرى، وحسبها أنها تملك منهج الله الذى يسوى بين عباده فى الحقوق والواجبات، فلا يعترف بتفرقة بينهم فى الجنس أو اللون أو العرق، ولا يقسمهم إلى شمال طاغ وجنوب فقير خانع، فضلا عما تملكه من مقومات مادية لوخرجت من أيدى أعدائها لتكون فى أيديها لكانت الأمة الأقوى بكل المقاييس.

- ولا تستطيع الأمة الإسلامية أن تستخلص حقوقها ومقوماتها إلا بالجهاد؛ الجهاد بكل أنواعه وفى كل ميادينه، وفى كل زمان ومكان.

- الجهاد فى مجال الدعوة إلى الله بكل مراحلها ومع استيفاء كل متطلباتها[١].

- والجهاد فى مجال الحركة لتحقيق كل أهدافها من خلال العمل الدءوب والحركة المستمرة[٢]؛ لجمع الناس على الحق وتحبيبهم فى فعل الخير وتقديمه إلى الناس.

- الجهاد فى مجال تربية الناس صغاراً وكباراً تربية إسلامية مستمرة، تستهدف بناء شخصياتهم بناء إسلاميا متكاملا، وفق منهج الإسلام فى التربية الشاملة التى تشمل الروح

(١، ٢) انظر للمؤلف: فقه الدعوة إلى الله: كتاب موسع فى جزءين، نشر دار الوفاء بمصر ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

والخلق والعقل والبدن، وتشمل التربية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والجمالية والجهادية[1].

التربية الإسلامية فى البيت والمسجد والمدرسة والمجتمع.

- والجهاد فى مجال العمل على تمكين دين الله فى الأرض، بأن يحل منهج الله ونظامه محل المناهج الوضعية التى شقيت بها الأمة الإسلامية من يوم ضعفت وتراجعت حضاريا، ولا يزال يشقى بها معظم بلدان العالم الإسلامى.

ومن المسلمات لدى العقلاء من الناس أنه لاخلاص للمسلمين من تصنيفهم ضمن العالم الثالث إلا بسيادة منهج الله فيهم، ليحسنوا معرفة ما لهم وما عليهم.

ومن البديهى كذلك أن الأمة الإسلامية ما ضعفت ولا استكانت إلا من يوم أن احتكمت إلى المناهج التى تعادى منهج الله ونظامه.

---

(١) انظر للمؤلف: سلسلة مفردات التربية الإسلامية التى صدر منها:
التربية الروحية، والتربية الخلقية، والتربية العقلية - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

ثـالثـًا :

طاعة الوالدين وهما نواة الأسرة

كما يقوم بناء المجتمع المسلم الراشد على طاعة الله،فإنه كذلك يقوم على طاعة الوالدين – الأسرة الصغيرة – ومن أجل هذه الأهمية القصوى التى أعطاها الإسلام لموضوع طاعة الوالدين، كانت هذه الطاعة لبنة قوية فى بناء المجتمع المسلم، بحيث لا يقوم هذا البناء إلا بها .

● وتوصية الله تبارك وتعالى بالوالدين وأمره بطاعتهما مبثوثة فى عدد من آيات القرآن الكريم، وفى عديد من أحاديث الرسول ﷺ .

– والوالدان هما نواة الأسرة وعموداها اللذان يقوم عليهما بناء الأسرة المسلمة بناء صحيحا، فليست هناك حياة اجتماعية يقرها الإسلام، ويحترمها ويرعاها ويسن لها التشريعات التى تحافظ عليها، وتمكنها من أداء واجبها؛ إلا بالأسرة، فهى فى الإسلام وحدة المجتمع، بل وحدة الحياة الإنسانية كلها .

– وبغير الأسرة لا أمل فى أن يعيش الناس حياة اجتماعية إنسانية كريمة، تمكنهم من أن يمارسوا حقوقهم ويقوموا بواجباتهم، وبغير هذه الحقوق والواجبات يضطرب كل شىء، وتضيع الفضائل وتنتشر الرذائل، وتعم الفوضى، وتنهار كرامة الإنسان .

● وكل ما يحاوله بعض المفكرين أو بعض المنحرفين عن الحق، أو بعض أصحاب الهوى من تجاهل للأسرة، أو تقليل من أهميتها فى إحداث الاستقرار الاجتماعى، أو استبدالها، كل تلك المحاولات – وهى كثيرة – تعادى الحياة الإنسانية التى اختارها الله تعالى ليقوم عليها بناء المجتمع الإنسانى وهى حياة الأسرة، كما أنها تناقض فطرة الإنسان التى فطره الله عليها، فضلا عما فى هذه النظم البديلة عن الأسرة من إهدار لحقوق الإنسان .

● وعلى سبيل المثال، فإن دعاة النظم البديلة عن الأسرة يتذرعون إلى ذلك بعدد من الذرائع التى ليس منها ما يلائم فطرة الإنسان، ومن هذه الذرائع ما نشير إلى بعضه فيما يلى :

– دعواهم تخليص المرأة من عبء الحمل الذى جاء نتيجة لعلاقة غير مشروعة برجل، تخفيفا عنها، وإتاحة لفرص الزنا دون أعباء ولادة وتربية، وتخفيفا كذلك عن الزانى

بتخليصه من نفقات الإطعام والتربية لاطفاله.

ولابد أن يلقى هذا التسيب رضا من أولئك الذين لا يحبون الارتباط بأسرة والقيام بأعبائها، ويعيشون لشهواتهم كالانعام، ولكن مهما بلغت درجة الرضا بهذا النظام، فإنه هدم للمجتمع وتضييع لانفس بريئة، ووأد للاطفال فى العصر الحديث!!!

– ودعواهم أن الرغبة الجنسية يمكن التعبير عنها باللواط والسحاق وما يشبههما، دون التقيد بالتعبير عنها فيما خلقه الله وفطر الناس عليه من ميل وانجذاب بين الرجل والمرأة، ليكون من وراء هذه الصلة الجنسية مواليد تعمر بهم الارض ويتكاثر بها بنو الإنسان.

ولو عم هذا النظام البشرية كلها فى نصف قرن من الزمان، إذ لا مواليد، فلا رجال ولا نساء ولا عمران ولا حياة!!!

– وإباحتهم لان يتزوج الرجل برجل مثله ويعيشا تحت سقف واحد، بلا إنجاب طبعا، ارتكاس وانتكاس بقيمة الإنسان وهدم للكيان الاجتماعى كله.

– والعجيب أن الدعاة إلى هذه الانحرافات عن فطرة الإنسان يتملقون المنحرفين من الناس عن الفطرة السليمة!!!

والأعجب من ذلك أن يعقدوا لذلك المؤتمرات التى تنادى من طرف خفى بالقضاء على النسل أو تحديده، وإباحة الإجهاض واللواط والسحاق، ويتصدر هذه الدعوات منذ زمن بعيد، الصهيونية، كما تحدثت بذلك، وبروتوكولات حكماء صهيون، كما يتبناها اليوم الغرب معظمه والنظام العالمى الجديد!!!

– وكبارات الدول فى هذا العصر تحاول بل تنفذ فعلاً تربية الابناء غير الشرعيين فى دور تربية ودور رعاية، فيشب هؤلاء وقد فقدوا حنان الأسرة ودفئها وحب الوالدين، وعطف الاقارب والأرحام، فما ينتظر منهم فى ظل هذه النشأة إلا الأمراض النفسية والعصبية التى كثر عدد المصابين بها فى هذه المجتمعات كثرة ملحوظة.

وهذه الدول – وإن خففت عن الزناة عبء التربية، إلا أنها أساءت وأثقلت كواهل هذا النشء بما لا يطاق من أحاسيس عدم الانتماء، والذى لا ينتمى لأسرة: أبوين وأقارب وأرحام، لا ينتظر منه أن ينتمى إلى هذا الوطن الذى رُبى فى دوُره ومؤسساته ولكنها الغشاوة التى تغشى أبصارهم وبصائرهم.

● والاسرة أصلا: أبوان رجل وامرأة، ثم ما يرزق الله به من أبناء، وما قد تستوجبه أو تستدعيه ظروف تجعل افراد الاسرة أكثرعددا بمن ينضم إليهم من أقارب وأرحام، من يأخذون حكم الابوين فى الإسلام مثل الجدود والجدات، وإن علوا وعلون، ومثل الاعمام والعمات، والاخوال والخالات، فضلا عن الإخوة والاخوات.

● هذه الاسرة بذلك التركيب الاجتماعى احاطها الإسلام بنظام يكفل لها النمو والامتداد، والتقدير والاحترام، ويمكنها من الفاعلية والعطاء فى الاتجاه الصحيح لصالح المجتمع فى حاضره ومستقبله.

هذا هو النظام الذى جعله الإسلام للأسرة، وهو نظام يقوم على دعائم أساسية هى:

– بناء الأسرة بحسن اختيار الزوجة.

– ورعاية الأبناء وتربيتهم تربية إسلامية.

– وممارسة أفراد الاسرة لحقوقهم وأداؤهم لواجباتهم.

– وطاعة الوالدين ومن فى حكمهما.

وفى هذه الاسس ما يكفل للمجتمع المسلم حياة إنسانية كريمة منتجة قادرة على الإسهام فى تطوير المجتمع نحو الاحسن والارضى لله تعالى، وهذه الاسس كلها ليست من اجتهادات المسلمين ولا من ابتكارات مفكريهم وعلمائهم، وإنما من صنع الله تبارك وتعالى، جاءت بها تشريعاته سبحانه وتعالى، وفصلها خاتم رسله ﷺ فى سنته المطهرة.

وسوف نلقى ضوءا على كل أساس من هذه الاسس دون توسع(١)، والله تعالى هو المستعان.

---

(١) انظر للمؤلف: تربية الناشئ المسلم – نشر دار الوفاء بمصر، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.

أ - بناء الأسرة بناءً سليما

لا تقوم الأسرة المسلمة إلا على علاقة زواج شرعية على سنة الله ورسوله في الزواج، ولأن واجب إقامة الأسرة على الرجل؛ إذ بيده ومن واجبه أن يسعى إلى تكوين الأسرة المسلمة؛ من أجل هذا أوجب عليه الإسلام أن يحسن اختيار من يرتبط بها لتكون زوجا له وأما لأبنائه وراعية لبيته، وأمينة على كل ما فيه من عيال ومال ومتاع.

● وقد أوجب الإسلام على المسلم القادر أن يتزوج، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ ... فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ (٣) ﴾ [النساء: ٣].

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ شبابا لا نجد شيئا، فقال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء».

● ولا يتم بناء الأسرة بناء سليما إلا إن أحسن كل من الزوجين اختيار الطرف الآخر.

وقد جرت عادة الناس أن يختار الرجل من يتزوجها من بين ذوات الدين أولا، فإن كان مع الدين جمال أو مال أو حسب فذلك من فضل الله، وهو من معايير الاختيار.

جرت عادتهم بذلك وتناسوا أن هذه الاختيار من حق المرأة أيضا عندما يتقدم إليها من يرغب فى الزواج منها، إذ أعطاها الإسلام حرية القبول أو الرفض، وأوجب على وليها أن يستشيرها فى القبول أو الرفض.

- ففى حسن اختيار الرجل لمن يتزوج منها، روى ابن ماجة بسنده عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم».

وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تنكح النساء لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

- وفى حسن اختيار الزوجة لمن تقدم إليها يطلبها، وجه رسول الله ﷺ الخطاب إلى أوليائها فيما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال سول الله ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض».

ومن حقها أن يستأذنها وليها بكرا كانت أو ثيبا، غير أن البكر إذنها سكوتها، والثيب تعرب عن نفسها، فقد روى أحمد بسنده عن عميرة الكندى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «الثيب تعرب عن نفسها، والبكر رضاها صمتها».

● وإنما كان اختيار كل من الزوجين للآخر واجبا، لأن الزوجين هما الأسرة، وكل منهما أمين على الآخر، ومسئول عنه بين يدى الله تعالى، فكما أن الرجل مسئول عن زوجته يسكنها ويطعمها ويكسوها ويحسن معاشرتها، فإنها كذلك مسئولة بين يدى الله عن زوجها؛ ترعاه فى نفسها وفى عياله وماله، وتسمع له وتطيع؛ ما دام ذلك فى غير معصية لله تعالى.

– ولا يلتزم بهذه المسئولية فيؤدى ما عليه إلا من كان ذا دين وخلق، يحملانه على خوف الله إن قصر فى شىء، وعلى رجاء الله إن وفق فى أداء ما عليه.

– وما علمت عن مشكلة بين زوجين أدت إلى تخاصمهما أو تنافرهما إلا وكانت عند التحليل الدقيق راجعة إلى أن أحد الزوجين لا يتقى الله فى الطرف الآخر فيقصر فى حقه، فإن ذا الدين والخلق إذا نزغه شيطان فقصر، فإنه سريعا ما يعود إلى ما يرضى الله تبارك وتعالى.

– وما أكثر ما تتعرض الحياة الزوجية لبعض المتاعب والمنغصات؛ سنة الله فى خلقه، وسنته فى تلك العلاقة!!!

– وما أيسر أن تزول هذه المتاعب وتنزاح تلك المنغصات إذا كان الزوجان على مستوى من التدين والخلق يحمل كلاً منهما على أن يلزم نفسه بما أمر الله به من حسن العشرة بين الزوجين.

– وما أشد غفلة الذين يركبون رءوسهم، ويستمرئون الخلافات الزوجية والقطيعة الصامتة، وما يتركه ذلك فى نفوس الزوجين والأبناء – إن وجدوا – من أسوأ الآثار وأشد الأضرار التى لا يعرف آثارها إلا فيما يستقبل من الأيام.

– وأكثر من هؤلاء غفلة وأشد جهلا منهم بحقوق الأسرة، من يسارعون إلى الطلاق وهو أبغض الحلال إلى الله، متجاهلين الصبر الذى أمر به النبى ﷺ فى أحاديث نبوية كثيرة، بل الصبر على الزوجة بوجه أخص، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه

كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا».

● إن الأسرة المسلمة يجب أن تقوم العلاقة بين ركنيها -الزوج والزوجة- على أدب الإسلام وخلق الإسلام وهو أدب لا يدع مجالا لسوء الظن، فضلا عن سوء العشرة؛ لأن الإسلام هو حسن الخلق، ولأن المعاشرة بين الزوجين بالمعروف جاءت بأسلوب الأمر في قول الله تعالى: ﴿ .... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ .... ⑲ ﴾ [النساء: ١٩].

وجاءت في معرض الثناء والمدح لمن يعاشر زوجه بالمعروف.

- فقد روى الترمذي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله - أي زوجه - وأنا خيركم لأهلي».

- وروى الحاكم في مستدركه - بسنده- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم، خيركم للنساء».

- إن الأسرة في الإسلام قد أحيطت بتشريعات عديدة تضمن لها الأمن والأمان في حاضرها ومستقبلها:

- ففي مجال تأمين حاضر الأسرة المسلمة، وإزالة أسباب الجفوة بين الزوجين، وجعل المودة والاحترام والتقدير هي الطابع العام الذي يسود العلاقة بين أفراد الأسرة عموما وبين الزوجين على وجه الخصوص، من أجل ذلك وضع الإسلام تشريعات لحاضر الأسرة هي:

● تشريع قوامة الرجل على المرأة في الحياة الزوجية، أي إعطاؤه قيادة الأسرة وزمام أمرها.

● وتشريع الولاية سواء أكانت ولاية على النفس، كالولاية عى الصغير حتى يكبر، والولاية على المجنون والسفيه حتى لا تضيع حقوقهما.

والولاية على المال، كالولاية على فقد عقله أو أصيب فيه فأصبح سفيها.

وهذه الولاية على النفس أو على المال لها ترتيب لمن يلي أمر الصغير وأمر الكبير، ولها أهداف معروفة[١].

● وتشريع النفقات ولمن تكون؟ وعلى من تكون؟

● وفي مجال تأمين مستقبل الأسرة وضع الإسلام تشريعين هامين هما:

---

(١) لتفصيل ذلك فيما يتصل بالأسرة ونظامها ومكانتها في الإسلام.
انظر للمؤلف: تربية الناشئ المسلم - نشر دار الوفاء ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

● تشريع الوصايا، وهو تشريع محكم جاءت فيه آيات وأحاديث شريفة، واستهدف خير الأسرة وخير المجتمع كله، و منع للوصية للوارث.

● وتشريع الميراث بهذا النظام الدقيق الذى اعطى كل ذى حق حقه، واعطى الانصبة على قدر المسئولية بعد وفاة المورث.

وبهذين التشريعين أمّن الإسلام للأسرة مستقبلها خير تامين وأحسنه، ولا نبالغ فى شىء إن قلنا إنه الافضل من بين سائر النظم التى عرفتها البشرية.

● إن الإسلام أحاط الأسرة بكل هذه الحوافظ وكفل لها كل هذه الحقوق لانه طالبها بتحقيق أهداف عديدة فى سبيل بناء المجتمع المسلم ومن هذه الأهداف ما نذكره فيما يلى:

– تربية الجيل المسلم المتخلق بخلق الإسلام،

– والمحافظة على آداب الإسلام وأخلاقه فى كل مظاهر الحياة الأسرية،

– ربط أبناء الأسرة بالمسجد،

– ودفع الابناء إلى المجتمع وقد تخلقوا بخلق الإسلام، ليمارسوا واجباتهم فيه، ويستمتعوا بحقوقهم،

– وتوجيه الأبناء إلى الإجادة لكل عمل يقومون به،

– وتوجيههم نحو ممارسة الدعوة إلى الله والأمر المعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله تعالى.

– والعمل على إيجاد روابط قوية بين الأسر المسلمة.

● إن طاعة الله ورسوله فى بر الوالدين والإحسان إليهما دعم للأسرة وإعلاء لشأنها وإسهام فى نموها وتقدمها وإقبالها على كل ما يرضى الله تبارك وتعالى.

ب – ورعاية أفراد الأسرة وتربيتهم تربية إسلامية

من شدة حرص الإسلام على وجوب رعاية الأبناء وأفراد الأسرة جميعا، وتربيتهم تربية إسلامية، أوجب على الأب أو الوالدين معا رعاية الأبناء حتى قبل أن يولدوا، وذلك حين طالب الزوج بأن يحسن اختيار زوجه، وجعل المعيار السائد هو التمسك بالدين والخلق الإسلامي؛ لأن من كان متمسكا بدينه كان أجدر أن يربي ولده على أخلاق هذا الدين، وقد قدمنا النصوص الإسلامية الدالة على ذلك، ونحن نتحدث عن بناء الأسرة المسلمة.

● ومن هذه الرعاية المبكرة الواجبة للأبناء أن يحسن الرجل اختيار اسم ولده، وأن يزوجه إذا بلغ مبلغ الرجال وأن يعلمه القراءة والكتابة.

– روى عبد الرزاق في مصنفه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، وأن يزوجه إن أدرك ويعلمه الكتاب».

ورواه الديلمي في مسند الفردوس بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه.

– وروى البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «علموا أولادكم السباحة، والرمي، والمرأة المغزل».

– وروى بن السُّنّي في كتابه: عمل اليوم والليلة – بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اضربوا على الصلاة لسبع، واعزلوا فراشه لتسع، وزوجوه لسبع عشرة إن كان، فإذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه، ثم ليقل: لا جعلك الله عليّ فتنة في الدنيا ولا في الآخرة».

– وروى الديلمي – في مسند الفردوس – بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه».

ورواه الشيرازي في فوائده بسنده عن عليّ رضي الله عنه أيضا.

– وروى الحاكم – في المستدرك – بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «زوجوا أبناءكم وبناتكم، حلوهن بالذهب والفضة، وأجيدوا لهن الكسوة، وأحسنوا إليهن بالنحلة ليُرغب فيهن».

– وروى الديلمي – في مسند الفردوس – بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة درجة لايبلغها إلا ثلاثة: إمام عادل، أو ذو رحم وصول، أو ذو عيال صبور»، فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ما صبر ذي عيال؟ قال: «لا يمُنّ على أهله بما ينفق عليهم».

– وروى ابن عساكر بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى الرجل من أمتي يوم القيامة وما له من حسنة ترجى له الجنة، فيقول الرب تبارك وتعالى: أدخلوه الجنة فإنه كان يرحم عياله».

– وروى الديلمي – في مسند الفردوس – بسنده عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا مَنْ وَسَّع اللهُ عليه، ثم قَتَّر على عياله».

– وروى الطبراني – في الأوسط – بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمتي أحدٌ يكون له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات يعولهن حتى يَبِنَّ – أي ينفصلن عنه بالزواج – أو يَمُتن إلا كان معي في الجنة هكذا» وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى.

– وروى الديلمي – في مسند الفردوس – بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البنات هن المشفقات المجهزات المباركت، من كانت له ابنة واحدة جعلها الله له سترا من النار، ومن كانت عنده ابنتان أدخل الجنة بهما، ومن كانت عنده ثلاث بنات أو مثلها من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقة».

– وروى ابن ماجة بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا أولادكم، وأحسنوا آدابهم».

– وروى الطبراني – في الأوسط – بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعينوا أولادكم على البرّ، من شاء استخرج العقوق من ولده».

– وروى البخاري ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته».

● وهذه الأحاديث النبوية الشريفة توجب على المسلم رعاية أفراد أسرته جميعا زوجة وأبناء وبنات وإخوة وأخوات، وكل من كان يعيش معه من والدين كبيرين أو أعمام أو أخوال أو عمات أو خالات، ويعده على ذلك بأحسن الجزاء، وحسبه أن يكون مع رسول الله ﷺ في الجنة، ويتوعد من يقصر في شيء من بذلك بما يتوعد به كل من عصى ما أمر الله به، أو فعل ما نهى الله عنه.

– فهذه الرعاية والعناية واجب أوجبه الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ... ⑥﴾ [التحريم: ٦].

قال المفسرون: لما قال تعالى: «قوا أنفسكم» دخل فيه الأولاد؛ لأن الولد بعض منه.

ومعنى أن يقيهم أن يعلمهم الحلال والحرام، ويجنبهم المعاصي والآثام، إلى غير ذلك من الأحكام والأخلاق والآداب.

– وذكر القشيري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال: يا رسول الله نقي أنفسنا، فكيف لنا بأهلينا؟ فقال: «تنهونهم عما نهاكم الله، وتأمرونهم بما أمركم الله».

– وقال مقاتل: ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه.

● وقد أوجب الله تعالى هذه الرعاية والعناية بالأبناء والبنات والإخوة والأخوات والأقارب والأرحام على الأقرباء جميعا، فقد وضع الله تبارك وتعالى رعاية الأقارب لأقاربهم بعد عبادة الله سبحانه والإحسان إلى الوالدين، فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ㊱﴾ [النساء: ٣٦].

– وقد جعل الله تعالى البر أصنافا وعدّ منه إعطاء المال – على حبه – لذوي القربى، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ...⑰⑰﴾ [البقرة: ١٧٧].

– وأوجب على ذوي القربى منح أقربائهم ما يُطيِّب خاطرهم، إذا حضروا قسمة تركة، وهذا يفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ⑧﴾ [النساء: ٨].

– ولذي القربى حقوق كثيرة تجب على أقربائهم، وقد أجملت هذه الحقوق الآية الكريمة:

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) ﴾ [الإسراء: ٢٦].

– قال العلماء: هذا الحق هو: صلة الرحم، وستر الخَلَّة – أى الحاجة –والمواساة عند الحاجة بالمال، والمعونة بكل وجه.

وفى الآية الكريمة نهى عن التبذير فى الإعطاء؛ لأن التبذير مرفوض بكل وجه؛ إذ هو فى الحقيقة إفساد للمال وتضييع له، وإهدار لحق صاحب الحق.

وروى احمد بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بامهاتكم، إن الله يوصيكم بالاقرب فالاقرب»

– والقرابة أو الاقرباء هم أرحام الإنسان من طرفيه أى من أبيه وامه، وقد أوصى الإسلام بالارحام واوجب برهم ووصلهم على كل رحم منهم.

قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ﴾ [محمد: ٢٢– ٢٤]

وروى الإمام احمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت له الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك» ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم: ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله ... ﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ أقفالها ﴾.

وروى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّه أن يبسط عليه رزقه، وأن ينسأله فى أثره فليصل رحمه».

وبعد:

فهذه هى رعاية الإسلام للابناء والافراد الاسرة جميعا، تؤيدها الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وتلك الرعاية والعناية إنما ينفذها المسلم طاعة لله ورسوله؛ لأن الأمر بها جاء فى هذه النصوص.

جـ – وممارسة الحقوق وأداء الواجبات

أفراد الأسرة جميعا، لكل منهم حق، وعلى كل منهم واجب، والاصل الا يحدث قصور فى حق، ولا تقصير فى واجب.

وليس من بين أفراد الأسرة المسلمة أحد يستمتع بحقوقه ولا يؤدى واجباته، لأن إتاحة هذا الواحد فى الأسرة دون غيره إخلال بالأسرة كلها وإثارة لأسباب العداء بين أفرادها، فلا يعفى من أداء واجبه إلا صاحب عذر.

● كل فرد فى الأسرة صغيرا كان أو كبيرا له حق على سائر أفراد الأسرة، وهذا الحق هو واجب أفراد الأسرة نحوه، وذلك أن الإسلام ينظر إلى الأسرة على أنها وحدة المجتمع من جانب، وعلى أنها متكاملة متكافلة من جانب آخر..

● ويمكن أن نقول: إن أفراد الأسرة صغاراً وكباراً يتبادلون الحقوق والواجبات.

– وحقوق الصغار على الكبار الرعاية والاهتمام والتربية، وتلك فى ذات الوقت واجبات الكبار نحو الصغار.

– وواجبات الصغار نحو الكبار هى الاحترام والتقدير والطاعة وهى فى ذات الوقت حقوق الكبار نحو الصغار.

– وممارسة أفراد الأسرة لحقوقهم، وقيامهم بأداء واجباتهم هو الذى يحدث الوئام العائلى، ويغرس الحب والتقدير والطاعة ويحول بين أفراد الأسرة والتخاصم والنزاع، ويعصم الأسرة كلها من التفكك والاضطراب، ويعطى المجتمع أفراداً صالحين لأن يمارسوا فيه حقوقهم ويقوموا بأداء واجباتهم.

– وفى ممارسة الحقوق وأداء الواجبات طاعة لله تبارك وتعالى؛ لأنه سبحانه أمر بذلك.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن

يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤) ﴾ [النساء: ١١ - ١٤].

– فهذه الآيات الكريمة أوضحت حقوق كل فرد من أفراد الأسرة فى المال، وأكدتْ أن أداء هذه الحقوق لأصحابها طاعة لله ورسوله والتزام بحدوده، وأن تعطيل هذه الحقوق عصيان لله ورسوله يستوجب عقابا وعذابا مهينا.

– وهناك آيات كريمة أخرى تتحدث عن كثير من هذه الحقوق والواجبات، وتلزم بها كل من تجب عليه.

– وقد ذكرنا آنفا عدداً من الأحاديث النبوية التى أوضحت بعض هذه الحقوق والواجبات، وتلزم بها أهلها.

– وقد روى الطبرانى – فى الصغير – بسنده عن أبى رافع رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف بك يا أبا رافع إذا افتقرت»؟

قال: أفلا أتقدم فى ذلك؟

قال: «بلى.. ما مالك»؟

قال: أربعون ألفا وهى لله.

قال: «لا، أعط بعضا وأمسك بعضا وأصلح إلى ولدك».

قال: أولهم علينا حق كما لنا عليهم؟

قال: «نعم، حق الولد على الوالد أن يعلمه كتاب الله والرمى، والسباحة، وأن يورثه طيبا».

● ومن الحقائق المقررة فى مجال الحقوق والواجبات ما يلى:

– كل حق لايقابله واجب يؤدى إلى التميز الذى لامبرر له، ويدرب على الاستعلاء والظلم، والأحاسيس الطبقية، ويخلق فى الأسرة مشاعر سيئة نحو من يستمتع بحقه ولا يؤدى واجبه، بل يولد مشاعر سيئة نحو نظام الأسرة نفسه الذى يقر لأحد أفرادها التمتع بحقوقه دون القيام بواجباته.

– وكل استمتاع بحق دون أن يقابله أداء واجب افتيات على حقوق الآخرين، بل هضم لها

بغير وجه حق، وكل ذلك مما حرمه الله تعالى، وجرمته نظم الشريعة الإسلامية، لما يترتب عليه من سوء استغلال للناس عموما، ولأفراد الاسرة خصوصا.

– وكل اداء للواجب لايصاحبه ممارسة لحق من ادى واجبه، سخرة وعبودية لامبرر لها، وظلم لايقبله الله تعالى ولا يسمح به.

– وكل توقف عن تبادل الحقوق والواجبات بين أفراد الاسرة أو بين أفراد المجتمع، فإنه دليل قاطع على ان الاسرة لا تحترم ولا تلتزم حدود الله وما أنزل على رسوله، وتسميتها أسرة مسلمة فيه كثير من التجاوز والمغالطة.

– وكل مجتمع لايَسُودُ أفرادَه تبادلُ الحقوق والواجبات مجتمع لايمكن ان يشقّ طريقه نحو التقدم والرقيّ، ولايمكن اعتباره مجتمعا مسلما وهو لا يطيع الله ورسوله فى بديهيات ما جاء به الإسلام.

– وأسوأ ما تكون الاسرة المسلمة إذا كانت لاتربى أبناءها وجميع أفرادها على أن لكل منهم حقا وأن عليه واجبا؛ لان ذلك معناه أن يتعادى أفراد هذه الأسرة وتضعف الروابط فيما بينهم، فإذا خرجوا للمجتمع كانوا عناصر سيئة تستغل وتغالط وتمارس الانانية ولا تعترف لغيرها بحقوق.

– ومن الحقائق الهامة فى هذا المجال الا يعفى من أداء واجبه إلا عاجز عن هذا الاداء. ولايُمنَع أحدٌ من حقه، إلا إذا تنازل هو عنه عن طيب خاطر، مؤثرا منزلة الإحسان على منزلة العدل، مُحتسباً ذلك عند الله تبارك وتعالى.

● وهذه الحقوق والواجبات تعنى أن كل فرد من المسلمين مسئول أمام الله عما يقول وعما يفعل، وأن أداءه لهذه الواجبات وفاء بمسئوليته امام الله تعالى.

– والمسلم من يوم يبلغ حد التكليف مسئول؛ أى عليه واجب نحو أربعة أمور هى حياته كلها، وهذه الأمور الأربعة وردت فى السنة النبوية المطهرة.

فقد روى الترمذى بسنده عن أبى برزة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله من اين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم ابلاه»؟

– وهذه الأمور الأربعة: العمر والعلم والمال والجسم؛ هى حياة الإنسان وهى نعم الله التى أنعم بها على الإنسان، ولابد أن تكون له واجبات نحوها على النحو التالى:

عمر الإنسان هو أيامه ولياليه على هذه الدنيا، وينبغى أن يحسن توظيف ذلك العمر فيما يرضى الله تبارك وتعالى، وذلك واجبه، فلو أنفقه فى غير ذلك سئل ونوقش وعُذّب.

والعلم نعمة من الله تعالى على من يشاء من عباده؛ على الرغم مما يظهر فى تحصيله من عناء، إذ هو عمل العقل والعقل نعمة من الخالق سبحانه، والعالم واجبه أن ينشر العلم فى الناس، وهو مسئول أمام الله تعالى لو حبسه أو كتمه أو ضن به.

والمال من نعم الله كذلك، وصاحبه مسئول عنه أمام الله، وواجبه أن يكتسبه من الحلال، وأن ينفقه فى أوجه الخير، ولو قصّر فى هذا الواجب سئل ونوقش وعُذّب.

والجسم هبة من الله تعالى أودع فيه الحواس، ولهذا الجسم وظيفة خلقه الله تعالى لها وهى تسخيره فى طاعة الله وعبادته وفى السعى على الرزق وفى إعمار الأرض وممارسة العمل الصالح، وهذه كلها واجبات الجسم، لو أخل بها حوسب ونوقش وعُذّب.

– وروى النسائى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته».

إن هذا الحديث الشريف أم فى باب الواجبات عن كل ما استرعى الله عبده، هل حفظ ما استرعاه فأدى واجبه فيه، أم ضيعه فقصر ولم يود واجبه؟

إنه يسأل عن ذلك ويناقش ويعذب.

● إن من المؤكد لدى المنصفين من الناس أنه لا قيمة للتمتع بالحقوق إذا لم يقابلها واجب يؤدَّى، إن أجر العامل حقه، ولكن العمل والجهد المبذول فيه هو واجبه الذى يجعل لأجره طعما حلوا ولجهده نتيجة محمودة.

● ومن المقرر فى الشريعة الإسلامية أن للمسلم على المسلم حقوقًا كثيرة، وأن هذه الحقوق لصاحبها واجبات بالنسبة لمن يمنحها، وتلك من أهم دعائم الإسلام التى بنى عليها المجتمع المسلم؛ مجتمع الأخوة فى الله والحب فيه والبغض فيه.

– روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا؛ المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايحقره ولايخذله، التقوى ههنا، «ويشير إلى صدره ثلاث مرات». بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فَرَّج عن مسلم كُرْبة فَرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة».

– كل هذه واجبات على المسلم نحو أخيه المسلم وهى كما وردت فى هذين الحديثين الشريفين:

- عدم التحاسد،
- وعدم التناجش – وهو من يزيد فى سعر سلعة ليصرف عنها غيره ولاينوى الشراء،
- وعدم التباغض،
- وعدم التدابر،
- ومنع أن يبيع على بيع أخيه.
- والأخوة فى الإسلام بما لها من حقوق وما عليها من واجبات،
- وعدم إيقاع الظلم بالمسلم،
- وعدم تحقيره،
- وعدم خذلانه فى موقف له فيه حق،
- وحرمة دمه وماله وعرضه أن يُمَسَّ.
- والمشى فى حاجته،
- وتفريج كربته .
- وستره إن رآه على منكر، مع نصحه .

وفى أحاديث نبوية أخرى مزيد من تحديد هذه الواجبات نختم بواحد من هذه الأحاديث الشريفة.

– روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ستٌ:

إذا لقيته فسلم عليه،

وإذا دعاك فاجبه،

وإذا استنصحك فانصح له،

وإذا عطس فحمد الله فشمته،

وإذا مرض فعده،

وإذا مات فاتبعه» .

وبعد :

فتلك قضية الحقوق والواجبات التى تمارس فى داخل الأسرة المسلمة ليتعلم ممارسة هذه الحقوق والواجبات فى المجتمع، فيصبح المجتمع إسلاميا بما يسوده من أحكام وأخلاق أقرها الإسلام وأوجبها.

فأين تقف طاعة الوالدين بين هذه الواجبات؟

إنها تعقب عبادة الله تبارك وتعالى، وتأتى بعدها دائما، وذلك ما نرجو أن نوضحه فيما يلى، والله المستعان.

د - وطاعة الوالدين ومَنْ فى حكمهما

من المقرَّر فى الإسلام أن طاعة الوالدين من أوجب الواجبات، وأنها مرضاة للرب سبحانه وتعالى؛ لأنها من أحب الأعمال إلى الله تعالى، بل إن طاعة الوالدين سبب فى أن يمد الله عمر من يطيعهما ويزيد فى رزقه.

● ويلحظ أهل العلم بالإسلام وعلماء تفسير القرآن الكريم عدداً من الملاحظ فى آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن طاعة الوالدين والإحسان إليهما، نذكر منها ما يلى:

– أن بعض الآيات الكريمة قرنت بر الوالدين والإحسان إليهما بتوحيد الله تعالى وعبادته.

وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٥].

– ففى هذه الآية أمر الله تعالى بأمْرَيْن وقرن بينهما:

- **أمر بعبادة نفسه سبحانه وتعالى،**
- **وأمر بالإحسان إلى الوالدين أى برهما.**

وفى الجمع بين هذين الأمرين تعظيم لشأن الوالدين، وإيجاب لطاعتهما وبرهما والإحسان إليهما إحسانا عظيما كاملا.

وهذا الإحسان إليهما فى حال قوتهما وشبابهما يكون بالطاعة لهما والبر بهما، وفى حالة كبرهما وضعهفما يكون بالايتافف منهما بأى حال، ولايظهر مخالفة لهما فى القول على سبيل الرد والتكذيب، وإنما الواجب أن يتوجه إليهما بالقول الطيب.

وقال العلماء: إن مخاطبة الوالدين باسميهما إيذاء لهما؛ إذ الأصل أن يخاطبهما بالأبوة والأمومة تعظيما لهما(١).

ومن الإحسان إليهما؛ شدة التواضع أمامهما، التواضع الذى يصل إلى الذل لهما زيادة فى الرحمة بهما، والدعوةُ لهما بالرحمة من الله تعالى.

– كما يلحظ العلماء أن بعض آيات القرآن الكريم قرنت شكر الله تعالى بشكر الوالدين، فعطفت شكرهما على شكره سبحانه وتعالى، وذلك فى قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)** ﴾ [لقمان: ١٤].

ففى الآية الكريمة تعليم للإنسان أن يشكر النعمة لمن أنعم عليه، والمنعم الأول هو الله سبحانه؛ إذ أنعم بنعمة الإيجاد والخلق، وشكره سبحانه وتعالى على ذلك إنما يكون بعبادته.

والمنعم الثانى على الإنسان هما والداه؛ إذ هما السبب المباشر فى الإيجاد، وهما اللذان تحملا أعباء التربية والتنشئة، وشكرهما إنما يكون ببرهما وطاعتهما، وخُصت الأم بمزيد من البر للحمل والرضاعة وما تعانيه فى ذلك، كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية الكريمة.

وحسب الوالدين شرفا أن يقترن شكرهما بشكر الله تبارك وتعالى ﴿ **أن اشكر لى ولوالديك** ﴾.

– كما لحظ العلماء أن طاعة الوالدين أمر محتوم دلت عليه آيات القرآن الكريم وأحاديث

---

(١) يشيع اليوم فى المجتمعات العلمانية نداء الأبوين باسمهما المجرد، وينظر إلى ذلك على أنه تدليل لهما أو رفع للكلفة – والحق أنه رفع لكل احترام لهما، وتقليل من شأن الأبوة والأمومة.

النبى ﷺ، وأنه لا استثناء من هذه القاعدة بالنسبة للوالدين إلا فى حالة واحدة هى أن يطلب الوالدان من الابن أن يشرك بالله، أو أن يعصى الله فى شىء أمر به أو نهى عنه.

قال الله تبارك وتعالى فى ذلك: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال جل شأنه فى ذلك أيضا: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: ١٥].

- طاعة الوالدين فى الكفر وفى المعصية محظورة على الرغم من وجوب برهما وطاعتهما، لأن برهما وطاعتهما أوجبهما الله تعالى، فكيف يطاعان إذا أمرا بالكفر به أو بمعصيته سبحانه وتعالى؟

- ولكن مع عدم طاعتهما فى معصية الله تعالى فلابد من مصاحبتهما فى الدنيا بالمعروف؛ أى بالبر والصلة والإحسان، هذا حقهما على الابن وإن كانا كافرين.

● وقد جاءت السنة النبوية المطهرة لتؤكد هذه المعانى التى وردت فى الآيات الكريمة، بل بسطت هذه المعانى وزادتها إيضاحا.

- روى البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد فى سبيل الله».

- وروى البخارى - فى الأدب المفرد - وابن ماجة فى سننه والحاكم فى المستدرك والطبرانى فى الكبير، بأسانيدهم عن المقدام بن معديكرب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم - ثلاثا - إن الله يوصيكم بآبائكم - مرَّتَيْن - إن الله تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب».

- وروى البيهقى - فى شعب الإيمان - بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن لى أما وأبا، وأخا وأختا، وعما وعمة وخالا وخالة، فأيهم أولى إلىّ بصلتى؟ فقال النبى ﷺ: «أمك وأباك وأختك وأخاك، وأدناك فأدناك».

- وروى البيهقى - فى الشعب - بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحَبَّ أن يمد الله فى عمره، ويزيد فى رزقه، فليبر والديه، وليصل

رحمه».

وروى بن ماجة بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل العمل الصلاة على ميقاتها، ثم بر الوالدين، ثم أن يسلم الناس من لسانك».

- وروى البيهقى - فى الشعب - بسنده عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث ليس لأحد من الناس فيهن رخصة: بر الوالدين مسلما كان أو كافرا، والوفاء بالعهد لمسلم كان أو كافر، وأداء الأمانة إلى مسلم كان أو كافر».

- وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «آمرك بالوالدين خيرا».

- وروى الطبرانى - فى المعجم الكبير - بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رضا الرب من رضا الوالدين، وسخطه فى سخطهما».

- وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: اتى النبى ﷺ رجلٌ فقال: «إنى أريد الجهاد، فقال: أحَىٌّ والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد».

- وروى البيهقى - فى الشعب - بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إنى أشتهى الجهاد، وإنى لا اقدر عليه، فقال رسول الله ﷺ: «هل بقى أحد من والديك؟ قال: أمى، قال: فاتق الله فيها، فإذا فعلت ذلك، فانت حاج ومعتمر ومجاهد، فإذا دعتك أمك فاتق الله وبرها».

- وروى ابن ماجة بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هما جنتك ونارك»؛ يعنى الوالدين.

- وكما وردت هذه الأحاديث النبوية الشريفة وغيرها فى طاعة الوالدين وبرهما، فقد وردت أحاديث نبوية شريفة فى النهى عن عقوق الوالدين والتحذير منه والتوعد عليه بأشد العقوبات، ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة ما نذكره فيما يلى:

- روى البيهقى بسنده عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الا أنبئكم باكبر الكبائر؟ قال: قلنا: بلى يارسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلنا: لا يسكت».

- وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يارسول الله، وكيف يلعن والديه؟

قال: «يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه».

- وروى الطبرانى - فى الكبير - بسنده عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنان يعجلهما الله فى الدنيا: البغى وعقوق الوالدين».

- وروى الطبرانى - فى الكبير - بسنده عن أبى بكرة رضى الله عنه أيضا، قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الذنوب يؤخر الله تعالى ما شاء منها إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة الدنيا قبل الممات».

- وروى البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكبر الكبائر؛ الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور».

- وروى البيهقى - فى الشعب - بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكبائر؛ الإشراك بالله، وقذف المحصنة، وقتل النفس المؤمنة، والفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وإلحاد بالبيت قبلتكم أحياء وأموتا».

- وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر الشرك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وما حلف حالف بالله يمين صبر، فادخل فيها مثل جناح بعوضة إلا جعلت نكتة فى قلبه إلى يوم القيامة».

- وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه: يلعن أبا الرجل، فيلعن أباه، ويلعن أمه فيلعن أمه».

وبعد:

فهذه طاعة الوالدين كما أمر بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وفى حكم الابوين فى وجوب البر والطاعة الجدود والجدات، والأعمام والعمات والأخوال والخالات، فلا شك أن الجد والد. والعم والعمة والخال والخالة وردت فيهم أحاديث نبوية شريفة تلحقهم بالأبوين.

رابعـــا :

طاعة ولىّ الأمر

ولىّ الأمر هو الحاكم أو الخليفة أو الأمير أو الرئيس أو القائد عموما.

● وولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، وأولاها بالاهتمام، إذ لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها.

والناس لايستقيم لهم حال، ولا تتحقق لهم مصالح، ولا تدفع عنهم أضرار إلا بقيادة ورياسة؛ وذلك أن الناس لابد لهم أن يعيشوا مجتمعين؛ إذ لايتيسر لهم أن يعيشوا فرادى. وما داموا قد اجتمعوا فلا بد لهم من نظام وتنظيم والتزام وإلزام أى لابد لهم من رأس يدبر أمورهم ويلى شئونهم، تلك سنة الاجتماع البشرى منذ أزمان سحيقة.

– ومبدأ اتخاذهم الأمير أو الرئيس متلائم مع المصلحة، وقد دلت عليه السنة النبوية المطهرة.

فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا خرج ثلاثة فى سفر، فليؤمروا أحدهم».

وإذا كان ذلك واجبًا فى السفر، والسفر عارض، فما بالنا به فى حياتنا العادية فى الإقامة والتوطن؟

إن الحديث الشريف يرمز إلى أن أقل جماعة – وهى ثلاثة – تحتاج إلى أمير أو رئيس، وإلى أن الظروف العارضة –كالسفر فى جماعة – تحتاج إلى أمير.

فالجماعة الأكثر عدداً لا يستقيم أمرها إلا برئيس، والظروف المستقرة – فى غير السفر – لاتصلح إلا برئيس.

● والأمة الإسلامية واجب عليها أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولا يتم ذلك الواجب إلا بقوة معنوية ومادية وإمارة أو رئاسة، فكان تنصيب الأمير واجبا.

– وكذلك سائر ما أوجب الله على المسلمين فى اجتماعهم وتعاونهم، وتكاتفهم، وعلى سبيل المثال:

● فإن صلاة الجماعة لاتصح إلا بإمام أو أمير يؤم الناس،

● والزكاة تحتج إلى أمير أو مسئول يجمعها من الأغنياء ويوزعها على الفقراء،

● وكذلك شأن صلاة الجمعة وصلاة العيدين ونحوهما،

● والجهاد واجب ولايتم إلا بأمير أو رئيس،

● وإقامة حدود الله لايمكن أن تنفذ إلا بأمير،

● ونصر المظلوم وإغاثة اللهفان - وبخاصة إذا كثر المظلومون - كل ذلك لايتم إلا بأمير،

● والدعوة إلى الله واجب، وما تتم إلا بتنظيم وأمير،

- والقاعدة في الشرع أن ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب، والأمير مطلوب على كل مستوى من مستويات العمل ومستويات الواجب، ويظل شأن الأمير يعظم حتى يصل إلى أمير الناس جميعا وحاكمهم الذي يختارونه بمحض إرادتهم ليطبق شرع الله فيهم.

- ولذلك ورد هذا المعنى في أكثر من حديث من الأحاديث النبوية الشريفة وسوف نذكر منها، ما يلي:

- روى البيهقي - في الشعب - بسنده عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان، فلا تدخلها، إنما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض».

- وروى أبو داود بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه».

- وروى الترمذي بسنده عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهان السلطان أهانه الله».

● والقيادة في المجتمع الإسلامي تستهدف للناس خيري الدنيا والآخرة، ومن أجل هذا كان هدف القيادة في المجتمع الإسلامي أن يقوم الناس بالقسط، وفق ما أنزل الله من الكتاب والميزان، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

– ولن يقوم الناس بالقسط إلا بقيادة، ولن يتعاملوا وفق كتاب الله إلا بقيادة، ولن يعين الناس على فقه الكتاب والميزان إلا قيادة واعية مستنيرة.

– والقيادة فى المجتمع المسلم عندما تتوفر فيها الشروط تستطيع أن تحكم بكتاب الله وتصبغ الحياة الإنسانية كلها بصيغة الإسلام وتجعل حياة الناس جميعا أمنا واستقراراً وعملا وإنتاجا وصلاحا فى المعاش والمعاد.

– وَوَلِىّ أمر المسلمين مُسْتَرعىً عليهم فى المجتمع الذى يعيشون فيه، وواجبه أن يسهر على تحقيق مصالحهم، ودفع الأضرار عنهم، وهو مسئول أمام الله تعالى عما استرعاه، مسئول عن كل ما هو واجب عليه – وإن ما عليه من الواجب لكثير –.

– روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا».

– وروى مسلم بسنده عن حرملة بن عبد الرحمن بن شماسة قال: أتيت عائشة أسألها عن شىء فقالت ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت كيف كان صاحبكم لكم فى غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئا؛ إن كان ليموت للرجل منا البعير، فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة.

فقالت: أما إنه لا يمنعنى الذى فعل فىّ محمد بن أبى بكر أخى[1] أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فى بيتى هذا: «اللهم مَنْ وَلِىَ من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به».

● فالقيادة فى الإسلام مسئولية قبل أن تكون مكانة أو وجاهة، وكل قائد مسئول أمام الله تعالى، كما قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع...» الحديث رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

– وروى مسلم بسنده عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) هو محمد بن أبى بكر الصديق رُبّىَ فى حجر على رضى الله عنه بعد أن تزوج على بأمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبى بكر، وشهد مع على الجمل وصفين وولاه علىّ مصر، فسار إليه عمرو بن العاص فاقتتلوا فانهزم محمد ودخل خربة فأخرج منها وقتل بأن أحرق. وهو أخو عبد الله بن جعفر لأمه، وأخو يحيى بن على لأمه.

يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

ومعنى هذه الأحاديث الشريفة أن الإمام أو الأمير مسئول عن حماية الدين وحماية الناس من أنفسهم بإقامة حدود الله على من تعدى على شرع الله، ومن أعدائهم بالمرابطة فى الثغور والجهاد فى سبيل الله.

● ولكى تتضح أبعاد الطاعة لولى الأمر، سوف نتحدث عن ثلاث نقاط:

أ - العلاقة بين ولىّ الأمر ومن يلى أمرهم،

ب - وواجبات ولىّ الأمر،

جـ- وواجبات المسلمين نحو أولياء أمورهم.

والله تبارك وتعالى المستعان.

أ - العلاقة بين وَلِىّ الأمر ومن يلى أمورهم

فى المجتمع الإسلامى يشترك ولى الامر - الحاكم - ومن يلى أمورهم - الناس - فى أمور كثيرة تجعل العلاقة بينهما على احسن ما تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

فهما شريكان فى الدين والالتزام به، وهما شريكان فى الزمان والمكان، والمطامح والآمال، والمشاق والآلام، وصديقهما واحد وعدوهما واحد، إذ لايعقل أن يصادق الحاكم من لايقبل صداقته المحكوم، ولا أن يعادى الحاكم من لايعاديه المحكوم.

● ومن أجل هذه المشاركة فى تلك الامور وفى كثير غيرها، كانت العلاقة بينهما تحتاج إلى توضح وبيان على النحو التالى:

هذه العلاقة بين الحاكم المسلم والمحكوم المسلم يجب أن تقوم على أسس راسخة من القيم الإسلامية التى يكفل التمسك بها لدى الطرفين، يكفل لكل منهما العيش فى أمن واستقرار.

● ومن أهم هذه القيم الإسلامية ما نشير إليه فيما يلى:

- تبادل الاحترام والتقدير:

● فالحاكم يجب أن يحترم الناس الذين اختاروه، وأول درجات الاحترام أن يؤمن بأنه فى خدمتهم خدمة مصالحهم، فمن أجل هذا قد اختاروه، أو اختاره أهل العلم والحل والعقد منهم.

● والمحكوم يجب أن يحترم الحاكم ويحافظ عليه، ويعتبر نفسه فى خدمة ما يطلب منه من اعمال تحقق المصلحة العامة، وتبادل هذا الاحترام هو الذى يكفل لكل طرف منهما أن يستفيد بجهد الطرف الآخر، جهده الفكرى والعملى.

● والحاكم يجب أن يحترم الناس الذين اختاروه، وأول درجات الاحترام أن يؤمن بأنه فى خدمتهم وخدمة مصالحهم، فمن أجل هذا قد اختاروه، أو اختاره أهل العلم والحل والعقد منهم.

● والمحكوم يجب أن يحترم الحاكم ويحافظ عليه، ويعتبر نفسه فى خدمة ما يطلب منه من أعمال تحقق المصلحة العامة، وتبادل هذا الاحترام هو الذى يكفل لكل طرف منهما أن

يستفيد بجهد الطرف الآخر، جهده الفكرى والعملى.

- والحاكم يجب أن يقدر المحكوم؛ بمعنى أن يقدر ظروفه وإمكاناته، فلا يطالبه بما يشق عليه، أو يكلفه فوق ما يطيق.
- والمحكوم يجب أن يقدر الحاكم؛ بمعنى تقدير ظروفه كذلك، فلا يطالبه بما يشق عليه أو يرهقه، أو يكون على حساب مصالحه الشخصية.

وهذا الاحترام والتقدير من القيم الإسلامية النابعة من كثير من آيات الكريم الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، وسيرته المطهرة بوصفه القدوة والأسوة الذى عصمه الله عن الهوى.

- وتبادل الحب:

وذلك أن الإيمان - كما هو مقرر فى القيم الإسلامية - حب وبغض، حب لمن كان حيث أمره الله، وبغض لمن كان حيث نهاه الله، حب لمن أطاع الله وبغض لمن عصاه سبحانه وتعالى.

- فالحاكم لكى يكون محبوبا من الناس يجب أن يلزم نفسه بأن يكون حيث أمره الله، ليكون أهلا لهذا الحب.

وليعلم الحاكم أن كل خروج عن شىء مما أمره الله سوف يشيع عنه فى الناس، وسوف يحرمه حب الناس له؛ لأن المسلمين مطالبون بألا يحبوا من وُجد حيث نهاه الله.

وليعلم الحاكم المسلم أنه مطالب بأن يقرب من وجده من الناس حيث أمره الله، وأن يقصى ويعاقب من وجده حيث نهاه الله.

- والمحكوم لكى يكون محبوبا من الحاكم المسلم، عليه أن يلزم نفسه بأن يكون حيث أمره الله؛ ليكون أهلا لهذا الحب.
- ولا يتم إيمان الحاكم والمحكوم كليهما إلا إذا كان الحب عندهما فى الله، والبغض فى الله؛ لأن ذلك أدق معيار وأعدله فى الحب والبغض.

وبهذا الحب المتبادل بين الحاكم والمحكوم تمضى حياة المسلمين فى طريقها الصحيح القويم المؤدى إلى سعادة الدنيا والآخرة.

- وقد قدمنا آنفا قول النبى ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم...» الحديث.

- وتبادل الالتزام بمنهج الله وشرعه:

الاصل أن يلتزم الحاكم المسلم بكل ما جاء فى منهج الله وشريعته التزاما نابعا من ذاته، لا من إحساسه بوظيفته.

لان هذا الالتزام يجدد شرعيته فى موقعه؛ لان المسلمين لم يختاروه إلا لاجل أن يطبق فيهم شرع الله، ويلتزم هو به.

- والالتزام بشرع الله ومنهجه يعنى بالنسبة للحاكم ان يبدأ بتطبيق المنهج على نفسه وأهله وذويه، ومن يعاونونه فى الحكم، ثم يطبقه فى الناس الذين يحكمهم.
- والحاكم الملتزم بمنهج الله وشريعته قلما تصدر منه أخطاء تغضب عليه الناس، وقلما تحدث منه تجاوزات لحدود ما أنزل الله على رسوله، فيأمن بذلك غضب الناس، ويضمن طاعتهم، وهذا ما يطمح إليه كل حاكم.
- والحاكم الملتزم بمنهج الله وشريعته يندر أن يحدث خلاف بينه وبين من يعاونونه أو بينه وبين من يحكمهم؛ لان هذا المنهج يحسم كل خلاف ويقضى عليه؛ لان فيه بيانا لكل شىء، مما يهم الحاكم والمحكوم على السواء.
- والاصل أن يلتزم المحكوم المسلم بمنهج الله وشريعته فى كل أمر من أموره، وعلى رأس هذه الامور علاقته بحاكمه؛ فيعطيه الذى له، ويأخذ منه الذى عليه.
- ولو التزم المحكوم بهذا المنهج لادى كل ما عليه نحو نفسه ونحو أهله وذويه، ونحو حاكمه، أدى كل ذلك ليس رهبة من الحاكم، ولكن تقربا إلى الله وحرصا على إرضائه سبحانه وتعالى.
- والمحكوم الملتزم بمنهج الله يعرف ما له بكل دقة فيتمسك به، ويعرف ما عليه بكل دقة فيؤديه.

- وتبادل النصح والمشورة:

إذا تبادل الحاكم المسلم والمحكوم المسلم النصح والمشورة فى الامور العامة كان ذلك من أهم الاسباب التى تؤدى إلى الاهتداء إلى الحق والصواب فى هذه الامور، وتجنب كليهما الوقوع فى الاخطاء والانحرافات عن الطريق المستقيم.

- والحاكم المسلم ينصح الامة ولا يغشها فى شىء، حتى لا يقع تحت طائلة عقاب الله

تعالى، فقد روى مسلم بسنده عن أبى يعلى معقل بن يسار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من أمير يلى أمور المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة».

- ونصيحة الأمير للناس بتبصيرهم بالحق وإلزامهم به إلزاما، فإن الحق يحتاج أحيانا إلى قوة تلزم به، والسلطان هو مصدر القوة الشرعية طالما هو متقيد بما أمر الله به.

- وعلى الأمير أن يستشير أهل العلم والكفاءة فى كل أمر من أمور الأمة ذات الأهمية لسببين:

أولهما: أن الشورى صفة من صفات المؤمنين.

والآخر: أن واجب الأمير أن يستشير، فقد استشار المعصوم صلى الله عليه وهو الأمين الذى يوحى إليه!!!

- والمحكوم كالحاكم فى وجوب النصيحة، ووجوب الاستشارة؛ أما النصيحة فهى واجبة على المؤمنين جميعا؛ لأن الدين هو النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما قال رسول الله ﷺ.

- والناصح يجب أن يكون أمينا فى نصيحته، وأن يقدمها على النحو الذى يحبب فيها، ولا يجرح بها شعور المنصوح، فما بالنا إذا كان المنصوح هو الحاكم؟

- والمحكوم المسلم يتعامل مع إخوانه ومع حاكمه بالشورى فى كل ما من شأنه أن تدخل فيه الشورى، ولا يملك ذو رأى أو ذو خبرة أن يضن بمشورته على الحاكم أو على كل من استشاره؛ لأن الإسلام يأمر بالشورى كل قادر عليها.

- هكذا يجب أن يتبادل الحاكم والمحكوم النصيحة والشورى فى المجتمع المسلم، حتى يحافظ المجتمع على طابعه الإسلامى.

- وتبادل المحافظة على المال العام والمعرفة عنه:

المال العام هو مال الأمة الذى قدمته إلى بيت مال المسلمين سواء أكان فرضا على الناس أن يقدموه كأموال الزكاة، أم كان ندبا لهم فى أدائه كالهبات والتبرعات والإسهام فى متطلبات المصلحة العامة.

- وهذا المال له موارد كثيرة تختلف من زمان إلى زمان، وللحاكم أن يطلب من المحكومين أن يتبرعوا بما يستطيعون من مال، وله أحيانا أن يفرض على القادرين منهم ما لا يشق

عليهم، من أجل مصلحة عامة يراها هو ومستشاروه، وبخاصة فى أوقات الحروب والأزمات والكوارث؛ لأن الأصل فى المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يتكافلوا فى كل ما من شأنه أن يدفع عنهم ضررا أو شرا.

● وهذا المال العام ليس للحاكم أن يأخذ منه شيئًا لنفسه أو لذويه، بل ليس له أن ينفق منه إلا بشروط بعينها، بل الأولى به أن يعف عنه، ولا ينفقه إلا فى مصلحة عامة.

● وكما يجب على الحاكم أن يعف عن المال العام، فإن عليه أن يحافظ عليه؛ فلا يبذر فى إنفاقه أو يسرف فيه، إنما يدع هذه الأمور الخاصة بالإنفاق فى أيدى الخبراء وأهل العلم والخبرة؛ حتى يسلم هو من المحاسبة، ويسلم المال من الضياع.

● والمحكوم فى هذا المجال كالحاكم، يجب أن يحافظ على المال العام وأن يعف عنه، ولا يتناول منه إلا ما أدى إليه؛ بشرط أن يكون محتاجا إليه.

● والمال العام بالنسبة للمحكوم هو كل ما من شأنه أن يكون ملكا عاما للأمة كالمرافق كلها - الطرق وما فيها من شجر وزرع ووسائل إنارة، ووسائل الاتصال كلها، ووسائل المواصلات كلها، وكل مبنى تملكه الدولة، وكل مخزون لها من مقدرات اقتصادية على أى صورة من الصور.

● إن هذا المال العام يجب على كل مسلم أن يحافظ عليه وأن يعلم أبناءه المحافظة عليه، فليس له أن يتناول منه شيئا ولا أن يفسد منه شيئا، ولا أن يسكت عن أحد يتناول من هذا المال ما ليس بحق له، أو يتعرض بالإفساد لشيء منه، فهذا واجبه.

● وعلى المسلم أن يعف عن هذا المال العام، فلا يطلب منه شيئا إلا إن كان من أهل الحاجة، فإن طلب فليس له أن يحدد ما يطلب، وإنما يترك ذلك لتقدير أهل العلم والخبرة، والأصل العام فى العفة عن المال العام هو: أن اليد العليا خير من اليد السفلى؛ أى أن المعطى عند الله خير من الآخذ، فكان الواجب أن يكون المسلم معطيا إلا لضرورة تجعله آخذا، وهكذا ينمو المال العام ويسد ثغرات الحاجات إذا تبادل الحاكم والمحكوم المحافظة عليه والعفة عن أخذه إلا باستحقاق واحتياج.

- وتبادل التضحية من أجل الصالح العام:

كل عمل لا تدخله التضحية قلما يكون كاملا، أو قادرا على بلوغ هدفه؛ وبخاصة إذا كان العمل لله تعالى.

● وهذه التضحية تكون بالوقت وبالجهد وبالمال،وقد تكون بالعلم والخبرة، وقد تكون بالوجاهة والمكانة، وهذه الأنواع من التضحيات يلزمها الإخلاص لله فى بذلها وتقديمها، ويلزمها أن تكون فى عمل يرضى الله تبارك وتعالى مما أمر به أو ندب إليه.

● وجزاء التضحية بذلك كله أو ببعضه هو رضى الله تعالى، ثم الجنة التى وعد بها عباده المخلصين الذين يؤثرون ما عند الله على ما فى أيديهم من نعم ووسائل وأسباب، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) ﴾ [الشورى: ٣٦].

● وكل التكاليف فى الإسلام، عبادات ومعاملات، تدخلها التضحية بالوقت أو بالجهد أو بالمال، والمسئولية من التكاليف فلابد فيها من التضحية بشكل أو بآخر.

والمسئولية فى الإسلام لا يعفى منها مكلف، وهى تبدأ من مسئولية الإنسان عن نفسه وأهله وذويه وعمله كله، وتنتهى بمسئولية أمام المسلمين وحاكمهم عن الأمة الإسلامية كلها.

وفى كل ذلك لابد من تضحية.

● وتبادل التضحية بين الحاكم والمحكوم أساس وأصل، لكى تكون العلاقة بينهما على النحو الذى يرضى الله تبارك وتعالى؛ إذ لكل من الحاكم والمحكوم نوع من التضحية، نوضحه فيما يلى:

● أما الحاكم الذى اختاره المسلمون ليطبق فيهم شرع الله ونظامه، فلا يستطيع أن يؤدى هذا العمل الجليل إلا بتضحية، تشمل وقته، وجهده، وماله، ووجاهته.

– فتضحيته بوقته تعنى أن معظم وقته يجب أن يكون لخدمة هذا الدين، ولخدمة هؤلاء الذين اختاروه ليسهر على مصالحهم، ويسد ثغورهم ويدفع عنهم الأضرار.

وليس معنى ذلك ألا يكون من وقته شىء لأهله وذويه، وإنما يكون معظم وقته للأمة التى اختارته وفرغته لرعاية مصالحها.

– وتضحيته بجهده تعنى أن يبذل فى خدمة الأمة وفى مصالحها جل جهده وطاقته؛ لأن التصدى لهذه المسئولية الكبرى لا يكفيه فائض الجهد ولا فائض الوقت، وإنما يحتاج إلى جزء كبير من أصل الوقت وأصل الجهد؛ أى لا يدخر جهدا أو وسعا أو طاقة إلا ويضحى بها من أجل هذا العمل الذى وُسده.

- وتضحيته بماله أو ببعض ماله - إن كان من أهل اليسار - ليسد به حاجة أو ثغرة هى الأصل الذى يليق به؛ إذ لا يجوز أن يبخل بماله على المصالح العامة ولا على دينه والذين اختاروه، وهذا هو المال الباقى عند الله تعالى.

- وتضحيته بوجاهته ومكانته فى سبيل الأمة التى اختارته يعنى أن يستخدم نفوذه ووجاهته لدى غير من الحكام والرؤساء الأجانب لصالح الأمة التى يحكمها.

● وما لم يضح الحاكم هذه التضحيات عن طيب نفس، فإنه يؤكد لدى كل من يعرفه أن اختياره لم يكن موفقا التوفيق كله.

فالناس الذين اختاروه وضعوه فى أرفع مكان، لا أقل من أن يضحى من أجل هذه المسئولية بهذه التضحيات.

● وأما المحكوم فمطالب بمثل ما طولب به الحاكم من التضحية، وقد يكون المحكوم ذا وجاهة ومكان، وذا مال وفير ومنصب كبير، فيضحى بذلك ويستثمره من أجل أمته، ومن أجل حاكمه كذلك، ولا غضاضة فى ذلك ولا غرابة، فالحاكم عنوان الدولة ورأسها، وكلما دُعّمت مكانته كان فى ذلك دعم للدولة وللأمة التى ينتمى إليها.

● إن تبادل الحاكم والمحكوم التضحية بكل أنواعها فى سبيل الصالح العام واجب شرعى لا يستطيع الفكاك منه إلا من عصى الله تبارك وتعالى.

- وتبادل الاهتمام بقضايا الأمة:

إن قضايا الأمة لا يكفى فيها لكى تحل على الوجه الأحسن، أن يهتم بها الحاكم وحده، من منطلق أنه المسئول الأول عن توجيه هذه القضايا، وعن البحث على حل لكل قضية منها، وإنما الواجب أن يشاركه فى الاهتمام بها كل محكوم قادر على ذلك، فالقضية قضية هذا المحكوم وأمثاله، فكيف يسوغ له أن يتجاهلها أو يتخلى عنها؟

● وإن تبادل الاهتمام بهذه القضايا بين الحاكم والمحكوم ليُعين على حل كل قضية أو السير بها فى الطريق الصحيح القويم المؤدى إلى أحسن النتائج.

● فالحاكم يجعل هذه القضايا همه وموضع فكره، ومجال استشارته لأهل العلم والخبرة، لا يألو فى ذلك جهدا ولا يدخر وسعا.

وقضايا الأمة بالنسبة للحاكم كثيرة، تبدأ بقضية توفير فرص العمل الشريف لكل قادر

عليه، وتشمل سائر القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية فى الداخل والخارج، وبخاصة قضايا التعليم والثقافة وغيرها.

- وكل هذه القضايا سوف يجد لها حلا لو استفتى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واجتهد له العلماء فيما لا نص فيه، واستخار واستشار وأخذ بالأسباب وتوكل على الله بعد العزم على التنفيذ وممارسة الحلول لهذه القضايا.

- والمحكوم كالحاكم فى الاهتمام بهذه القضايا، فما ينبغى لمسلم يعرف واجبه أن يكون بمعزل عن قضايا أمته الإسلامية، يفكر فيها ويتصور لها الحلول، وينصح بما يتراءى له من حلول، ويوجه هذا النصح لنفسه هو و أفراد أسرته ويعتبر ذلك جزءا من قضية عامة، ثم يوجه النصح إلى غيره وعلى رأسهم الحاكم.

- أما ترك الحاكم دون أن تقدم له الدراسات والتصورات للقضايا العامة فهو نوع من التخلى عن الواجب لا يليق بالمسلم ولا يعفيه من عقاب الله؛ إذ مهما يكن الحاكم على درجة من العلم، ومهما يكن له من الذين يعاونونه فهو بالقطع فى حاجة إلى المزيد من الرؤى والتصورات لحلول القضايا العامة فى الأمة، والأصل العام فى هذا الاهتمام بهذه القضايا العامة هو: أن المسلمين يد على من سواهم، وكل قضية من هذه القضايا وراءها يد خفية أو ظاهرة من الأعداء الذين يكيدون للإسلام والمسلمين.

- وليس لمسلم من أهل القدرة على دراسة إحدى القضايا العامة أن يسكت عنها أو يتصور أنها واجب الحاكم وحده، فهذا خطأ يقع فيه.

- وتبادل الاهتمام بهذه القضايا بين الحاكم والمحكوم، هو تبادل الرأى والدراسة والتناصح فى هذه القضايا.

- وتبادل الرغبة فى حب الخير:

حب الخير للنفس وللغير قيمة إسلامية فرضها الله على كل مسلم كما يفهم ذلك من قوله تعالى ﴿ ... وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧]. وهو قيمة أساسية فى المجتمع شجعت عليها آيات القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] وقال عز وجل: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ... ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال سبحانه وتعالى:

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ... (١٤٨) ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال عز من قائل: ﴿ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ... (١١٤) ﴾ [آل عمران: ١١٤]، وقال جل وعلا: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

● كل هذه النصوص القرآنية وغيرها من نصوص السنة النبوية تؤكد وجوب فعل الخير، وتؤكد حسن جزاء فعله.

● والحاكم المحب للخير يتفقد شئون الذين يلى أمرهم، فيسد حاجة المحتاج منهم، ويدفع الضرر عن المتضرر، ويحجز الظالم عن المظلوم ويعاقبه ويأخذ الحق منه لصاحب الحق.

وتلك من وظائف الحاكم الأساسية التى اختاره الناس من أجل أن يقوم بها.

● والمحكوم المحب للخير يكون عونا للحاكم على إيصال الخير إلى من يستحقه، بل هو بذلك يريح الحاكم ورجاله من البحث والتحرى، ويقلل أمامهم عدد المحتاجين.

● وما لم يتبادل الحاكم والمحكوم فى المجتمع الإسلامى حب الخير، زاد عبء العمل على الحاكم، وأعجزه ذلك عن أن يعرف كل صاحب حاجة فيدفع عنه حاجته.

وقعود المسلم عن حب الخير وتقديمه للناس إثم يحاسب عليه؛ لأن الله تعالى أمر بالخير، كما رأينا فى هذه الآيات الكريمة التى ذكرنا.

● فإذا قلنا إن الحاكم فى المجتمع المسلم لا غنى له عن محكوم ما جاوزنا الصواب فى شىء، وما أعجب أمر الحكام الذين إذا اختارهم الناس تألهوا عليهم أو استغنوا عنهم، أو نظروا إليهم على أنهم أقل من أن ينالوا كل حقوقهم وحرياتهم!!!

– وتبادل التمسك بالحقوق والالتزام بأداء الواجبات:

للحاكم – كما سنوضح بعد قليل – حقوق وعليه واجبات، وللمحكوم – كما سنوضح بعد قليل – حقوق وعليه واجبات.

● ومن البديهى أن سكوت أى إنسان عن حقه يغرى الطرف الآخر بهضم هذا الحق، كما أن قعود أى طرف عن أداء واجبه يضر بالمجتمع كله، ويجعل التسيب طابعا عاما فيه.

● لذلك كان من علامات صحة المجتمع وسلامته من الآفات أن يتمسك صاحب الحق بحقه، وأن يؤدى صاحب الواجب واجبه.

● والحاكم المخلص الحصيف هو الذى يتبادل مع المحكوم التمسك بالحقوق والالتزام بأداء الواجبات؛ لأن ذلك من صالح الحاكم نفسه فى دنياه وآخرته.

أما فى دنياه فإنه يحول بينه وبين غمط حق من سكت عن حقه ولم يتمسك به.

وأما فى آخرته فإنه ينجيه من عذاب الله لو غمط حقا لأحد من الناس.

وتضييع الحقوق كبيرة من الكبائر؛ لأن الله تعالى أمر بأداء هذه الحقوق وطالب بالمحافظة عليها.

وللحاكم حقوق يجب أن يتمسك بها كذلك، ولو سكت عنها لضاعت عليه، ولخسر من مكانته وهيبته فى نفوس الناس شيئا كثيرا.

● وهكذا يتبادل الحاكم والمحكوم التمسك بحقوقهم لصالح المجتمع كله فى حاضره ومستقبله، ولصالح كل منهم فى دنياه وآخرته.

● **وكذلك الشأن فى أداء الواجبات:**

لو قصر الحاكم فى أداء واجباته انفرط العقد كله، وتعطلت المصالح وضاعت الحقوق وصار الأمر فوضى، فعم الظلم والفساد وأخل الحاكم بواجباته، واستحق عقاب الله تعالى.

وواجبات الحاكم كثيرة متشعبة، وكل تقصير فى واحد منها ينعكس بأسوأ الآثار على الناس الذين يحكمهم، وكلما تعددت الواجبات المهملة من قبله كلما تعددت مشكلات المجتمع وتعقدت قضاياه، واستعصت على الحل.

بل إن الحاكم يفقد شرعيته إن توقف عن أداء واجباته، فهو لم يختر إلا لأداء هذه الواجبات.

● وفى كل تحليل علمى دقيق لأسباب انهيار حكم أو انهزام حاكم أمام عدو نجد أن سبب الأسباب هو تقصير هذا الحاكم فى أداء واجباته، وربما صاحبه فى ذلك تقصير المحكومين فى أداء واجباتهم كذلك.

● وتقصير الحاكم فى أداء واجباته يعنى أنه اشتغل بما لا يهم عما يهم، أو اشتغل بالباطل عن الحق، أو زينت له بطانة السوء الباطل فألبسته ثوب الحق.

● وكلما قصر حاكم فى أداء واجبه خسر هو دنياه وآخرته، ثم خسرت الأمة التى يحكمها - تبعا لخسارته - مالها وأرضها وعرضها وحاضرها ومستقبلها.

● ونحن – أبناء الأمة المسلمة المعاصرة فى هذين القرنين الاخيرين – ما وقعنا فريسة فى براثن أعدائنا من الغربيين – الذين احتلوا بلادنا أو سيطروا عليها اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وفكريا، أو من اليهود الذين قلعوا الشعب الفلسطينى من أرضه ليحتلوها بالقوة يؤيدهم فى ذلك الغرب الصليبى، والشرق الملحد الشيوعى – إلا لأن بعض حكام العالم الإسلامى قصروا فى اداء واجباتهم، فكانت الهزيمة وكان الاحتلال وكانت السيطرة وكانت الصهيونية وكان هذا التمزق للعالم الإسلامى!!! -

● وآية التقصير فى أداء واجبات الحكام هى تخليهم عن منهج الله ونظامه، واحتكامهم إلى قوانين وضعية يكرسون بها ظلمهم للناس، ويأخذون أكثر مما يستحقون، ويتخففون من كثير مما يجب عليهم، وعندئذ يكون الضعف وتكون الهزيمة فى أول جولة من أى معركة، فضلا عما اتصف به كثير من هؤلاء الحكام من فساد ذاتى أو فساد فى أجهزة الحكم التى تعاونهم، أو شيوع النفاق والملق والسكوت عن قول الحق عند السلطان الجائر.

● هذه حقائق لا ينكرها إلا مكابر فى الحق أو صاحب مصلحة فى القرب من الحكام.

ومن تشكك فى صدق ما أقول فليقرأ تاريخ هؤلاء الحكام بعد أن يموتوا منهزمين، فإنه سيجد أقلام المنافقين لهم قد أصبحت تذكر من مثالبهم وعيوب حكمهم ما كانت تعجز عن أن تشير إليها من بعيد فى حياتهم.

● إن التاريخ الإنسانى – وليس تاريخ حكام المسلمين فى هذين القرنين الآخيرين – ملىء بهذه النماذج من المنافقين والمداهنين، والذين قيل عنهم: إنهم ملكيون أكثر من الملك.

● إن تبادل الحاكم والمحكوم أداء واجباتهم يجنب الامة أى هزيمة وأى فرقة، ويرد عنها كل عدوان، ويجعلها أمة جديرة بالحياة الإنسانية الكريمة.

وبعد:

فأرجو أن أكون قد أوضحت بهذا الكلام: العلاقة بين ولىّ الأمر ومن يلى أمرهم من الناس، أى بين الحاكم والمحكوم.

لكن لا يزداد هذا الموضوع وضوحا إلا بتوضيح واجبات الحاكم نحو المحكوم، وواجبات المحكوم نحو الحاكم، وهو ما نسأل الله أن يوفقنا إلى توضيحه فى الصفحات التالية.

ب - واجبات الحاكم نحو من يحكمهم

هذه الواجبات فى المجتمع الإسلامى نابعة من التزام الحاكم بكل ما جاء به الإسلام من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، تلك النصوص التى تحدد سلطات الحاكم وواجباته.

كما أن هذه الواجبات تنبع من إحساس الحاكم بأن اختيار الناس له للحكم يوجب عليه واجبات عديدة نحو من اختاروه، وأنه لا يملك أن يمتنع عن أداء هذه الواجبات، وإلا فقد اعتباره وشرعيته؛ لأنه ما اختير إلا لتوسم قدرته على أداء هذه الواجبات.

- فإن امتنع الحاكم عن أداء هذه الواجبات فقد أخل بالوظائف التى اختير من أجل أن يؤديها، ويصبح عندئذ من واجب أهل الحل والعقد والاختيار، أن ينذروه قبل أن يعزلوه ويختاروا غيره.
- ولقد كانت واجبات الحاكم على مر العصور الشغل الشاغل عند العلماء والمفكرين، ولا تزال كذلك إلى اليوم.

وسوف نعرض هنا لتصور هذه الواجبات فى القرن الرابع الهجرى كما تحدث عنه القاضى أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى[1] فى كتابه: الأحكام السلطانية.

ويقصد بالحاكم الإمام. قال: «ويلزم الإمام عن أمور الأمة عشرة أشياء:

أحدها:

حفظ الدين على الأصول التى أجمع عليها سلف الأمة.

فإن زاغ ذو شبهة عنه، بيَّن له الحجة وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسا من الخلل، والأمة ممنوعة من الزلل.

الثانى:

تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بينهم، حتى تظهر النصفة، فلا يتعدى

---

(١) ولد فى سنة ٣٨٠هـ وتوفى فى سنة ٤٥٨هـ - تولى القضاء فى بغداد وله مؤلفات عديدة منها: احكام القرآن، وإبطال التاويلات لاخبار الصفات، ومسائل الإيمان. وغيرها.

ظالم، ولا يضعف مظلوم.

الثالث:

حماية البيضة والذب عن الحوزة، ليتصرف الناس فى المعايش، وينتشروا فى الأسفار آمنين.

الرابع:

إقامة الحدود، لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

الخامس:

تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الاعداء بغرة ينتهكون بها محرما، ويسفكون فيها دمًا لمسلم أو معاهد.

السادس:

جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل فى الذمة.

السابع:

جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصا واجتهادا من غير عسف.

الثامن:

تقدير العطاء وما يستحق فى بيت المال من غير سَرَف ولا تقصير فيه، ودفعه فى وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

التاسع:

استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال مضبوطة والأموال محفوظة.

العاشر:

أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال، ليهتم بسياسة الأمة وحراسة المِلَّة.

ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ .... ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦].

فلم يقتصر سبحانه على التفويض دون المباشرة، وقد قال النبى ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته......».

- هكذا كان يفكر الاسلاف من العلماء فى واجبات الحاكم نحو من يحكمهم من الناس، وقد ظلت هذه القضية فى بلدان العالم الإسلامى موضع جدال وخصام بين بعض الحكام وبين الناس:

فقد استطاع بعض الحكام أن يقللوا من واجباتهم، وأن يوهموا المحكومين بأن ذلك واجبهم دون سواه، فأرهبوا الناس حينا فسكت الناس كارهين، واستبد الحكام بالسلطة والناس، وكثر الظلم وشاعت التجاوزات.

وكان بعض الناس يثورون على حكامهم ويخلعونهم حينا ويقتلونهم حينا، فصارت فتنة، اضطرب معها أمر الناس، وضعفت الدولة وطمع فيها الأعداء.

- وظل الأمر كذلك إلى يوم الناس هذا؛ تجاذبٌ وتدافعٌ من أجل تحديد واجبات الحكام، حتى لجأ الناس - بعد هذا التخاصم والتنازع - إلى وضع دستور ينص فيه على واجبات الحكام، ليلتزم بها كل حاكم، ولكن هذه الدساتير لم تجد مع المستبدين من الحكام.

- ولنضرب مثلا على واجبات الحاكم أو الرئيس فى الدستور المصرى الصادر فى مارس ١٩٩٤، والدستور المصرى الصادر فى رجب ١٣٩١هـ سبتمبر ١٩٧١م.

وكلا الدستورين متشابهان فيما يخص واجبات رئيس الجمهورية.

- وتتضح الصورة الإجمالية لهذه الواجبات من صيغة القسم الذى يؤديه رئيس الجمهورية أمام مجلس الامة - الشعب - وهى - كما جاءت فى المادة ١٠٤ من دستور ١٩٦٤م، والمادة ٧٩ من دستور ١٩٧١م ما يلى:

«اقسم بالله العظيم أن احافظ مخلصا على النظام الجمهورى، وأن أحترم الدستور والقانون، وأن أرعى مصالح الشعب رعاية كاملة، وأن احافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه».

ومن واجباته كما جاء ذلك فى الدستورين المشار إليهما:

– أن يضع – بالاشتراك مع الحكومة – السياسة العامة للدولة فى جميع النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية، ويشرف على تنفيذها كما نصت على ذلك المادتان:

المادة ١١٣ من دستور ١٩٦٤م، والمادة ١٣٨ من دستور١٩٧١م.

– ولا يجوز لرئيس الجمهورية – فى أثناء مدة رياسته – أن يزاول مهنة حرة، أو عملا تجاريا، أو ماليا، أو صناعيا، أو أن يشترى أو يستأجر شيئا من أموال الدولة، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئا من أمواله أو أن يقايضها عليها؛ المادة: ١٠٦ من دستور ١٩٦٤م، والمادة: ٨١ من دستور ١٩٧١م.

- ومن البديهى أن واجبات الحاكم أو الرئيس كانت تحتاج إلى تفصيل أكثر من ذلك، ولكن ربما سكت عنها واضعوا الدستور لأنها تتحدد وتعرف بالحديث عن حقوق المحكومين، فكل حق للمواطن قد كفله له الدستور، فإن الأصل فيه أن يتحقق من خلال الرئيس والحكومة والمسئولين فى الحكومة، فهؤلاء جميعا هم الذين يملكون تيسير هذه الحقوق لأصحابها أو منعهم من ممارستها بما لهم من سلطة ونفوذ.

- أما حقوق الحاكم فكثيرة؛ بالنظر إلى تعدد مسئولياته، إذ لكل مسئولية حقوق وواجبات، فهو فى ظل هذين الدستورين مسئول عن كل شيء فى الدولة ابتداء من تعيين نائبه ورئيس مجلس الوزراء والوزراء ونواب الوزراء، وغيرهم، وانتهاء بحقه فى عقد المعاهدات وإبرامها ثم عرضها على مجلس الشعب لإقرارها، وله الرئاسة العليا للجيش وللشرطة وغيرهما.

- ولسنا هنا بصدد التعريف بحقوقه، وإن كنا ونحن نتحدث عن واجبات المحكومين، نضمن ذلك حقوق الحاكم.

جـ - واجبات المحكومين نحو من يحكمهم

فى المجتمع الإسلامى، لا تستقيم للمسلمين حياتهم التى ترضى الله تبارك وتعالى إلا بالتزامهم بمنهجه، وإلا إذا أدى كل واحد من هذا المجتمع واجبه، ومارس حقه، لأن الله تبارك وتعالى هو الذى حَدَّد هذه الحقوق وتلك الواجبات لصالح الإنسان فى معاشه ومعاده، وفى علاقته بكل من له به علاقة.

- وواجبات المسلمين نحو أميرهم أو حاكمهم أو رئيسهم كثيرة، ومتنوعة، ومن أهم هذه الواجبات ما نشير إليه فيما يلى:

- السمع والطاعة للحاكم، ما لم يكن الأمر بمعصية لله ورسوله، وتأصيل هذا الواجب هو قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** (٥٩) ﴾ [النساء: ٥٩].

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك وأثره عليك».

- ويستثنى من هذه الطاعة أن تكون الطاعة فى معصية الله ورسوله، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

- كما يشترط فى هذه الطاعة أن يكون المأمور به فى حدود استطاعة من يطيع الأمر، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول: «فيما استطعتم»، وثانى هذه الواجبات: تقديم النصح لولى الأمر.

فقد روى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

والنصيحة تعنى: حيازة الخير للمنصوح له.

والنصيحة لائمة المسلمين؛ إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهمَ عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم.

ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتى هى أحسن.

وهذا الحديث الشريف: «إن الدين النصيحة...» قال عنه العلماء: إنه أحد أرباع الدين، وقال بعضهم: هو: معظم الدين، وقال بعضهم: هو كل الدين.

وقال الإمام النووى: بل هو وحده محصل لغرض الدين كله؛ لأنه - أى الدين - منحصر فى الأمور التى ذكرها:

● فالنصيحة لله؛

وصفه سبحانه بما هو له أهل،

والخضوع له ظاهراً وباطنا،

والرغبة فى محابه بفعل طاعته،

والرهبة من مساخطه بترك معصيته،

والجهاد فى رد العاصين إليه،

وروى الثورى عن أبى ثمامة صاحب على رضى الله عنه، قال: قال الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله، من الناصح لله؟

قال: الذى يقدم حق الله على حق الناس.

● والنصيحة لكتاب الله؛

تعلمه وتعليمه،

وإقامة حروفه فى التلاوة،

وتحريرها فى الكتابة،

وتفهم معانيه،

وحفظ حدوده،

والعمل بما فيه،

وذب تحريف المبطلين عنه.

● والنصيحة لرسوله؛

تعظيمه،

ونصره حيًّا وميتا،

وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها،

والاقتداء به في أقواله وأفعاله،

ومحبته ومحبة أتباعه.

● والنصيحة لأئمة المسلمين؛

إعانتهم على ما أهملوا القيام به،

وتنبيههم عند الغفلة،

وسد خلتهم عند الهفوة،

وجمع الكلمة عليهم،

ورد القلوب النافرة إليهم،

ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم، بالتي هي أحسن.

● والنصيحة لعامة المسلمين؛

الشفقة عليهم،

والسعي فيما يعود نفعه عليهم،

وتعليمهم ما ينفعهم،

وكف وجوه الأذى عنهم.

وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه[1].

---

(1) الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 1/ 197، ط السلفية، القاهرة: 1407هـ 1986م.

وثالث هذه الواجبات:

نُصرة ولى الامر ومؤازرته فى كل ما يندبهم ولى الامر له، بحيث يخفون إليه فى نشاط وإخلاص.

وهذا الواجب يستدعى أن يكون المسلم مستعدا دائما للمناصرة والمؤازرة، بالجهدوالوقت والمال والنفس، وبكل ما من شأنه أن يشد أزر ولى الأمر.

وفى نصر الحاكم المسلم نصر لله ولرسوله؛ لأنه المأمور بأن يطبق شرع الله فى الناس، ونصره على تطبيق الشرع نصر لله ورسوله.

والمسلم مطالب دائما بأن ينصر من ينصر الله ورسوله ليحظى عند الله تعالى بالفلاح، قال الله تعالى: ﴿ .... فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وقال جل شأنه: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤١].

ورابع هذه الواجبات:

الالتزام بالشريعة فكرا وقولا وعملا وتعاملا مع الآخرين، التزاما دقيقا صحيحا دون إفراط ومبالغة، ودون تفريط وتضييع أو تقصير.

وهذا الالتزام أكبر عون يقدمه المسلم لحاكمه المسلم، لأنه بذلك ييسر له عمله، ويعفيه من جهود ضخمة يبذلها الحاكم فى تعقب غير الملتزمين وتطبيق حدود الله تعالى عليهم.

إن هذا الالتزام يسهم فى استقرار الأمن، ويساعد على نشر العدل ورفع الظلم، وزيادة التعاون بين الناس على البر والتقوى، بل هو الذى يجلب للناس كل مصلحة ويدفع عنهم كل مضرة. من أجل هذا كان التزام المسلم بمنهج الله خير عون للحاكم على العمل بما أنزل الله، ومن أجل ذلك كان واجبا من واجبات المسلمين نحو حكامهم.

وبعد :

فتلك هى طاعة ولى الأمر؛ أى الحاكم أو الأمير أو كل من تولى مسئولية بصورة شرعية، وهذا النوع من الطاعة يكمل الأنواع الأخرى التى ذكرناها آنفا والتى سنذكرها فى النقطة التالية من هذا الموضوع، والله المستعان .

خامسا:

طـاعــة المُرَبّـي

المربّى الذى نعنيه فى هذه الدراسة هو: من يتولى تربية غيره من المسلمين صغارا أو كبارا فى مجالين اثنين أو فى مكانين اثنين هما:

- الحلقة العامة فى المسجد،

- والحلقة الخاصة فى المسجد أو فى أى مكان آخر.

● والتربية الإسلامية التى نعنيها فى هذه الدراسة، هى: التربية الإسلامية بمفهومها الشامل المتكامل الذى يتناول كل جوانب شخصية المسلم:

الروحية، والخلقية، والعقلية، والبدنية.. الخ[1].

وذلك أن هذا المربى يختلف عن غيره من المربين؛

- فمن المربين من يعنى بالجانب العقلى وحده وربما بجانبه الجانب الثقافى - كما تفعل المدارس فى بلدان العالم الإسلامى معظمه.

- ومن المربين من يعنى بالجانب الروحى وحده، وربما صاحبه الجانب السلوكى - كما يفعل بعض المتصوفة أو المنخرطين فى الطرق الصوفية.

- ومن المربين من يعنى بالجانب العقيدى وحده، وربما صاحب ذلك عناية بالفكر وتنقيته من الشوائب التى تسيىء إلى العقيدة كما تفعل ذلك الجماعة السلفية.

- ومن المربين من يعنى بالجانب التعبدى فى الفرد، ويعتبرون الدعوة إلى الله وتبليغها للناس جزءا من العبادة لله، كما تفعل ذلك جماعة التبليغ.

- ومنهم من يعنى بإعداد المسلم إعدادا جهاديا، لمقاومة ومجاهدة أعداء الإسلام، وربما عنوا إلى جوار ذلك بتقوية البدن لتتحمل أعباء الجهاد، ولكنهم يتجاوزون الأصل فى

---

(١) وهى عشرة جوانب؛ الأربعة المذكورة فى صلب الكتاب ثم:
التربية الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والجهادية، والجمالية. وقد أنجزنا منها ثلاث حلقات نشرتها دار التوزيع والنشر الإسلامية، وسنوالى نشر باقيها إذا أذن الله ووفق وأعان.

تصنيف أعداء الإسلام، فربما جعلوا منهم من ليس عدوا!! كما تفعل جماعة الجهاد.

- ومنهم من يعنى بإعداد الجانب السياسى فى الإنسان على اعتبار أن الجانب السياسى يمكنه من الإسهام الفعال فى المجتمع الذى يعيش فيه، كما تفعل ذلك الأحزاب السياسية - فى بعض بلدان العالم الإسلامى -.

- وكل هؤلاء لا يعنون بالتربية الإسلامية الشاملة التى تتناول كل جوانب حياة الإنسان، وفى غالب الأحيان يكون الاعتناء بجانب واحد من شخصية الإنسان على حساب الجوانب الأخرى التى تمثل الشخصية المتكاملة كما أراد الإسلام أن يربيها.

- وقد تصدينا لتعريف التربية الإسلامية فى أكثر من كتاب من كتبنا، مما يعفينا هنا من إعادته مفصلا [1]، ولكننا نشير هنا إلى التذكير بهذا التعريف وفى التذكير نفع للمؤمنين.

- فالتربية - كما قلنا فى تلك الكتب التى أشرنا إليها - هى:

النظام الاجتماعى الذى جاء به الإسلام، ليتحدد من خلال هذا النظام الأثر الفعال للمؤسسات التالية:

- الأسرة: بمفهومها الضيق المنحصر فى الأبوين والأقارب والأرحام وبمفهومها الواسع الذى يدخل فيه الجيران والأصدقاء بل المجتمع كله، وما يسوده من قيم ومفاهيم صحيحة.

- والمسجد: وما يمارس فيه من عبادات، وما يتركه المسجد فى نفوس المترددين عليه من آثار عميقة فى أرواحهم وأخلاقهم وعقولهم وسلوكهم كله.

بل ما يدور فى المسجد من دروس وحلقات وخطب وعظات، وما لكل ذلك من أثر فى نفوس الناس يحببهم فى المسجد وفى الناس المترددين عليه، والقائمين على الأنشطة فيه، عبادية وثقافية وغيرها.

- والمدرسة: وبخاصة عندما يكون توجهها إسلاميا، وما تسهم به المدرسة فى تكوين شخصية المتعلم من جميع جوانبها دون الاكتفاء بالجانب الثقافى وحده - كما هى الحال فى معظم المدارس فى العالمين العربى والإسلامى.

---

(١) من ذلك سلسلة: مفردات التربية الإسلامية التى صدر منها ثلاث حلقات، وكتاب تربية النشئ المسلم، وكتاب منهج التربية وكتاب وسائل التربية..

وبعد هذا التذكير النافع بإذن الله تعالى، نحب أن نُورد حديثا فى نقاط ثلاث هى :

مؤهلات المربى،

وواجباته نحو من يربيهم،

وحقوقه على من يربيهم.

والله المستعان

أ - مؤهلات المُربِّي

المربى الذى نعنيه - هنا - هو المربى الذى تخرج فى المسجد بعد طول تردد عليه، ودقة إصغاء لما يقال فيه، وشدة إقبال على التعبد فيه، وقوة رغبة فى التقرب إلى الله تعالى بخدمة عباده المسلمين، إلى جانب ما يحمله من مؤهلات علمية وعملية تمكنه من القراءة وتحصيل الثقافة العامة والثقافة الإسلامية.

- إنه المربى الذى لا يتقاضى من غيره أجرًا على عمله وإنما يقوم بذلك إرضاء لله تعالى واستجابة لما أمره به من تبيين ما يعلم للناس، محتسبا فى كل هذا الجهد أجره عند الله تبارك وتعالى.

- هذا المربى الذى تجب طاعته - كما سنوضح - ليس مربيًا عاديا، ولكنه من نوع خاص من المربين، تتوفر فيه صفات عديدة لا يستطيع بغيرها أن يمارس التربية الإسلامية الصحيحة لغيره عن الناس.

- ومن أبرز هذه الصفات: «حسن الخلق».

فمن المقرر فى الإسلام أن حسن الخلق يكمل الإيمان، ولا يستطيع أن يربى على أخلاق الإسلام من كان غير مكتمل الإيمان بحسن خلقه.

فقد روى أحمد، وأبو داود وابن حبان والحاكم فى مستدركه بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا».

ولقد شرحت السنة النبوية حسن الخلق فى حديث شريف رواه الطبرانى فى «الأوسط» بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقًا؛ الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

فالمربى يجب أن يكون موطأ الكنف؛ أى لين الجانب دمث الخلق كريمًا مضيافًا، سهلاً ييسر على الناس ما يحتاجون إليه.

والمربى لابد أن يكون مئلافا للناس محبا للخير لهم، وأن يكون مألوفا لديهم محبوبا متقبلا.

هذا هو حسن الخلق كما شرحه هذا الحديث الشريف.

● ولأن مهمة المربى هى مهمة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، كان من اللازم أن يتصف المربى بحسن الخلق الذى وصف به الله تعالى خاتم أنبيائه محمداً ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ④﴾ [القلم: ٤].

● وهذا الخلق العظيم أو الخلق الحسن فسرته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. ثم قرأت: ﴿قد أفلح المؤمنون..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ وقالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ.

● ولنقف عند هذه الصفات التى كان عليها خلق رسول الله ﷺ، والتى ينبغى أن يكون عليها كل مشغول بتربية غيره من المسلمين، وهى:

- ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾

- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ١٢].

● إن هذا المربى إذا توفرت فيه هذه الصفات، فقد ارتقى وتقدم فى الجوانب التى لابد للمربى أن يرتقى فيها ويتقدم وهى:

- الجانب الروحى بالإقبال على طاعة الله تعالى، والتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه، فإذ أحبه الله، هيأ الخلقه أن يحبوه، وتلك من علامات التوفيق فى المربى، أن يحبه من بربيهم.

- والجانب الخلقى، بالتحلى بالفضائل، والتخلى عن الرذائل، واجتناب الصغائر، ومن كان كذلك كان جديراً - بخلقه هذا - أن يعبر عن الإسلام الذى يربى الناس على قيمه وآدابه.

– وعقليا، بالتفكر والتدبر فى مخلوقات الله تعالى، والذى يبدؤه بالتفكر فى نفسه وفيما حوله، ثم فى الآفاق والكون كله، فإن ذلك يشحذ العقل ويعمق الفكر ويهدى إلى الصواب، وما أحوج المربى إلى هذا العقل المستنير وهذا الفكر الثاقب.

– وبدنيًا؛ بأن يأخذ بأسباب قوة البدن وينأى عن أسباب ضعفه، موقنا بأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، لأن من يتصدى لتربية غيره لابد له من بدن قوى يستطيع حمل أعباء التربية، وما تستوجبه من قراءة ودعوة وحركة وعمل.

– واجتماعيا؛ بأن يحب الاختلاط بالمسلمين، ويحب تقديم الخير إليهم، ليعلمهم حب الخير، ويشجعهم على الاجتماع عليه وتقديمه للناس دون مقابل، وإنما هو لوجه الله الكريم، ولا يُنضح الحسُّ الاجتماعى لدى المربىّ إلا هذا الاختلاط بالناس وتقديم الخير لهم، والصبر على ما يبدر منهم من أنواع الأذى، فتلك شخصية المربى، وهذا نضجه الاجتماعى المطلوب.

– وجهاديا؛ بأن يكون قد أعد لنفسه برنامجا يقوى روحه وخلقه وعقله وبدنه، بحيث يصبح لديه الاستعداد لأن يستجيب لداعى الجهاد فى سبيل الله إذا دعاه، فإن هذا المربى أدرى الناس بأن الجهاد فى سبيل الله تعالى هو ذروة سنام الإسلام، وأن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة يُطالَب بها كل مسلم قادر عليها، ومن أولى بذلك من المربى؟ وممن يربيهم تربية إسلامية؟

– وجماليا ؛ بأن يكون رجلا يحسّ بجمال الكون الذى يعيش فيه وجميل ما صنع الله فيه من ناس وأشياء، ليزداد بهذا الإحساس إيمانا بالله وبعظمة خلقه وجميل صنعه، حتى يستطيع أن يربى غيره على هذا الإحساس بالجمال، وبغير هذا الإحساس بالجمال وبغير تقدير عظمة الله فى جميل صنعه، فكيف يُرَبَّى الإنسان تربية إسلامية؟

● وهذا المربى رجل دعوة، ورجل حركة، ورجل تنظيم وإدارة؛ أى قيادة، وكل من يتصدى للتربية الإسلامية فلابد له من ممارسة الدعوة والحركة والتنظيم، وإلا اختلط الذين يربيهم بعضهم ببعض ، قويهم بضعيفهم، والمتميز منهم مع غير المتميز، فاضطرب فى اختيار البرنامج الذى يربيهم عليه، إذ لايوجد برنامج تربوى صالح يتجاهل الفروق الفردية بين الناس، ولا يوجد وعاء زمنى واحد ينضج فيه النابه والبليد واللماح والغافل، إذ لكل ما يناسبه من البرامج ومن الأوعية الزمنية الملازمة.

● ولنلق ضوءاً على كل نوع من هذه الأنواع فى العمل التربوى:

الدعوة والحركة والتنظيم.

– ففى المجال الدعوى من هذه التربية يدرك المربىّ أنه بهذه التربية الإسلامية داعية إلى الله، وأن مضمون التربية الإسلامية لا يختلف عن مضمون الدعوة إلى الله، ومعنى ذلك أنه يجب أن تتوفر فيه الصفات التالية:

● العلم الواعى بمفردات التربية التى يريد أن يوصلها إلى من يربيه، وبشرط أن تكون هذه المفردات نابعة من الإسلام أو لا تتعارض مع شىء من قيمه.

● والمعرفة الجيدة بأهداف هذه التربية الإسلامية وهى فى جملتها: تكون الإنسان تكوينا إسلاميا صحيحا ينفعه فى دينه ودنياه، ويمكنه من الإسهام فى بناء بيت مسلم والمشاركة فى بناء مجتمع مسلم.

● والمعرفة الدقيقة بوسائل التربية الإسلامية، وعلى رأس هذه الوسائل إعطاء القدوة من نفسه وخلقه وسلوكه، وربط من يربيه بالعقيدة والمبدأ لا بالأشخاص والزعماء، واتخاذ المسجد مرتكزا ومنطلقا لتوصيل هذه القيم الإسلامية إلى من يربيه، والحوار والمناقشة واحترام الرأى الآخر، وممارسة الشورى فى تعامله مع من يربيهم.

●وتقدير المدة الزمنية الكافية لتربية هذا المسلم، تقديرا دقيقا يناسب ما عرفه عن هذا الفرد من استعدادات ومواهب؛ حتى يستثمر هذا الوقت فى تنمية هذه الاستعدادات وتغذية هذه المواهب.

– وفى الجانب الحركى من هذه التربية، يدرك المربى أنه رجل حركة ميدانى، يجب عليه أن تتوفر فيه صفات بعينها هى:

● القدرة بل الحب للاختلاط بالناس، والإقبال عليهم، ومعرفة ظروفهم والتعامل مع كل فرد بما يناسب ظروفه، وليس بمربٍّ ذلك الذى يؤثر العزلة عن الناس، إلا لفتنة عامة – أعاذنا الله منها –، ولهذا الاختلاط بالناس مشاقه ومتاعبه، وما يستوجبه من الصبر، بل الصبر الجميل.

● والقدرة على جمع من يربيهم على الحق وحفزهم على التواصى به والصبر عليه، ولن يستطيع ذلك إلا إذا كان هو محبا للحق ، مضحيا فى سبيله.

● والقدرة على التأثير فيمن يربيهم تأثيرا إيجابيا يجذبهم إلى القيم التى يربيهم عليها بل يحببهم فى التمسك بها، وينفرهم من التخلى عنها.

● والقدرة على تصنيف من يربيهم حسب قدراتهم ومواهبهم وجعل كل مجموعة متقاربة فى الصفات بعضها مع بعض، حتى يمكنه أن يختار لهم من البرامج والوسائل ما يناسبهم.

ومعايير التصنيف كثيرة منها:

التقارب فى العمر،

والتقارب فى الثقافة العامة،

والتقارب فى المؤهلات التعليمية،

والتقارب فى القدرات والمواهب،

والتقارب فى الانفعالات،

و التقارب فى المسكن ، وغير ذلك من المعايير التى لابد أن تراعى فيمن يربون تربية إسلامية.

– وفى المجال التنظيمى القيادى فى التربية؛ على المربىّ أن يدرك أنه لن يقوم بعملية التربية خير قيام؛ إلا إذا توفرت فيه الصفات التالية؛ ليكون شخصية قيادية:

● حسن المظهر التابع لحسن الجوهر والمخبر،

● وحسن السمت والوقار وترك الهذر والهزل؛ إلا لضرورة وبحيث لا يقول إلا حقا وهو يمزح.

● والانضباط والاتزان، والابتعاد بقدر ما فى استطاعته ، عن الخفة والنزق وسرعة الانفعال، والمبالغة فى إصدار الحكم على الناس والأشياء.

● إعطاء القدوة من نفسه فى كلامه وسكوته وعمله وتركه، بحيث يكون فى ذلك كله أنموذجا للقيم الإسلامية التى يربيهم عليها، ويا سوأة أن يخالف ظاهره باطنه، فإن ذلك لا يصلح للتربية الإسلامية إلا أن يتوب ويعتدل.

● والتعاون مع من يربيهم فيما كلفهم به من أعمال، فإنه والد لهم إن كانوا صغارا، وأخ لهم

إن كانوا كبارا، وهذا هو شأن الوالد والأخ الأكبر فى ديننا الحنيف.

- والابتعاد دائما عن التسلط عليهم، وإصدار الأوامر إليهم؛ إذ الأصل أن تؤخذ الأمور كلها بالرفق لا العنف، وبالأخوة والمودة فى الله.
- والقدرة على التحليل والاستنباط، فإن عملية التربية تتضمن بالضرورة مواقف عديدة، كل موقف منها يحتاج إلى تحليل دقيق مُتأنٍ مُتَروٍّ، حتى يجيء الاستنباط صحيحا وملائما للموقف غير مخلٍ بجانب من الجوانب.
- والقدرة على الحسم واتخاذ القرار، بعد المشورة والاستماع إلى الرأى الآخر، مع القدرة على التغيير نحو الأحسن.
- والقدرة على المتابعة الهادئة الهادفة التى تؤدى إلى تقويم العمل وتجويده، ومعاونة المتربى على أن يحقق أهدافه.
- وهذه المؤهلات، التى يجب أن تتوفر فى المربى لتؤهله للقيام بهذا العمل؛ بعضها فطرى يعد منحة من الله تعالى، وبعضها يستطيع أن يكتسبه المربىّ بنفسه.
- أما هذه المؤهلات الفطرية فيمكن أن نقسمها إلى ثلاث طاقات يمنحها الله من شاء من عباده، ولكنها ضرورية لمن يمارس التربية لغيره من الناس، بحيث يمكن القول بأن من فقدها لا يستطيع أن يمارس هذه التربية.

وتلك الطاقات هى:

أولا: الطاقة العقلية:

وهى تتمثل عموما فى الذكاء وهو منحة من الله تعالى يخضع للعوامل الوراثية فيوجد أو لا يوجد، أما العوامل البيئية فهى تحدد مدى نمو هذه القدرة أو الطاقة.

فالذكاء قدرة عقلية تعتمد على قدرة صاحبها على القيام بالأعمال التالية:

- التجريد: وهو القدرة على عزل صفة أو علاقة عزلا ذهنيًا، وقصر الاعتبار عليها، أو على ما يترتب على ذلك.
- والحُكم: وهو العلم والتفقه لمعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، للوصول إلى القدرة على الحكم على الناس والأشياء حكما صائبا.

● والنقد: وهو تمييز الجيد من الرديء، ولا يكون ذلك إلا بعد تجربة واختبار لمعرفة أسباب الجودة وأسباب الرداءة، وإنما يكون ذلك عن بصر وذكاء.

● والابتكار: وهو الإبداع على غير مثال سابق.

– ومما يعين المربى على ذلك أن تكون لديه قدرات بعينها، من أهمها ما نذكر بعضها فيما يلى:

● القدرة على استخدام الخبرات السابقة، لمواجهة المواقف المستحدثة والتعامل معها بنجاح.

● والقدرة على إدراك العلاقات بين الأشياء، وإدراك متعلقات هذه الأشياء.

● والقدرة على الموازنة بين الناس، والموازنة بين المواقف، والموازنة بين الأشياء.

● والقدرة على التحليل والتفصيل، وتحويل الكلى إلى أجزاء والغوامض إلى واضحات.

● والقدرة على تعديل الأنماط السلوكية لتلائم المواقف الجديدة، وعلى تكوين أنماط سلوكية جديدة.

ثانيًا: الطاقة الروحية:

وهذه الطاقة الروحية يحركها الإيمان، ويحدد أبعاد حركتها الإسلام، ويوجهها نحو الأرضى لله الإحسان.

– فالمربى يحتاج إلى أن تكون روحه قوية؛ أى عامرة بالإيمان، ملتزمة بالإسلام، متحلية بالإحسان فى كل موقف ومع كل أحد.

– ومما يعين المربى على أن تكون روحه هكذا، أن تكون لديه الصفات التالية:

● يقظة روحه وسرعة استجابتها لما حولها من مخلوقات الله تعالى؛ مما يزيد فى يقظتها.

● وصحوة مشاعره وأحاسيسه، وغيرته على الحق، وتمسكه به وصبره على متاعبه.

● وتصفية روحه من شوائب الخرافة والجمود وترهات الأباطيل؛ بحيث تكون روحه معلقة بما عند الله من حق ويقين.

● والإقبال على العبادة والتقرب إلى الله بالنوافل وبكل ما ندب إليه من أعمال طيبة.

● والطموح إلى المثال فى كل أقواله وأعماله وتعاملاته، مع الناس، والمثال أو الأنموذج أو المثل الأعلى هو ما كان عليه الرسول ﷺ من صفات، وللمسلمين جميعا فيه أسوة

حسنة، لأن المسلمين يرجون الله واليوم الآخر، ولو حرص المسلم على أن يتصف بصفات النبى ﷺ لكانت روحه أصفى ما تكون الروح.

ثالثا: الطاقة البدنية :

وقوة البدن نعمة من الله يمنحها من شاء من عباده، وعلى مَنْ مُنحَ هذه النعمة أن يحافظ عليها بأن يأخذ بأسباب قوة البدن، وأن يباعد بين نفسه وبين كل ما يضعف هذا البدن.

– ومن كان ذا بدن قوى فإنه يتمكن من أداء عمله بسلاسة وقوة وتصميم وإصرار على الإنجاز، فإذا ضعف هذا البدن لم يتمكن المربّى من ممارسة التربية الإسلامية.

– ومما يساعد على أن يظل البدن قويا، ويظل صاحبه قادرا على ممارسة التربية الإسلامية، أن يراعى صاحب البدن الصحيح الصفات التالية:

- الأخذ بأسباب قوة البدن من الاعتدال فى الغذاء والنوم واليقظة، وممارسة الرياضة البدنية، والابتعاد بكل وسيلة عن المكيفات والمنبهات، والابتعاد عن الإسراف فى أى شىء.
- والمحافظة على سلامة الحواس، باستعمال هذه الحواس باعتدال وإلزامها بالابتعاد عما حرّم الله تعالى.
- ومجاهدة نزعات الهوى والشهوات، وعصيان الشيطان فيما يوسوس به من شر وضرر؛ لأن اتباع الهوى والشهوات والشياطين مفسدة للبدن ثم مهلكة له.
- والانضباط فى المطعم والمشرب والملبس والمسكن، وسائر الرغبات الإنسانية، فكل إخلال بالانضباط فى هذه الأمور إضعاف البدن، يحول بين الإنسان وبين القيام بواجباته العامة، وواجباته فى تربية غيره من الناس.
- وممارسة عمل من أجل الكسب والعيش، مهما كان الإنسان موسرا؛ لأن العمل مطلب شرعى فى ذاته وتنشيط للبدن وإعطاؤه قوة على ممارسة الحياة بكل متطلباتها، والمربى لغيره على القيم الإسلامية لا يجوز له أن يكون بلا عمل؛ أى مخالفا للفطرة التى فطر الله عليها الإنسان.

تلك هى المؤهلات الفطرية التى لا بد منها لكل من يعمل بتربية غيره تربية إسلامية، ومن فقدها صعب عليه ممارسة هذا العمل التربوى.

- وأما المؤهلات المكتسبة: فيمكن أن نقسمها – كذلك – إلى ثلاثة أقسام أو جوانب هى:

- جانب الثقافة نظرية وعملية،

- وجانب الأخلاق والسلوك،

- وجانب القيادة والريادة.

ولكل جانب من هذه الجوانب عندنا حديث، نرجو أن نوضح به ما نريد، والله المستعان.

أولا : الجانب الثقافى فى المُرَبِّى:

وهذا الجانب فى المربى هو الزاد الذى يتزود به التربوى فى عمله، أو هو الرصيد الذى ينفق منه فى هذا العمل الخطير.

وما أتعس المربى حين يكون بغير زاد أو بغير رصيد!!!

● غير أن هذه الثقافة ذات شعب عديدة، وهى شعب متكاملة لا يغنى بعضها عن بعض.

- وإذا كانت الثقافة هى: العلوم والمعارف والفنون التى يطلب من الإنسان- ليكون مثقفا- أن يتقنها، فإن المربىّ لغيره تربية إسلامية بحاجة إلى شعب عديدة من شعب هذه الثقافة.

- وإذا كانت الثقافة - كما يرى علماء الاجتماع - هى: الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك الذى يتكون فى أى مجتمع من المعتقدات والقيم والعلوم والفنون والقوانين والعادات، سواء أكانت هذه الثقافة مادية كالأشياء التى يصنعها الإنسان، أوغير مادية كالمعايير والمعتقدات والمعارف والاتجاهات، فإن المربىّ لا يستطيع بحال من الأحوال أن يعيش بمعزل عن هذه الثقافة وهو يربى فرداً أو أفراداً فى المجتمع.

فما هى الثقافة التى يحتاج إليها المربىّ لغيره تربية إسلامية؟ إنها نوعان من الثقافة:

ثقافة نظرية،

وثقافة عملية سلوكية.

ولكل منهما فروع.

● أما الثقافة النظرية التى يحتاج إليها المربِّى فهى شعب ثلاث:

- الشعبة الأولى :

الثقافة الدينية العامة :

وذلك أن هذا المربِّى يُربى تربية إسلامية، والإسلام خاتم الأديان، ومنه وبه تعرف الأديان

وتصدق كتبها أو يكشف ما بها من تحريف وتبديل، فلابد للمربى تربية إسلامية أن يلم بمعرفة الأديان التى سبقت الإسلام فى الظهور، ومن أجل هذا كان من الضرورى لهذا المربى أن يحيط علما بالقضايا المتصلة بالأديان السابقة مثل:

- قضية الألوهية والتوحيد فى تلك الأديان،
- وقضية النبوة، والمعجزات،
- وقضية الملائكة، والكتب السماوية،
- وقضية الشياطين وقوى الشر،
- وقضية اليوم الآخر والحساب والثواب والعقاب .

ومصادره فى ذلك كله هى المصادر الإسلامية التى تكفل الله تعالى بحفظها وهى الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة الرسول ﷺ .

- وتاريخ الأنبياء قبل محمد ﷺ .
- وتاريخ المؤمنين بالأنبياء والمكذبين لهم.

- **والشعبة الثانية:**

الثقافة الإسلامية

وهى ضرورة ملحة لكل من يشغل نفسه بالتربية الإسلامية، إذ كيف يربى على القيم الإسلامية من لا يعرف الإسلام؟

ومعنى ذلك أن هذا المربى يحتاج بإلحاح إلى ما يلى:

- معرفة جيدة بالقرآن الكريم، تلاوة وحفظا وفهما، وعملا وتطبيقا، بحيث يكون القرآن الكريم همه فى عمله التربوى.
- ومعرفة جيدة بسنة النبى ﷺ القولية والفعلية والتقريرية، مع حفظ أكبر قدر من الأحاديث، وفهمها ومعرفة كيفية شرحها وتفصيلها للقرآن الكريم.
- وإحاطة بسيرة النبى ﷺ فى مكة المكرمة، وأخذ العبرة فى الصبر والتحمل من هذه المرحلة، وفى المدينة المنورة، ومعرفة التأسى فى إقامة الدولة والتعامل مع المسالمين لها أو

المحاربين المعادين، والتأمل الطويل فى تاريخ حروبه ﷺ، لمعرفة أدبيات هذه الحروب ومشروعيتها وأهدافها، وتحديد المعنى الدقيق للجهاد فى سبيل الله.

- والدراسة المستأنية لتاريخ الصحابة رضى الله عنهم، ومعرفة جهودهم فى نشر الإسلام، وفى مواجهة أعداء الإسلام.

- والإلمام الجيد بالفقه الإسلامى، ومعرفة قدر من أصول هذا الفقه، وتعرف قضاياه ومسائله، وجهود العلماء فيه، وأخذ فكرة عن مدارسه ومذاهب العلماء فيه.

- ودراسة التاريخ الإسلامى فى عصوره الزاهية، لأخذ العبرة من أحداثه، مع التركيز على معرفة الأسباب التى أدت إلى سقوط بعض دول المسلمين، لتجنب الوقوع فيها.

- ومعرفة جيدة بتاريخ الدعوات والحركات الإصلاحية التى كانت تنتمى إلى الإسلام، مع التركيز على معرفة قادتها وأساليبهم فى العمل ومدى ما حققوا من نجاح.

- ومعرفة جيدة بالتيارات المعادية للإسلام والمسلمين تستهدف معرفة مخططاتها وبرامجها وأهدافها ووسائلها، وبخاصة التيارات التالية:

- الصهيونية أو اليهودية أو العبرية ومدى ما تضمره من حقد وشر على الإسلام والمسلمين.
- والصليبية القديمة والحديثة ومدى ما قامت به من أعمال وحشية ضد الإسلام والمسلمين.
- والإلحاد بوصفه موجة عاتية تحاول دائما أن تهدم العقيدة فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.
- والشيوعية وما دبرته من مؤامرات للاستيلاء على بلدان المسلمين والقضاء على كل ما هو إسلامى.
- وحملات التشويه التى يوجهها بعض المستشرقين ضد الإسلام بالتهجم على القرآن الكريم والسنة النبوية وشخص الرسول ﷺ. وبعض الصحابة رضوان الله عليهم، وكثير من المصلحين المسلمين على مر التاريخ.
- وحملات التشويه والتضليل التى يوجهها بعض من تسموا بأسماء المسلمين، وهاجموا القرآن الكريم فطالبوا بإعادة النظر فى نصوصه؛ لأنها لم تعد ملائمة للعصر الذى يعيشون فيه، وهاجموا السنة النبوية، بل هاجموا العقيدة الإسلامية واتهموها بالتخلف والجمود

والرجعية وبأنها ضد الابداع وضد الابتكار والتطور.

دراسة ذلك ومعرفة الردود على هذه الشبهات ودفع تلك الاباطيل.

– ودراسة العالم الإسلامى اليوم؛ شعوبه وبلدانه، وقضاياه، ومشكلاته، وأعدائه وأصدقائه، وما لديه من إمكانات.

– ومعرفة ما تعانيه الاقليات المسلمة، وما تحتاج إليه من معونات مادية أو معنوية.

كل تلك الأمور والقضايا من الثقافة الإسلامة التى يجب أن يعرفها من يتصدى لتربية غيره تربية إسلامية وهى تمثل جانبا من جوانب ثقافته النظرية عند الدراسة والتحليل، والعملية عند الحركة ومدّ يد العون.

– والشعبة الثالثة:

الثقافة العامة فى الحياة.

وهى ضرورة للمربى؛ لأنها تفتح أفقه، وتغذى شخصيته بما هو ضرورى له من المعلومات التى لا يستغنى عنها من هو مشغول بالتربية.

ومن مفردات هذه الثقافة العامة ما نشير إلى بعضه فيما يلى:

– دراسة المذاهب السياسية المعاصرة، وبخاصة ما ظهر أخيرا عن «النظام العالمى الجديد» لمعرفة موقفها من المسلمين.

– ودراسة المذاهب الاقتصادية ومعرفة ما يلائم القيم الإسلامية من هذه المذاهب وما يعارضها، مع التركيز على قضية الاقتصاد الإسلامى نظريا وتطبيقيا.

– ومعرفة المذاهب والنظريات الثقافية والفكرية، وما يتفرع عنها من مناهج وبرامج، وموقفها من الإسلام والمسلمين وموقف المسلمين منها.

– ودراسة جغرافية تاريخية سياسية لأهم دول العالم المعاصر إسلامية أو غير إسلامية، ومعرفة موقفها من الإسلام والمسلمين.

– ودراسة كافية عن المنظمات العالمية السياسية والاقتصادية والفكرية مثل:

- هيئة الأمم المتحدة.
- ومجلس الأمن، ومدى ما لهما من مصداقية فى تحقيق الأهداف التى نصت عليها وثائقهما، وكارثة حق الفيتو «الاعتراض.

● وصندوق النقد الدولى وسياسته،

● والبنك الدولى،

● والمنظمات المتفرعة عن هيئة الأمم المتحدة.

– ودراسة جيدة عن الاستشراق أهدافه ووسائله ومؤسساته وأهم الدول التى تنفق على أعماله وأبرز رجاله، وأشهر ما كتب فيه.

كل تلك ثقافة يجب أن يتزود بها من يمارس تربية غيره من المسلمين فإن لم يفعل، فقد قلّت مؤهلاته فى هذا المجال، وبالتالى ضعفت صلاحيته لعملية التربية.

● وقد يتصور بعض الناس أن الإلمام بكل تلك الجوانب الثقافية عسير أو مكلف من الجهد ما لا يحتمل!!!

والحق أن المربّى يحتاج لكل ذلك، ولو وضع لنفسه برنامجا يواظب على تطبيقه فى القراءة والتزود المستمر لهان عليه أن يلم بذلك وبأكثر منه، ولكن المشكلة الحقيقية هى أن يجهل هذه المطالب، أو يعرفها ولا يضع لنفسه برنامجا يمكنه منها، أو لا يداوم على الاطلاع!!!

ثانيا : جانب الأخلاق والسلوك فى المربّى.

ربما كان هذا الجانب ترجمة عملية لجانب الثقافة بشُعبها الثلاثة التى ذكرناها آنفا، بل ربما كان هذا الجانب هو الترجمة العملية للإسلام كله؛ لأن الأخلاق القويمة والسلوك المنضبط من صميم الإيمان والإسلام، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا...».

● وهناك معالم بارزة لأخلاق المربّى لابد له منها، بل هى مؤهلاته الحقيقية لكى يمارس التربية الإسلامية لغيره من الناس، من تلك المعالم ما نشير إليه فيما يلى:

– على المربّى ألا يكتفى فى خلقه وسلوكه بأداء الفرائض والواجبات، وإنما يلزم نفسه بممارسة النوافل والمستحبات، حتى يعطى لمن يربيهم القدوة، ويترك فيهم أحسن الأثر.

– وعليه ألا يكتفى بالابتعاد عن الكبائر والمنكرات، وإنما يلزم نفسه بالابتعاد عن الصغائر ومظان الشبهات، وذلك من أجل أن يكون أنموذجا حيًّا لما يربى الناس عليه، ولكى يستبرئ لدينه وعرضه، فلا يقع فى حرام.

– وعليه ألا يكتفى بأن ينتصر لنفسه عندما يقع عليه ظلم من أحد، وإنما يعفو ، فيصلح

بذلك العفو ما بينه وبين الناس، استجابة لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) ﴾ [الشورى: 40].

– وعليه ألا يكتفى بأن يكون على درجة العدل فقط، وإنما يلزم نفسه بأن يكون على درجة الإحسان، ومعنى ذلك أنه لا يأخذ الذى له ويعطى الذى عليه، وإنما يأخذ أقل مما له ويعطى أكثر مما عليه، وذلك مقتضى الإحسان، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195) ﴾ [البقرة: 195].

- **تلك هى المعالم البارزة لأخلاق المربى وسلوكه، لا يمكنه أن يتجاهلها أو يتجاهل شيئا منها ثم يدعى أنه يحسن تربية غيره تربية إسلامية.**
- **وهناك صفات أخرى يجب أن يتحلى بها المربى، وهى صفات مطلوب أن يتحلى بها كل مسلم، ومطلوبة من المربِّى من باب أولى، وتلك الصفات هى ما يلى:**

– الرفق:

وهو اللين ورقة الجانب وحسن الصنيع.

وقد روى أبوداود بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال لى رسول الله ﷺ: «يا عائشة ارفقى، فإن الرفق لم يكن فى شىء قط إلا زانه، ولا نزع من شىء قط إلا شانه».

وفى الرفق والعفو والتسامح جاء قول الله تعالى يخاطب رسوله الخاتم ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) ﴾ [آل عمران: 159].

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها، قالت: إن النبى ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على سواه».

وروى مسلم بسنده عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله».

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

- **والألفة أو التودد إلى الناس :**

وهى صفة رئيسة وأساسية فى المربّى، لا يستطيع بغيرها أن يصل إلى قلوب من يربيهم وعقولهم، وإذا لم يصل إلى قلوبهم وعقولهم لم تصل إليهم القيم التى يربيهم عليها.

فهو يربيهم على الإيمان بالله ورسوله، والجهاد فى سبيله، وكل ذلك يحتاج إلى جهد ومعاناة، وما لم يكن الذى يربّى محبوبا لهم مألوفا لديهم، متوددا إليهم، فلن يقبلوا منه ما يربيهم عليه.

وقد روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «المؤمن مألف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

وروى مسلم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشَجِ عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

- **والصبر على الناس ومداراة سفهائهم:**

إن الصبر فى عمومه صفة محمودة، بل هو من أحب صفاة الإنسان إلى الله وإلى الناس، والصبر على الناس بتحمل أخطائهم ومداراة السفهاء منهم من أهم صفات من ينشغل بتربية الناس تربية إسلامية.

والصبر يعنى حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع؛ أى الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصى، والمربى المطيع لربه المبتعد عن معاصيه هو المربى الحق.

والمربى المؤهل لعملية التربية يحتاج إلى الصبر بكل معنى من معانية، ومعانى الصبر كثيرة ذكرنا بعضها آنفا، ونذكر منها:

الصبر بمعنى: الشجاعة فى الحرب والإقدام عليها وعدم الفرار،

والصبر بمعنى: الرضا بقضاء الله وقدره، مهما تكن المصيبة،

والصبر بمعنى: الإمساك عن الكلام لغير فائدة أوضرورة،

والصبر بمعنى: احتمال سفه السفيه حتى يرعوى،

والصبر بمعنى: تحمل الأذى فى سبيل الله تعالى،

والصبر بمعنى: الانتظار لما هو حق، والانتظار لإحقاق الحق.

● والمربى محتاج لكل نوع من أنواعه التى ذكرنا؛ لأن التربية الإسلامية الحقة تربى الناس على كل هذه المعانى من الصبر لأنها معان لابد منها للإنسان فى حياته وفى تعامله مع سواه.

- والبذل والتضحية:

وذلك أن وضع هذا المربّى ومكانه ومكانته من نفسه وممن يربيهم توجب عليه أن يكون باذلا لما عنده من العلم والمعرفة، ناشرا لكل ما يعرف من قيم إسلامية فى نفوس من يربيهم، ولا يتم له ذلك إلا إذا ضحى بوقته وجهده وماله.

والبذل والتضحية كلاهما من الكرم - والكرم اسم جامع لكل الأفعال الحميدة التى تظهر من الإنسان، والكريم هو من يقصد بأفعاله الحميدة وجه الله، ولذلك يسمى هذا الكريم تقيا.

وهذا البذل وتلك التضحية -أى الكرم- هى نقيض البخل، والبخل صفة ذمها الله تعالى ورسوله ﷺ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٨٠﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قال جل شأنه: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ٣٧﴾ [النساء: ٣٧].

- وأسوأ داء يصاب به المسلم هو البخل، روى أحمد والبخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ، قال: «وأىّ داء أدوى من البخل»؟

وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والشحّ؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالشحّ[1]، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا».

وروى ابن أبى الدنيا بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخرها بالبخل والأمل».

وروى أحمد والبخارى ومسلم بأسانيدهم عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله

(١) الشح: بخل مع حرص وذلك فيما كان عادة للإنسان، والشح شدة البخل، أو هو البخل.

ﷺ : «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع[1] الدَّيْن وغلبة الرجال».

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «السخى قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، والجاهل السخىّ أحب إلى الله من عابد بخيل».

ورواه البيهقى فى «الشعب» بسنده عن جابر رضى الله عنه، ورواه الطبرانى فى «الأوسط» بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها.

● والمربى لا يمكن أن يكون بخيلا بما آتاه الله من علم أو جهد أو وقت أو مال، وإلا فكيف يربى الناس على قيم الإسلام التى يحتل منها الكرم مكانا بارزًا؟

– ولكى يأمن المربىّ على نفسه وعلى عمله التربوى، فإن عليه أن يجعل أخلاقه وسلوكه، أخلاق القرآن – التى تحدثنا عنها آنفا.

ثالثا : الجانب القيادى الريادى فى المربِّى:

المربِّى لغيره تربية إسلامية قائد من قيادات العمل الإسلامى، والقائد لعمل هو من يرأسه ويدبر أمره، والعمل هنا من أهم الأعمال وهو التربية.

والمربِّى رائد فى مجال التربية، والرائد هو من يتقدم الناس يبصر لهم الكلأ والماء أو يعرف لهم ما ينفعهم، والمربىّ يقوم بهذا العمل؛ فهو رائد لمن يربيهم؛ يتقدمهم ويبحث لهم عن كل ما ينفعهم من القيم التربوية فيحببهم فيها ويعلمهم إياها ويشجعهم على التحلى بها.

– ويحتاج المربى وهو يقود عملية التربية الإسلامية إلى صفات أساسية وجوهرية لتتم على يده عملية التربية الإسلامية على النحو الصحيح.

ومن أهم هذه الصفات ما نشير إليه فيما يلى :

● أن يحدد أهدافه من تربية من يربيهم، سواء أكانت أهدافا مرحلية قصيرة المدى، أم كانت أهدافا عامة بعيدة المدى؛ لأن الهدف هو: بيان النتيجة المطلوبة فى إطار زمنى معين، فإن خلا البيان من الإطار الزمنى فليس هدفا – كما يرى ذلك علماء الإدارة –.

وأى عمل لا يحدد له هدف فى إطار زمنى معين فإنه قلما ينجح.

---

(١) ضلع الدَّيْن؛ أى شدته والألم الذى يحدثه فى نفس المدين.

● وأن يحدد السياسة التى يتبعها – وهو يمارس التربية – لتوصله إلى تحقيق أهدافه.

والسياسة هنا تعنى طرق التفكير التى تؤدى إلى أداء العمل وهى ضرورية لإنجاح أى عمل، فإذا كان العمل تربويا فإن حاجته إلى ذلك تكون أشد وآكد؛ لأن العمل التربوى جملة أعمال متشابكة متداخلة.

● وأن يحدد الوسائل التى عن طريقها يحقق أهدافه.

والوسيلة أو الوسائل مجموعة من الأنشطة المتوالية أو المتوازية التى تعين على الوصول إلى الهدف.

وشرط الوسيلة أن تكون مرنة قابلة للتغيير والتعديل حسب حاجة العمل ومتطلباته.

– وهذه الصفات الثلاثة مجتمعة هى ما يعبَّر عنه أحيانا بالتخطيط؛ أى استخدام الموارد كلها مادية وغير مادية على الوجه الأكمل وفقا للأهداف والسياسات والوسائل.

● كل ذلك لازم لمن يربّى تربية إسلامية، وداخل فى صحيح مؤهلاته القيادية ليمارس العمل التربوى وفق القيم الإسلامية.

● ولا تتم لهذا القائد الرائد عملية التربية الإسلامية للناس على وجهها الصحيح المحقق لأهدافها؛ إلا إذا عمل جاهدا على تحقيق الأمور التالية:

الأمر الأول:

أن يحاول اكتشاف مواهب من يربيهم وقدراتهم وطاقاتهم وما يتصفون به من صفات، ليرعى هذا المواهب والقدرات فينميها ويغذيها بما يجعلها أحسن أداء، وذلك أن التربية تتناول شخصية المتربى من جميع جوانبها كما قلنا آنفا، ورعاية هذه الجوانب كلها لتنميتها وإقدارها على التعايش مع المجتمع والتيارات التى تسوده، وتوجيهها وتوظيفها لصالح الفرد والمجتمع فى إطار الدين الإسلامى الحنيف.

والأمر الثانى:

أن يحاول اكتشاف نواحى النقص والقصور فى الأفراد الذين يربيهم، ليكمل لهم– بما يقدمه إليهم من أنماط التربية – احتياجاتهم المتعددة، ويتلافى كل قصور يقعون فيه.

وهذا القصور بعضه ثقافى، وبعضه علمى، وبعضه خلقى، وبعضه اجتماعى، وكل ذلك يُتلافى بالقيم الإسلامية التى تغرسها فيهم التربية الإسلامية؛ لأن التربية الإسلامية قد جاءت قيمها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهذه القيم قادرة - وحدها ودون سواها - على ان تكّون الإنسان المسلم الصالح القادر على أن يمارس حياة إنسانية راشدة تجمع له خيرى الدنيا والآخرة، وترد عنه شرور الدنيا والآخرة كذلك.

والأمر الثالث:

غرس مبادئ الشريعة الإسلامية فى عقولهم وقلوبهم، لتنعكس عليهم أخلاقا فاضلة وسلوكا راشداً يجلب لهم المصلحة ويدفع عنهم المضرة.

ومبادئ الشريعة عامة وشاملة تغطى كل احتياجات الإنسان، والتمسك بها يحقق له سعادة الدنيا والآخرة.

ولا يوجد شيء فى حياة الإنسان مما يعنيه؛ أى ينفعه أو يضره إلا ومبادئ الشريعة تشمله، تُطبّ له بل تضع له التصور الصحيح والحل الملائم والعلاج الناجع.

ومبادئ الشريعة الإسلامية تضمن للمتمسك بها أن يتعامل مع نفسه ومع خالقه ومع الناس المعاملة التى تحفظ له حقوقه وتلزمه باداء واجباته، فتحقق له بذلك العدل والأمن بل الاستقرار والشعور بالسعادة، ولا عجب فى ذلك فهى مبادئ وضعها رب العالمين الذى لم يحاب فريقا من الناس ويهمل فريقا؛ لاستحالة ذلك عليه سبحانه وتعالى، ولأن الناس جميعا خلقه ومحال أن يحابى أحداً دون أحد ، لأنه يريد لهم جميعا الخير ويأمرهم به، ومن حبه إياهم وحرصه على مصالحهم أرسل لهم الرسل وأنزل معهم الكتب وهداهم بذلك إلى أقوم السبل.

والمربى الحق هو الذى يربط من يربيهم بهذه المبادئ العظيمة القويمة، فإنه بذلك يغرس فيهم ما يعود عليهم بالنفع فى دينهم ودنياهم.

وأى تهاون من المربى فى غرس مبادئ الشريعة الإسلامية فى نفوس من يربيهم، أو إبدال هذه المبادئ وتنحيتها لتحل محلها أى مبادئ وضعية، ضلال عن الحق وتنكب لطريقه، وتعطيل لأهم ما يميز التربية الإسلامية.

والأمر الرابع:

ان يشاركهم فى هذا العمل التربوى ويعينهم عليه فذلك شان المربى المسلم المؤهل للقيام بهذه التربية.

والأمر الخامس:

أن يقسم عمله معهم إلى مراحل وأن يحدد لكل مرحلة وعاء زمنيا معينا، وان يقّوم نتائج كل مرحلة، ويقيسها بما حققّت من أهداف، فهو يقوّم الشخص ويقوم الزمن ويقوم مدى قدرة المتربى على استيعاب تلك القيمة التربوية.

ومن خلال هذا التقويم يعدِّل ويبدل ويزيد وينقص ويمارس أكبر قدر من المرونة فى الحركة.

والأمر السادس :

أن يتابع الأفراد الذين يربيهم، يتابعهم واحدا واحدا، ويتابع القيم المبادئ التى غرسها فيهم قيمة قيمة ومبدءاً مبدءاً، وأن تكون متابعته مرحلية؛ بحيث لا ينتظر حتى ينتهى من برنامجه التربوى فى سنتين أو أكثر ثم يتابع بعد ذلك، وإنما يتابع كل ثلاثة شهور مثلا فى البرنامج الذى يستغرق سنتين مثلا، حتى يتمكن من تلافى القصور فى حينه، وقبل أن يتفاقم هذا القصور.

والأمر السابع والأخير:

ان يكون فى كل هذه الأمور مخلصا لله تعالى فى كلامه وصمته وعمله وتركه، وحركته وسكونه، وألا يخدعه النجاح ولا يوئسه الفشل، وإنما هو يعمل وفق خطة ونظام.

● هذا المربى بهذه الصفات وبتلك المؤهلات هو الذى له الطاعة فى كل ما يأمر به، وما ينهى عنه حاشا ما يغضب الله تبارك وتعالى.

هذا المربى طاعته من طاعة الله ورسوله، ومن طاعة الوالدين، ومن طاعة ولى الأمر، وهى - بناءً على ذلك - طاعة واجبة شرعا بنفس النصوص الإسلامية التى أوردناها آنفا.

وبعد:

فهذه الطاعة للمربى هى حقه على من يربيهم وهى واجباتهم نحوه، وهذه الصفات التى وجب عليه أن يتصف بها ليكون أهلا لأن يمارس التربية الإسلامية للناس هى واجباته، وهى حقهم عليه قبل أن يمارس تربيتهم.

ب - واجبات المربى نحو مَنْ يربيهم

فى ثقافتنا الإسلامية، وفى وعينا الدينى أن المربى بمثابة الوالد لمن يربيهم، فقد روى أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إنما أنا بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه».

● المربى كالوالد - أو يجب أن يكون كالوالد - بالنسبة لمن يربيهم، فى مشاعره حبًا وإشفاقًا، وحرصا على ما ينفعهم.

وكالوالد فى توجيههم وتسديد خطاهم نحو الأصلح والأنفع.

وكالوالد فى تعليمه لهم وتربيته إياهم.

وكالوالد فى تقويمه لتعلمهم ومتابعته لكل ما يحصلونه من علم ومعرفة وللمربى أن يتخذ من الوسائل المشروعة ما يحقق له الوصول إلى أهدافه فى كل هذه الوظائف المنوطة به.

● ومن المعروف بل المألوف لنا معشر المسلمين أن المربى أو المعلم إنما يقوم بعمل جليل الشأن يؤدى رسالة عظيمة الأهمية، تشبه إلى حد كبير ما يقوم به الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام فهو يهدى من يربيه إلى الحق وإلى ما يجلب له خير الدنيا والآخرة، وما يدفع عنه شر الدنيا والآخرة، وهكذا كان يفعل الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام.

وما دام الأمر كذلك فلابد أن يتخذ المعلم من النبى الخاتم ﷺ قدوة وأسوة فى كل صفة من صفاته التى تطيقها بشريته.

ومعنى ذلك أن تكون واجبات المربى كثيرة وجليلة الأثر والخطر؛ وحسبها شرفا ومكانة أنها تشبه واجبات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وهذه الواجبات على المربى هى من زاوية أخرى حقوق لمن يربيهم ونحاول هنا أن نذكر منها ما يلى:

١ - الحب والإشفاق:

وهاتان الصفتان فى الوالد فطرة فطره الله عليهما، بحيث لا يستطيع والد أن يتخلى عن حب ولده والإشفاق عليه إلا أن يكون غير سوى فى تكوينه النفسى والعقلى.

ومن أجل ذلك كان على المربى أن يلزم نفسه حب من يربيهم إلزاما لأن التربية لا يمكن أن تتم على وجهها إلا مع هذا الحب.

● **والحب..** عموما - واجب بين كل مسلم وأخيه المسلم، فقد روى أحمد بسنده عن البراء ابن عازب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإسلام أن نحب فى الله ونبغض فى الله».

وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وإذا كان الحب بين المسلمين واجبا على هذا النحو فإنه بين المربى - الوالد - وبين من يربيهم أوجب وآكد وأوثق.

● ومقتضى هذا الحب من المربى أمور من أهمها ما يلى:

- أن يقدم له المادة العلمية التى يستطيع استيعابها بسهولة ويسر، فلا يكلفه ما يشق عليه، ولا يدخله فى عويص مسائل العلم، وإنما يتدرج معه من الأسهل إلى السهل إلى ما بعده، فإن لم يفعل المربى ذلك فهو من المتكلفين، فقد روى الدار قطنى - فى الأفراد - بسنده عن النبى ﷺ قال: «ألا إنى برىء من التكلف، وصالحوا أمتى» والمربى المتكلف فاقد لكثير من أهليته التى تحدثنا عنها آنفا.

وعدم التكلف يعنى فى مجال التربية أمرين:

حسن اختيار الكم الذى يقدمه المربى لمن يربيهم،

وحسن اختيار الكيفية التى يوصل إليهم عن طريقها هذا العلم.

● وعلى سبيل المثال:

فإن تبصير المتعلم بأحكام الطهارة ظاهرة وباطنة وأحكام العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج أيسر من تبصيره بأبعاد القضايا الخلافية الشائكة بين الفرق والطوائف.

وتبصيره بقضايا الدعوة إلى الله والحركة بهذا الدين فى الناس أيسر من تبصيره بقضايا التنظيم والإدارة والتقويم والمتابعة.

● هذا التبسيط لتلك المعطيات التعليمية التربوية هو مقتضى الحب الذى يربط المربى بمن يربيهم، وهو واجبه، وفى ذات الوقت هو حق المتعلم على المعلم.

● وأما الإشفاق:

فإنه يعنى الرحمة والحنان، كما يعنى الخوف على المتعلم من أن يحل به مكروه، وهذا الإشفاق هو الأصل الذى يجب أن يتصف به المربى نحو من يربيهم.

ومقتضى هذا الإشفاق فى مجال التربية أمور منها:

– ألا يوقعهم – وهو يختار لهم ما يعلمهم إياه – فى مكروه أو مخافة إن اختار لهم من المناهج والبرامج ما يشغلهم بالتشكك فيما يتعلمون أو بالحيرة فيما يناقشون ويحاورون.

– وأن يخاف عليهم الغرور بما تعلموا، والاستعلاء على الناس بهذا العلم الذى حصلوا، أو مجرد إعجابهم بأنفسهم وبعلمهم، وذلك يقتضى الحكمة ورجاحة العقل فى كل ما يقدم لهم، وكل أسلوب يتعامل به معهم، لأن الإصابة بالغرور سهلة لا تحتاج إلا إلى غلطة واحدة يقع فيها المربى أو المنهج الذى اختاره لهم.

– وأن يخاف عليهم – من خلال ما يقدم لهم – اليأس والقنوط، وذلك حينما يقفز بهم إلى ما لا يستطيعون إدراكه إلا بعد مرحلة كاملة من التربية الإسلامية، بحيث يُنزل المعلم كل متعلم فى منزلته، فقد روى أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أنزلوا الناس منازلهم».

وهذه المرحلية تقتضى أن يعلمهم ما يعرفون ويألفون حتى لا يصابوا بالقنوط، فقد روى الديلمى – فى مسند الفردوس – بسنده عن علىّ رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله».

٢ – التوجيه وتسديد الخطأ:

وهذا من واجبات المربى التى هى حق لمن يربيهم.

● والتوجيه: ليس مجرد كلمة تقال – كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة.. وإنما هو: مجموع الخدمات التى تؤدى للمتعلم مستهدفة مساعدته على أمور حيوية كثيرة منها:

– مساعدته على أن يفهم نفسه، قدراته واستعداداته ومواهبه،

– ومعاونته على أن يتغلب على مشكلاته، فيجد لكل مشكلة منها حلا،

– وإقداره على أن يحسن استخدام مواهبه وقدراته ومهاراته فيما يعود عليه بالنفع من جانب، وفيما يدفع عنه الضرر من جانب آخر، النفع فى الدنيا والآخرة، ودفع الضرر فى

الدنيا والآخرة.

– ومساعدته على أن ينمى معارفه ومعلوماته فى إطار أولويات لهذه المعارف والمعلومات.

– وتهيئته لأن تتكامل شخصيته من جوانبها العامة فى ظل القيم الإسلامية والمبادئ التى جاءت بها شريعة الإسلام، والتى تمكنه من أن يشق طريقه فى الحياة بأمان ونجاح وحسن تعامل مع من يحيطون به من الناس فى بيته ومجتمعه الذى يعيش فيه، والمجتمع الإنسانى الذى يتعامل معه.

هذا التوجيه بهذا المعنى هو واجب المربى المسلم نحو من يربيهم.

● وأما تسديد الخطا:

فهو فى طريق التربية يعنى: أن يصاحب المربى من يربيه وهو يشق طريقه فى مجال التربية الإسلامية، فى ظل أساسيات معروفة هى:

– أن يتيح له مع هذا التسديد للخطا حرية الإرادة والاختيار،

– وأن يكفل له حرية التفكير وحرية التعبير عن أفكاره،

– وأن يهيئ له فرصة مناسبة للحوار والمناقشة،

– وأن يحول بينه وبين الأفكار والآراءالمسبقة فى أى قضية من القضايا التى تهمه.

– وأن يضمن له – مع هذا التسديد للخطا – حرية العمل والممارسة بل حرية اتخاذ القرار بعد دراسته.

● غير أن المربى وهو يسدد خطا من يربيه له أن يتدخل فى الأحوال التالية:

– عندما يرى من المتربى أنه يوشك على أن يخرج من الطريق الآمنة فتتشعب به الطرق، فتكون الحيرة والضلال.

– وعندما يرى ابتعاداً أو انحرافا عن أهداف التربية الإسلامية، ذات القيم والمبادئ الإسلامية المعروفة المسلمة من المربى والمتربى.

– وعندما يرى خللا فى استخدام الوسائل، بحيث يدخل فيها مالا يقبل من وجهة النظر الإسلامية فى التعامل مع الوسائل.

– وعندما يرى عجزا أو قصورا عن ممارسة الحوار والمناقشة، بسبب الهيبة أو سوء الفهم

للمربى أو لمنهج التربية.

- وعندما يرى أن التربية مجرد استيعاب للنظريات دون أن تطبق هذه النظريات تطبيقا عمليا.

● وفى كل أحوال التدخل لتسديد الخطا، يجب أن يكون هذا التدخل مصحوبا بالإقناع للمتربى، دون قهر أو سيطرة، وإنما يكون ذلك بحشد الأدلة والبراهين على مصداقية هذا التدخل وجدواه، وصلته الوثيقة بالأصول والقواعد الإسلامية.

● ومعنى هذا التوجيه وذاك التسديد للخطا، أن التربية الإسلامية تقوم على أسس متينة من المبادئ التربوية التى لا يمكن التخلى عنها لكى تتم عملية التربية فى أمان، ولكى تحقق أهدافها فى يُسر، وهذه الأسس من أبرزها ما نشير إليه فيما يلى:

- أن الحرية للمتربى إحدى أهم هذه الأسس،

- وأنه لا قهر ولا قسر، ولا قرارات مسبقة،

- وأن الصغار والكبار سواء فى أن تطبق عليهم هذه الأسس،

- وأن الأخذ بهذه الأسس هو الذى يجعل المتربى محبا للمربى لا خائفا منه، ومع الحب تكون الاستجابة ويكون النجاح فى تحقيق الأهداف.

- وأن المربى المسلم الذى يتجاهل هذه الأسس أو شيئًا منها، ليس مؤهلا لأن يمارس فى غيره التربية الإسلامية، وأن عليه أن يعيد النظر فى تأهيل نفسه وإعدادها من جديد.

٣ - التعليم والتربية:

وبغض النظر عما يقال من أن التربية أعم من التعليم، من جهة أن التربية تتجه إلى كل الجوانب فى شخصية الإنسان، وأن التعليم يتجه إلى عقل المتعلم بالدرجة الأولى،

أو القول بأن التعليم كالتربية تماما فى توجههما إلى بناء الشخصية من جميع جوانبها،

أو القول بأن التعليم أعم من التربية عند بعض الباحثين وبخاصة المسلمون من هؤلاء الباحثين(١).

---

(١) انظر بحوث: المؤتمر العالمى للتعليم الإسلامى - مكة المكرمة: ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م - القسم الأول من الحلقة الأولى.

بغض النظر عن كل ذلك؛ فإن من يُربى غيره تربية إسلامية، عليه أن يعنى باختيار ما يُعلمه، وما يربى عليه غيره من مبادئ وقيم.

● ومن مظاهر عناية المربى المسلم بمن يربيهم ما نشير إلى بعضه فيما يلى:

أولا: حسن اختيار المادة التعليمية الأساسية:

ومن علامات حسن اختيارها ما يلى:

– أن تكون مادة تعليمية أساسية فى تعريفه بدينه، عقيدة وعبادة وخلقا وتعاملا، مع كل من يتعامل معه المتربى.

وأن تكون ملائمة لمستوى عقله وقدراته، فلا تكون فوق هذا المستوى فتشعره بالعجز عن الفهم، ولا تكون دون هذا المستوى فتشعره بالتفاهة والسطحية، ولا تشجعه على بذل المجهود فى سبيل التحصيل.

– وأن تكون مما يعايشه فى المجتمع من اهتمامات، بحيث لا يعلمه شيئًا معزولا عن المجتمع الذى يعيش فيه، وذلك ميسور على المربى لأن كل القيم والمبادئ التى تتضمنها التربية الإسلامية صالحة للتعامل بها مع كل زمان ومكان، وبراعة المربى تظهر فى الربط بين قضايا المجتمع وقيم الإسلام ومبادئه.

– وأن تكون قابلة للتطبيق، بل ميسورة التطبيق، لأن كل ما فيه مشقة على الإنسان أو حرج له، لا يمكن أن يكون من القيم أو المبادئ الإسلامية.

– وأن تكون من الأمور التى تمثل أهمية فى المكان الذى يعيش فيه أولا، ومؤثرة فى البيئة المحيطة به، على مستوى وطنه المحلى أو العربى أو الإسلامى.

● وهذه مسئولية المربى أو واجبه، ولكى يكون هناك توازن وتساوق بين أعمال المربين المسلمين، فإن كل مربٍ مسلم عليه أن يستشير غيره من المربين المسلمين، وأن يكون بينهم تعاون وتفاهم حول هذه المادة التربوية الأساسية التى تسهم فى تكوين المسلم روحيا وخلقيا، واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا... إلخ.

وهذا التشاور واجب من مبدأ أن المسلمين كما وصفهم الله تعالى: ﴿... وأمرهم شورى بينهم...﴾.

● وعلى قدر ما تعتبر هذه الامور واجبات على المربى، فإنها حقوق للمربى على من يربيه، لا يقصر هذا ولا يتناول ذاك. وإلا ضاعت هذه القيم وتلك المبادئ، ولم يعد للتربية الإسلامية ما يميزها عن غيرها من أنواع التربيةالتى تستمد قيمتها ومبادئها من المجتمع الذى تعيش فيه.

● وما أحسن أن يعقد المشغولون بالتربية الإسلامية فيما بينهم حلقات بحث ودراسة، وندوات، ومؤتمرات، لمناقشة هذه القضية المتصلة بما يقدم للمتربين من مادة تربوية إسلامية أساسية فى تكوينهم. وبناء كيانهم الإسلامى!!!

ثانيًا: حسن التدرج مع المتعلم.

وذلك أصل أصيل فى كل أنواع التربية وبخاصة مع الصغار، وإن كان الكبار يحتاجون إلى ذلك أيضا.

● والتدرج فى الامر: جعله درجات بحيث يبدأ بالاسهل ثم السهل، ثم الصعب إن كانت إليه حاجة، وأما الاصعب فقلما يحتاج إليه المربى المسلم، لان الإسلام يقرر أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، وعلى قدر طاقتها، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

● والمادة التربوية لابد أن تكون أنواعا، وأن يكون كل نوع فروعا، ومن هنا كان التدرج فى التعامل معها واجبا على المربى فى كل حين، وعلى سبيل المثال؛ فإن المادة التربوية القصصية، غير المادة التربوية التى تتصل بالاحكام الشرعية مثل أحكام المواريث ونحوها، فكان البدء بالقصة تدرج مطلوب، وهذه القصة منها ما هو قصير وما هو وسيط وما هو طويل، فكان البدء بالقصة القصيرةأكثر يسرًا وأجدر أن يستوعب المتعلم أحداثها وأهدافها.

● وهكذا فى كل مادة تربوية، فتدريس قيمة العدل لابد أن يسبق تدريس قيمة الإحسان، والمطالبة باداء الفرائض لابد أن يسبق الحث على أداء النوافل.

والتضحية بالجهد والوقت والمال لابد أن يسبق التضحية بالنفس لان هذا التدرج مطلب رئيس فى تكوين المتربى.

● والذى يربّى بأسلوب متدرج أحد أن يتمكن من المادة العلمية التى تقدم له، وأجدر أن تنعكس فى سلوكه وخلقه القيمة التى درست له.

● والتدرج سنة من سنن الله تعالى فى تقويم السلوك وتعويد الناس على الطاعة، وإقناعهم بضرورة الائتمار بما أمر الله له والانتهاء عما نهى الله عنه.

ومو ضوع تحريم الخمر فى الإسلام مرَّ بهذا التدرج.

– فكان أول ما حرمت الخمر حرمت أثناء الصلاة، وذلك فى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...... (٤٣)﴾ [النساء: ٤٣].

– وكان تحريمها بعد ذلك على الرغم مما فيها من منافع لبعض الناس فى الدنيا وذلك فى قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا (٢١٩)﴾ [البقرة: ٢١٩]. فكانت هذه الآية ممهدة لتحريم الخمر على البتات، ولم تكن مصرحة بل معرِّضة ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قرئت عليه: اللهم بيّن لنا فى الخمر بيانا شافيا، حتى نزل التصريح بتحريمها فى سورة المائدة.

– وكان تحريمها مطلقا ووصفها مع غيرها من المفاسد بأنها رجس من عمل الشيطان يجب اجتنابه، وذلك فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)﴾

[المائدة: ٩٠، ٩١].

● والمربى أولى الناس بالأخذ بسنة التدرج فى التعليم والتربية وغرس المبادئ والقيم فى نفوس من يربيهم.

ثالثا: حسن اختيار المادة التعليمية التثقيفية:

إذا كانت الثقافة هى ما تشتمل عليه البيئة التى يعيش فيها الإنسان من منتجات مادية وغير مادية، فإن حسن الانتقاء من هذه المنتجات ضرورى لمن يربى غيره من الناس، إذ لابد للإنسان من هذه الثقافة، لكن العبرة بجودة الاختيار، وتلك مهمة المربى تربية إسلامية، لأن بعض منتجات البيئة قد تكون غير مقبولة إسلاميا.

● من أجل هذا كان التدقيق فى اختيار المادة التثقيفية للمتعلم، وكان من اللازم عرض هذه المادة التثقيفية على الكتاب والسنة لمعرفة صوابها من خطئها ونفعها من ضررها.

● ومن أجل تكوين مادة تثقيفية جيدة للمتعلم، وجب أن تشتمل هذه المادة على المفردات المكونة لها، التالية:

– قدر ملائم من القرآن الكريم؛ حفظا وتجويدا وتفسيرا،

– وقدر من الأحاديث النبوية الشريفة؛ حفظا وفهما وتطبيقا على الواقع الذى يعيشه الإنسان،

– وجانب ملائم من السيرة النبوية المطهرة لأخذ العبرة والتأسى،

– وقدر من الفقه الإسلامى يشتمل على بعض العبادات والمعاملات،

– وإلمام بالقضايا الإسلامية؛ قديما وحديثا،

– وقدر من فقه الدعوة إلى الله يلائم هذه المرحلة،

– وقدر من فقه الحركة من أجل الإسلام.

● وهذه المفردات تمثل احتياجات المرحلة الأولى من مراحل التربية الإسلامية، فإذا استوعبها علما وعملا وأخلاقا وسلوكا، انتقل إلى مرحلة تالية لها، تشتمل إلى جانب ما تقدم على ما يلى:

– معرفة جيدة بواقع المسلمين اليوم – فى العقد الثانى من القرن الخامس عشر الهجرى – الموفق للعقد الأخير من القرن العشرين الميلادى، ذلك الواقع الذى يعانى فيه المسلمون من التراجع الحضارى، مع أنهم – كما سماهم الله تبارك وتعالى: «خير أمة أخرجت للناس» مع مناقشة مستفيضة لأسباب هذا التراجع، وتعرف على كيفية الخروج من هذا المأزق.

● ومعرفة مكانة المسلمين اليوم من العالم الذى يسيطر عليه النظام العالمى الجديد بقيادة الولايات المتحدة الامريكية، وذلك عن طريق الحوار والمناقشة المستفيضة لهذه المكانة، ومعرفة مدى إمكان التخلص من هذه السيطرة.

– ومعرفة الظروف والملابسات التى تعيشها الأقليات المسلمة فى العالم اليوم، والتفكير الجاد فى مدّ يد العون لها، وبحث الوسائل المؤدية إلى ذلك، انطلاقا من أن المسلمين أمة واحدة

يتعاونون ويتكافلون، ويجبر بعضهم على بعض.

● وهذه المواد التثقيفية الملائمة لهذه المرحلة، قد يضاف إليها وقد يحذف منها، حسبما يرى المربى ومن يشاركونه فى وضع البرامج لهذه التربية الإسلامية أو التعليم الإسلامى.

● ويضاف إلى برنامج كل مرحلة غرس القيم الإسلامية فى المتعلم تلك التى تنمى جوانب شخصيته؛ الروحية، والخلقية، العقلية، والاجتماعية، والدعوية والحركية والتنظيمية والقيادية.

– وهذه القيم كلها نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والسيرة الشريفة، وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم.

– وهذه القيم من الثوابت فى الإسلام، بحيث لا تخضع لتغير الزمان والمكان والأشخاص، لأنها القيم التى يقوم عليها بناء المجتمع المسلم فى أى زمان ومكان.

– وهذه القيم متكاملة لا تحتاج إلى قيم أخرى من أى حضارة كائنة ما كانت، لأن تلك القيم هى لب الإسلام وجوهره، والله تبارك وتعالى قد أكمل هذا الدين وأتمه ورضيه للبشرية كلها دينا.

● وهذه المواد التثقيفية وتلك القيم التى تقوم عليهما التربية الإسلامية يجب أن تستهدف تنمية قدرات الإنسان على التفكير والتذكر والتخيل والتعميم والحكم على الناس والأحداث والأشياء حكما صائبا محاطا بسياج من أدب القرآن وخلق القرآن.

– وإذا كان إدراك الفرد للمعرفة، وحصوله عليها من خلال عمليات الإدراك المعروفة – من تفكير وتذكر وتخيل وتعميم وحكم، فإن هذه المدركات من معتقدات ومعانى ومفاهيم يجب أن تكون مستهدية فيما تصل إليه وتدركه بما علمنا القرآن الكريم، وما وجهتنا إليه السنة النبوية المطهرة.

– ومن المسلم به فى الشريعة الإسلامية أن التفكير عبادة لله، بل عبادة فرضها الله فرضا على كل مسلم مكلف عاقل(١) بل جعل هذا التفكير إحدى وسائل تكوين العقيدة الصحيحة، كما جعله أساس الإيمان ورفض تماما الإيمان عن طريق تقليد الآخرين فى إيمانهم.

---

(١) للتوسع فى ذلك وبيان أهمية التفكير، واعتباره عبادة لله تعالى،
انظر للمؤلف: التربية العقلية – نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

– وتدريب المتعلم على كل ذلك واجب المربى، بل ليس التدريب وحده وإنما المعاونة على الوصول إلى ذلك هو من صميم واجبات المربى. لا يملك أن يتخلى عن شيء منه.

وهذه الواجبات على المربى، هى – كما قلنا – من حقوق المتعلم التى تكلفها له التربية الإسلامية.

رابعا: التقويم والمتابعة:

الأعمال التربوية التى توجه إلى الصغار أو الكبار، أحوج ما تكون إلى التقويم والمتابعة، إذ يعدان تكميلا لعملية التربية،بحيث لو أهملا أو أهمل أحدهما لحدث عجز عن الوصول إلى تحقيق أهداف العملية التربوية كلها.

● والذى يتصدى للتربية الإسلامية يجب عليه أن يتشبث بالقيام بهذين العملين الجليلين؛ التقويم والمتابعة.

● والتقويم – تقرير القيمة وتحديدها لأى أمر – وهو الحكم الموضوعى على العمل صلاحا وفسادا ونجاحا وفشلا، وذلك بتحليل العوامل والظروف التى من شأنها أن تؤثر على العمل.

وهدف هذا التقويم هو تلافى القصور والخلل فى العمل أولا بأول قبل استفحاله، حتى يمكن أن تتحقق أهداف العمل على النحو الذى يجب أن يكون.

– وهذا التقويم يجب أن يتم لكل مرحلة من مراحل التربية، ولكل فرد يطبق عليه منهج تربوى، ولكل مجموعة من الأفراد، ولكل مدى زمنى استغرقته مرحلة من المراحل أو منهج من المناهج، ولكل وسيلة استخدمت فى عملية التربية.

– وهدف التقويم يجب أن يظل دائما هو تسديد الخطا، وتعديل المسار، والمعاونة على تحقيق الأهداف، بإعادة النظر فى الخطة والمنهج والفرد أو الأفراد حسبما يتفق عليه المشغولون بالتربية الإسلامية.

● وأما المتابعة؛ فهى فى تصور المربين الإسلاميين معاونة بل مشاركة للذين يربون تربية إسلامية؛ معاونة ومشاركة تذلل أمامهم العقبات، وتيسر أمامهم سبل الوصول إلى الأهداف، وليست المتابعة – كما يفهمها غير الإسلاميين من المربين – تتبعا للعيوب وتسقطا للأخطاء وترصدا للعورات، بقصد إيقاع العقاب بالمقصر، لأن هذا المفهوم مناقض لمبادئ الإسلام وقيمه فالإسلام لا يبيح لأحد أن يفتش عن عيوب أحد أو تقصيره

فقد روى الترمذى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم يتتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحلة».

ورواه أبو داود وأحمد بسنديهما عن أبى برزة الأسلمى.

ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه بأسانيدهم عن البراء بن عازب رضى الله عنه.

– وإذا كان المسلم مطالبا بأن يستر على أخيه المسلم لو رآه على معصية فذلك هو الأصل، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة».

وفى رواية للترمذى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من ستر أخاه المسلم فى الدنيا، ستره الله يوم القيامة».

– وقد يقال إن المتعلم إذا أخطأ لم يكن فى كشف خطئه ما يعد كشفا لعورته!!!

والحق أن ستر ذلك عليه سواء أكان صغيرا أم كبيرا، أقرب إلى ما يرضى الله تبارك وتعالى، وهو أعون لمن قصر أو أخطأ على أن يتجنب هذا الخطأ أو التقصير، وبخاصة إذا أعين على تلافى هذا التقصير، ونصح النصيحة الإسلامية التى لا تحرجه ولا تعين الشيطان عليه وهى أسلوب النبى ﷺ عندما كان يرى أو يسمع عن تقصير أو قصور عن بعض المسلمين، فيقول: ما بال أقوام، أو ما بال أحدكم أو ما بال رجال...

- إن المربى والمتربى طرفان فى عملية التربية، والتعاون بينهما هو الذى يؤدى إلى إتمام عملية التربية على وجهها الصحيح، دون أن يكون المربى مثل الرئيس يتابع ويحاسب ويعاقب، وإنما هو – كما قلنا أكثر من مرة – مثل الوالد لولده حبا وإشفاقا وتسديداً للخطا.
- إن هذه المتابعة بمعنى المعاونة والمشاركة فى العملية التربوية هو واجب المربى، ما دام يربى تربية إسلامية تعتمد قيم الإسلام غير مرة.
- إن المربى الذى يؤدى واجباته على النحو الذى ذكرنا إنما يفعل ما يستوجبه العدل والإنصاف، لكنه يستطيع أن يزيد على ذلك من جهده ووقته وماله، فيكون بذلك مستجيبا لداعى الإحسان ونحن نعرف أن الإحسان درجة أعلى من العدل، وأن المحسن

يأخذ أقل مماله، ويعطى أكثر مما عليه، وأنه أحب إلى الله، وحسبه بذلك شرفا ومكانة.

● ومن أجل هذه المكانة وذاك الشرف عند الله، كان للمربى حق طاعة من يربيه، بل كانت طاعته واجبا على من يربيهم، يتقربون بها إلى الله، لأن الله تعالى أوجب طاعة المربى كما أوجب طاعة الوالدين وولى الأمر، كما فضله سبحانه وتعالى لعلمه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ⑨﴾ [الزمر: ٩].

وروى مسلم بسنده عن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدرى الأنصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله،فإن كانوا فى القرآن سواءً فأعلمهم بالسُنة، فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سِنا، ولا يؤمنَّ الرجل الرجل فى سلطانه ولا يقعد فى بيته على تكرمته إلا بإذنه».

وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلينى منكم أولوا الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم. ثلاثًا وإياكم وهيشات الأسواق»(١).

● وبعد فلعل حديثنا عن واجبات المربين، يدعم تأكيدنا على أن القيام بهذه الواجبات هو حقوق للمتعلمين، يغنى عن عقد فصل للحديث عن حقوق المعلمين وواجبات المتعلمين.

لكننا سوف نذكر حقوق المربى على من يحبيهم وهى فى ذات الوقت واجبات المتعلمين، بصورة مستقلة مباشرة، وإن كنا تعمدنا فيها الإيجاز، والله المستعان.

(١) النهى: العقول ويقصد العلماء، وهيشات الأسواق ما يحدث فيها من صخب وارتفاع أصوات.

جـ - حقوق المربّى على مَنْ يربيهم

هذه الحقوق التى للمربى على من يربيهم هى واجبات المتعلمين نحو من يعلمونهم ويربونهم - كما أوضحنا ذلك آنفا.

وهذه الحقوق كثيرة كتلك الحقوق التى لهم على المربى، غير أن ذكرها جميعا ليس من هدفنا فى هذا المجال، وإنما الهدف أن نشير إلى أهمها مماله صلة مباشرة بالطاعة للمربى.

وأهم هذه الحقوق هى:

١ - الحب:

- وأبرز معنى للحب هو: الميل القلبى الدائم للمحبوب، بمعنى أن يكون المتعلم محبا لمعلمه حبًا نابعًا من أعماق قلبه مستجيبًا فيه لأخلاق الإسلام فى وجوب أن يجمع الحب بين كل مسلم وأخيه المسلم، فإن كان والده أو معلمه كان أوجب وأولى، بشرط أن يكون هذا الحب لله وفى الله لا لغرض من أغراض الدنيا، فقد روى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان الله ورسوله أحب إليه مماسواهما، ومن كان أن يلقى فى النار أحب إليه من أن يرجع فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه».

- ومن معانى الحب: موافقة المحبوب حاضرا وغائبا، حاضرا بالانصياع لما يطلب وغائبا بالمحافظة على الاستجابة لكل ما يطلب كأنه حاضر، فذلك هو الحب الحقيقى النابع من القلب، والمتعلم مع من يعلمه يجب أن يكون كذلك، لأن معلمه لن يطلب منه إلا ما فيه مرضاة لربه سبحانه وتعالى، وتقع له فى دينه ودنياه، ومن كان يطلب ذلك للإنسان فلابد أنه يحبه بل ويحرص على الإحسان إليه، وجزاؤه الحب والإحسان كذلك، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ۝﴾ [الرحمن: ٦٠].

وهذا الحب بهذا المعنى حق للمعلم على المتعلم، ونتيجته الطاعة للمعلم فى كل ما يأمر به ويوجه إليه ما دام ذلك فى غير معصية لله تعالى.

- وأصل الحب عند المسلم هو حب الله ورسوله، ومن هذا الحب يتفرع كل حب لإنسان وجدناه حيث أمره الله ورسوله، وحب المعلم من حب الله ورسوله؛ لأنه يُعلِّم ما أمر الله به،

ويحول بين المتعلم وما نهاه الله عنه.

- وقد فطر الله تعالى الإنسان على حب من أحسن إليه، وكره من أساء إليه، والمعلم يحسن إلى المتعلم بما يقدم إليه من علم ومن قيم خلقيه، ومن تيسير لممارسة ما يرضى الله تعالى عنه، فكان حب المعلم من حقوقه على المتعلم استجابة لداعى الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

- والمعلم أجدر الناس بأن يحب الناس جميعا، لأنه يعلمهم كلهم الخير ويبث فيهم الحكمة، فقد روى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها فى الناس ويعلمها، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق».

والرجل الأول هو المربى بكل تأكيد، فإن جمع إلى ذلك الكرم والتضحية بماله فى الحق، فهو قد جمع بذلك بين الفضيلتين فضيلة التعليم لغيره وفضيلة إنفاق ماله فى وجوه الحق، وهو بواحدة من هاتين الفضيلتين جدير بأن يحبه الناس بل جدير بأن يحسدوه ما آتاه الله من فضله.

٢ - والتقدير:

وهو معرفة القدر أو المقدار، والتقدير يقتضى عدلا وإنصافا فى معرفة الناس، والمربى على مبادئ الإسلام وقيمه أولى المربين بأن يعرف المتعلمون قدره، وقدر ما يقوم به من عمل جليل، ليبعث ذلك على حبه والتعلق به وإيثاره على غيره من المحبوبين.

- والتقدير أيضا يعنى معرفة الحرمة والمكانة، فقدرت فلانا يعنى عرفت مقدار ماله من حرمة ومكانة، والمعلم فى مجال التربية الإسلامية إنما يعلم الناس الإسلام ويجمعهم على القرآن الكريم، ويربط بينهم وبين سنة رسول الله ﷺ وسيرته ويوثق ما بينهم وبين مبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه وأدبه، وهو بذلك له أكبر حرمة وأعلى مكانة.

- ومن أجل هذا التقدير للمعلم فإن من حقه على المتعلم أن يوقره، والتوقير التعظيم والتبجيل ووصفه بالرزانة والثبات، والمعلم جدير بهذا كله فهو بعمله التربوى يتمتع بالرزانة والحلم والصبر والسكون، وحسن التأتى للأمور وحسن الخروج منها فهو أجدر بأن يقدر حق قدره وبأن يوقر أعظم توقير وأحسنه.

● إن المعلم له على من يعلمه هذا الحق، والمتعلم ينبغي أن يرى في هذا التقدير والتبجيل والتوقير واجبا عليه، لا يتخلى عنه أبدا. إرضاء الله تعالى، واعترافا بالفضل لصاحبه، وأملا في أن ينفعه الله بما يتعلم من معلمه.

● ومالم يحظ المعلم ممن يعلمه بهذا التقدير وهذا التوقير، فإن المتعلم نفسه لن يحسن الاستجابةلما يطلب منه، وبالتالي تضيع طاعته له، وإذا فقدت الاستجابة والطاعة تعطلت العملية التربوية كلها.

٣ - والاحترام:

وهو التكريم أو الإكرام، فالمعلم صاحب حق في ذلك على كل من يعلمهم، بل إن إنكار هذا الحق للمعلم يورط هذا المنكر، وقد يخرجه من زمرة المسلمين الكاملي الإيمان.

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يُجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه».

وفي رواية أحمد: «ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه» وحق العالم هو احترامه وتكريمه.

- والتكريم تفضيل، وما لم يفضِّل المعلم، فمن يفضِّل؟

وإن تكريم المتعلم للمعلم وتفضيله إياه يعني أن هذا المتعلم يحترم نفسه، ويعرف لها مكانها مما أمر الله به وندب إليه، وهو بهذا جدير بأن يفتح الله عليه وينفعه بما علم.

- ومن احترام المعلم أن يخضع المتعلم له، وأن يلين أمامه، ويسمعه ما يحب من القول ويأتي معه ما يحب من العمل، وأن يستجيب لإشارته فضلا عن عبارته، أي يذعن له إذعانا، ولهذا قال الأسلاف من العلماء رحمهم الله في تفسير قول الرسول ﷺ:

«إنما أنا لكم مثل الوالد لولده...» الحديث. قالوا: «إن حق المعلم أعظم من حق الوالد، فإن الوالد سبب الوجود والحاضر والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية، ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك، وإنما العلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة».

- ومن احترام المعلم أن يكون المتعلم في خدمته ورهن إشارته ولا ينتظر عليه حتى يطلب منه أداء عمل وإنما يبادر هو إلى أدائه مبالغة في احترامه وتكريمه، كما يفعل التلميذ مع

أستاذه، فيحمل عنه كتبه وأمتعته - كما حدثتنا بذلك أخبارهم، وهكذا كان أسلافنا من الصحابة رضوان الله عليهم.

فقد روى الطبراني - في الأوسط - بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما موقفا كهذا. فقد ذكر الشعبى أن زيد بن ثابت رضى الله عنه صلى على جنازة، ثم قربت إليه بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس رضى الله عنهما فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد بن ثابت يد ابن عباس وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ.

ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

- ومن احترام المربى ترك مجادلته، وعدم الاشتغال بالاحتجاج معه فى كل مسألة، حتى لو علم خطأأستاذه، أدبا معه واحتراما له، وعرفانا بحقه، وهذا احترام فى الظاهر.

وللمربى على من يعلمه احترام فى الباطن أيضا، أى أن يشرب قلبه احترامه وتقديره، فلا ينكر شيئا سمعه منه، لا إنكارا فعليا ولا إنكارا قوليا؛ لأن إجلال المعلم وإعطاءه حقه فى الاحترام والتكريم هو خلق الإسلام الأصيل، لكونه معلما ولكونه أكبر سنا، ولكونه يقدم الخير ويهدى إليه.

٤ - والطاعة:

وهى مع المعلم أهم حق له، وأهم واجب على من يعلمه، لأن عملية التربية كلها تتوقف إن لم تحصل طاعة من المتعلم للمعلم.

- وهذه الطاعة -بصفاتها الشرعية، أى لا تكون فى معصية الله - واجبة له شرعا لكونه معلما، ولكونه بمثابة الوالد، ولكونه ولى أمر من يعلمه من ناحية تكوينه وإعداد شخصيته إعدادا متكاملا، ولكونه يحسن إلى من يعلمه.

- وبغير هذه الطاعة تكون الفوضى، ويكون الضياع للمتعلم، ويكون الإحباط وتبديد الجهد فى غير طائل للمعلم، بل تكون معصية الله تبارك وتعالى، لأنه سبحانه الآمر بكل أنواع هذه الطاعة.

- إن الطاعة للمعلم هى جزء من العملية التربوية بل جزء أصيل لا يمكن الاستغناء عنه، وإذا كانت العملية التربوية تقوم على ركائز أساسية هى:

● المعلم المؤهل؛ المطاع،

● والمنهج الملائم؛ المنفذ،

● وَالمتعلم المستعد؛ المطيع،

● والمدى الزمنى الملائم؛ المأخوذ فى الاعتبار،

● والتقويم والمتابعة المستمرين؛

فإن هذه الركائز معظمها لا وزن لها إذا لم تكن الطاعة خلقا أصيلا فى المتعلم لمعلمه، وإلا توقفت العمليةالتربوية كلها.

٥ - والثقة:

إذ لابد أن يثق المتعلم فيمن يعلمه، فيتلقى عنه ما يقول وما يفعل تلقيا حسنا لثقته فيه وفى قوله وعمله.

- إن هذه الثقة من المتعلم فيمن يعلمه لا تقل أهمية عن الطاعة، وعلى قدر اطمئنان المتعلم إلى معلمه، وحبه، وتقديره، واحترامه، وطاعته تكون ثقته فيه، فإذا تزعزت هذه الثقة فإن ذلك دليل على فقد الحب والتقدير والاحترام والطاعة للمعلم، أى إخلال المتعلم بكل هذه الواجبات، وحرمان المعلم من كل هذه الحقوق.

- وهذه الثقة لها أسبابها الداعية إليها، ومن أبرز هذه الأسباب:

● الاطمئنان إلى كفاءة المعلم وقدراته،

● والتأكد من إخلاصه فى كل ما يصدر عنه، وتوجهه به إلى الله وحده.

● واعتباره والدًا ومرشدًا وهاديًا وناصحًا أمينا،

● واعتبار عمله امتدادا لأعمال الأنبياء والمصلحين،

● وتفويض الأمر إليه فى كل ما يأمر به أو ينهى عنه،

● وافتراض أنه على صواب وأنه أكثر خبرة وعلما وتجربة،

● والأخذ برأيه عند اختلاف وجهات النظر.

هذه الدعائم السبع للثقة هى التى تجعلها ثقة واعية مبصرة تستهدف إرضاء الله تبارك وتعالى.

٦ -وقرن المتعلم العمل بالعلم

هذا واجب المتعلم، وحق المعلم، ومن كلمات أسلافنا رحمهم الله فى هذا المجال قولهم: «العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون»(١).

ومن علم ولم يعمل أورط نفسه مع الله تبارك وتعالى، وكانت الحجة عليه لا له، لان الإنسان مسئول أمام الله ومحاسب عن العمل قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم: ٣٩ - ٤١]، وقال جل شانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا...... ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه».

وروى الترمذى بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى».

٧ - والابتعاد بهذا العلم عن المعاصى:

فالمسلم يتعلم ليعرف ما أحل الله، وما حرَّم فيجتنب الحرام ويفر من المعاصى، لان العلم الذى لا ينفر من المعاصى لا فائدة فيه، ومن حق المعلم أن يرى ثمرة تعليمه فيمن علمه بعدا عن المعصية.

- والمعاصى ذنوب تستوجب عقاب الله، ومنها كبائر وصغائر، والعلم يجب أن يبعد صاحبه عن الكبائر والصغائركليهما، وترك المعاصى كبيرها وصغيرها بدايته الندم ثم التوبة والاستغفار والعزم الأكيد على عدم معاودة الذنب.

- ومن رحمة الله بعباده أن يقبل منهم التوبة، وأن يجعلها كفارةلذنوبهم ومعاصيهم إذا كانت توبة نصوحا، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده، ويفرح بتوبة عبده، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

- وكل معلم يجب أن يرى من علمه، وقد كفه علمه عن المعصية، فذلك أكبر ما يسعد المعلم ويشعره بنجاح تعليمه لغيره، وهو لهذا يعلم غيره ويبذل فى سبيل ذلك ما شاء الله

(١) هى كلمة الإمام الغزالى أبى حامد فى رسالته: أيها الولد. نشر دار الاعتصام بالقاهرة ١٤٠٣ هـ١٩٨٣م.

له من جهد، وهذا كما قلنا حق المعلم على المتعلم.

٨ - وأن يكون علمه سببا فى ممارسته للطاعات

وهذا واجب كل متعلم يفتح الله تعالى عليه بشىء من العلم، إذ الطاعات هى أبواب القبول عند الله تعالى، وهى ثمرة عبادة الله تبارك وتعالى.

- وكل مقصر فى طاعة يفاجأ يوم القيامة بأنه يتمنى أن لو عاد إلى الدنيا فأطاع الله تبارك وتعالى، قال الإمام الغزالى أبو حامد: «واعلم أن علمًا لا يبعدك اليوم عن المعاصى، ولا يحملك على الطاعة؛ لن يبعدك غدا من نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تتدارك الأيام الماضية تقول غدا يوم القيامة: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ⑫﴾ [السجدة: ١٢]؛ فيقال لك: يا أحمق أنت من هناك جئت»(١).

- والاستعانة على الطاعة إنما يكون بالإقلال من الطعام، والإقلال من النوم، والإكثار من الاستغفار.

وقد روى ابن ماجه بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قالت أم سليمان بن داود لسليمان: يا بنى لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرا يوم القيامة».

وقال لقمان الحكيم يوصى ولده: «يا بنى.. لا يكونن الديك أكيس منك، ينادى بالأسحار وأنت نائم».

وقال سفيان الثورى(٢): إذا كان أول الليل ينادى منادٍ من تحت العرش: ألا ليقم العابدون؛

فيقومون ويصلون ما شاء الله.

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى: رسالة: أيها الولد، مرجع سابق.

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ولد سنة ٩٦هـ وتوفى بالبصرة سنة ١٦١هـ لقبه العلماء بأمير المؤمنين فى الحديث؛ كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والفتوى. قال عنه ابن المبارك: كتب عن ألف شيخ ومائة شيخ هو أفضلهم.
وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل: لا يتقدمه فى قلبى أحد.
حاول الخليفة المنصور أن يوليه القضاء فأبى وخرج من الكوفة وسكن مكة والمدينة، وحاول معه المهدى فأبى وذهب إلى البصرة وبها مات. رحمه الله تعالى.

ثم ينادى مناد فى شطر الليل : ألا ليقم القانتون؛

فيقومون ويصلون إلى السحر؛

فإذا كان السحر ينادى مناد: ألا ليقم المستغفرون؛

فيقومون ويستغفرون.

فإذا طلع الفجر ينادى مناد: ألا ليقم الغافلون؛

فيقومون من فروشهم كالموتى نشروا من قبورهم.

وروى أبو داودوابن ماجه بإسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

إن ديكا صاح عند النبى ﷺ، فسبه رجل ولعنه؛

فقال النبى ﷺ: «لا تسبه ولا تلعنه فإنه يدعو إلى الصلاة».

قال العلماء تعقيبا على هذا الحديث الشريف: إن فى الحديث الشريف دليلاً على أن كل من استفيد منه خير، لا ينبغى أن يُسب أو يستهان به، بل حقه أن يُكرم ويُشكر»[1].

وروى الديلمى بسنده عن أم سعد بنت زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى: صوت الديك، وصوت الذى يقرأ القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار»[2].

٩ - وأن يكون علمه وعمله موافقا للشرع:

وذلك واجب كل متعلم لشىء من العلم، ومن حق المعلم أن يرى من يعلمه موافقا فى قوله وفعله لأحكام الشريعة وأخلاقها وآدابها. لأن العلم والعمل إذا لم يوافقا الشريعة كانا ضلالا، ووبالا على من علم، ومن عمل.

- وكما يجب أن يكون القول والفعل موافقين لشرع الله، يجب أن يكون الصمت وترك

---

(١) العلامة الهندى: كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال - موسوعة فقهية متميزة. ط دار الرسالة - ١٣٩٩ هـ.
وقد جاء هذا الحديث برقم: ٤٣٢٣٧. جزء ١٥ صفة ٨١٤.
كما ورد فى سنن أبى داود مع شرح عون المعبود: ١٤/ ٦.
وورد فى الفتح الكبير للإمام الرازى: ٢/ ٥١.

(٢) العلامة الهندى: كنز العمال: ١٥ د ٨١٥ مرجع سابق،
وجاء فى مسند الفردوس للديلمى

العمل موافقين كذلك لشرع الله تعالى، فموافقة الشريعة هى الأصل، ولا يغترن أحد بترهات بعض الضالين من المتصوفة وما يشطحون به من مخالفة الشرع عند زعمهم أنهم فى حالة جذب تبيح لهم أن يأتوا من الأعمال ما يخالف الشرع.

وطريق التصوف معروف فى تاريخ صالحى المسلمين، فهو طريق مجاهدة للنفس وللشيطان، وليس منه أبدا هذه الترهات وتلك الأباطيل التى يدعيها الضالون منهم كسقوط التكاليف عن بعضهم، وما إلى ذلك من أباطيل.

– وموافقةعلم المتعلم وعمله للشرع واجب على كل متعلم، وهى فى ذات الوقت من حقوق المعلم على من يعلمه.

وبعد: فلعلى قد أوليت طاعة المربى ما تستحقه من اهتمام فى هذا الكتاب، لأن المربى – كما قلت – يقوم بعمل النبى ﷺ.

وإلى الفصل الثانى من الكتاب.

شرح النص الذى كتبه الإمام البنا عن الطاعة، وتحليله.

والله المستعان.

الفصل الثاني

شرح النص الذى كتبه الإمام البنا وتحليله

ويتناول

١ - فى أبعاد فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام البنا ،
وكلمات النص الذى كتبه الإمام البنا فى الطاعة ،

٢ -مفهوم الطاعة فى هذا النص ،

٣ - مراحل العمل فى الدعوة كما حددها النص ،

٤ - مفهوم الطاعة فى هذه المراحل .

١ - فى أبعاد فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام البنا

وكلمات النص الذى كتبه الإمام البنا فى الطاعة

قبل الحديث عن هذه الأبعاد، ننقل نص الطاعة الذى يمثل الركن السادس من أركان البيعة كما حددها الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وهذا هو النص:

«وأريد بالطاعة؛ امتثال الأمر وإنفاذه توًا فى العسر واليسر والمنشط والمكره، وذلك أن مراحل الدعوة ثلاث:

- التعريف: بنشر الفكرة العامة بين الناس.

ونظام الدعوة فى هذه المرحلة نظام الجمعيات الإدارية، ومهمتها العمل للخير العام،

ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة، وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية.

وكل شعب الإخوان القائمة الآن تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة، وينظمها القانون الأساسى، وتشرحها رسائل الإخوان وجريدتهم.

والدعوة فى هذه المرحلة عامة.

ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة فى أعمالها، ووعد بالمحافظة على مبادئها.

وليست الطاعة التامة لازمة فى هذه المرحلة، بقدر ما يلزم فيها احترام النظام والمبادئ العامة للجماعة.

- والتكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد، وضم بعضها إلى بعض.

ونظام الدعوة فى هذه المرحلة صوفى بحت من الناحية الروحية، وعسكرى بحت من الناحية العملية.

وشعار هاتين الناحيتين دائما؛ أمر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج.

وتمثل الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة.

وتنظمها رسالة المنهج سابقا، وهذه الرسالة الآن.

والدعوة فيها خاصة لا يتصل بها إلا من استعد استعدادا حقيقيا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد «كمال الطاعة».

– والتنفيذ: والدعوة فى هذه المرحلة جهاد لا هوادة معه، وعمل متواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح فى هذه المرحلة إلا «كمال الطاعة كذلك».

وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين يوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ إبريل ١٩٤٠م.

وأنت بانضمامك إلى هذه الكتيبة، وتقبلك لهذه الرسالة، وتعهدك بهذه البيعة تكون فى الدور الثانى، وبالقرب من الدور الثالث، فقدر البيعة التى التزمتهاوأعد نفسك للوفاء بها».

هذا هو النص، فماذا نعنى بتحليله وشرحه؟

نعنى بالتحليل و الشرح عدة أمور هى:

– إلقاء الضوء على المعانى لتزداد وضوحا وانكشافا للقارئ.

– وربط كلمات النص بالواقع الذى عاشه الإمام البنا فى حياته العامة، وفى حياته مع الجماعة التى أنشأها.

– وتأصيل النص برده إلى مستنداته من الكتاب الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

● وهذا النص الخاص «بركن الطاعة» أحد الأركان العشرة للبيعة يكاد يكون أهم النصوص فى: «رسالة التعاليم» إذ اشتمل على مراحل الدعوة الثلاث:

التعريف،

والتكوين،

والتنفيذ.

وحدد لكل مرحلة سماتها وأبعادها، والأفراد الذين ينتمون إليها، بل حدد ما يجب أن يتصف به هؤلاء الأفراد من صفات، وصنف المؤسسات التى أنشأتها الجماعة، وأوكل إلى كل مؤسسة منها العناية بمن انضم إلى أى مرحلة من مراحل الدعوة الثلاث.

إن الإمام البنا – وهو يحدد هذه المراحل الثلاث للدعوة – يوجز هذا الحديث عن تلك المراحل، منطلقا من فقهه للإصلاح والتجديد، مستهدفا من هذا المنطلق أهدافا ثلاثة هى:

– تربية الأمة الإسلامية تربية إسلامية صحيحة نابعة من الكتاب والسنة، تمكنها من أن تأخذ مكانها ومكانتها اللائقة بها بين الأمم.

– ورسم خطة إصلاحية للتخلص من القيود والأغلال التى فرضها عليها العدو التقليدى للإسلام والمسلمين، وهو بداية للإصلاح المنشود.

– وتوضيح طريق الإصلاح والانتقال من الضعف إلى القوة، ومن التبعية إلى الاستقلال وحرية الإرادة واتخاذ القرار، وتحديد معالم هذا الطريق.

أما أبعاد فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام البنا؛ فنرجوا أن نوضحه فيما يلى:

● يخطئ من يظن أن الإمام حسن البنا كان ينطلق فى فقهه للإصلاح والتجديد من نظرة إقليمية محلية تخص مصر بلد نشأة حركة الإخوان المسلمين، ولكنه كان ينطلق فى هذا الفقه من إحساس بالعالم الإسلامى كله من الخليج شرقا إلى المحيط غربا، ومن البحر المتوسط إلى أقصى ما بلغته حركة الإخوان المسلمين إلى بلدان أفريقيا من شمالها إلى جنوبها، فضلا عما وصلت إليه الحركة من أماكن فى أوربا وأمريكا.

● يخطئ من يظن ذلك؛ لأن فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام البنا، إنما كان عاماً يشمل العالم الإسلامى كله، لأن العالم الإسلامى فى ذلك الوقت كان قدمنى جميعه بأعداء ألداء استولوا على الأرض واستباحوا العرض، وطمسوا عن عمد – باستيلائهم على مؤسسات التعليم والتربية – المنهج الإسلامى فى الحياة عموما، ومنهجه فى التربية على وجه الخصوص.

أ – صور العدوان على العالم الإسلامى

● وقد أخذ هذا العدوان على العالم الإسلامى صورا عديدة، لا يحس بها ويعانى مثل الإمام

حسن البنا المشغول بالإصلاح والتجديد، والذى يوقن بأن مقاومة أعداء الإسلام وإفشال خططهم هو هدف الحركة التى أنشأها سنة ١٩٢٨م.

ولنذكر بعض صور العدوان على العالم الإسلامى فيما يلى:

١ - صورة احتلال الجيوش الأجنبية من إنجليزية وفرنسية وإيطالية وهولندية وغيرها لمعظم بلدان العالم الإسلامى، من الهند شرقا إلى المغرب غربا أثناء الحرب العالمية الأولى وبعد انتهائها سنة ١٩١٦م.

وجاء مع الاحتلال الآثم تنحية لعدد من الحكومات الوطنية عن الحكم، وإقامة حكومات موالية للأعداد محل تلك الحكومات الوطنية، حتى لقد كانت هذه الحكومات التابعة للعدو تنهج من السياسة الغاشمة والقمع والاضطهاد، ما لا تجرؤ عليه جيوش الاحتلال.

ثم أخذت فكرة الولاء للأعداء تنتشر وتشيع حتى أصبح كبار الموظفين فى كثير من بلدان العالم الإسلامى أعداء لدينهم وأبناء دينهم، وكان هذا الولاء يبدأ بالولاء للغة العدو وثقافته وعاداته، ثم لا ينتهى حتى يكون ولاءً لسياسته ودينه!!!

٢ - وصورة التحالف بين الشرق والغرب على القضاء على دولة الخلافة العثمانية فى تركيا بوصفها رمزًا لنظام الحكم الإسلامى - من وجهة نظر هؤلاء الأعداء، وتحويل تركيا نفسها إلى دولة تعادى الإسلام والمسلمين وتتبنى منهجا علمانيا فى الحكم لا يعترف بأى دين.

ولقد تعاون الغرب والشرق - على ما بينهما من عداوة تقليدية - على القضاء على الإسلام فى تركيا، مستعينين فى ذلك بإنشاء الأحزاب الضالة المعادية للإسلام ونظامه ومنهجه التى أطلقت التهم جزافا على كل ما هو إسلامى.

ولقد عطلت الصلوات فى المساجد وتحول بعضها إلى مرابض للحيوانات، وأسرف الطاغية الذى اصطنعوه لضرب الإسلام والمسلمين - مصطفى كمال مشئوم تركيا - فى التنكيل بالمصلحين المسلمين وبالعلماء والأدباء، حتى منع الأذان من المساجد وحول كثيرا منها إلى كنائس، وألغى اللغة العربية حتى فى الأذان، مما جعل كثيرا من كتاب الغرب يلهجون بتاريخه وأعماله حتى اليوم.

وأفسدت مناهج التعليم، وظهرت الدعوات والثغرات التى تناوئ الإسلام وتريد أن تحل

محله مثل:

الطورانية فى تركيا،

والفينيقية فى الشام،

والآشورية فى العراق،

والفرعونية فى مصر،

والقحطانية فى اليمن،

والقومية العربية فى سائر بلدان العرب.

وكانت بصمات الغرب والصهيونية والماسونية واضحة لا يختلف على قوة تأثيرها الضار بالإسلام والمسلمين اثنان، وكل هذه القوى كانت مؤيدة بجيوش الاحتلال، وبشبكة قوية من الاقتصاديين وأصحاب رءوس الأموال، ودعاة الفسق والفجور.

٣ - وصورة احتلال عواصم العالم الإسلامى ذات الشهرة والتاريخ فى دول المسلمين مثل:

بغداد عاصمة العراق مهد الخلافة العباسية - احتلها الإنجليز.

ودمشق عاصمة الشام مهد الخلافة الأموية - احتلها الفرنسيون.

والقاهرة عاصمة مصر بلد الأزهر ومهد عدد كبير من دول المسلمين احتلها الإنجليز.

« واستانبول » عاصمة دولة الخلافة العثمانية استولى عليها الأعداء ومثلهم فى هذا الاستيلاء مصطفى كمال.

٤ - وصورة احتلال كثير من بلدان العالم الإسلامى، حتى لم يسلم منهم بلد من أقصى الغرب فى المغرب إلى أقصى الشرق فى الهند، وعلى الرغم من تنوع صور الاحتلال من قهر عسكرى إلى نظام حماية أو انتداب أو وصاية، فقد كان الجوهر واحدا والهدف واحدا وهو القضاء على كل ما هو إسلامى، وتمزيق وحدة المسلمين وتقسيمهم إلى دويلات.

٥ - وصورة استيلاء الصهيونيين على فلسطين، بمعونة كل دول العالم من الشرق والغرب، فقد احتلت إنجلترا فلسطين والعراق، ووضعت خطة إقامة وطن للصهيونيين فى فلسطين فوعدهم « بلفور » وزير خارجية بريطانيا بوطن فى فلسطين سنة ١٩١٧م، على حين

كان السلطان عبد الحميد قد رفض أن يبيع لهم أرضا فى فلسطين - على الرغم من ضخامة المال الذى عرضوا، وفداحة الديون التى كانوا قد أغرقوا فيها دولة الخلافة التى وعدوا بتسديدها!!!

٦ - وصورة تقسيم بلدان العالم الإسلامى بين جيوش الاحتلال التى انتصرت فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٦م على ألمانيا؛ وكأنها قد انتصرت على بلدان العالم الإسلامى!!! فقسمتها فيما بينها، وكان لإنجلترا وفرنسا أكبر الأنصبة، ثم كان لإيطاليا وأسبانيا وبلجيكا والبرتغال وهولندا أنصبة من بلدان العالم الإسلامى، وكأنهم يقسمون أملاكا لهم!!!

ودول العالم الإسلامى آنذاك ترزح تحت وطأة هذا الاحتلال - وإن كان الأعداء قد سموه استعمارا -حتى تمزقت وحدة العالم الإسلامى وأصبح دويلات وإمارات ومحميات وولايات!!! ثم تحولت هذه البلدان بفعل هؤلاء الأعداء إلى أماكن تمد هذا العدو باحتياجاته من القمح والقطن والسكر وغيرها من المزروعات والحديد والنحاس والذهب وغيرها من المعادن، واللحوم والأسماك والطيور وغيرها من «البروتينات» وأقيمت فيها المصانع والمعامل لصالح هؤلاء الأعداء!!!

وعاش أهل البلاد أتعس حياة إنسانية، يقتاتون فتات الموائد، ويعيشون غرباء فى ديارهم وأذلاء فى أوطانهم، يعانون من القوانين الجائرة والقضاء المختلط والتفرقة العنصرية... بل كانت الطامة الكبرى أن أصبح مواطنوا تلك البلدان الإسلامية وقودا وجنودا لأى معركة تخوضها دولة من هذه الدول التى تحتل أرضهم وديارهم؛ فقد حاربت بريطانيا الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ م - ١٩٤٥م بجنود معظمهم من أبناء بلدان العالم الإسلامى التى تحتل معظمه.

والحديث فى هذا ذو شجون وشئون، بحيث لا ينتهى ولا ينتهى منه العجب!!!

٧ - وصورة تشويه الحضارة الإسلامية كلها فى ماضيها وحاضرها، والحكم على الإسلام بواقع المسلمين السيء الذى يعيشونه ذلاً وضعفًا وانكسارا وتبعية وعجزا ورضوخا لإرادة العدو المحتل للبلاد!!!

ونُسى أو تنوسى ما كان للمسلمين من أمجاد وقوة وسيادة على نصف العالم تقريبا - فى وقت من الأوقات أيام كان يعيش المسلمون وفق مبادئ دينهم وينقذون به العباد من

عبادة العباد، ومن ضيق العيش فى ظل حكم مستبد ظالم إلى سعة الحياة التى يسودها العدل وتسيطر على نظمها الشورى.

ونسى أو تنوسى ما كان للمسلمين من مجد وحضارة فى أسبانيا، وكثير من بلدان أوربا!!!

نسى هذا أو تنوسى، أو حرك الأحقاد لشن هذه الحروب الشرسة ضد الإسلام والمسلمين!!!

- ومن تشويههم لحضارة المسلمين أن خططوا لقطع هذه المجتمعات المسلمة عن تاريخها وحضارتها بسيطرتهم على مؤسسات التعليم، وملء مناهج التعليم بالمغالطات والمفتريات والأكاذيب التى تستهدف إهمال الحضارة الإسلامية، وتشويه الإسلام نفسه، واتهام الرسول ﷺ وكبار الصحابة، وكبار المصلحين المسلمين بكل ما يسىء إليهم ويشوه فى نظر المتعلمين صورهم وأعمالهم[1].

- ولقد أدى هذا التشويه المتعمد للحضارة الإسلامية فى المدارس الأجنبية المنتشرة فى بلدان العالم الإسلامى، وفى الكتب والدراسات التى كتبها بعض المستشرقين الحاقدين على الإسلام، والتى كتبها بعض المسلمين من صنائع هؤلاء الأعداءالذين ربوا فى بلاد الأعداء وتعلموا فى مدارسهم وجامعاتهم، ووسدوا المناصب فى البلدان التى يسيطرون عليها...

كل ذلك أدى بالضرورة إلى أن تهتز ثقه كثير من المسلمين فى دينهم وفى حضارتهم، فضاع التزامهم بالإسلام وتحول ولاؤهم عنه إلى هذا العدو، فزاد الإقبال على التعلم فى مدارسهم ومعاهدهم المنتشرة فى بلاد المسلمين، وزاد التوجه إلى جامعاتهم فى البلدان الإسلامية أو فى أوربا وأمريكا.

ولقد ازدادت الفتنة بحضارةالغرب حتى نادى بعض المفكرين المسلمين بأن يأخذوا بهذه الحضارة خيرها وشرها!!! ثم تاب الله على من تاب منهم، وما تاب منهم إلا قليل!!!

٨ - وصورة إشاعة موجة عاتية من الإلحاد - الذى وفد من الغرب والشرق معا - فالغرب أخذ يشكك فى العقيدة الإسلامية ويحارب القيم الدينية فى ذاتها، والشرق - الاتحاد

---

(١) لمعرفة تفاصيل اوسع عن هذا التشويه: انظر للمؤلف.
- الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام. نشر دار القلم بالكويت.
-- والتراجع الحضارى فى العالم الإسلامى، وطرق التغلب عليه -- نشر دار الوفاء بمصر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

السوفيتى الذى كان - أخذ ينكر وجود الخالق، ويستهزىء بعالم الغيب وبكل قيمة إسلامية أو دينية.

ولقد أخذت موجة الإلحاد الوافد من الشرق اسم الشيوعية حينا واسم الاشتراكية حينا آخر، ووجدت أذنابا يرددون هذا الباطل ويقبضون الثمن، حتى لقد كان بعض الشباب الذين تضيق بهم الحال يقول بعضهم لبعض: هيا إلى الشيوعية لنقبض ما تدفع للرفقاء!!!

٩ - وصورة إشاعة موجة انحلال أخلاقى وفدت مع الغرب المحتل، وتمثلت مظاهرها فى سفور أو عرى المرأة الغربية الوافدة على بلدان العالم الإسلامى، مع شيوع الخمور وحانات الخمور وأماكن لعب الميسر والرهانات والربويات.

وقد استهدفت هذه الموجة أول ما استهدفت المرأة المسلمة لتلحقها بالمرأة الغربية التى تعمل وتكدح كالرجل وتحمل وتلد كالمرأة، ولا تسأل عن طفلها أمن نكاح هو أم من سفاح، لأن مثل هذه الأسئلة رجعية متخلفة - كما يقولون - ثم ينخدع الغافلون، والغافلات من أبناء العالم الإسلامى فيؤخذون ويؤخذن بما تضع المرأة الغربية على وجهها من أصباغ، وما تغير به خلق الله من وصل الشعر وزج الحاجب وتفليج الأسنان والتعطر وغشيان مجالس الرجال، وينادى بعض الغافلين الضالين بسفور المرأة ومخالطتها للرجال بل صداقتهم، وينجذب لهذه الدعاوى كثير ممن تأخذهم القشرة عن حقيقة اللباب.

ويبالغ هؤلاء الدعاة إلى سفور المرأة فى اتهام الإسلام بقهر المرأة وحبسها وحرمانها من حقوقها، فإذا تصدى لهم دعاة قائلين إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها من الحقوق مثل ما أعطى للرجل لكنه فرض عليها زيا يستر جسمها إلا وجهها وكفيها، قالوا لهؤلاء الدعاة: أنتم رجعيون متخلفون تريدون أن تضطهدوا المرأة، وتحولوها إلى جارية!!!

● ولا يدرى هؤلاء الغافلون - حتى اليوم - أى الحضارتين هى التى تحرم المرأة حقوقها؟

أهى الحضارة الغربية التى لا تورث المرأة ولا تسمح لها بالطلاق، بينما ترضى لها المخادنة والسفاح، وتلزمها بأن تعمل حتى تأكل، وبأن تستباح باسم الحرية الشخصية، وتتعرى لتنهبها أعين الفساق؟

أم الحضارة الإسلامية التى تعطيها كافة حقوقها المدنية وتلزم وليها بالإنفاق عليها حتى تتزوج فتنتقل هذه الواجبات إلى الزوج، وتبيح الطلاق - أى الخلع - إن كانت حياتها مع زوجها غير منصفة لها، وتستر جسدها وتكرمها وتعطيها حق التعلم والعمل وغير ذلك من الحقوق(١).

١٠ - وصورةحرب المؤسسات الإسلامية فى أى شكل من أشكالها؛

- فقد حوربت المساجد فأغلقت أبوابها دون الناس إلا فى أوقات أداء الفرائض، ومنعت الدروس فيها إلا بإذن من الحاكم، وهوجمت بعض المساجد بقوات الاحتلال وداست الخيول حرمة المسجد، وجاء وقت على بعض الحكومات كانت تعتقل الذين يصلون الفجر، وتنشر فى المساجد عيونها ورقباءها.

- وحوربت المدارس بإفساد مناهجها وإبعادها عن الإسلام وقيمه، وسوء إعداد معلميها، وتحويل ولائها، ووضع النظم والسياسات التى تضمن بعدها عن دينها، وتضمن قربها من الغرب وحضارته، وسيطر على التعليم أعداء الإسلام والمسلمين من أمثال « دانلوب » و« جب » وغيرهما، فأصبحت المدارس تخرج من لا ولاء لهم للإسلام، وإنما ولاؤهم للغرب والحضارة الغرب، والمدرسة أهم مؤسسة فى المجتمع، ومن سيطر عليها سيطر على المجتمع ووجهه كيف شاء!!!

- وحورب البيت المسلم محضن الطفل المسلم واليافع المسلم والشاب المسلم، حورب هذا البيت بتشويه فكر ركيزته وهى الأم وتسطيح فكر عموده وهو الأب، وإلهاء الأبناء بنين وبنات بكل ما هو بعيد عن الإسلام كالأفلام السينمائية التى أدخلوها معهم فكانت تنشر الفسق وتغرى به، والقصص الجنسية التى تشجع على الانحراف ثم على الرذيلة، تمردا على الأبوين، وعنفا وإقبالا على المخدرات ونحوها، وتغيرت عادات بيوت المسلمين، وتقاليدهم فى المجتمع الذى يضم هذه البيوت، ودخل على بيوت المسلمين، وتقاليدهم فى المجتمع الذى يضم هذه البيوت، ودخل على المسلمين إقامة « بار » مشرب خمر فى البيت، وممارسة الميسر فى البيت، والحفلات المختلطة التى يراقص فيها النساء الرجال ويساقونهم كئوس الخمر.

---

(١) للتوسع انظر للمؤلف: المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله.
نشر دار الوفاء مصر ١٣١٢هـ - ١٩٩٢م. ط ثالثة.

وأُخملت اللغة العربية فى البيت المسلم لتحل محلها الفرنسية أو الإنجليزية أو غيرهما من اللغات، وغيرت فى البيت عادات الطعام والشراب وآنيته وأدواته ودخلت على الأثرياء آنية الذهب والفضة، وعلى الفقراء الأكل باليد اليسرى، لأن قواعد الطعام الغربية هى كذلك.

● وحورب الفكر الإسلامى، والمفكرون المسلمون فاتهموا بأنهم دعاة جمود وتخلف ورجعية، وناوأهم دعاة التحرر بمعنى الارتماء فى أحضان الفكر الغربى، وتقديس المفكرين الغربيين.

وضاع الحق بين صيحات الباطل، ومجد «كارل ماركس» و«إنجلز» و«دزرائيلى» و«مكيافيلى» وأمثالهم، على حساب كبار المفكرين والمصلحين المسلمين، حيث ذُر التراب على تاريخهم وشوهت أعمالهم وانهالت عليهم التهم من هنا وهناك.

● ونَعَوْا على المسلمين أنهم لا يمارسون حرية المروق من الدين، ولا يخافون المحرمات، باسم الحرية الشخصية، ولا يكذبون باسم التجمل، ولا يرتشون باسم تبادل المنافع والمصالح!!!

وشجعوا كل متهجم على الدين، وكل متهم لأعلامه ورجال الإصلاح فيه، وكافئوهم بالمناصب والأموال واعتبروهم أهل تنوير وتطوير!! وتلك هجمة مخطط لها مدروسة، بل معروفة النتائج.

● وحسبهم من ذلك كله أن يستمر احتلال بلاد المسلمين بهؤلاء الأعوان أطول فترة ممكنة، حيث استمر فى الجزائر – على سبيل المثال – أكثر من مائة وثلاثين عاما، حيث مسخت الجزائر فى فترة الاحتلال مسخا شوه لغتها وقطع فيها اللسان العربى لتحل محله اللغة الفرنسية، وعزل الإسلام عن الحياة فحل محل منهجه ونظامه القانون الفرنسى، وحيل بين المسلمين وبين كل نشاط!!!

● ومن أعجب العجب أن فرنسا التى تدعى الحرية والمساواة والإخاءعندما أجبرت على الجلاء عن الجزائر أحرقت المكتبة العامة فيها!!! فهل اختلفوا فى ذلك عن التتار؟ الذين أغرقوا كتب بغداد فى دجلة والفرات لتكون معابر لجنودهم؟!!!

إن الحقد والضغائن وإضمار الشر للإسلام والمسلمين لا يختلف من قوم إلى قوم ما داموا منطوين على هذه الوحشية ومعاداة الإنسانية.

● وحوربت حركات الإصلاح والتجديد فى كل أقطار العالم الإسلامى من أقصى شرقه إلى أقصى غربه؛ ابتداء من حرب فكرة الجامعة الإسلامية التى دعا إليها المصلحون لتكون

رابطة تربط بين المسلمين بعد القضاء على دولة الخلافة العثمانية، حاربوها ليحلوا محلها قوميات وعرقيات وإقليميات لا يقر الإسلام أن تكون بديلا له.

بدأوا بحرب الجامعة الإسلامية واستمروا فى حرب كل حركة إسلامية إصلاحية فى أى قطر من أقطار العالم الإسلامى كله، وضيقوا على دعاة الإصلاح والتجديد، وحاربوا علماء الإسلام وتندروا بهم وبزيهم وكلامهم وتمسكهم بلغة القرآن الكريم!!!

وسجنوا الدعاة إلى الله ولفقوا لهم التهم وعذبوهم فى سجونهم، وحاربوهم فى أعمالهم وأرزاقهم، وحرموهم من حقوقهم الإنسانية التى يزعمون أنهم من رعاتها!!!

وأصدروا القوانين التى تحظر عليهم العمل من أجل الإسلام وتحول بينهم وبين حرية التنقل والإقامة.

● وسيطر هؤلاء الأعداء على وسائل الإعلام، ليقوموا بتغيير الفكر وتبديل الرأى كما يحلو لهم بوسائل عديدة تستهدف قطع الجذور الإسلامية من الفكر والثقافة، ليزينوا للناس كل خبيث وضال من المذاهب والمعتقدات والنحل والأباطيل، فى تعمد ظاهر يطمس كل ما هو إسلامى، وإحلال ما هو غير إسلامى محله.

ب - التفكير فى الإصلاح والتجديد عند الإمام البنا

● وسط هذا الجو الخانق، ومع هذه الآلة الطاغية المستبدة؛ فكر الإمام حسن البنا فى الإصلاح والتجديد لمواجهة هذه التيارات الجارفة المعادية للإسلام، فهداه تفكيره إلى إنشاء جماعة: «الإخوان المسلمين» عام ١٣٤٦هـ الموافق١٩٢٨م؛ أى عقب إسقاط الخلافة العثمانيةبسنوات أربع فقط، وانضم إليه فى هذه الجماعة عدد من المخلصين لدينهم. ثم أخذ عددهم فى الازدياد.

وافتتح الإمام البنا أول شعبة لتكون مركزًا لهذا التجمع المبارك المخلص لدينه ودعوته ووطنه، وطفق هذا الجمع المبارك يمارس نشاطه فى هذه الشعبة وفى خارجها كالمساجد والمنتديات والمقاهى.

وكان هذا النشاط متنوعا ما بين نشاط اجتماعى وآخر ثقافى وثالث دينى ورابع رياضى، وخامس سياسى، وسادس كشفى، وسابع اقتصادى، ثم تعددت شعب الجماعة فى مصر حتى بلغت أكثر من ألفى شعبة على مستوى القرى والمدن، تنتمى كل مجموعة من هذه الشعب إلى ما سمى: مركز جهاد على مستوى «المركز فى النظام الإدارى بمصر» وكل

مجموعة من هذه المراكز تنتمى إلى ما يعرف بالمنطقة، وكل مجموعة من المناطق تنتمى إلى ما يسمى «بالمكتب الإدارى» على مستوى المديرية آنئذ - المحافظة اليوم .

- ثم انتشر فكر الجماعة فى الإصلاح والتجديد إلى خارج مصر، فوجد قلوبا طاهرة وآذانا صاغية ورجالا صادقين مخلصين لدينهم ولعالمهم الإسلامى فى: السودان، وسوريا، وفلسطين، والعراق، والأردن، ولبنان.

وبعد سنتين من هذه المنشأة وضع القانون الأساسى للجماعة فى سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠م ثم أدخلت عليه تعديلات عديدة كان آخرها سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م، وعرض هذا التعديل على الهيئة التأسيسية للجماعة التى أقرته فى صيغته النهائية فى ١٢ من شهر رجب الفرد سنة ١٣٦٧هـ الموافق ٢١ من شهر مايو سنة ١٩٤٨م.

وهذا القانون ردّ تاريخى مفحم لكل من يتهم الجماعة بالتهم الباطلة أو يزعم أنها خرجت قيد أنملة عن الإسلام ونهجه، ونورد نصه فى الصفحات التالية ليقرأه من لم يطلع عليه فيستبين الحق ويسفر الصبح لذى عينين.

وهذا هو نص القانون الأساسى للجماعة كما أثبتته وثائقها وأوراقها التاريخية المودع كثير منها فى دور الكتب:

جـ - القانون الأساسى للجماعة منطلق الإصلاح

الباب الأول

اسم الهيئة ومقرها

مادة (١)

فى شهر ذى القعدةسنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) تألفت هيئة «الإخوان المسلمين» ومقرها الرئيسى مدينة القاهرة.

الباب الثانى

الغاية والوسيلة

مادة (٢)

الإخوان المسلمون «هيئة إسلامية جامعة» تعمل لتحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام الحنيف وما يتصل بهذه الأغراض من:

أ - شرح دعوة القرآن الكريم شرحا دقيقا يوضحها، ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضها عرضا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

ب - جمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة.

جـ - تنمية الثروة القومية وحمايتها، وتحريرها، والعمل على رفع مستوى المعيشة.

د - تحقيق العدالة الاجتماعية، والتأمين الاجتماعى لكل مواطن، والمساهمة فى الخدمة الشعبية، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، وتشجيع أعمال البر والخير.

هـ - تحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعا والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى، ومساعدة الأقليات الإسلامية فى كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا، والسير إلى الجامعة الإسلامية.

و – قيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليًا، وتحرسها فى الداخل وتبلغها فى الخارج.

ز – مناصرة التعاون العالمى مناصرة صادقة فى ظل المثل العليا الفاضلة التى تصون الحريات وتحفظ الحقوق، والمشاركة فى بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة.

مادة (٣)

يعتمد الإخوان المسلمون فى تحقيق هذه الأغراض على الوسائل الآتية وعلى كل وسيلة أخرى مشروعة:

أ – **الدعوة** – بطريق النشر والإذاعة المختلفة من الرسائل والنشرات والصحف والمجلات والكتب والمطبوعات وتجهيز الوفود والبعثات فى الداخل والخارج.

ب – **التربية** – بطبع أعضاء الهيئة على هذه المبادئ، وتمكين معنى التدين العملى لا القولى فى أنفسهم أفرادا وبيوتا، **وتكوينهم** تكوينا صالحا – بدنيًا بالرياضة، وروحيا بالعبادة، وعقليا بالعلم – وتثبيت معنى الأخوة الصادقة والتكامل التام والتعاون الحقيقى بينهم حتى يتكون رأى عام إسلامى مُوحد، وينشأ جيل جديد يفهم الإسلام فهما صحيحا ويعمل بأحكامه، ويوجه النهضة إليه.

جـ – **التوجيه** – بوضع المناهج الصالحة فى كل شئون المجتمع: من التربية، والتعليم، والتشريع والقضاء، والإدارة، والجندية، والاقتصاد، والصحة العامة، والحكم.. إلخ. والاسترشاد بالتوجيه الإسلامى فى ذلك كله والتقدم بها إلى الجهات المختصة، والوصول بها إلى الهيئات النيابية والتشريعية والتنفيذية والدولية، لتخرج من طور التفكير النظرى إلى طور التفكير العملى.

د – **العمل** – بإنشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية ودينية وعلمية وبتأسيس المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجىء.. إلخ، وتأليف اللجان لتنظيم الزكاة والصدقات لأعمال البر، والإصلاح بين الأفراد والأسر، ومقاومة الآفات الاجتماعية، والعادات الضارة، والمخدرات والمسكرات والمقامرة والبغاء، وإرشاد الشباب إلى طريق الاستقامة، وشغل وقت الفراغ بما يفيد وينفع. ويستعان على ذلك بإنشاء أقسام مستقلة طبقا للوائح خاصة تتفق مع القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ الخاص بتنظيم الجماعات الخيرية وأعمال البر وتسجيلها بوزارة الشئون الاجتماعية.

الباب الثالث

الأعضاء وشروط العضوية

مادة (٤)

عضو الهيئة هو كل مسلم عرف مقاصد الدعوة ووسائلها وتعهد بأن يناصرها ويحترم نظامها وينهض بواجبات عضويتها ويعمل على تحقيق أغراضها، ثم وافقت إدارة الشعبة التى ينتمى إليها على قبوله وبايع على ذلك وأقسم عليه. ونص البيعة:

«أعاهد الله العلى العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين والجهاد فى سبيلها والقيام بشرائط عضويتها والثقة التامة بقيادتها والسمع والطاعة فى المنشط والمكره. وأقسم بالله العظيم على ذلك وأبايع عليه والله على ما أقول وكيل».

مادة (٥)

يقضى العضو مدة اختبار قبل البيعة لا تقل عن ستة شهور يثبت فيها أنه قام بواجبات عضويته بصورة مرضية. وفى هذه الحالة تعتمد عضويته من المركز العام، ويؤذن له بأداء البيعة بناء على طلب الشعبة، ويقوم رئيس الشعبة أو من يقوم مقامه بمبايعته نيابة عن المرشد العام.

مادة (٦)

على كل عضو أن يقرر على نفسه اشتراكا ماليا شهريا أو سنويا يقوم بتسديده بانتظام، ولا يمنع ذلك من المساهمة فى نفقات الدعوة بالتبرع أو الوصية أو الوقف أو كلها معا، كما أن للدعوة حقا فى زكاة أموال الأعضاء القادرين على ذلك، ويعفى من كل هذه التكاليف المالية غير المستطيعين بقرار من إدارة الشعبة بعد التأكد من حالة عدم الاستطاعة. وكل ما يدفع لا يجوز طلب رده بحال.

مادة (٧)

إذا قصر العضو فى واجب من واجباته أو فرط فى بعض حقوق الدعوة كان لرئيس الشعبة التى ينتمى إليها أن يلفت نظره إلى هذا التقصير ويعمل على إصلاحه بالوسائل الجدية. وإذا عاد كان لمجلس الشعبة أن ينذره أو يوقع عليه جزاءً ماليا أو يقرر وقفه مدة لا تزيد عن شهر أو يقرر إعفاءه من العضوية. وفى حالة توقيع الجزاء بالإعفاء يجب أخذ موافقة المركز العام

قبل إعلان القرار إذا لم يكن العضو تحت الاختبار.

مادة (٨)

على الأعضاء أن يتكافلوا فيما بينهم. وتنظيم هذا التكافل تتضمنه لائحة خاصة يضعها المركز العام.

الباب الرابع

الهيئات الإدارية الرئيسية للإخوان المسلمين

مادة (٩)

الهيئات الرئيسية للإخوان المسلمين هي:

أولا - المرشد العام للإخوان المسلمين، وهو الرئيس العام للهيئة ولمكتب الإرشاد وللهيئة التأسيسية.

ثانيا - مكتب الإرشاد العام، وهو الهيئة الإدارية العليا للإخوان المسلمين والمشرف على سير الدعوة والموجه لسياستها وإدارتها.

ثالثا - الهيئة التأسيسية - وهي مجلس الشورى العام للإخوان المسلمين والجمعيةالعمومية لمكتب الإرشاد العام.

أولا - المرشد العام

مادة (١٠)

المرشد العام للإخوان المسلمين هو الرئيس الأعلى للهيئة، كما أنه رئيس مكتب الإرشاد العام والهيئة التأسيسية.

ويشترط فيمن يختار مرشدا عاما أن تتوافر فيه الشروطالآتية:

أ - أن يكون من أعضاء الهيئة التأسيسية وقد مضى على اتصاله بها خمس سنوات.

ب - ألا تقل سنه عن ثلاثين سنة هلالية.

جـ - أن تتوافر فيه الصفات العلمية والخلقية والعملية التي تؤهله لذلك.

مادة (١١)

ينتخب المرشدالعام من بين أعضاء الهيئة التأسيسية فى اجتماع يحضره على الأقل أربعة أخماس أعضاء هذه الهيئة، ويجب أن يكون حائزا لثلاثة أرباع أصوات الحاضرين. وإذا لم يحضر الاجتماع العدد القانونى أجل إلى موعد آخر لا يقل عن أسبوعين ولا يزيد عن شهرمن تاريخ الاجتماع الأول. ويجب أن تتوفر فى هذا الاجتماع النسبة المقررة فى الاجتماع الأول من عدد الحاضرين والموافقين، فإذا لم يتوفر العدد القانونى فى هذا الاجتماع أجل مرة ثانية وعلى الهيئة تحديد موعد اجتماع آخر فى مدة كالسابق بيانها، مع الإعلان عنه وعن المهمةالتى سيعقد من أجلها وعن أن الاجتماع التالى سيكون صحيحا مهما كان عدد الحاضرين، ويكون الاختيار صحيحا بأغلبية ثلاثة أرباع الحاضرين.

مادة (١٢)

إذا تم اختيار المرشد العام اقسم أمام الهيئة التأسيسية القسم الآتى:

« اقسم بالله العظيم أن أكون حارسا أمينا لمبادئ الإخوان المسلمين ونظامهم الأساسى، وألا أجعل مهمتى سبيلا إلى منفعة شخصية، وأن أتحرى فى عملى وإرشادى مصلحة الجماعة وفق الكتاب والسنة، وأن أتقبل كل اقتراح أو رأى أو نصيحة من أى شخص بقبول حسن، وأن أعمل على تنفيذه متى كان حقا. وأشهد الله على ذلك ».

وعلى أعضاء الهيئة التأسيسية أن يجددوا معه بيعة الإخوان المنصوص عنها فى المادة (٤)، ويبايعه الإخوان فى الشعب المختلفة عن طريق رؤسائهم، ويجددون بيعتهم معه لأول لقاء يجتمعون به فيه.

مادة (١٣)

يضطلع المرشد العام من هذه اللحظة بمهمته وعليه أن يستقيل من عمله الخاص ويتفرغ كل التفرغ للمهمة التى اختير لها.

مادة (١٤)

لا يصح للمرشد العام - بشخصه ولا بصفته - أن يساهم فى شركات أو أعمال اقتصادية أو يشترك فى إدارتها، حتى ما يتصل منها بهيئة الإخوان المسلمين وأغراضهم، صيانة لشخصه؛ وتوفيرا لوقته ومجهوده. على أن يكون له الحق فى مزاولة الأعمال العلمية والأدبية بموافقة مكتب الإرشاد العام.

مادة (١٥)

يقوم المركز العام بنفقات المرشد العام، ما لم يكن له –من ماله الخاص أو من الأعمال التى أجازمزاولتها له مكتب الإرشاد العام – ما يقوم بذلك. على أن يكون تقدير هذه النفقات بلجنة تختارها الهيئة التأسيسية لهذا الغرض عقب انتخابه مباشرة.

مادة (١٦)

إذا أخل المرشد العام بواجباته منصبه، أو فقد الأهلية اللازمة لهذا المنصب، فعليه أن يتخلى عنه. كما أن للهيئة التأسيسية أن تقرر إعفاءه فى اجتماع يحضره أربعة أخماس الاعضاء. ويجب أن يكون هذا الإعفاء بموافقة ثلاثة أرباع الحاضرين. على أنه إذا لم يتم الاجتماع على النحو السالف طبقت أحكام المادة (١١).

مادة (١٧)

يقوم المرشد العام بمهمته مدى حياته (ما لم يطرأ سبب يدعو إلى تخليه عنه). والمرشد العام حاليا هو فضيلة الأستاذ حسن البنا باعتباره المؤسس الأول للدعوة والقائم عليها منذ نشأتها.

مادة (١٨)

فى حالة الوفاة أو العجز عن العمل يقوم الوكيل مقام المرشد العام حتى يعرض الامر على الهيئة التأسيسيةفى اجتماع توجه إليه الدعوة خلال شهر على الأكثر.

ثانيا – مكتب الإرشاد العام

مادة (١٩)

يتكون مكتب الإرشاد العام من اثنى عشر عضوا ينتخبون من بين أعضاء الهيئة التأسيسية عدا المرشد العام – ويلاحظ فى انتخابهم أن يكون تسعة منهم من إخوان القاهرة والثلاثة الباقوم من بين إخوان الأقاليم.

مادة (٢٠)

يشترط فيمن يرشح لعضوية مكتب الإرشاد العام أن تتوافر فيه الشروط الآتية:

أ – أن يكون من بين أعضاء الهيئة التأسيسية، وأن يكون قد مضى على عضويته فيها مدة لا تقل عن ثلاث سنوات.

ب - أن يكون مؤهلا من النواحى الخلقية والعلمية والعملية لهذه العضوية.

جـ - ألا تقل سنه عن ثلاثين سنة هجرية.

مادة (٢١)

يتم انتخاب أعضاء المكتب من بين أعضاء الهيئة التأسيسية جميعا، إلا من اعتذر وقبلت الهيئة عذره) بطريق الاقتراع السرى. وتتكون لجنة تختارها الهيئة من بين أعضائها (ويفضل المعتذرون عن الترشيح إن وجدوا) بالقيام بعملية فرز الأصوات وإعلان النتيجة.

مادة (٢٢)

إذا تم انتخاب أعضاء المكتب فعلى كل منهم أن يقسم أمام الهيئة القسم الآتى:

«أقسم بالله العظيم أن أكون حارسا أمينا لمبادئ الإخوان المسلمين ونظامهم الأساسى، واثقا بقيادتهم، منفذا لقرارات المكتب العام القانونية، وإن خالفت رأيى فى هذا بكل قوتى فى سبيل تحقيق الغاية السامية، وأبايع الله على ذلك، والله على ما أقول وكيل».

مادة (٢٣)

إذا تم إعلان النتيجة والقسم انتخبت الهيئة بالاقتراع السرى، ومن بين الإخوان التسعة القاهريين وكيلا وسكرتيرا عاما وأمينا للصندوق، وقامت لجنة الفرز السابقة (مادة ٢١) بفرز الأوراق وإعلان النتيجة أيضا.

مادة (٢٤)

مدة عضوية المكتب سنتان، ويتجدد الانتخاب فى نهاية المدة، ويجوز اختيار العضو لأكثر من مرة، وإذا خلا مكان أحد الأعضاء قبل مضى المدة المحدودة حل محله الذى يليه فى عدد الأصوات فى انتخابات الهيئة.

مادة (٢٥)

من واجبات عضو المكتب السهر على مصلحة الجماعة، والمواظبة على حضور الجلسات، وسرية المداولات، واحترام القرارات، ولو كانت مخالفة لرأيه الخاص، وليس له نقدها أو الاعتراض عليها متى صدرت بصورة قانونية، والقيام بالمهمات التى يكلف بإنجازها على أكمل وجه. وإذا قصر أحد الأعضاء فى واجبات عضويته كان للمكتب أن يؤاخذه على التقصير بلفت نظره أو إنذاره أو بالغرامة المالية أو بالإيقاف مدة لا تزيد على شهر أو بالإعفاء

من عضوية المكتب، ويجب أن يصدر قرار الإعفاء بأغلبية ثلاثة أرباع الحاضرين ويعلن العضو بالحضور ليشرح وجهة نظره للمجتمعين.

مادة (٢٦)

لمكتب الإرشاد العام الحق فى أن يضم لعضويته عددا من أعضاء الهيئة التأسيسية من ذوى الكفاءة والمؤهلات والسبق فى الدعوة، على ألا يزيد عدد هؤلاء على ثلاثة أعضاء، ويكون لهؤلاء الأعضاء جميع الحقوق والواجبات التى للأعضاء المنتخبين.

مادة (٢٧)

السكرتير العام يمثل مكتب الإرشاد العام والمركز العام للإخوان المسلمين تمثيلا كاملا فى كل المعاملات الرسمية والقضائية والإدارية. إلا فى الحالات الخاصة التى يرى المكتب فيها انتداب شخص آخر بقرار قانونى منه.

مادة (٢٨)

مهمة السكرتير العام - تنفيذ قرارات مكتب الإرشاد العام، ومراقبة نواحى النشاط وأقسام العمل بالمركز العام، وله أن يستعين بغيره من الأعضاء أو الموظفين، ولكنه هو المسئول أمام المكتب عما يسند إليهم من أعمال. وفى حالة غياب السكرتير العام أو تعذر قيامه بعمله ينتدب المكتب من بين أعضائه من يحل محله مؤقتا.

مادة (٢٩)

مهمة أمين الصندوق - ضبط أموال الهيئة، وحصر ما يرد منها وما ينصرف، ومراقبة كل نواحى النشاط المالى والحسابى، والإشراف على تنظيمها، وإحاطة المكتب علما بذلك فى فترات مناسبة. وله أن يستعين بغيره من الأعضاء أو الموظفين تحت مسئوليته. وفى حالة غيابه أو تعذر قيامه بعمله ينتدب المكتب من بين أعضائه من يقوم بمهمته مؤقتا.

مادة (٣٠)

جلسات المكتب دورية، وتحدد بقرار منه، ويجتمع فى غير الموعد الدورى إذا حدث ما يدعو إلى ذلك بدعوة من المرشد العام أو من يقوم مقامه، أو بطلب يقدم إليه من ثلاثة من الأعضاء. وتكون الجلسة قانونية إذا حضرها أغلبية الأعضاء المطلقة (النصف بزيادة واحد) ويعتبر المعتذرون بأعذار مقبولة مع التأييد فى حكم الحاضرين من حيث العدد لا من حيث

الأصوات. فإذا لم يتم النصاب القانونى للأعضاء أجلت أسبوعا، وكانت الجلسة التى تليها قانونية بأى عدد يحضر. وينبه الأعضاء إلى ذلك بخطاب من سكرتير المكتب. وتكون القرارات فى أى اجتماع تال صحيحةمتى صدرت عن الأغلبية المطلقة للمجتمعين كذلك، وإذا تساوت الأصوات رجح جانب الرئيس.

مادة (٣١)

يرأس اجتماعات المكتب المرشد العام، أو الوكيل عند غيابه، أو أكبر الأعضاء سنا إذا تخلف الوكيل ويتلو محضو الاجتماع السابق ويصدق عليه، ثم ينظر فى جدول الأعمال.

مادة (٣٢)

لمكتب الإرشاد العام أيضا أن ينشئ أقساما أو يؤلف لجانا من بين أعضائه أو أعضاء الهيئة التأسيسية أو غيرهم للقيام بتحقيق أغراض الهيئة. وله أن يضع اللوائح اللازمة لهذه اللجان ولأوجه نشاط أقسامه والمشروعات المختلفة.

ثالثا - الهيئة التأسيسية

مادة (٣٣)

تتألف الهيئة التأسيسية «لهيئة الإخوان المسلمين» من الإخوان الذين سبقوا بالعمل لهذه الدعوة.

مادة (٣٤)

مهمة هذه الهيئة: (الإشراف العام على سير الدعوة،واختيار أعضاء مكتب الإرشاد العام، وانتخاب مراجع الحسابات، وتعتبر مجلس الشورى العام «للإخوان المسلمين» والجمعية العمومية لمكتب الإرشاد العام.

مادة (٣٥)

تجتمع هذه الهيئة اجتماعا دوريا خلال أول شهر من كل عام هجرى لسماع ومناقشة تقرير مكتب الإرشاد عن نشاط الدعوة فى العام الجديد، واختيار الأعضاء الجدد إذا حل موعد اختيارهم، ومناقشة تقرير المراجع عن الحساب الختامى للسنة الماضية، والميزانية المقترحة للسنة الآتية، وانتخاب المراجع الجديدإذا حل موعد انتخابه (ويجب أن يكون من أعضائها وألا يكون من المختارين لمكتب الإرشاد العام)، وللنظر فى غير هذا الموعد اجتماعا

فوق العادة إذا حدث ما يدعو إلى ذلك من المرشد العام أو بقرار من مكتب الإرشاد أو بطلب يقدم من عشرين عضوا، والمرشد العام هو الذى يرأس الاجتماع، فإذا لم يحضر، أو كان الاجتماع لأمر يتصل به، أو رأى أن ينتحى عن رئاسة الجلسة قام بذلك الوكيل. فإذا تخلف أو اعتذر فأكبر الأعضاء سنا. ويكون الاجتماع صحيحا إذا حضرته الأغلبية المطلقة (النصف بزيادة واحد) إلافى الحالات التى اشترط لها نصاب خاص، فإذا لم يتكامل العدد أجل الاجتماع أسبوعين وأعيدت الدعوة ونص فيها على الموضوع وعلى أن الاجتماع سيصير قانونيا بأى عدد يحضر، وتكون القرارات صحيحة إذا صدرت عن الأغلبية المطلقة للحاضرين إلا فى الحالات الخاصة.

مادة (٣٦)

لهذه الهيئة أن تقرر فى أى اجتماع، أو بناء على ترشيحات اللجنة المنصوص عليها فى المادة التالية، منح بعض الإخوان حق العضوية للهيئة التأسيسية، بشرط أن تتوفر فيمن يراد منحه إياها هذه الشروط:

أ - أن يكون من الأعضاء المثبتين.

ب - ألا تقل سنه عن خمس وعشرين سنة هلالية.

جـ - أن يكون قد مضى على اتصاله بالدعوة خمس سنوات على الأقل.

د - أن يكون متصفا بالصفات الخلقية والثقافية والعملية التى تؤهله لذلك.

ويجب ألا يزيد عدد من يمنحون هذه العضوية على عشرة إخوان فى كل عام، على أن يراعى فى اختيار هؤلاء تمثيل المناطق بقدر الإمكان.

مادة (٣٧)

تنتخب الهيئة التأسيسية من أعضائها (ومن غير الأعضاء المنتخبين للمكتب) لجنة مكونة من سبعة أعضاء ويفضل غير القاهريين وذوى الإلمام والصلات بالفقه الإسلامى والإجراءات القانونية. مهمتها تحقيق ما يحال عليها من المرشد العام أو مكتب الإرشاد أو الهيئة نفسها خاصا بما يمس الأعضاء فى سلوكهم أو الثقة بهم أواى أمر آخر. ولهذه اللجنة أن توقع ما تشاء من الجزاءات حتى الإعفاء من العضوية على أن تعتمد ذلك من المرشد العام. وعند اختيار هؤلاء الأعضاء يقسمون أمام الهيئة، بالله العظيم «على أن يؤدوا ما

عليهم بالذمة والصدق والأمانة . وتختار اللجنة رئيسها وسكرتيرها من بين أعضائها عقب اختيارها مباشرة، وتدون قراراتها ومحاضرها فى سجل خاص بها، ويكون اجتماعها صحيحا بحضور خمسة من أعضائها متى كان فيهم الرئيس، وتكون قراراتها صحيحة إذا صدرت عن الأغلبية المطلقة للمجتمعين. ويتجدد اختيارها مع اختيار المكتب، ولا مانع من اختيارها كلها أو بعضها لأكثر من مرة. وتجتمع بدعوة من رئيسها. وللعضو الذى يتقرر فصله أن يستأنف هذا القرار بطلب كتابى يرفع إلى مكتب الإرشاد العام ليعرض على الهيئة التأسيسية فى أول اجتماع لها، ورأيها فيه حاسم.

مادة (٣٨)

إذا قصر واحد من أعضاء الهيئة التأسيسية فى الواجبات الملقاة عليه نصحه المرشد العام، فإذا تكرر التقصير أحاله على اللجنة المنوه عنها فى المادة السابقة، إلا إذا كان عضوا بالمكتب فيتخذ فى شأنه ما نص عليه فى المادة (٢٥).

مادة (٣٩)

نزول صفة العضوية عن عضو الهيئة التأسيسية بالاستعفاء أو بفقدانه أحد الشروط التى تؤهله للعضويةأو بقرار من اللجنة المنصوص عليها فى المادة (٣٧) بالشروط الواردة فيها أو بقرار من الهيئة نفسها،وفى كل الأحوال يجوز للمرشد العام أن يأمر بوقف العضو على أن يعرض أمره فورا على الهيئة المختصة بالنظر فى أمره.

الباب الخامس

الهيئات الإدارية للشعب والمناطق

مادة (٤٠)

الإخوان المسلمون فى كل مكان هيئة واحدة تؤلف بينها الدعوة ويجمعها هذا النظام الأساسى ويوجهها المكتب العام. ويقسمون بحسب الأماكن والبلدان إلى شعب تعتبر كل منها وحدة إدارية يشرف عليها (مجلس إدارة) تختاره (الجمعية العمومية) للإخوان المسلمين فى هذه الشعبة طبقا للمواد الآتية:

أولا - الجمعية العمومية

مادة (٤١)

تتكون الجمعية العمومية للشعبة من الاعضاء المثبتين المسددين لاشتراكاتهم إلى آخر شهر قبل الانعقاد أو المعفون منها بقرار قانونى . وتجتمع اجتماعادوريا خلال شهر المحرم، وفى غير هذا الموعد إذا وجد ما يدعو إلى ذلك بدعوة من رئيس الشعبة أو من المرشد العام أو بطلب يقدم إلى احدهما من خُمس الاعضاء . ويكون انعقادها صحيحا إذا حضره نصف الأعضاء على الأقل، وتكون القرارات صحيحة إذا صدرت عن الأغلبية المطلقة . فإذا لم يتم العدد القانونى أجل الاجتماع أسبوعا يكون بعدها الاجتماع صحيحا بأى عدد يحضر . وترسل الدعوة فى الحالتين قبل الموعد بثلاثة أيام على الأقل ومعها جدول الأعمال . ويقوم برئاسة الاجتماع رئيس الشعبة أو وكيلها أو أكبر الأعضاء سنا إذا لم يحضرا .

مادة (٤٢)

من اختصاصات الجمعية العمومية انتخاب أعضاء مجلس الإدارة ومراجع الحسابات، والنظر فى التقارير التى تقدم إليها منها، واعتماد ميزانية العام الجديد، والموافقة على الحساب الختامى للعام الماضى، ومناقشة ما يعرض عليها من الاقتراحات والموضوعات .

مادة (٤٣)

يجب إخطار المركز العام دائما بموعد انعقاد الجمعية العمومية، وبجدول أعمالها فى هذا الاجتماع قبله بعشرة أيام على الأقل . وللمركز العام أن يوفد من يمثله فى هذا الاجتماع . ويشترط لصحة القرارات أيا كانت موافقة المركز العام .

ثانيا - مجلس الإدارة

مادة (٤٤)

يتألف مجلس الإدارة من رئيس يختاره المركز العام ووكيلين وسكرتير وأمين صندوق تنتخبهم الجمعية العمومية من بين أعضائها بالاقتراع السرى . ويجدد مجلس الإدارة كل عامين . ويشترط فيمن ينتخب عضوا بالمجلس أن تكون سنه إحدى وعشرين سنة هلالية على الأقل . ويجوز انتخاب العضو أكثر من مرة . وللمركز العام إعفاء الرئيس من مهمته وانتداب من يحل محله إذا رأى ذلك فى أى وقت من الأوقات .

مادة (٤٥)

متى تم انتخاب أعضاء مجلس الإدارة أدى كل عضو منهم هذا القسم:

«أقسم بالله العظيم أن أكون حارسا أمينا لمبادئ الإخوان المسلمين ونظامهم الأساسي، واثقا بقيادتهم، منفذا لقرارات مكتب الإرشاد العام وقرارات مجلس إدارة الشعبة وإن خالفت رأيي مجاهدا ما استطعت في سبيل تحقيق الغاية السامية، وأبايع الله على ذلك، والله على ما أقول وكيل».

مادة (٤٦)

رئيس الشعبة هو المسئول الأول عن أعمالها ونشاطها بالاشتراك مع المجلس، وهو الذى يرأس الجلسات والاجتماعات، ويمثل شعبته فى كل المعاملات الرسمية والقضائية، وفى التوقيع على الأوراق أيا كان نوعها، ويقوم عنه أحد الوكيلين حال غيابه. ويقوم السكرتير بالمحافظة على الأختام والسجلات والملفات.. إلخ. ويقوم أمين الصندوق على حفظ الأموال وتنظيم حساب الخزينة وتقديم التقارير والبيانات المتعلقة بمهمته لمجلس الإدارة والجمعية العمومية.

مادة (٤٧)

اجتماعات المجلس دورية، وتحدد بقرار منه ويدعى فى غيرها إذا حدث ما يدعو إلى ذلك بدعوة من الرئيس. ويرأسه الرئيس أو أحد الوكيلين أو أكبر الأعضاء سنا، وتكون الاجتماعات قانونية بحضور نصف الأعضاء إذا كان بينهم الرئيس أو الوكيل. وتكون القرارات صحيحة إذا صدرت عن الأغلبية المطلقة للحاضرين، فإذا تساوت الأصوات يكون جانب الرئيس مرجحا.

مادة (٤٨)

لمجلس الإدارة الحق فى تكوين ما يرى من الأقسام الإدارية واللجان، ويحسن أن يكون ممثلا فى كل لجنة بعضو واحد على الأقل.

مادة (٤٩)

إذا خلا مكان عضو من أعضاء المجلس بالإعفاء أو الاستعفاء فللمجلس الحق فى تعيين العضو الذى يليه فى عدد الأصوات فى آخر انعقاد الجمعية العمومية.

ثالثا – المناطق والمكاتب الإدارية وشعب الخارج

مادة (٥٠)

للمركز العام أن يقسم شعب الإخوان فى داخل المملكة المصرية إلى مناطق بحسب التقسيمات الإدارية الحكومية، أو سهولة المواصلات، أو غير ذلك من الاعتبارات. وتكون إحدى هذه الشعب مقرا للمنطقة. كما أن له أن ينشئ مكاتب إدارية يختص كل واحد منها بالإشراف على عدة مناطق. وتحدد مهمات المناطق والمكاتب بلوائح وأوامر يصدرها المكتب العام.

مادة (٥١)

للمركز العام أن ينشئ للهيئة شعبا وفروعا فى البلاد العربية والإسلامية وغيرها، مع ملاحظة الأوضاع والظروف الخاصة، وتحدد الصلة بينه وبينها بلوائح وقرارات فى مؤتمرات جامعة تضم ممثليه وممثلى هذه الشعب.

الباب السادس

صلة المركز العام بالشعب

مادة (٥٢)

مكتب الإرشاد العام – باعتباره الهيئة الإدارية العليا للإخوان المسلمين – له وحده حق اعتماد الشعب الجديدة والهيئات الإدارية، والإشراف بنفسه أو بوساطة المناطق والمكاتب والمندوبين على سير الدعوة فيها.

مادة (٥٣)

للمركز العام أن ينتدب من الإخوان فى كل شعبة أو منطقةمندوبا عنه يمثله إلى جانب مجلس الإدارة ويكون لهذا المندوب حق حضور الجلسات، والاشتراك فى المناقشات بدون تصويت. وإذا رأى من القرارات ما يمس حقوق الدعوة فله حق وقف هذا القرار حتى يستشير المركز العام ويروى رأيه، ورأى المركز العام فى ذلك نهائى.

مادة (٥٤)

للمكتب أن يرفض اعتماد أية هيئة إدارية لا يراها صالحة للقيام بأعباء الدعوة وحينئذ

يعاد الانتخاب بمعرفة الجمعية العمومية، كما أن للمكتب أن يرفض الموافقة على بعض الأعضاء المنتخبين، وحينئذ يحل محلهم من يليهم فى الأصوات.

مادة (٥٥)

للمكتب العام حق حل أية شعبة تخرج عن سير الدعوة بقرار منه، ولا يكون لها بعد ذلك الحق فى أن تتصرف باسم الإخوان فى عمل ما.

الباب السابع

النظام المالى للهيئة

مادة (٥٦)

تتكون مالية المركز العام من اشتراكات أعضائه وأعضاء الهيئة التأسيسية وأعضاء الشعب والمناطق ومن التبرعات والوقفيات والوصايا من أعضاء الهيئة خاصة ومن غيرهم إذا كانت باسم الدعوة ووافق على قبولها المركز العام ومن ريع المطبوعات والشارات.. إلخ. وتتكون مالية الشعب والمناطق من النسب المحددة لها من اشتراكات أعضائها ومن تبرعاتهم ومن مساعدة المركز العام ومن كل الموارد المشروعة التى تصل إليها.

مادة (٥٧)

يودع ما يزيد من رصيد المركز العام أو الشعبة على متوسط النفقات فى شهرين - فى مصرف مصرى أو أى مصرف عربى أو إسلامى أو صندوق التوفير (بدون فائدة) إلا إذا رأى مجلس إدارتها غير ذلك ووافقه المركزالعام على رأيه كتابة. وكل مبلغ يسحبه يشترط أن يكون سحبه بإذن موقع من الرئيس أو من يقوم مقامه وأمين الصندوق.

مادة (٥٨)

كل مال يجمع بمعرفة المكتب أو إدارات الشعب لغرض خاص لا يختلط بماليتها العامة ويخصص للغرض الذى جمع له.

مادة (٥٩)

تنشأ دور الشعب أو توقف أو تستأجر من تاريخ صدور هذا القانون باسم مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين ممثلا فى شخص السكرتير العام أو من يقوم مقامه، والمكتب هو الذى يقوم بتأثيثها، ويكون الأثاث وديعة باسمه عند إدارة الشعبة.

الباب الثامن

أحكام عامة

مادة (٦٠)

لمكتب الإرشاد العام ولمجالس إدارات الشعب منح العضوية الفخرية لمن يقدمون خدمات للدعوة أو يعرف عنهم تقديرها والعمل على مساعدتها.

مادة (٦١)

ينعقد كل سنتين مؤتمر عام من رؤساء شعب الإخوان المسلمين بدعوة من المرشد العام بمدينة القاهرة أو بأى مكان آخر يحدده ويكون الغرض منه التعارف والتفاهم العام فى الشئون المختلفة التى تتصل بالدعوة واستعراض خطواتها فى هذه الفترة.

مادة (٦٢)

صدور هذا النظام يوجب إعادة النظر فى القوانين واللوائح السابقة وتعديلها على ضوء أحكامه ومواده.

مادة (٦٣)

لا يجوز تعديل هذا القانون الأساسى إلا بناء على اقتراح يتقدم به المرشد العام أو مكتب الإرشاد أو عشرون عضوا من أعضاء الهيئة التأسيسية. ولا يكون التعديل نافذا إلا إذا وافقت عليه الهيئة التأسيسية فى اجتماع يحضره ثلاثة أرباع أعضائها بالأغلبية المطلقة للحاضرين، فإذا لم يتكامل العدد القانونى طبقت الأحكام العامة (٣٥).

مادة (٦٤)

تسرى أحكام هذا القانون من تاريخ موافقة الهيئة التأسيسية عليه.

والله أكبر، ولله الحمد

د - الحروب التى وجهت إلى الجماعة

● وبوصف الجماعة بأنها حركة إسلامية إصلاحية تجديدية، كان المتوقع أن تحارب وأن يضيق عليها، وأن يضطهد أعضاؤها؛وهذا هو ماكان.

- فقد حاربها الإنجليز - وهم يحتلون البلاد ويحكمونها من خلال الملك فؤاد والملك فاروق والحكومات المصرية التى تنفذ رغبة القصر ورغبة المحتلين، وتكرر اعتقال مرشدها الإمام حسن البنا، وعدد من أعضائها، وإيقاف أنشطة شعبها، حتى كانت سنة ١٩٤٨م، حيث صدر قرار بحل الجماعة ومصادرة أموالها وما فى شعبها ومراكزها من أموال ومنقولات.

- وعند قيام ثورة سنة ١٩٥٢م هادنها مجلس قيادة الثورة، وزار كثيراً من محافظات مصر ليستقبله أعضاؤها، وأفرج المجلس عن المسجونين من أعضاء الجماعة، وحرصت الجماعة على تأمين هذه الثورة من أعدائها من الشيوعيين وغيرهم.

وقرر مجلس قيادة الثورة حل الأحزاب المصرية جميعا باستثناء جماعة «الإخوان المسلمون» وقد رحب عامة الإخوان بهذا القرار لما كان فى بعض الأحزاب من فساد، ولكن المفكرين من علماء الإخوان رأوا فى حلّ الأحزاب بادرة سيئة فى مصادرة الحرية السياسية فى البلاد، وذلك ما كان فعلا، فبمجرد أن تمكن مجلس قيادة الثورة من الحكم واطمأن إلى مكانه منه، سارع جريا وراء خطة مصادرة الحريات إلى تنحية الرئيس محمد نجيب لأسباب ليست صحيحة فى حد ذاتها، فثار الأحرار، واعترض الإخوان، فاعتقل عدد كبير منهم، ولكن مظاهرة حاشدة نظمتها الجماعة بقيادة وكيلها المرحوم الشهيد عبد القادر عودة، أعادت الصواب إلى رءوس مجلس قيادة الثورة، فأعيد محمد نجيب إلى الرياسة فى الظاهر، ولكنه وإن كانت الحقيقة أن سيطر جمال عبد الناصر على الرئيس ومنصبه وسلطاته، وما هى إلا فترة وجيزة حتى نحى محمد نجيب واعتقل أو حددت إقامته.

- ولم تمض شهور حتى اتهم الإخوان بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر، ثم صدر قرار بحل الجماعة ومصادرة أموالها ومنقولاتها ودورها، واعتقل قادتها وأفرادها وقدموا لمحاكمات عسكرية هازلة تندر بها القاصى والدانى وحكم على ستة من قادتها بالإعدام على رأسهم الشهيد عبد القادر عودة التى نظم مظاهرة قصر عابدين التى أشرنا إليها من قبل وحكم

على المئات من أعضاء الجماعة بأحكام قاسية تراوحت ما بين الأشغال الشاقة المؤبدة إلى السجن خمس سنوات .

– وفى عام ١٩٦٥م اعتقل جمال عبد الناصر الإخوان مرة ثانية وقدمهم لمحاكمات هازلة وحكم على ثلاثة منهم بالإعدام على رأسهم المرحوم الشهيد سيد قطب، وصدرت أحكام بالأشغال الشاقة على كثير منهم .

– ولما جاء السادات بعد جمال عبد الناصر أراد أن يقضى على القهر والدكتاتورية والاستبداد فأخرج الإخوان من السجون وهادنهم واستغلهم فى مواجهة الشيوعيين ومن كانوا يناوئونه من أتباع العهد الذى باد، فلما تمكن كسلفه انقلب على حرية الرأى واعتقل الوفا وسجن وشرد، وضيق على الجماعة واعتقل عددا كبيرا من قادتهاوكبارأعضائها، وقد قبل الإخوان ذلك لان أحدا لا يرفض أن يفرج عنه من سجنه، ولأنهم وجدوا فى ذلك فرصة انطلاق للعمل من أجل الإسلام، تتفق وخطتهم فى العمل، ففتحوا مقراً لهم، واستأنفوا تحرير مجلة الدعوة من مصر، ونشطوا واتصلوا بالناس وبالشباب، وحققوا كثيرا من أهداف الحركة الإسلامية الإصلاحية التى يحملون أعباء العمل من أجلها .

● ومع النظام العالمى الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية فى الظاهر وإسرائيل فى الخفاء، لابد أن تستمر حركات الإصلاح الإسلامية وأن تصادر حركتها وأعمالها، وهذا أيضا ما كان!!!

وبعد :

فتلك كلمات وجيزة ألقيت فيها الضوء على جماعة الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإصلاحية فى العالم المعاصر، والتى تتلقى بهذا الوصف ضربات متلاحقة، يديرها أعداء الإسلام والمسلمين وينفذها فى كثير من الأحيان بعض المسلمين!!!

٢ - مفهوم الطاعة فى هذا النص

من كلمات النص فى الطاعة قول الإمام البنا :

« وأريد بالطاعة : امتثال الأمروإنفاذه توًا فى العسر واليسر، والمنشط والمكره... ».

- فالطاعة : امتثال الجندى أمر قائده وإنفاذه توًا، واتباعه دون تجاوز، ودون إبطاء أو تراخ.

- **فى العسر واليسر : أى فى كل حال، لأن حال الإنسان لا تخلو من هذين الاحتمالين العسر أو اليسر، وفى كليهما يجب أن تكون الطاعة دون تعلل بعسر يقعد عنها، أو يسر يلهى عن الطاعة.**
- **والمنشط : ما ينشط له الإنسان من عمل سهل عليه ومحبب إليه،**
- **والمكره : ما يكرهه الإنسان من عمل أو ما يشق عليه ويضيق به، ولا يحب أن يعمله.**

- ولا تكون الطاعة، طاعة على وجهها الصحيح إلا إذا امتثل الطائع وأنفذ فى الحالتين معًا؛ أى سواء أكان محبا للعمل نشطا إليه، وكان هذا العمل يسيرا عليه،أم كان كارها للعمل صادفاً عنه، وكان العمل عسيرا عليه.

- **وتأصيل هذا التعريف للطاعة يمكن أن يفهم من بعض آيات القرآن الكريم، ومن بعض أحاديث النبى ﷺ.**

- فمن آيات القرآن قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤)** ﴾

[النساء : ٦٤].

ومعنى الآية الكريمةأن اللهتعالى ما أرسل من رسول إلا كان الشأن فيما جاء به أن يطاع، وكان شأن من يعصيه أن يصنف عاصيا لله تعالى ظالما لنفسه، ولو أنه عدل إلى طاعة الرسول على كل حال لوجد من الله قبولا لتوبته ومغفرة ورحمة.

- وقوله تبارك وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)** ﴾ [محمد : ٣٣] . فطاعة الله وطاعة رسوله على كل حال هى الأصل، وإلا بطل العمل

كله، واستحق عقاب الله تعالى.

- ومن أحاديث الرسول ﷺ ما يلى:

• روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك».

والمعنى أن يسمع المسلم ويطيع حتى لو شعر بأن فى هذه الطاعة ما يفضل به غيره على نفسه.

• وروى الترمذى بسنده عن الحارث بن الحارث الأشعرى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «... وأنا آمركم بخمس أمرنى الله بها: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد فى سبيل الله...».

فالطاعة فى هذا الحديث الشريف هى خمس ما أمر به النبى ﷺ، ومجموع هذه الخمس هو الإسلام نفسه.

وعند التأمل فى هذه الخمس نجد الطاعة تعدل: الجماعة، والسمع، والهجرة، والجهاد؛ وما ذلك إلا لأهمية الطاعة فى بناء النظام الإسلامى عموما، وفى بناء الشخصية المسلمة المتكاملة، القادرة على الإسهام فى العمل على التمكين لدين الله فى الأرض.

• وبغير الطاعة لا قيمة للأمر، ولا فائدة له،ولا إيجابية،

• ولنا أن نتصور جماعة بغير طاعة من أفرادها لقيادتها!!!

فكيف تكون هذه الجماعة؟

وكيف تصل هذه الجماعة إلى تحقيق أى هدف من أهدافها؟

• ولنا أن نتصور جماعة فيها سمع للأمر دون طاعةلهذا الأمر!!!

ما قيمة هذا السمع وما جدواه؟ إنه بغير قيمة أى قيمة.

وكيف نتصور هجرة إلى الله ورسوله، دون طاعة؟

وكيف نتصور هجرة إلى مكان آمن من مكان ظالم دون طاعة؟

• وأعجب من هذا كله أن يكون الجهاد فى سبيل الله بغير طاعة!!!

إنه لا جهاد على الإطلاق إذا ضيعت الطاعة!!!

ولنا أن نتخيل قائدا فى معركة يصدر أمراً ثم لا يجد من جنوده طاعة!!!

إنها الكارثة التى تحل بالقائد والجند والمعركة!!!

● بل إن مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة التى اجمع علَيها العلماء هى:

حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ العرض، ولا يمكن أن تتحقق هذه المحافظة دون طاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره.

● بل إن جلب المصالح ودفع المفاسد فى المجتمع المسلم لا يمكن أن يتحقق إلا بالطاعة، وما لم تجلب المصالح ضاع على الناس ما ينفعهم، وما لم تدفع المفاسد عن الناس أصاب الناس كثير من الضرر.

● غير أن الطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره؛ مقيدة بالا تكون فى معصية الله تعالى، إذ ليس لاحد – حاكم أو أمير أووالد أو معلم، أو اى صاحب ولاية على غيره، ليس لأى واحد من هؤلاء أن يطاع فى معصية الله تعالى، لما هو ثابت فى الشريعة الإسلامية من أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

فقد روى البخارى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لاحد فى معصية الله، إنما الطاعة فى المعروف».

روى أحمد بسنده عن الحكم بن عمرو الغفارى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق».

● وهناك قيد آخر على الطاعة، وهو أن يكون الطائع مستطيعا لتنفيذ ما أُمر به، وقادرا على الامتثال للامرأو للامتناع عن تنفيذه؛ وذلك أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها. ولا يطلب منها إلا فى حدود ما آتاها، قال الله تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا (٢٨٦) ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال جل شانه: ﴿ ... لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ... (٧) ﴾ [الطلاق: ٧].

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعتم».

وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... ومن بايع إماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع...».

● ولا ينفى الطاعة أو يمنعها أن يكون الآمر المطاع ظالما، ما دام لم يأمر بمعصية الله تعالى؛

فقد روى مسلم بسنده عن أبى هنيدة وائل بن حجر رضى الله عنه، قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفى رضى الله عنه رسول الله ﷺ، فقال يا بنى الله: أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا؛ فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم».

- وقضية الظالم أو المستبد الآمر الناهى الذى يحرم الناس حقوقهم؛ هل يطاع أم يُعصى؟ قضية شائكة تحتاج إلى مزيد من الإيضاح، نرجو أن نوفق فيه، فنقول:

- إذا كان الظالم المستبد له ولاية شرعية كالحاكم الذى اختاره المسلمون وبايعوه على السمع والطاعة، فإن طاعة هذا الحاكم أو الوالى أو الأميرواجبة شرعا، وانطبق عليها قول الرسول ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليه ما حُمل وعليكم ما حُملتم»، لأن السائل كان يسأل عن أمراء ظالمين يسألون الناس الذى لهم ويمنعونهم من حقوقهم، فجاءته الإجابة النبوية بوجوب السمع والطاعة.

- أما أن يكون الآمر والدا أو والدة أومن فى حكمها كالجدود والجدات والأعمام والعمات والأخوال والخالات، فإن طاعة هؤلاء جميعا واجب شرعى داخل فى وجوب الإحسان إلى هؤلاء، الذى يفهم من قول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

- ولعل السر فى وجوب طاعة هذين الصنفين: الأمير والوالدين هى أمور:

أولها: وجود الأمر بطاعتهما،

وثانيها: تجنب معصية الله تعالى إن عُصيا،

وثالثها: تفويت مصالح عديدة إن عصيا،

ورابعها: وقوع أضرار جسيمة فى معصيتهما، وبحسب هذه الأضرار فداحة أن يخرج العاصى عن حدود البر المطالب به شرعا.

- ويدخل مع الحاكم أو الأمير فى وجوب الطاعة شرعا، كل من كانت له ولاية شرعية مثل:

قائد الجيش،

وأمير الركب فى السفر،

وكل من ولى مسئولية، كالرئيس فى العمل ونحوه.

فهؤلاء وأمثالهم طاعتهم واجبة، حتى لو كانوا غير عادلين؛ لما فى معصيتهم من تفويت المصالح العامة وعدم توقى الأضرار.

● ويدخل مع الوالدين فى وجوب الطاعة شرعا، كل من كانت له مكانة تشبه مكانة الوالدين، مثل:

المعلم،

والمدرب،

وكل من كانت له سلطة التوجيه والنصح.

فهؤلاء وأمثالهم؛ طاعتهم واجبة، لأن معصيتهم مخالفة للبر الواجب نحوهم، وفى ذلك أيضا تفويت للمصالح وتعويق لدفع المضار.

وبعد: فلعلى بذلك قد شرحت وأوضحت مفهوم الطاعة فى كلمة الإمام البنا رحمه الله: «وأريد بالطاعة امتثال الأمر وإنفاذه توا فى العسر واليسر، والمنشط والمكره...».

كما أرجو أن أكون قد وفقتُ فى تأصيل هذا المفهوم لكلمة الطاعة إذ رددته إلى ما يدل عليه من خلال آيات القرآن الكريم، وكلمات السنة النبوية المطهرة.

فهذا وذاك قصدى، والله سبحانه يهدى من يشاء إلى سواء السبيل.

٣ - مراحل العمل فى الدعوة

- كما حددها النص -

يقول الإمام البنا:

ومراحل الدعوة ثلاث:

- التعريف: بنشر الفكرة العامة بين الناس..

- والتكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد، وضم بعضها إلى بعض..

- والتنفيذ: والدعوة فى هذه المرحلة جهاد لا هوادة معه، وعمل متواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون..».

وكانت هذه الرؤية للإمام البنا فى عام ١٣٦٤هـ - ١٩٤٣م، تلك السنة التى كتب فيها «رسالة التعاليم» كتبها للصفوة من الإخوان المسلمين الذين وصفهم بالمجاهدين الذين آمنوا بسمو دعوتهم، وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا فى سبيلها...

أما غير هؤلاء، فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات، ولكل وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات، وكلا وعد الله الحسنى.

وكان لب العمل من أجل الإسلام فى هذه الآونة يقوم على التقسيم إلى هذه المراحل الثلاث:

فقد كان العمل من أجل الإسلام يحتاج إلى ما يلى:

أولا: مرحلة التعريف

بنشر الفكرة العامة بين الناس.

وهذه الفكرة العامة كانت تحتاج إلى ما يلى:

- شرح دعوة القرآن الكريم شرحا دقيقا يوضحها، ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضهما عرضا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات» ولا يتصدى للتعريف بالإسلام

إلا إخوة على مستوى عال من التأهل فهم دعاة، ولا يستطيع القيام بهذا العمل إلا صفوة منتقاة من الإخوان(١).

ثانيا: مرحلة التكوين.

وفى هذه المرحلة تستخلص العناصر الصالحة - من المرحلة السابقة - لحمل أعباء الجهاد، وضم بعضها إلى بعض. ولهذه المرحلة فقهها ودعاتها وطبيعة العمل فيها واحتياجاتها، ومؤهلات القائمين عليها والمنتسبين إليها(١).

وإنما يكون ذلك بجمع القلوب والنفوس على هذه المبادىء القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهة النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة(٢).

ثالثا: مرحلة التنفيذ

وهى مرحلة الجهاد الذى لا هوادة معه، والعمل المتواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية.

كما أنها مرحلة امتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون(١).

وإنما يكون ذلك بقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليا، وتحرسها فى الداخل وتبلغها فى الخارج(٢).

● ومنذ ذلك التاريخ الذى كتبت فيه رسالة التعاليم والعمل من أجل الإسلام فى مجال الدعوة وتزدادمراحله على نحو ما سنشير إليه فى العجالة التالية:

- مرحلة التمهيد: بجذب المدعو إلى الالتزام بأحكام الدين وأخلاقه وآدابه، وتعويده التردد على المسجد، وتحبيبه فى الخير، وفى ممارسته.

- ومرحلة التعريف: بنشر الدعوة فى الناس، والتصدى لشرح فكرة الإسلام بأسلوب يناسب العصر - على نحو ما أوضحنا آنفاً.

- ومرحلة التكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله وضم بعضها إلى بعض - على نحو ما أوضحنا ذلك فيما سلف.

- ومرحلة التنفيذ: وهى الممارسة العملية للإسلام فى كل مرفق من مرافق الحياة، وتحمل أعباء هذه الممارسة من امتحان وابتلاء ومحن وفِتَن - على نحو ما أشرنا إليه آنفاً.

---

(١) لمعرفة تفاصيل ذلك: انظر لنا: فقه الدعوة إلى الله نشر دار الوفاء بمصر ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) انظر القانون الأساسى للجماعة: مادة: ٢ نشر دار الأنصار بالقاهرة.

– ومرحلة التمكين: أى التمكين لدين الله فى الأرض؛ بأن تقوم الحكومة المسلمة التى تطبق أحكام الإسلام وأخلاقه، على الناس جميعاً، وتنشر دعوة الإسلام فى الداخل والخارج، وتتحمل أعباء الدفاع عن الأمة فى الداخل والخارج أيضاً[1].

– ومرحلة المحافظة على التمكين: وذلك أن تحقيق الهدف، وهو التمكين لدين الله فى الأرض، يحتاج إلى جهود كبيرة للمحافظة عليه، جهود على مستوى الأفراد والأسر والمجتمع والحكومة، حتى لا يدب الفساد مرة ثانية وتنهار حكومة المسلمين لهذا الفساد – كما حدث فى فترات غير قليلة فى تاريخ المسلمين.

وهذه الإضافات لتلك المراحل لها ما يبررها، عما كان عليه الحال فى عام ١٣٦٤هـ ١٩٤٣م أيام كتبت رسالة التعاليم، إذ حدثت تطورات وتغيرات فى أمور كثيرة نذكر منها ما يلى:

– ارتفاع موجة المدّ الإسلامى فى مصر وفى غيرها من بلدان العالم الإسلامى، مما ضاعف عدد الراغبين فى الالتزام بالإسلام، ومع ضخامة العدد فلابد من جهد يسبق مرحلة التعريف، فكان التفكير فى مرحلة التمهيد.

– وتبنى بعض الحكومات العربية والإسلامية شعارات إسلامية، ونصّ بعض الدساتير فيها على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيس أو مصدر رئيس للتشريعات فيها، وإطلاق بعض الدول لشعار دولة العلم والإيمان.

– وخروج كثير من دول العالم الإسلامى من ربقة الاحتلال الأجنبى ونيلها حريتها واستقلالها، مما مكن بعض الحكومات من أن تفسح المجال أمام بعض الحركات الإسلامية.

– ومشاركة بعض الإسلاميين فى الحياة النيابية فى أكثر من دورة نيابية، كما حدث فى مصر والأردن والسودان، مما كان له أثر لا ينكر فى إثراء العمل من أجل الإسلام.

– وانتشار الجماعات الإسلامية التى بدأت معظمها بطلاب الجامعات ومارست نشاطها فى الجامعة، ثم خرجت إلى المجتمع، وبغض النظر عما تبنته بعض هذه الجماعات من أفكار ومناهج فى بعضها ما لا يقره الإسلام، فإن هذه الجماعات بهذه التوجهات التى تبنتها كانت أحد الأسباب التى دعت إلى التكثير من عدد المراحل فى مجال الدعوة.

---

(١) للتوسع: انظر للمؤلف: فقه الدعوة إلى الله – مرجع سابق.

- وما تعرضت له جماعة الإخوان المسلمين من محن فى ظل عدد من الحكومات المتعاقبة فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، والعالم العربى بالذات، جعل الشباب يتساءلون فيما بينهم قائلين:

لماذا هذه المحن وتلك المصادرات؟

ولماذا هذا التحمل والصبر من تلك الجماعة؟

ولماذا يكون التحدى للإسلاميين دون سواهم؟

هذه التساؤلات لم تجد إجابة شافية، فاقبل الشباب على العمل من أجل الإسلام لعلهم يكتشفون الإجابة عن ذلك التساؤل، فكان لابد أن تتعدد مراحل الدعوة إلى الله، لتستوعب هذا العدد الضخم من الشباب، ولتستجيب إلى متطلبات تربيته تربية إسلامية تمكنه من العمل على التمكين لدين الله فى الأرض.

- وكثرة عدد المفكرين والمصلحين الإسلاميين الذين أنضجتهم تجارب المحن التى خاضها العمل من أجل الإسلام فى معظم بلدان العالم الإسلامى، مما جعل المنظرين منهم يعيدون النظر فى عدد مراحل الدعوة إلى الله. فى ضوء هذه المتغيرات التى ذكرنا، فكانت هذه المراحل الست بدلاً من تلك المراحل الثلاث، والناس دائماً أشبه بزمانهم منهم بآبائهم وأجدادهم، وطالما أن هذا الإكثار من مراحل العمل من أجل الإسلام لا يمس الثوابت فى الإسلام، فإن التغيير سنة من سنن الحياة الفكرية للمسلمين[1].

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا: منهج التربية عند الإخوان المسلمين، نشر دار الوفاء بمصر: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤ - مفهوم الطاعة فى هذه المراحل

ما دمنا بصدد الحديث عن شرح النص الذى كتبه الإمام البنا فى الطاعة، فلابد أن نتقيد بهذه المراحل الثلاث التى حددها الإمام، فلا نقحم على ذلك مفهوم الطاعة فى المراحل الثلاث التى أضفناها؛ التمهيد، والتمكين، والمحافظة على التمكين.

إن مفهوم الطاعة يختلف من مرحلة إلى مرحلة، تبعاً للعمل الذى يمارَس داخل كل مرحلة، وتبعاً لطبيعة المرحلة وأبعادها، وتبعاً للمدعوين فى كل مرحلة. ولإلقاء الضوء على ذلك نقول:

إذا كانت مرحلة التعريف تقوم على التعريف بالإسلام وتقريب قضايا العقيدة والعبادة والخلق والتعامل إلى الواقع الذى يعيشه المسلمون عموماً والمدعوون فى هذه المرحلة على وجه الخصوص، فإن الطاعة فى هذه المرحلة تقدر بقدرها، وتخضع بالضرورة لقدرات المدعوين فى المرحلة وإمكاناتهم، ومدى ما وصلوا إليه فى هذه المرحلة من فقه للدين وللعمل الإسلامى.

وهكذا الشأن فى مفهوم الطاعة فى مرحلة البناء والتأسيس - التكوين - للأفراد الذين استخلصوا من مرحلة التعريف ليكونوا لبنات صالحة فى البناء الإسلامى للمجتمع المسلم، وليكون على أيديهم الحركة والجهاد فى سبيل الله، والصبر على مشاق هذا الجهاد، فإن الطاعة عند المدعوين فى هذه المرحلة لها مفهوم أكثر خصوصية وأكثر دقة، وأكثر فى مجال التبعات، وفى مجال العمل المتواصل الذى لا يتوقف، إلى أن تتحقق الأهداف الخاصة بهذه المرحلة والأهداف العامة للعمل الإسلامى كله.

وفى مرحلة التنفيذ، مرحلة العمل المتشعب الأعباء، بل مرحلة الامتحان والابتلاء، فإن ما تتطلبه هذه المرحلة من جهود مضنية لا يتحملها إلا المؤمنون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، فإن للطاعة فى هذه المرحلة ومع هؤلاء الرجال مفهوماً آخر، لابد أن يختلف عن مفهومها فى المرحلتين السابقتين، مما نرجو أن نوضحه فى هذا الكتاب.. والله ولى التوفيق.

فإلى الحديث عن مفهوم الطاعة فى كل مرحلة من مراحل الدعوة الثلاث التى حددها الإمام البنا - رحمه الله.

أولا :

مفهوم الطاعة فى مرحلة التعريف

أود أن أذكِّر بما قاله الإمام البنا عن مرحلة التعريف، إذ قال :

« وذلك أن مراحل الدعوة ثلاث :

التعريف بنشر الفكرة العامة بين الناس.

ونظام الدعوة فى هذه المرحلة هو : الجمعيات الإدارية، ومهمتها العمل للخير العام، ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة، وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية.

وكل شُعب الإخوان القائمة الآن تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة وينظمها « القانون الأساسى » وتشرحها رسائل الإخوان وجريدتهم.

والدعوة فى هذه المرحلة عامة.

ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة فى أعمالها، ووعد بالمحافظة على مبادئها.

وليست الطاعة التامة لازمة فى هذه المرحلة، بقدر ما يلزم فيها احترام النظم والمبادئ العامة للجماعة ».

وحديثنا عن هذه المرحلة يتناول نقاطاً أربع هى :

أ - إلقاء ضوء على مرحلة التعريف.

ب - وتحديد أبعاد المرحلة وطبيعتها.

جـ - وأهداف المرحلة ووسائلها.

د - ومكانة الطاعة فى هذه المرحلة.

وكذلك سوف يكون حديثنا عن المرحلتين الآخريين، التكوين والتنفيذ بإذن الله تعالى.

أ - ضوء على مرحلة التعريف

مرحلة التعريف بين مراحل الدعوة إلى الله، تستهدف تعريف المدعو بالإسلام تعريفاً يزيل عنه الجهالة بأصول الإسلام ويدعوه إلى التدين الصحيح بعد أو مع المعرفة الصحيحة.

كما تستهدف هذه المرحلة نشر فكرة عامة عن الإسلام بين أكبر عدد ممكن من الناس.

● وهذا يقتضينا أن نتحدث هنا عن نقطتين:

الأولى: ماذا يعنى التعريف بالإسلام؟!

والثانية: ما معنى نشر الفكرة العامة عن الإسلام بين الناس؟!

النقطة الأولى: ماذا يعنى التعريف بالإسلام؟

التعريف: تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة له.

وخواص الإسلام المميزة له هي أصوله وأركانه وقواعده وثوابته، والتعريف به أى تحديد هذه الخواص وإفهامها للناس وتعليمهم إياها.

وقد دأب العلماء على دمج هذه الخواص فى كلمتين؛ إذ يقولون: الإسلام عقيدة وشريعة.

والعقيدة معروفة، أما الشريعة فتنفصل إلى عبادة وخلق ومعاملة، فالخواص التى تميز الإسلام هى: العقيدة والعبادة والخلق والمعاملة، وتعريف الناس بها هو تعريفهم بالإسلام.

– والتعريف بالعقيدة يعنى توضيحها فى مجال الألوهية والنبوة والوحى والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وإنما يكون هذا التعريف على وجهه الصحيح إذا بُصر الناس بآيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية يتدبرونها، ويفهمون ما تدل عليه وما تهدف إليه.

● إن العقيدة الإسلامية فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، بل العقيدة فى قوى الشر؛ الشياطين، وفى الإنسان نفسه، جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهر على نحو مبسط بعيد عن مصطلحات الفلاسفة وتعقيدات علماء الكلام، وذلك ما يجب أن يعرفه الناس عن مفردات الإسلام وقواعده وأصوله وأركانه.

● وفى إشارة خاطفة إلى هذه المفردات نقول:

– إن الإيمان بالله تعالى، كما جاء فى القرآن الكريم، يقتضى الإيمان به إلهاً واحداً، لاشك فى وجوده، حياً قيوماً، هو الاول والآخر، والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم، والإيمان بأنه سبحانه وتعالى له ملك السموات والأرض يحيى ويميت، وأن مخلوقاته جميعاً فى حاجة إليه، وأنه سبحانه لا تدركه الابصار، وليس كمثله شىء، وأنه جل شأنه موصوف بكل كمال ومنزه عن كل نقص، وأنه سبحانه وصف نفسه بصفات وسمى نفسه بأسماء لا ينبغى أن نصفه بغيرها ولا أن نسميه بسواها.

وكل ذلك نعرفه من آيات الكريم الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة، وما ينبغى أن نتجاوز هذين المصدرين الكريمين فى تلك المعرفة.

– والإيمان بالملائكة عليهم السلام وما يقومون به من عمل بأمر الله تبارك وتعالى، وما يؤدون من وظائف فى الدنيا والآخرة، والإيمان بمن سمى منهم فى القرآن باسمه، أو صف بصفة ما، وما يوحون به إلى أنبياء الله ورسله، وما يؤيدون به الرسل من اعمال، كل ذلك يجب أن يكون كما جاء فى الكتاب والسنة دون نقص أو زيادة، ليصح بهم الإيمان، فهم الصلة بين الله تعالى ورسله، فالإيمان بهم جميعاً واجب لا يتم الإيمان إلا به.

– والإيمان بالكتب السماوية التى أنزلها الله على أنبيائه ورسله وبخاصة ما ورد ذكره فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وذلك هو: صحف إبراهيم وموسى، والتوارة، والزبور، والإنجيل، والقرآن الكريم، وأن هذا القرآن الكريم هو خاتم هذه الكتب والمهيمن عليها، بل المصدق لها فيما اشتملت عليه.

والإيمان بأن هذه الكتب جميعاً جاءت من عند الله، وأنها نادت بعقيدة التوحيد، وبعبادة الله تعالى وفق ما شرع الله تعالى.

الإيمان بكل هذه الكتب إجمالاً، والإيمان بالقرآن الكريم تفصيلاً.

– والإيمان بأنبياء الله تعالى ورسله الذين وردت أسماؤهم أو قصصهم فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد وردت أسماء خمسة وعشرين نبياً ورسولاً فى القرآن الكريم، فهؤلاء يجب الإيمان بهم واحداً واحداً، مع وجوب الإيمان بأنهم جميعاً جاءوا فى رسالتهم بتوحيد الله تبارك وتعالى، وأن أصحاب الكتب منهم كانت كتبهم مناهج صالحة للحياة ومحققة للإيمان.

وأن كل هذه الكتب قد دخلها تحريف أو تبديل؛ لأن الله تعالى قد استحفظ عليها بعض عباده، فى حين أن القرآن الكريم لم يدخله أدنى تحريف أو تبديل، لأن الله تعالى قد تكفل بحفظه بنفسه سبحانه وتعالى.

– والإيمان باليوم الآخر، وأنه حقيقة لابد واقعة، وأن الناس يموتون ثم يبعثون ثم يحشرون ويحاسبون ويجازون فيثاب من يثاب ويعاقب من يعاقب، ولا يظلم الله تعالى أحداً.

كل ذلك يجب الإيمان به وهو جزء من العقيدة لا يكمل الإيمان ولا يصح إلا بالإيمان به، وأنه لولا اليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب أو عقاب لما كان هناك داع للاستقامة، إذ يستوى عندئذ من أطاع ومن عصى، ولامتلأت الأرض فساداً.

– والإيمان بالقضاء والقدر؛ وهو أساس فى الإيمان، لأن العالمين وليس العالم وحده فى يد الله، خلقه كيف شاء، ويدبره ويصرفه كيف يشاء، وهو سبحانه قدر فهدى وأعطى كل مخلوق حظه من الحياة والأسباب؛ بحيث لا يملك أحد أن يغير من قدر الله شيئاً، وجاء هذا وفق عدله سبحانه وتعالى، وليس من المستساغ أن يتعلل أحد من العصاة بأن معصيته كانت قدراً من الله تعالى فلا إثم عليه!!

لا يستساغ مثل هذا التعلل أو التبرير للمعصية للأسباب التالية:

- أن الإنسان لا يعلم ما قدر له من طاعة أو معصية، ومع عدم العلم فقد كان يمكن أن يعمل الطاعة فتكون وفق ما قدر الله له.
- وأن الله تعالى منح الإنسان عقلاً – جعله مناط التكليف – وأعطى هذا العقل القدرة على التمييز بين ما يضر الإنسان وما ينفعه، ولاشك من نفع الطاعة فى الدنيا والآخرة وضرر المعصية فيهما.
- وأنه سبحانه لم يكتف بنعمة العقل التى أنعمها على الإنسان وإنما أرسل الرسل وأنزل معهم المناهج، وكل رسول أمر بأشياء ونهى عن أشياء، وبين أثر الطاعة وأثر المعصية فى الدنيا وفى الآخرة.
- وأن من أطاع الله تعالى بطاعة ما جاء به الرسول – فالتزم ما أمر به وما نهى عنه – فقد استحق ثواب الله تعالى، ونفذ ما قدر له، ومن عصى الله تعالى بمعصية الرسول، فلم يأتمر بأمره ولم ينته عما نهى عنه، فقد استحق عقاب الله تعالى، ونفذ ما قدر له.
- وأن عقاب الله تعالى إنما يكون على معصية الرسول فيما جاء به من عند الله، وثوابه إنما

يكون على طاعة الرسول فيما بلغه عن ربه سبحانه وتعالى.

- وأن الإنسان مخير بين أن يطيع الله ورسوله فيفعل الخير ويستحق الثواب، وبين أن يعصى الله ورسوله فيفعل الشر ويستحق عقاب الله تعالى.

- ولاشك فى أن كل ما أمر الله به وبلغه عنه رسوله خير، وأن كل ما نهى الله عنه وبلغه عنه رسوله شر، لأن الله تعالى يحب عباده فلا يأمرهم إلا بالخير ولا ينهاهم إلا عن الشر، فمن اهتدى وأطاع فهداه لنفسه، ومن ضل وعصى فإن معصيته على نفسه، قال الله تعالى آمراً رسوله الخاتم ﷺ أن يبلغ الناس بهذه الحقيقة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝١٠٨﴾ [يونس: ١٠٨].

- ومفردات هذا الإيمان ومعرفتها علماً وعملاً هى التى تشكل التعريف بالإسلام فى هذه المرحلة - مرحلة التعريف بالإسلام.

ولابد لنا أن نشير إلى أن بين كلمتى الإيمان والإسلام تداخل، فقد تترادف الكلمتان، وقد تتغايران، وقد تدخل إحداهما فى الأخرى.

- فالترادف بين الكلمتين بمعنى أن كل مؤمن مسلم، يفهم من قول الله تبارك وتعالى: ﴿... إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝٨١﴾ [النمل: ٨١]، كما يفهم من إجابة النبى ﷺ لوفد عبد القيس عندما سألوه أن يأمرهم بأمر يعملون به ويدعون إليه من وراءهم من الناس، فقال لهم - فيما رواه مسلم بسنده عن ابن عباس - رضى الله عنهما-: «آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع:

الإيمان بالله - ثم فسرها لهم بقوله -: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم.

وأنهاكم عن: الدبَّاء، والحنتم، والنقير، والمقير».

- والتغاير بين الكلمتين بحيث تدل كل واحدة منهما على معنى غير الذى تدل عليه الأخرى، وذلك كما جاء فى الحديث الشريف الذى جاء فيه جبريل عليه السلام يعلم المسلمين دينهم، فقد روى مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ

فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام؛ فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرنى عن الإيمان؛ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت... » الحديث.

- ودخول إحداهما فى الأخرى أى العموم والخصوص بين الكلمتين كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ... ﴾ [الحديد: ١٩]، ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ... ﴾ [الحجرات: ١٤]، ففى هذه الآية يدخل الإسلام فى الإيمان ويعتبر الإيمان أعم وأشمل.

وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل الإيمان فى الإسلام، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ... ﴾ [آل عمران: ١٩]. فالإسلام فى الآية هو الدين كله، والإيمان جزء من الدين كما هو معروف.

والنقطة الثانية:

ما معنى نشر الفكرة العامة عن الإسلام بين الناس؟

الفكرة العامة عن الإسلام، تتناول أموراً عديدة منها:

- ما سبق أن أوضحناه فى التعريف بالإسلام، أى توضيح العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة.
- والإحسان بكل معنى من معانيه.
- والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.
- والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.
- وبيان أبواب الإيمان البضع والسبعين باباً - أو شعبة كما ورد فى الحديث النبوى الآخر - التى أولها أو أرفعها أو أفضلها: « قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ».
- وتوضيح موقف الإسلام من القضايا العامة فى المجتمع المسلم المعاصر، مثل:

قضية الاقتصاد وما يتصل به،

وقضية السياسة وما تهدف إليه،

وقضية التعليم أهدافه ووسائله،

وقضية الإعلام ماله وما عليه،

وقضية المرأة وما يقال فيها،

وقضية الحداثة والمعاصرة،

وقضية السلفية وما يحاك حولها،

وقضية الأصولية والتطرف والعنف،

وقضية الجاهلية، ومتى تطلق على مجتمع من الناس،

وقضية: «الإسلام هو الحل» لمشكلات المجتمع كلها.

● إن الناس لا يعرفون الإسلام معرفة كاملة صحيحة، إلا إذا تكونت لديهم فكرة عامة واضحة عن هذه الأمور كلها.

فما هي وسائل نشر هذه الفكرة العامة عن الإسلام بين الناس؟ يحدد ذلك القانون الأساسي للجماعة في مادته التالية التي تقول: «يعتمد الإخوان المسلمون في تحقيق هذه الأغراض على الوسائل الآتية وعلى كل وسيلة أخرى مشروعة. وهي:

أ - الدعوة:

بطرق النشر والإذاعة المختلفة من الرسائل والنشرات والصحف والمجلات، والكتب والمطبوعات، وتجهيز الوفود والبعثات في الداخل والخارج.

ب - التربية:

بطبع أعضاء الهيئة على هذه المبادئ، وتمكين معنى التدين العلمي لا القولي في أنفسهم أفراداً وبيوتاً، وتكوينهم تكويناً صالحاً؛ بدنيا بالرياضة، وروحياً بالعبادة، وعقلياً بالعلم، وتثبيت معنى الاخوة الصادقة، والتكامل التام، والتعاون الحقيقي بينهم، حتى يتكون رأي عام إسلامي موحد، وينشأ جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، ويعمل بأحكامه، ويوجه النهضة إليه.

جـ - التوجيه:

بوضع المناهج الصالحة فى كل شئون المجتمع؛ من التربية، والتعليم، والتشريع، والقضاء والإدارة، والجندية، والاقتصاد، والصحة العامة، والحكم... إلخ.

والاسترشاد بالتوجيه الإسلامى فى ذلك كله والتقدم إلى الهيئات النيابية والتشريعية والتنفيذية، والدولية، لتخرج من طور التفكير النظرى إلى طور التفكير العلمى.

د - العمل:

بإنشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية ودينية، وعلمية، وبتأسيس المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجئ... إلخ.

وتأليف اللجان لتنظيم الزكاة، والصدقات لأعمال البر، والإصلاح بين الأفراد والأسر، ومقاومة الآفات الاجتماعية، والعادات الضارة، والمخدرات والمسكرات، والمقامرة، والبغاء، وإرشاد الشباب إلى طريق الاستقامة.

وشغل وقت الفراغ بما يفيد وينفع، ويستعان على ذلك بإنشاء أقسام مستقلة طبقاً للوائح خاصة تتفق مع القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٤٥م الخاص بتنظيم الجماعات الخيرية وأعمال البر وتسجيلها بوزارة الشئون الاجتماعية(١).

ومن خلال القانون الأساسى للإخوان المسلمين نستطيع أن نرى ضوءاً سلّطه هذا القانون على الفكرة العامة عن الإسلام التى يجب أن تنتشر بين الناس، فيما ننقله عن هذا القانون فيما يلى:

أ - شرح دعوة القرآن الكريم شرحاً دقيقاً يوضحها، ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضها عرضاً يوافق روح العصر، ويردّ عنها الأباطيل والشبهات.

ب - وجمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية، وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة(٢).

● ولابد من الوقوف عند بعض الكلمات الواردة فى هذا القانون، ومن ذلك الكلمات التالية

---

(١) القانون الأساسى لهيئة الإخوان المسلمين - نشر دار الاعتصام بمصر دون تاريخ:
المادة: ٣، الفقرات: أ، ب، جـ د.

(٢) القانون الأساسى لهيئة الإخوان المسلمين - مرجع سابق - المادة الأولى فقرتا: أ، ب.

- **فطرية دعوة القرآن الكريم:**

الفطرة هي ما أوجد الله عليه الإنسان، أى خلقه وجبله عليه، ودعوة القرآن هي دين الإسلام الخاتم الذى جاء به محمد ﷺ.

ورّد هذه الدعوة إلى فطريتها، أى تقريبها من فطرة الناس التى فطرهم الله تعالى عليها فركز فى طباعهم معرفته وتوحيده والإيمان به سبحانه وتعالى، إذ لو ترك كل إنسان وما فطره الله عليه لاهتدى بفطرته إلى معرفة الله وتوحيده والإيمان به، ولكن الشوائب والمعوقات التى يضعها شياطين الإنس والجن فى طريق الإنسان هى التى تحول بينه وبين معرفة الله تعالى وتوحيده والإيمان به.

● وفطرية دعوة القرآن تعنى أن الله تعالى فطر الناس على أن يعقلوا ويستدلوا بعقولهم على الحق، وعلى الإيمان.

فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة عجماء، هل تحسون فيها من جدعاء».

وروى مسلم بسنده عن عياض بن حمار المجاشعى - رضى الله عنه - قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال فى خطبته: «ألا إن ربى امرنى ان اعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا؛ كل مال نحلته عبداً حلالٌ، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما احللت لهم، وامرتهم ان يشركوا بى مالم أنزل به سلطاناً...» الحديث.

● فكل شرح لدعوة القرآن الكريم برد هذه الدعوة إلى فطريتها واجب على الدعاة إلى الله.

- **شمول دعوة القرآن الكريم:**

الشمول يعنى أن هذه الدعوة قد اشتملت على كل ما يصلح للإنسان دينه ودنياه، وعلى كل ما يدفع عنه الضرر فى دينه ودنياه، فهى دعوة صالحة لكل زمان ومكان، مهما زادت المتغيرات فى حياة الناس اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً، وذلك أن نصوصه تحتمل من الشروح والتفسيرات ما يشمل هذه المتغيرات، فإن لم يستطع العلماء هذا الشرح والتفسير إلا باعتساف، كفوا عن هذا الاعتساف ولجأوا إلى الاجتهاد - وهو باب واسع فى الدين - ليواكبوا هذه المتغيرات ويتعاملوا معها وفق أحكام هذا الدين.

● ومن شمول دعوة الإسلام أنها موجهة إلى كل أحد من الناس فى أى زمان وأى مكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومصداق هذه العمومية[1] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

● وهذا الشرح لدعوة القرآن الكريم - الذى نص عليه القانون الأساسى للجماعة - الذى يرد الدعوة إلى فطريتها وشمولها، يجب أن يشتمل على هدفين أو يتصف بصفتين:

أولا:

أن يكون هذا الشرح بأسلوب العصر الذى يعيش فيه من تتوجه إليهم الدعوة، بمعنى أن يقترب تماماً من أفكارهم وثقافتهم مع تبسيط اللغة حتى تكون فى مستوى إدراكهم، وذلك كله داخل فى الحكمة التى ورد ذكرها فى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ...﴾ [النحل: ١٢٥]، إذ الهدف من التعامل بلغة العصر أن يصل الداعية إلى إقناع المدعو بهذا الدين العظيم الخاتم.

وثانياً:

أن ترد عن هذه الدعوة الأباطيل والمفتريات والشبهات، وكلها عوائق بثها الأعداء فى طريق الإيمان بهذا الدين والاقتناع به واتخاذه منهجاً فى الحياة.

وهذه الأباطيل والمفتريات والشبهات تناولت أصول هذا الدين وفروعه، وتناولت الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين، وكل مصلح فى تاريخ الإسلام والمسلمين.

- فمنها ما افترى به على الله سبحانه وتعالى، حيث جحدوه سبحانه ووصفوه بما لا يليق به جل شأنه.

- ومنها ما افترى به على القرآن الكريم، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى تكفل الله تعالى بحفظه.

- ومنها ما افترى به على رسول الله ﷺ، فى نبوته ورسالته وفى كثير من أعماله وأقواله وتوجيهاته.

- ومنها ما افترى به على الصحابة - رضى الله عنهم - ومن التابعين وتابعيهم وأهل القرون

---

(١) للتوسع فى عمومية الإسلام انظر للمؤلف: عالمية الدعوة الإسلامية - نشر دار الوفاء بمصر، ط ٤ سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

الثلاثة الأولى الذين فضلهم رسول الله ﷺ ووصفهم بأنهم أهل خير القرون.

- ومنها ما افترى به على المصلحين فى تاريخ الإسلام، سواء أكانوا مصلحين سياسيين أو أهل علم، أو أهل جهاد وحركة، أو أهل دعوة وحوار، وهؤلاء الوف من المصلحين لم يسلموا من هذه المفتريات.

- ومنها ما افترى به على لغة القرآن الكريم.

- ومنها شبهات وأباطيل ضد العرب الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم.

● ومظان هذه المفتريات كثيرة من أبرزها ما نشير إلى بعضه فيما يلى:

- دوائر المعارف التى كتبها عن الإسلام لفيف من المستشرقين، أو التى كتبها غير المسلمين عموماً، فقد افتروا فيها على الإسلام ورسوله ورجاله ما وسعهم الباطل والحقد على الإسلام.

- وكتابات كثير من المستشرقين، وعلى رأس هؤلاء من نذكّر بأسمائهم فيما يلى:

● الأمير الإيطالى «ليون كايتانى» (١٨٦٩ - ١٩٢٦م) أحد كتاب دائرة المعارفة الإيطالية، وهو الذى أنفق ماله كله حتى أفلس، ليفهم - كما يقول - سر المصيبة الإسلامية التى أخذت الناس من المسيحية إلى الإسلام.

● والمستشرق الألمانى «يوسف شاخت (١٩٠٢م - .....) وهو أحد كتاب دائرة المعارف الإسلامية - الإنجليزية.

● و «وليم موير» فى كتابه: حياة محمد،

● و«هنرى لامنس» فى كتابه: الإسلام،

● و«ألفرد جيوم» فى كتابه: الإسلام،

● و«صمويل زويمر» فى كتابه: الإسلام تحد لعقيدة.

● و«هاملتون جب» فى كثير من كتبه مثل: طريق الإسلام، والمذهب المحمدى، والاتجاهات الحديثة فى الإسلام وغيرها.

● و«فينسنك» رئيس تحرير دائرة المعارف الإسلامية، فى كتابه: المستشرقون والإسلام.

● و « مرجليوث » في كتبه: محمد ومطلع الإسلام، والجامعة الإسلامية، وقنطرة إلى الإسلام، وغيرها.

● و« جروبناوم » في كتبه: إسلام العصور الوسطى، والإسلام، والأعياد المحمدية، وغيرها.

وغيرهم من الحاقدين على الإسلام[1].

– كل هذه المفتريات والأباطيل تحتاج إلى ردود، ودفوع تعيد الحق إلى نصابه، وتذهب عن كثير من المسلمين هذه الشبهات التي تمس عقيدتهم وإيمانهم وسلوكهم.

– وكل ذلك هو: « التعريف بنشر الفكرة العامة بين الناس » أي هدف من أهداف مرحلة التعريف أولى مراحل الدعوة التي ذكرها الإمام البنا عليه رحمة الله تعالى.

---

(١) للتوسع في معرفة هؤلاء ومعرفة كتبهم انظر للمؤلف: الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر – نشر دار المنار بالقاهرة، ط ٤ سنة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

ب – أبعاد هذه المرحلة وطبيعتها

– أبعاد المرحلة

وقد أطلق الإمام البنا على أبعاد هذه المرحلة وطبيعتها «نظام الدعوة» فقال: «ونظام الدعوة في مرحلة التعريف... نظام الجمعيات الإدارية... وكل شعب الإخوان القائمة الآن تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة، وينظمها «القانون الأساسي» وتشرحها رسائل الإخوان وجريدتهم... والدعوة في هذه المرحلة «عامة»...

● نعني بالأبعاد الأطر التي تتحرك فيها الأعمال في هذه المرحلة، بحيث لا تتجاوزها أو تقصر عنها.

● ونعني بطبيعة المرحلة ما يميزها عن سواها من المراحل في أعمالها وفي القائمين عليها وفي الأفراد المنتمين إليها، أي الذين تتوجه إليهم هذه المرحلة.

● وهذه الأبعاد وتلك الطبيعة للمرحلة هي نظامها، وهذا النظام – كما قال الإمام البنا – هو: «نظام الجمعيات الإدارية».

والجمعية الإدارية هي: كل جمعية أو تجمع من الناس يتعاونون فيما بينهم على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، وهذا التعاون يستهدف أهدافاً معينة في هذا المجال أهمها ما نشير إليه فيما يلي:

١ – تقديم العون للمسلمين فيما هم في حاجة إليه من معرفة دينهم معرفة صحيحة موثقة، نابعة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

٢ – وتبسيط الحقائق الدينية وشرح نصوص الإسلام من القرآن الكريم والسنة النبوية شرحاً يلائم الناس والعصر الذي يعيشون فيه، حتى لا يعتذر أحد عن التقصير في دينه بأنه يجهل حقائقه أو يراها فوق مستوى فكره وقدراته.

٣ – ومساعدتهم على تحسين ثقافتهم وتطويرها بتزويدهم بالنافع المفيد من ألوان الثقافة الإسلامية والثقافة العامة، عن طريق تحبيبهم في القراءة وتزويدهم بالكتب، وعقد الندوات، وتنظيم المحاضرات والمناظرات والحوارات والمناقشات.

٤ - وتعويدهم بل تحبيبهم وتشجيعهم على التقرب إلى الله تعالى بأداء النوافل، وبخاصة قيام الليل وإحياؤه بالذكر والعبادة، وصيام التطوع مع التجمع على تلك العبادات لما فى الجماعة من خير وبركة، وخصوصاً إن كان على عبادة لله تعالى.

٥ - وتبصيرهم بما طالب به الإسلام المسلمين من وجوب الأخذ بأسباب قوة البدن من مطعم ومشرب وعمل وراحة، ونوم مبكر ويقظة قبل الفجر أو قبيله، وتريض وانضباط فى كل ما يعود على صحة الإنسان بالفائدة، وبكل ما يحول بين الإنسان وبين ما يضره.

٦ - وتشجيعهم على القيام برحلات خلوية فى المزارع أو الصحارى والجبال، للترويح عن النفس بالرحلة والانتقال، وتربية الجسم على ترك الدعة والراحة، وتعويده على تحمل الجوع والعطش فترة من الوقت، ليتدرب على مقاومة شهوات البدن.

٧ - واصطحابهم لزيارة العلماء العاملين من المسلمين، وسؤال هؤلاء العلماء عما بدا لهم من أمور، ليعرفوا فيها رأى الدين، وليكون علم ومعرفة بأصول مجالسة العلماء والتحاور معهم، والقرب منهم للاغتراف من علمهم والتأسى بجميل صفاتهم.

● وكل شعب الإخوان فى جميع الأنحاء داخل مصر جمعيات إدارية يتعاون أفرادها على البر والتقوى، ولا يتعاونون أبداً على الإثم والعدوان، لأن الله تعالى أمر بذلك فى قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾

[المائدة: ٢].

● وكل شعب الإخوان المسلمين فى مصر وفى العالمين العربى والإسلامى، إنما تعمل على تحقيق هذه الأهداف السبعة التى ذكرناها آنفاً، فهى بذلك تمثل نظام الدعوة فى مرحلة التعريف، أى أن هذه الأهداف السبعة لا يجوز القصور عنها، ولا يمكن تجاوزها إلى عمل آخر أكثر دقة وأشد حاجة إلى دعاة أكثر تخصصاً وإلى مدعوين أكثر التزاماً وأكثر طاعة، وذلك أن طبيعة المرحلة تقتضى ذلك.

● وقد كانت للجماعة جمعيات كثيرة بعدد ما كان لها من شعب، وكانت كل شعبة تضم بداخلها جمعية تسمى: «جمعية البر والخدمة الاجتماعية»، وكانت أهداف جمعيات البر منحصرة فى تحقيق البر بالناس بكل معنى من معانى البر(١).

---

(١) كانت هذه الجمعيات الخاصة بالبر والخدمة الاجتماعية مسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية.

● وكانت جمعيات البر والخدمة الاجتماعية تمارس إلى جانب نشاطها فى البر والخدمة الاجتماعية نشر فكرة الإسلام بين الناس وتشارك الشعبة فى تزويدهم بالزاد الثقافى.

وقد أحدثت هذه الجمعيات وعياً فى نفوس الناس فحببت إليهم البر بالناس وتقديم الخير لهم، مما عزز انتماءهم للإسلام وزاد من فهمهم لأهداف الإسلام ومقاصده، وجعلهم يقبلون على الانتماء لجماعة الإخوان المسلمين والانخراط فى صفوفها.

● وكان هذا النوع من النشاط نشراً عملياً لدعوة الإسلام بين الناس وشرحاً مبسطاً لها يلائم عقول من تقدم لهم هذه الدعوة، وكان عامة الناس المترددين على الشعب، لا يشترط فيهم مستوى ثقافى معين، بل إن من نشاط الشعبة الأساسى أن تمحو أمية المترددين عليها فى فصول دراسية أحياناً، وفى حالات فردية أحياناً كثيرة، وكان هذا التعليم حسبة لوجه الله تعالى، وعلامة على أن المعلم قد تغلغل فى نفسه معنى التعاون على البر والتقوى.

● وكانت هذه الجمعيات تحقق بين الناس معنى التكافل الإسلامى فى أحسن صورة وأبسطها، وأقدرها على نقل الفقراء وأهل الحاجة إلى دائرة المكتفين ذاتياً – بما وفر لهم من وسائل إنتاج بسيطة – وتخرجهم نهائيا من دائرة المتصدَّق عليهم أصحاب اليد السفلى.

● وكانت أموال الزكاة توجه إلى جمعيات البر والخدمة الاجتماعية لتعينها على أداء وظائفها، فضلاً عما كانت جمعيات البر تنشئه من مشروعات اقتصادية صغيرة تعين بها نفسها ومن تقدم إليهم الخدمة الاجتماعية.

وقد سميت الشعب وجمعيات البر والخدمة الاجتماعية: «جمعيات إدارية» لأنها كانت خاضعة فى نظامها لإدارة يرأسها مجلس لهذه الإدارة يتكون من:

رئيس، ووكيل، وأمين سر، وأمين للصندوق وعدد من الأعضاء، وكان جميع الأعضاء العاملين هم الجمعية العمومية لهذه الإدارة.

وكانت هذه الجمعيات الإدارية تدريباً عملياً على العمل الجماعى المنظم القائم على الحوار والشورى والتطبيق العملى لمبادئ الإسلام وأخلاقه ومعاملاته.

● فهذه الجمعيات الإدارية وما يحكمها من مواد فى القانون الأساسى للجماعة، ومن رسائل تصدرها الجماعة: هى الإطار الذى تتحرك فيه هذه الجمعيات، وليس لها أن تقصر فى تحقيق أهدافها المرسومة لها، وليس لها أن تتجاوز الأهداف إلى أهداف أخرى.

● أما طبيعة الدعوة فى هذه المرحلة فهى: العمومية.

والمعنى المقصود من هذه العمومية - حيث قال: «والدعوة فى هذه المرحلة عامة، ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة فى أعمالها ووعد بالمحافظة على مبادئها...»، هذا المعنى هو:

- عمومية العمل الذى يؤديه الدعاة فى هذه المرحلة؛ وهو نشر الفكرة العامة عن الإسلام بين الناس.

أما العمل الخاص أو المتخصص فى مجال الدعوة إلى الله وهو كثير - فإن مجاله المراحل التالية لمرحلة التعريف، كمرحلة التكوين ومرحلة التنفيذ، ومرحلة التمكين - كما سنوضح ذلك فيما بعد.

- تلك طبيعة مرحلة التعريف: «عمومية الدعوة».

وفى اختصار شديد لمعنى العمومية هنا نقول: إن كل ما يقوله الداعى وكل ما يعمله فى هذه المرحلة هو ما يصلح أن يسمعه كل مسلم من أجل أن يفهم دينه فهماً جيداً صحيحاً.

وليس لهذه المرحلة تشكيلات تخصها ولا مجموعات بعينها، وإنما هى العمومية فى هذا المجال بحيث توجه إلى كل أحد.

- والمدعو فى هذه المرحلة عام كذلك أى من عامة المسلمين، بحيث لا يشترط أن يكون ذا صفات بعينها فى مجال العمل من أجل الإسلام ولا تشترط فيه استعدادات خاصة فى ثقافته العامة أو ثقافته الإسلامية، بل يكتفى منه بأن يرغب فى المساهمة فى فعل الخير، أو الرغبة فى التردد على الشعبة والمشاركة فى أنشطتها التى يراها مناسبة له، سواء أكانت أنشطة ثقافية أم رياضية أم اجتماعية أم كشفية - كأن يرغب فى الانضمام إلى الجوالة - هذا هو كل ما يشترط فيه، وتلك هى عموميته التى تتيح له الانضمام إلى الشعبة.

- غير أن صفة واحدة يجب أن تلحظ فيمن ينضم إلى الجماعة فى هذه المرحلة هى: أن يعد بالمحافظة على مبادئ الجماعة.

● ومن نافلة القول أن نؤكد أن مبادئ الجماعة هى مبادئ الإسلام ومبادئ الإسلام هى:

الإيمان والإسلام والإحسان والعدل والدعوة إلى الله، أى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

والجهاد فى سبيل الله تعالى، فمن وعد بالمحافظة على هذه المبادئ ساغ له أن ينضم إلى الجماعة وأن يكون أحد أفراد هذه المرحلة.

وفى داخل هذه المرحلة سوف يعرف عن دينه سائر مبادئه، وقيمه وأخلاقه ومعاملاته، ولا غرابة فى ذلك فهى مرحلة التعريف بالإسلام.

وبعد: فهذه أبعاد المرحلة وتلك طبيعتها، فما هى أهداف هذه المرحلة وما وسائلها فى تحقيق تلك الأهداف؟

ذلك ما نوضحه فى الصفحات التالية بعون من الله وتوفيق.

جـ - أهداف المرحلة ووسائلها

لكل عمل جاد هدفه أو أهدافه التى يرغب فى أن يبلغها ويصل إليها ليكون عملاً ناجحاً موفقاً.

وهذه الأهداف إنما تتحقق إذا أخذ الراغبون فى تحقيقها بالأسباب التى تؤدى إلى تحقيقها، وهذه الأسباب هى الوسائل.

ولكل مرحلة من مراحل الدعوة - كما سنرى - أهداف ووسائل، فما أهداف مرحلة التعريف وما وسائل تحقيق هذه الأهداف؟

أولا:

أهداف مرحلة التعريف بالإسلام

١ - التعريف بالإسلام تعريفاً يلائم الناس والعصر الذى يعيشون فيه، أى شرح أصوله وقواعده وأخلاقه وآدابه ومعاملاته، أى منهجه ونظامه فى الحياة، شرحاً يفسر أى مجمل فيه، ويوضح أى غامض على الناس من أى مستوى كانوا من مستويات الفهم والثقافة، مع مراعاة أن يحتوى هذا الشرح قضايا العصر الذى يعيش فيه الناس، ويعرضها باللغة السائدة فى العصر وبالأسلوب الملائم له.

وخلاصة هذا الهدف أن تصل الدعوة الإسلامية فى صورتها الميسرة بحيث تلائم كل مسلم مهما كان مستواه التعليمى أو الثقافى أو الاجتماعى، لأن ذلك حق كل مسلم على الدعاة إلى الله فى هذه المرحلة.

٢ - واستقطاب أكبر عدد من المسلمين، وتعهدهم بالعلم والثقافة والعمل بحيث يصبحون قاعدة عريضة من الفاهمين للإسلام، الواعين لأبعاده ومبادئه، القادرين على التمسك بقيمه وأخلاقه، الملتزمين بمنهجه فى الحياة.

وهذه القاعدة الفاهمة لدينها بهذه المرحلة تضم كل قطاعات المجتمع المعاصر من فلاحين وعمال وطلاب وخريجين، بحيث تصلهم الدعوة إلى الله واضحة مبسطة يمتزج فيها العلم بالعمل.

وعند الوصول إلى هذا الهدف، فإن تغيراً جذرياً فى الحياة اليومية فى المجتمع سوف يجعل حياة الناس ذات نبض إسلامى صحيح مستبصر، وعندئذ تحل أعتى القضايا السياسية التى يعانى منها الدعاة إلى الله عندما يطالبون بالصياغة الإسلامية للحياة اليومية، فيقال لهم إن الناس لم يستوعبوا الإسلام وقيمه، وتظل هذه ذريعة الحكام ومن بيدهم الأمر لإقصاء الشريعة الإسلامية عن حياة الناس!!.

٣ - وإشاعة فقه الالتزام بمنهج الإسلام، بتيسير هذا الالتزام وربطه بحياة الناس وسلوكهم؛ لما فى هذا الالتزام من مقاومة لكل أسباب الشر والفساد، ولما فيه من جلب لكل مصلحة للناس فى دينهم ودنياهم.

وتأكيد أن الإسلام ليس كلاماً يقال وليس نظرية تشرح، ولكنه إلى جوار ذلك التزام عملى بهذه النظرية وإخراجها إلى مجال التطبيق والتنفيذ.

وإذا كان الإسلام هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فإنه لا فائدة تتحقق من استظهار آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة دون عمل بما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وفى الماضى المشرق لاسلافنا من صحابة الرسول ﷺ كان أحدهم يحفظ سورة البقرة فى سنتين أو أكثر، فلما سئل عن هذا الوقت الطويل الذى استغرقه فى استظهار هذه السورة الكريمة قال: كنا لا ندع الآية حتى نعمل بما فيها.

هذا هو فقه الالتزام الذى يجب على مرحلة التعريف أن تشيعه فى المسلمين وأن تيسره لهم.

٤ - وإذاعة فقه الانتماء إلى الإسلام بين المسلمين، إذ لا قيمة للتعريف بالإسلام فى هذه المرحلة وتبسيطه وتيسيره إلا إذا تولد لدى المسلم اعتزاز بالانتماء إلى هذا الدين العظيم.

إن هذه المرحلة تريد أن تصل بكل مسلم إلى أن يتمثل فيه هذا الاعتزاز بهذا الانتماء، كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾ [فصلت: ٣٣].

إن الاعتزاز بأن الإنسان مسلم ينتمى إلى خاتم الأديان وأتمها وأكملها هو أحد أهداف مرحلة التعريف بالإسلام؛ وذلك أن هذا التعريف بالإسلام يجلى قيمه، ويكشف عن جوهره الثمين، وعن رجاله العظماء الذين حملوا عبء نشره فى العالم، ومن هنا يكون الاعتزاز بهذا الانتماء.

وهنا ملحظ نحب أن ننبه إليه وهو أن أعداء الإسلام والمسلمين لا يعنيهم شيء بقدر ما يعنيهم أن يقتلوا في نفوس المسلمين هذا الاعتزاز بانتمائهم لدينهم ليحلوا محله الانتماء إلى حضاراتهم وما لها من بريق خادع، حضارة الكيل بمكيالين، حضارة حق «الفيتو»، تلك الأكذوبة الكبرى التي تدعي المحافظة على حقوق الإنسان، وتدوس الإنسان بل تركله بحذائها عندما تمارس حق «الفيتو» في مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة!!!

٥ - وتحبيب المسلمين في العمل الجماعي؛ وذلك أن العمل الجماعي هو الأصل في الإسلام، بدليل أن الخطاب القرآني وخطاب السنة النبوية المطهرة موجهان إلى الجماعة لا إلى الفرد، ومعنى ذلك أن الله تبارك وتعالى ينظر إلى المسلمين في مجال العمل من أجل هذا الدين على أنهم جماعة لا أفراد، وإن كان سوف يحاسبهم فردا فردا، وما ذلك إلا لغرس فقه العمل الجماعي في نفوسهم الذي تعززه نصوص إسلامية كثيرة نكتفي منها هنا بما رواه الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة» وإن أعداء الإسلام يبذلون جهودا مضنية لكي يصرفوا المسلمين عن العمل الجماعي بإيهامهم بأن التدين عمل فردي لا جماعي، وإطلاقهم شعارات مضلله مثل قولهم:

«الدين لله والوطن للجميع».

و «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

و «التدين عمل فردي شخصي».

ويدعمون الفرقة وأسبابها في المسلمين، بينما يعيشون هم وحدة اقتصادية وثقافية وسياسية، ويضعون العراقيل في طريق أي وحدة بين المسلمين!!!

وبعد فهذه جملة من أهداف مرحلة التعريف بالإسلام[1] أشرنا إليها هنا باختصار، أملا في أن نلقي على هذه المرحلة من الضوء ما يكشف عنها ويزيدها وضوحا.

---

(١) انظر تفصيل هذه الأهداف في كتابنا الموسع: فقه الدعوة إلى الله. نشر دار الوفاء بمصر ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

ثانيا:

وسائل مرحلة التعريف بالإسلام

هذه المرحلة تحتاج من الوسائل إلى ما يساعدها على تحقيق أهدافها، ولكن بشرط أن تكون هذه الوسائل مبسطة وميسرة وملائمة لطبيعة هذه المرحلة وهى العمومية.

وهذه الوسائل فى إجمال[1] هى:

١ - التعريف بالإسلام عن طريق الكلمة:

وهذه الكلمة إما منطوقة؛ كالخطبة والدرس المسجدى والمحاضرة والمناظرة والندوة والدورة.

وإما مكتوبة، كالمقالة والرسالة والنشرة والكتيب والكتاب والصحافة اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية أو الدورية.

وإما مسموعة من خلال المذياع،

وإما مسموعة مرئية من خلال السينما والتليفزيون والمسرح.

● وهذه الكلمة قادرة على التعريف بالإسلام، وهى وسيلة ناجحة فى تحقيق كثير من أهداف هذه المرحلة، وبخاصة شرح الدعوة الإسلامية بلغة العصر، واستقطاب أكبر عدد من الناس وتعهدهم للوصول بهم إلى فهم الإسلام فهما صحيحا.

٢ - والتعريف بالإسلام عن طريق العمل:

وهذا العمل هو الممارسة العملية لمبادئ الإسلام وقيمه عن طريق إقامة المنشآت النافعة اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية.

- كما أشرنا إلى ذلك آنفا، ونحن نتحدث عن الأعمال التى تقوم بها الشعبة وجمعية البر والخدمة الاجتماعية - وهى منشآت تجلب المصالح للناس، وتدفع عنهم المضار، وتحيى فى نفوسهم العمل الجماعى.

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا الموسع: فقه الدعوة إلى الله.
مرجع سابق.

وإن التطبيق العملى للإسلام ومبادئه ومنهجه يحقق هدف الالتزام بالإسلام والاعتزاز بالانتماء إليه، وتحبيب الناس فى العمل الجماعى وفقه ذلك كله فقها عمليا.

ومما يدخل فى التعريف بالإسلام عن طريق العمل إقامة المخيمات لكى تمارس فيها الحياة اليومية بصيغة إسلامية تتناول اليوم والليلة، وذلك من شأنه أن يجعل الناس يألفون الحياة الإسلامية البسيطة النقية الخيرة ذات التوجه الإنسانى الراشد.

- وفى الكتائب - وهى ليال تُحيا بالعبادة والتلاوة للقرآن الكريم - فرصة لتقديم الإسلام عمليا فى مجال التعبد بالنوافل.
- وفى الرحلات وما يسودها من روح إسلامية وممارسة إسلامية لكل ما يجرى فى الرحلات من عمل وحركة ومن تريض وراحة.
- وفى المخيمات وما يسودها من نظام إسلامى يتناول كل ما يجرى فى المخيم من نوم ويقظة وطعام وشراب وعبادة ورياضة ومدارسة لأى قضية من القضايا التى تهم المسلمين.

كل ذلك تطبيق عملى للإسلام يراه المسلمون وينفذونه عمليا.

٣ - والتعريف بالإسلام عن طريق القدوة:

والقدوة هنا هى واجب الدعاة بحيث يكون كل داعية فى هذه المرحلة أنموذجا حيا لما يدعو إليه من قيم الإسلام وأخلاقه.

- والأصل فى الداعية أن يكون على وعى بالتربية بحيث يربط من يدعوهم بشخص الرسول ﷺ فللمسلمين جميعا فيه أسوة حسنة، لكن ذلك لا يمنع الداعية إلى الله فى هذه المرحلة من أن تتوفر فيه صفات بعينها ليرى الناس فيه أنموذجا للإسلام العملى وتلك الصفات هى:

- عمق الإيمان بحسن الصلة بالله وحسن مراقبته والإقبال على أداء النوافل،
- ودقة الفهم لعمله فى مجال الدعوة إلى الله عموما، وفى مجال العمل فى هذه المرحلة على وجه الخصوص،
- وممارسة العمل الصالح تعبيرا عن الإيمان وترجمة له،
- وحب الخير عموما، والحرص على تقديمه للناس على الدوام،

- والتضحية بالوقت والجهد والمال فى سبيل الله، أى أن تظهر على الداعية صفة الكرم والعطاء،

- وَالتواضع لله تعالى، مع الاعتراف بالتقصير، والإسراع إلى اتهام النفس بهذا التقصير،

- والإحسان لكل عمل يقوم به، والإحسان إلى كل أحد يتعامل معه، والإحسان إلى نفسه بإلزامها بالحق والعدل والشورى،

- والانضباط فى المواعيد وكل الأعمال التى يقوم بها.

٤ - وتكوين الجماعات التى تمارس أعمالا ملائمة لأفرادها

وتلك من وسائل هذه المرحلة فى تحقيق هدف فقه العمل الجماعى الواجب شرعا كما قلنا آنفا.

وكل جماعة من هذه الجماعات يجب أن تختار على أساس التقارب بين أفرادها فى مستويات الثقافة والعمر والميول والاتجاهات، لأن هذا التقارب - فضلا عما فيه من مراعاة الفروق الفردية بين الناس - أعون على النجاح والتوفيق فى الوصول إلى الهدف.

وبعد: فتلك نماذج من وسائل هذه المرحلة لتحقيق أهدافها نرجو أن تكون قد أوفت على ما هو مطلوب فى هذا المجال.

د – مكانة الطاعة فى هذه المرحلة

يقول الإمام البنا عن الطاعة فى هذه المرحلة: «وليست الطاعة التامة لازمة فى هذه المرحلة، بقدر ما يلزم فيها احترام النظم والمبادئ العامة للجماعة».

● فما هى النظم التى يجب أن تحترم؟ أو النظم التى يعتبر احترامها تحقيقا للطاعة فى هذه المرحلة؟

هذه النظم الإدارية تمثلت فى الشعب وفى المنشآت النافعة التى كانت فى الشعب أحيانا، أو مستقلة بذاتها أحيانا أخرى، وكل هذه الشعب أو المنشآت لها إدارات تخضع لقانون ولوائح، ويهيمن على قانونها ولوائحها القانون الأساسى للجماعة.

ولب النظم الإدارية وعصبها هو النظم التى تحكم الشعب، وقد جاء فى قانون النظام الأساسى لهيئة الإخوان المسلمين عن الشعبة بوصفها أصغر وحدة إدارية ما يلى:

مادة (٤٠)

الإخوان المسلمون فى كل مكان هيئة واحدة تؤلف بينها الدعوة ويجمعها هذا النظام الأساسى ويوجهها المكتب العام.

ويقسمون بحسب الأماكن والبلدان إلى شعب؛ تعتبر كل منها وحدة إدارية يشرف عليها مجلس إدارة تختاره الجمعية العمومية للإخوان المسلمين فى هذه الشعبة...

وجاء فى اللائحة الداخلية العامة عن الشعبة ما يلى:

«الشعبة هى أصغر الوحدات الإدارية...

يدير الشعبة مجلس إدارة مكون من خمسة أشخاص أحدهم يختاره المركز العام، وهو رئيس الشعبة أو نائبها، والأربعة الباقون تنتخبهم الجمعية العمومية للشعبة، على أن يكون اثنان منهم وكيلين والثالث «سكرتيرا» أمينا للسر، والرابع أمينا للصندوق، وعلى أن يكون الانتخاب سريًا...

ويختص مجلس إدارة الشعبة بالنظر فى المسائل الآتية؛

إدارة الشعبة من الناحيتين الإدارية والمالية،

والإشراف على النشاط الفنى للشعبة...»

هذا عن الشعبة.

أما المنشآت النافعة التى أقامتها الجماعة من خلال الشعبة أو مستقلة عنها، وتخضع أيضا للنظم التى يجب احترامها على كل فرد حتى يكون مطيعا نوعا من الطاعة، وليس الطاعة التامة، فهى:

- المساجد الصغيرة، والمساجد الجامعة،
- والمدارس، وفصول لمحو الأمية،
- ودور لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده،
- ودور للمستشفيات والمستوصفات والصيدليات،
- وجمعيات للبر والخدمة الاجتماعية، بمختلف أنواع الخدمة الاجتماعية.
- وجمعية للكشافة والجوالة، والفرق الرياضية.
- والجمعيات الاقتصادية لممارسة التجارة والصناعة.
- والمكتبات التى تيسر للقارئ الإطلاع وتتيح له فرصة الاستعارة.

● وكل هذه المنشآت النافعة لها لوائح تنظمها وتضبط إدارتها وأموالها، وتعنى بتحقيق أهدافها، وما دام العمل خاضعا لقانون ولوائح، فإن احترام هذا النظام يعد طاعة مطلوبة من كل منتسب لهذه الشعبة فى مرحلة التعريف أو غيرها من المراحل.

● وإذا كانت مرحلة التعريف تقتضى تعريفا بالإسلام - كما أوضحنا - فإن الشعبة بما فيها من جمعيات وجماعات وأجهزة إدارية وفنية وما يحيط بها من منشآت نافعة تقوم بهذا التعريف بأسلوب عملى خير قيام.

- ولنضرب على ذلك مثالا بجماعة الرحلات فى الشعبة التى تقوم على إعداد الرحلات باختيار مكانها وزمانها والأفراد المشاركين فيها والمعدات واللوازم الخاصة بها، ووضع برنامج لها من بداية الإعداد لها إلى انتهائها.

- وكانت الرحلة تستهدف جوانب تربوية عديدة هى عند التحقيق تعريف عملى بالإسلام، ومن هذه الجوانب ما يلى:

● الجانب العبادى؛ فقد كانت الرحلة لا تخلو من أداء الفرائض وتلاوة القرآن الكريم، والذكر، والتأمل والتدبر فيما يحيط بالإنسان من مخلوقات،

● والجانب الرياضى، فقد كان أهم أهداف الرحلة تقوية البدن بالتريض مشيا وجريا وقفزا وحمل أمتعة وأثقال، واجتياز موانع، وغير ذلك من أسباب تقوية البدن، تجاوبا مع ما رواه أحمد ومسلم وابن ماجة بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

● والجانب الخلقى، بتعويد المشارك فى الرحلة على التعاون والإيثار وتحمل الجوع والعطش والصبر على المشقة والجهد البدنى، انطلاقا مما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جعلوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية؛ فهم منى، وأنا منهم».

● وجانب الانضباط فى الحركة والسكون، والمطعم والمشرب، وكل ما توجبه الرحلة من أعباء مادية ومعنوية، ويكاد يكون هذا الجانب ادق وأعمق جانب تربوى فى الرحلة.

وبعد: فكل هذه الجوانب التى تستهدفها الرحلة، تحتاج إلى قيادة وجندية؛ أى تحتاج إلى طاعة، بل إن هذه الأهداف جميعا ما لم تجد طاعة لما أمكن تحقيقها، ولما أصبح للرحلات أى أثر تربوى، وبالتالى لتعطلت أهداف مرحلة التعريف كلها، لأن فقد الطاعة يحول بين هذه المرحلة وبين التعريف بالإسلام.

- وفى الشعبة جماعات أخرى كثيرة على نحو ما بينا آنفا، ولكننا هنا نشير إلى أسماء هذه الجماعات فيما يلى(1):

● جماعة نشر الدعوة،

● وجماعة الخطابة،

● وجماعة المحاضرات والندوات والدورات،

---

(1) لمعرفة تفاصيل هذه الجماعات: انظر للمؤلف الكتاب الموسع: فقه الدعوة إلى الله - مرجع سابق.

● وجماعة الصحافة،

● وجماعة الأُسر،

● وجماعة الكتائب،

● وجماعة محو الأمية،

● وجماعة إعداد الدعاة.

وكل هذه الجماعات وغيرها لا تستطيع أن تمارس عملها إلا فى ظل تنظيم تكفله لوائح ونظم، وهذا كله لا قيمة له؛ ما لم تكن لدى الأفراد طاعة واحترام لهذه النظم.

وتلك هى الطاعة اللازمة فى مرحلة التعريف، وهى الطاعة التى وصفها الإمام البنا بأنها طاعة لا يشترط أن تكون تامة، وإنما يكفى فيها أن تؤدى إلى احترام النظم والقوانين.

أما فى المراحل الأخرى فإن للطاعة مفهوما آخر وصفات أخرى سوف نتحدث عنه فى الصفحات التالية من الكتاب، والله ولى التوفيق.

ثانيا

مفهوم الطاعة فى مرحلة التكوين

وقد قال الإمام البنا عن هذه المرحلة موضحا أبعادها وطبيعتها وأهدافها ووسائلها ومكانة الطاعة فيها ما يلى:

«والتكوين» باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد، وضم بعضها إلى بعض.

ونظام الدعوة فى هذه المرحلة:

صوفى بحث من الناحية الروحية،

وعسكرى بحت من الناحية العملية،

وشعار هاتين الناحيتين دائما؛ أمر وطاعة، من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج.

وتمثل الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة وتنظمها رسالة المنهج سابقا، وهذه الرسالة الآن.

والدعوة فيها خاصة لا يتصل بها إلا من استعد استعدادًا حقيقيًا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد كمال الطاعة».

ونحاول فى الصفحات التالية أن نلقى ضوءا على مرحلة التكوين، وأن نوضح أبعاد هذه المرحلة وطبيعتها، وأهدافها ووسائلها، ومكان الطاعة فى هذه المرحلة.

ونسأل الله تعالى التوفيق.

مرحلة التكوين

مرحلة التكوين من بين المراحل الثلاث التى ذكرها الإمام البنا تستهدف بالدرجة الأولى تكوين الأفراد وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة.

● وتقوم هذه المرحلة على استخلاص العناصر الصالحة للانضمام إلى هذه المرحلة من الذين يتوسم فيهم القدرة على الوفاء بمتطلبات هذه المرحلة والتزاماتها وشروطها وآدابها.

وإذا استخلصت هذه العناصر وجب ضم بعضها إلى بعض لتكوين مجموعات، كل مجموعة منها تتلقى أنواعا من الدراسات العلمية والعملية والتدريبية والفنية، بحيث يؤهلون فى هذه المرحلة لكى يصبحوا قادرين على حمل أعباء الجهاد فى سبيل الله تعالى.

● وإذ كانت مرحلة التعريف قد أخذت أفرادها بمزيد من الحب والتسامح النسبى، فإن مرحلة التكوين تأخذ أفرادها بمزيد من الجد والتوفيق، بل الصراحة فى كثير من مناشط العمل فيها؛ وما كان ذلك كذلك إلا لأن مرحلة التكوين مرحلة الصقل والبناء المتكامل للفرد، بل البلورة لكل جوانب الشخصية فيمن اختير لينضم إلى أفراد هذه المرحلة.

● وإذا كانت التكاليف والواجبات فى مرحلة التعريف خفيفة نسبيًا - نظرا لطبيعة المرحلة، وطبيعة المدعويين فيها- إذا كان ذلك كذلك فإن الأمر فى حالة التكوين مختلف أشد الاختلاف؛ وذلك لأن الأعباء فى مرحلة التكوين ثقيلة لا ينهض بها إلا الصفوة المختارة ممن أنهوا مرحلة التعريف وفق وعائها الزمنى وطبيعتها؛ تلك الصفوة التى بدا عليها الاستعداد لبذل الجهد والوقت والمال؛ لمتطلبات العمل من أجل الإسلام فى هذه المرحلة.

● وإذا كانت أهداف مرحلة التعريف تكاد تكون منحصرة فى التعريف بالإسلام؛ قواعده وأصوله وأخلاقه وآدابه ومعاملاته، وعرض ذلك كله بأسلوب العصر، وعلى قدر ثقافة الأفراد وإمكاناتهم، مع الرد على الشبهات والمفتريات الموجهة ضد الإسلام... إذا كان ذلك كذلك؛ فإن أهداف مرحلة التكوين - كما سنوضح فيما بعد - أكبر حجما وأكثر أهمية نوعًا وكمًا، إذ هى فى جملتها: تكوين جيل من المؤمنين الصادقين القادرين على حمل أعباء الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

● وإذا كانت أهلية المدعوين فى مرحلة التعريف متواضعة إلى حد كبير، إذ ينضم إليها كل من أراد الانضمام ما دام مستعدا لأن يحترم النظم التى تحكم مرحلة التعريف؛ فإن أهلية المدعويين فى مرحلة التكوين أدق وأصعب، وحسبنا فى هذه الدقة والصعوبة أن هذه الأهلية يشترط فيها إجمالا :

– أن يكون صاحبها قد اجتاز مرحلة التعريف بنجاح، فعرف الإسلام عقيدة وشريعة وعملا وسلوكا، وعرف كيف يرد على الشبهات ويفند المفتريات التى توجه إلى الإسلام .

– وأن يكون قد التزم بالإسلام فكرا وثقافة وخلقا وسلوكا، وتولد لديه اعتزاز بالانتماء إلى هذا الدين، والولاء له فى كل موقف من المواقف التى يمر بها فى حياته،

– وأن يكون قد وقع عليه الاختيار فعلا، لما عرف عنه من صلاحية وقدرة على تحمل أعباء الجهاد، التى أولها ما قد يتعرض له من محن وفتن فى دنياه، وما يمكن أن يكلفه ماله ووقته ونفسه وهو يواجه أعداء الإسلام .

● وهذه الشروط – وإن بدت سهلة أو ميسورة – فإنها فى الحقيقة ليست كذلك، وإنما هى شروط عزيزة المنال إلى حد كبير .

● وإذا كانت مرحلة التعريف تؤهل أفرادها لمعرفة الإسلام، وللرد على الشبهات المثارة حوله؛ فإن مرحلة التكوين تؤهل أفرادها للعمل الجاد المضنى فى كل مناشط الحياة، وتطالبه بالالتزام بكل ما هو إسلامى فى يومه وليلته وحركته وسكونه، وكل أمره، وتلزمه بالانضباط مع الثوابت فى الإسلام عقيدة وعبادة وخلقا وسلوكا .

– هذا كله ليس سهلا، وليس وحده هو المطلوب، وإنما يضاف إليه الاعتزاز بالانتماء إلى هذا الدين الخاتم العظيم، اعتزازا لا يجعل فى قلبه ولا فى عقله مجالا للاعتزاز بشىء غيره، مهما كان هذا الشىء، حتى لو كان آباءه وأجداده، فضلا عن مذهب فكرى أو سياسى .

– ويضاف إلى ذلك أن هذه المرحلة تريد من المنتسب إليها أن يكون لديه الاستعداد للتضحية بماله ووقته وجهده، بل نفسه من أجل هذا الدين، تقربا إلى الله تعالى وإيثارا لما عنده سبحانه .

وسنحاول فى هذه الصفحات أن نتبع نفس المنهج الذى سرنا عليه فى الحديث عن مرحلة التعريف، فنتحدث عن نقاط أربعة؛ بالتفصيل وهى :

ضوء على مرحلة التكوين،

وتحديد لابعادها وطبيعتها،

وتوضيح لاهدافها ووسائلها،

وبيان لمكان الطاعة فيها.

ونسأل الله تعالى العون والسداد

أ - إلقاء ضوء على مرحلة التكوين

نحن بحاجة إلى أن نزيد من الضوء الذى نلقيه على هذه المرحلة لتزداد وضوحا، وليتضح الفرق بينها وبين ماسبقها وما يليها من مراحل الدعوة إلى الله تعالى، فلمرحلة التكوين خصائص وسمات كثيرة معروفة:

● فمن ذلك أن مرحلة التكوين مرحلة وسطية، أى مسبوقة بمرحلة لابد منها، وملحوقة بمرحلة لابد منها كذلك:

فهى مسبوقة بمرحلة التعريف - التى تحدثنا عنها آنفا -بحيث لا يمكن الوصول إلى مرحلة التكوين دون استيفاء مرحلة التعريف وفق إطارها الزمنى ومحتواها العلمى ومتطلباتها العملية، وعند استيفاء مرحلة التعريف وفق هذا كله يصبح توجيه المدعو إلى مرحلة التكوين أمرًا مقبولا، له ما يبرره لدى الدعاة إلى الله.

وكل تقصير أو تساهل فى استيفاء مرحلة التعريف فيمن يوجه إلى مرحلة التكوين سوف تكون له آثار سيئة فيمن وجه إلى تلك المرحلة، بحيث يصعب عليه -إن لم يكن مستحيلا- أن يستوعب متطلبات مرحلة التكوين - كما سنوضحها فيما بعد - لانه لم يستكمل الاسس التى تمكنه من هذا الاستيعاب.

● ومن ذلك أن مرحلة التكوين مرحلة ملحوقة بمرحلة لابد منها أيضا، وهى مرحلة التنفيذ والتطبيق، أى إخراج العمل من أجل الإسلام إلى حيز الوجود العملى الذى يطبع المجتمع كله بطابع إسلامى فى كل مناشطه، وفى جميع مؤسساته.

وإنما كانت مرحلة التنفيذ لابد منها لانها تمثل الثمرة المرجوة من شجرة التكوين، أو تمثل الزبدة التى يتمخض عنها العمل كله فى مرحلة التكوين، ولا قيمة لشجرة بلا ثمرة، ولا أهمية ولا فاعلية لعمل لا زبدة - أى حصيلة - له!!!

● ومن ذلك أن مرحلة التكوين لا يمكن أن تكون مرحلة نهائية - أى يكتفى الفرد بأن يجتازها ثم يتوقف عن العمل - وذلك أنها مرحلة إعداد وبناء وتكوين، وهذا الذى أعد، وكُون، لابد أن تكون له غاية يحققها من وراء هذا الإعداد والتكوين، إذ ليس الإعداد والتكوين هدفا ينتهى إليه من أعد وكون، وإنما هو وسيلة لبلوغ هدف، وليس

مقبولا عند أحد - وبخاصة عند المشغولين بالعمل من أجل الإسلام - أن تكون الوسائل غايات، ولا أن يحدث توقف عند الوسائل.

- ولقد يقول بعضهم: إن التكوين فى حد ذاته هدف!!! ولكن ذلك ليس بصحيح، فنحن نعد ونكون ونربى عموما وفى العمل من أجل الإسلام على وجه الخصوص، لكى نمكن من أُعد وكون من أن يمارس حياته فى المجتمع بأسلوب إسلامى فاعل ومؤثر، أى قادر بهذه الممارسة الإسلامية على أن ينشر الخير فى المجتمع، وعلى أن يقاوم الشر فيه، وعلى أن يحقق لنفسه ولغيره ممن يلى أمره سعادة الدنيا بنبذ الشر والإقبال على الخير، وسعادة الآخرة بأن يبلغ رضا الله تعالى لأنه وضع نفسه حيث أمره الله تعالى.

- ولقد يقول بعضهم إن مرحلة التكوين تُعد علماء فى مجالات عديدة تثرى العمل من أجل الإسلام - وهذا يبدو صحيحا من جانب، ولكنه خطأ من جانبه الآخر - إذ القيمة الحقيقية للعلم أن يتبعه عمل وفق هذا العلم وتطبيق نظرياته، لأن من المسلم به بيننا معشر المسلمين أن العلم بغير عمل جنون.

- وعلى الذين يرضون بأن تكون مرحلة التكوين لتخريج العلماء فحسب، أن يسألوا أنفسهم قائلين: وماذا بعد أن أعد العلماء؟ هل يكتفى بأن يباهى بهم سواهم؟ وما جدوى هذه المباهاة؟

● ومن ذلك أن مرحلة التكوين تهتم بتعميق ما يتضمنه برنامجها من:

علم، وتدريب، وعمل، وتقويم، ومتابعة؛ بحيث لا يقبل فيها سوى التعمق فى هذه المجالات كلها، وهدف هذا التعمق ما يلى:

- التمكن من العلم أو التدريب أو العمل... إلخ بحيث تستوعب جميع أطراف هذا المجال، فلا ينقصه منها ما هو بحاجة إليه.

- والثقة فيما علم أو فيما درب عليه أو ما عمل.. إلخ بحيث يستطيع أن يطمئن تماما إلى ما حصله من حيث صحته وجدواه.

- والقدرة على إخراج هذا العلم إلى حيز التطبيق بإجادة وإتقان وفاعلية.

وبغير هذا التعمق لا تؤدى مرحلة التكوين وظائفها، ولا تؤتى ثمارها المرجوة منها.

● ومن ذلك أنها مرحلة تستغرق مدى زمنيًا طويلا؛ إذا قورنت بغيرها من المراحل، وذلك بسبب إحداث التعمق الذى ذكرنا، وحتى يتم نضج المنتمى إلى هذه المرحلة من جميع جوانب شخصيته:

– الجانب الروحى بالتعمق فى ممارسة العبادات وبخاصة قيام الليل، والإكثار من النوافل، وزيادة التأمل والتدبر فى النفس وفى الآفاق.

– والجانب الخلقى السلوكى بالالتزام بكل ما أمر به الإسلام أو ندب إليه والابتعاد التام عن كل ما نهى عنه أو كره فيه.

– والجانب العقلى الثقافى، ولعل ذلك هو أبرز ما يميز مرحلة التكوين لأن برنامجها أكثر البرامج فى المراحل كلها احتفاء واحتفالا بالزاد الفكرى والثقافى.

– والجانب التدريبى العملى، فذلك من صميم البرنامج الذى تقوم عليه مرحلة التكوين – كما سنوضح ذلك فيما بعد–

– والجانب الخاص بفقه الدعوة، وفقه مراحلها، وفقه العمل فيها، وفقه الانتقاء، وفقه الترشيح وفقه التوريث.

● ومن أجل إحداث هذا التعمق وذلك النضج فى أفراد هذه المرحلة كان المدى الزمنى فيها أطول منه فى غيرها.

فهذه المرحلة تشبه جنة بربوة تتعرض فى موقعها ذلك لوا بل طيب لتؤتى أكلها ضعفين، فهذا هو الأصل فيها، وكل إخلال بشىء من صفاتها تلك يحول بينها وبين تحقيق أهدافها، بل كل تعجل فى تعهد هذه الجنة بما يمده بأسباب حياتها ونضجها، وكل تساهل فى انتقاد أفرادها من صفوة المنتمين إلى مرحلة التعريف، وكل تنازل عن شىء من الروافد الثرية التى يمدها بها برنامجها، وكل قبول للأقل مما تعطيه هذه المرحلة، كل ذلك إنما هو على حساب المرحلة نفسها، بل على حساب العمل الإسلامى كله، بحيث يؤدى إلى تعويق النتائج والبعد عن تحقيق الأهداف، فضلا عن الضمور الذى يلحق بالمرحلة التالية لها.

● ومن ذلك أنها مرحلة عديدة الأهداف متشعبة إلى حد كبير؛ لأن أهمية المرحلة تعكس أهمية أهدافها وتعددها – على نحو ما سنوضح فى حديثنا عن الأهداف بإذن الله تعالى – وكلما كانت الأهداف متعددة كانت المرحلة أكثر طموحا، وحسب ضخامة الطموح

في هذه المرحلة أنها تعد أفرادا يعتبرون صفوة الصفوة إذا قورنوا بالعاملين من أجل الإسلام، لأنهم يمارسون الجهاد في سبيل الله وهو ذروة سنام الإسلام كما ورد ذلك على لسان المعصوم ﷺ.

- ومن ذلك أنها مرحلة يجب أن يقوم المنتمون إليها بالبيعة على الأركان العشرة:

الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والإخوة، والثقة.

ومن بايع على أن يستوفي هذه الأركان العشرة فهو بحق كما سماه الإمام البنا من المجاهدين ومن الصادقين.

– واستيفاء هذه الأركان العشرة التي ذكرنا هو إجمال للبرنامج المعد لأفراد مرحلة التكوين، وهو برنامج شامل متكامل يكفي لتكوين مؤمن مجاهد صادق.

– وقد أقمنا هذه السلسلة كلها «في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا» على تفصيل ما أجملته رسالة التعاليم في سردها لهذه الأركان العشرة باختصار يكاد يكون شديدا، إذا استثنينا ركن الفهم لما يشتمل عليه من برنامج تثقيفي للمسلم الذي يبايع على تحقيق هذه الأركان العشرة[1] فقد كتبه في ثلاث صفحات، بينما لم يتجاوز حديثه في سائرة الأركان عددا من السطور!!!

– وهذا البرنامج الذي وضعه الإمام البنا لأفراد مرحلة التكوين في رسالة التعاليم، وحدد فيها هذه الأركان العشرة لتكون مفردات لهذا المنهج، هذا البرنامج نابع كله من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، في جملته وتفصيله، بحيث لم يخرج عن هذا الإطار شيء منه.

---

(١) الدليل على هذا الاختصار ما يلي:

– ركن الفهم كتبه الإمام في ثلاث صفحات وشرحناه فيما يقرب من مائتي صفحة،
– وركن الإخلاص كتبه في خمسة أسطر شرحناه في أكثر من مائتي صفحة،
– وركن العمل كتبه في صفحتين وشرحناه في أكثر من مائتي صفحة،
– وركن الجهاد كتبه في سبعة أسطر وشرحناه في أكثر من مائتي صفحة،
– وركن التضحية كتبه في ستة أسطر وشرحناه في أكثر من مائتي صفحة،
– وركن الطاعة كتبه في صفحة واحدة وشرحناه في أكثر من أربعمائة صفحة،
– وركن الثبات كتبه في ثمانية أسطر وشرحناه في أكثر من مائتي صفحة،
وسنوالي شرح الأركان الثلاثة الباقية بنفس التوسع إذا أذن الله.

وسوف نوضح ذلك فى حينه بإذن الله تعالى.

- وأفراد هذه المرحلة هم البناء الحقيقى الراسخ للجماعة، ومن قبلهم من المنتمين لمرحلة التعريف أشبه ما يكونون بطلاب العلم، همهم الأكبر هو التحصيل والاستيعاب للتعرف على الإسلام ورد الشبهات عنه؛ أما هؤلاء فهم كيان الدعوة إلى الله، ومنهم معظم الدعاة والحركيون والمنظمون والمربون، ومن صفوتهم يختار القياديون فى مراحل الدعوة وفى مجالات العمل الإسلامى كله.

لذلك كان أفراد هذه المرحلة مطالبين بأن يستوفوا أركان البيعة جميعا، وكل تقصير فى استيفاء ركن من هذه الأركان العشرة إنما هو قصور فى صاحبه، وتقصير يجب تلافيه، وإلا وقع الخلل فى العمل الإسلامى كله.

وبعد: فلعلى بهذا أكون قد ألقيت ضوءا مناسبا على هذه المرحلة يكشف عنها ويجليها لمن يريد أن يعرفها، وفى النقاط الثلاثة الباقية من الحديث عن المرحلة تتكشف كل الأمور التى تتصل بمرحلة التكوين، ويصبح العبور إليها من مرحلة التعريف، والنفاذ منها إلى مرحلة التنفيذ أكثر يسرا وسهولة.

وهذه النقاط الثلاثة الباقية هى:

أبعاد المرحلة وطبيعتها،

وأهداف المرحلة ووسائلها،

ومكان الطاعة فيها.

والله الموفق المعين

ب - أبعاد مرحلة التكوين وطبيعتها

- أبعاد المرحلة

وقد عبر الإمام البنا من هذه الأبعاد بقوله: « .. باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد، وضم بعضها إلى بعض..».

وبالتأمل فى هذه الكلمات نجد لهذه المرحلة بعدين كبيرين:

الأول: استخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد،

والآخر: ضم هذه العناصر بعضها إلى بعض.

ولنشرح كل بُعد من هذين البعدين والله المستعان:

البعد الأول:

استخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد:

وهذا الاستخلاص لتلك العناصر هو الاصطفاء أو الاختيار أو الاجتباء وكلها بمعنى واحد أو بمعان متقاربة شديدة التقارب.

● وهذا الاصطفاء جزء من منهج الإسلام فى العمل، إذ لا عمل يمكن أن يؤدى على وجهه الصحيح إلا أن يكون قد حدث فيه استخلاص أو اصطفاء.

وهذا الاصطفاء أسلوب علمنا إياه القرآن الكريم، فالله تبارك وتعالى قد اصطفى للناس الدين الذى يدينون به، إذ لا يستطيع الإنسان أن يعيش بغير دين، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** (١٣٢) ﴾ [البقرة: ١٣٢]، واصطفى رسله من الملائكة حينا ومن الناس حينا آخر، قال جل شأنه: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** (٧٥) ﴾ [الحج: ٧٥].

واصطفى الأمة الإسلامية بخاتم كتبه القرآن الكريم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** (٣٢) ﴾ [فاطر: ٣٢].

● كما علمنا القرآن الكريم المعايير أو الأسس التي يتم على أساسها الاستخلاص والاصطفاء، فقال تبارك وتعالى في اصطفاء طالوت: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

– وفي هذه الآية الكريمة رفض لمعايير في اختيار من يصطفى لأداء مهمات كبرى، وهي المعايير التي أثارها اليهود في اختيار من يصطفى وهي: أنه ليس من عائلة كبيرة بيننا، وليس بذي مال كثير، وهذه معايير مرفوضة، إذ لا يجوز اختيار أحد لعمل مهم على أساس عرقي أو قبلي أو على أساس الثروة وكثرة المال.

– وإنما المعايير الصحيحة للاختيار أو الاصطفاء أو الاستخلاص هي:

– الاستعداد الفطري،

– وسعة العلم المؤدية إلى حسن التدبر،

– والقوة الجسدية التي تمكنه من ممارسة مهامه،

● وهذا الاستعداد الفطري يشمل أمورا كثيرة منها:

– الصلاح والتقوى:

والصلاح يعني: طاعة الله ورسوله، والالتزام بما أمر الله به، وبما نهى الله عنه.

والتقوى تعني: جعل النفس في وقاية مما يُخاف، أو هي حفظ النفس عما يوقع في المعصية والإثم، وإنما يكون ذلك بترك كل محظور وترك بعض المباحات، فقد روى البخاري بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شُبه عليه من الإثم، كان لما استبان أترك،ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم، أو شك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه».

وصدق الله العظيم: ﴿ ... فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) ﴾ [الأعراف: ٣٥].

- **العقل والذكاء:**

وهذا من صميم الاستعداد الفطرى، إذ العقل فى أحد معنييه:

- القوة لقبول العلم، وهو بهذا المعنى منحة من الله تعالى يعطيها من يشاء ويحرم منها من يشاء.
- أو هو القوة التى تستفيد من العلم، وهو أيضا منحة من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده.

- أما الذكاء فهو سرعة الإدراك وحدة الفهم وتوقده، وهو كذلك منحة من الله تعالى، والذكاء القدرة على التكيف مع موقف ما.

- والأصل فيمن يكون صالحا لمرحلة التكوين أن يكون فى استعداده الفطرى عقل وذكاء.
- والمحدثون من الباحثين يقسمون الذكاء إلى ثلاثة أنواع:

ذكاء نظرى وهو: القدرة على معالجة المعانى والرموز،

- وذكاء عملى وهو: القدرة على معالجة الأشياء،

وذكاء اجتماعى وهو: القدرة على معالجة الأشخاص فى مواقف معينة.

وكل ذلك مطلوب فيمن يُستخلص أو يصطفى ليكون من بين أفراد مرحلة التكوين.

- **والقوة البدنية:**

- أى سلامة البدن من الآفات التى تعيقه عن العمل، وقوته ونشاطه، أى قدرته على أداء العمل والصبر على متاعبه، يفهم هذا المعنى من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا** (٩٥) ﴾ [الكهف: ٩٥].
- ومن القوة قوة القلب، أى العزيمة الماضية والجد والاجتهاد، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** (١٢) ﴾ [مريم: ١٢]. أى بقوة قلب وجد والتزام.
- وكل ذلك من مفردات الاستعداد الفطرى فى الإنسان ليختار كى يصبح من أفراد مرحلة التكوين.

- والأمانة :

وهى صفة تكمل القوة وترشدها وتعصمها عن الزلل والانحراف والتجاوز، فضلا عن التوقف والتوانى.

وهذه الأمانة هى التى توظف القوة لإحقاق الحق والجهر به، كما توجهها للجهاد فى سبيل الله تعالى لتكون كلمة الله هى العليا.

ولقد اجتمعت القوة والأمانة فى سيدنا موسى عليه السلام إذ سقى لبنتى شعيب عليه السلام، فلما مثل بين يدى شعيب قالت إحدى بنتيه: ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) ﴾ [القصص: ٢٦].

هذه جملة من صفات الاستعداد الفطرى التى يجب أن تتوفر فى كل أحد يصطفى ليلتحق بمرحلة التكوين.

وهذا هو المعيار الأول للاصطفاء.

أما المعيار الثانى لهذا الاصطفاء فهو:

سعة العلم المؤدية إلى حسن التدبير.

والبعد الثاني:

ضم هذه العناصر المستخلصة بعضها إلى بعض

وهذا الضم يعنى تشكيل هذه العناصر فى مجموعات صغيرة نسبيا - كل خمسة فى مجموعة على أن يكون من بين هؤلاء الخمسة شخصية قيادية تربوية تتولى قيادة هذه المجموعة - «أسرة» وهى تسمية اصطلاحية عند الجماعة، تعنى تضامن هذه الأسرة وتكافل أفرادها فيما بينهم، وتعاونهم على البر والتقوى، والمضى فى طريق التكوين، بتطبيق المنهج التربوى الذى يتكون من هذه الأركان العشرة التى هى أركان البيعة، بحيث تستوفى هذه الأركان فى أفراد هذه الأسرة استيفاء نظريا وعمليا.

- والجانب النظرى يقتضى استيفاء الركنين التاليين:

الفهم، والإخلاص، بكل مفرداتهما التى شرحناها فى دراستين موسعتين فى هذه

السلسلة [١] «فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا».

● والجانب العملى يقتضى استيفاء الأركان التالية:

العمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة.

وقد شرحنا منها الخمسة الأولى كل منها فى دراسة مستقلة، ونسأل الله التوفيق فى إتمام الشرح للثلاثة الأركان الباقية.

● والأصل أن يتواكب الجانبان النظرى والعملى فى دراسات نظرية عملية متعمقة تستهدف دعم الأخوة فى الله ورفع مستواها من مجرد الكلام والنظريات إلى مستوى الأفعال والعمليات، ولاتدعم هذه الأخوة إلا من خلال أركان معروفة هى:

– التعارف بين أفراد الأسرة؛ ذلك التعارف الذى يقتضى الحب فى الله، والاعتصام بكتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يكون الواحد بالنسبة لإخوانه كمثل الجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضا، تمهيداً لتأليف الأمة المسلمة المتحابة فى الله، المتعاونة على البر والتقوى، المعتصمة بحبل الله تعالى.

– والتفاهم بين أفراد الأسرة؛ ذلك التفاهم الذى يقوم على الاستقامة على منهج الحق وتبادل النصيحة فى إطارها الإسلامى الصحيح، لأن الدين النصيحة، وللنصيحة شروط وآداب معروفة يجب الالتزام بها على كل حال وفى كل موقف من الناصح والمنصوح.

– والتكافل بين أفراد الأسرة؛ بمعنى أن يحمل أفراد هذه الأسرة بعضهم حمل بعض، استجابة لقول الرسول ﷺ: «لأن يمشى أحدكم فى حاجة أخيه خير له من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهراً».

● هذه الأسرة التى ضم بعضها إلى بعض، لتنفذ برنامجها المكون من الأركان العشرة التى أشرنا إليها تستهدف – فى هذا البعد – تفصيلات لمفردات هذا البعد، بحيث تتم دراسات متعمقة لهذه المفردات على النحو التالى:

أولا:

● تعميق الفهم للإسلام، وتعميق الفقه لأحكامه، وإنما يكون ذلك بالاعتقاد بأن الإسلام

---

(١) الأولى بعنوان: فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم.
والثانية بعنوان: ركن الإخلاص في مجالات العمل الإسلامى.
وكلاهما من نشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا، فهو:

- دولة ووطن، أو حكومة وأمة.
- وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة،
- وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء،
- وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى،
- وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة،
- كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء.

- واعتبار القرآن الكريم والسنة المطهرة المرجع الأساسى فى تعرّف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع فى فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات.
- وتحرير العقيدة من الخرافة والوهم والكهانة، إنما يكون ذلك بتصحيح الإيمان والإقبال على العبادة الصحيحة كما شرعها الله تعالى، وكما أخبر بها المعصوم ﷺ الذى يؤخذ بكلامه كله، فلا يترك مما قال شيء.
- والاجتهاد باب مفتوح فيما لا نص فيه، ولنا أن نقبل ما يصل إليه المجتهدون بشرط ألا يصطدم بقاعدة شرعية، مع اليقين بأن الخلاف الفقهى لا ينبغى أن يكون سببا للتفرق فى الدين أو مؤديا إلى خصومة أو بغضاء.
- ولا يستطيع الأفراد الذين ضُمَّ بعضهم إلى بعض إلا بتعميق هذا الفهم لأصول الإسلام والفقه بأحكامه.

ثانيا:

تعميق النواحى العملية والتطبيقية فى التديّن، وذلك معناه أن يكون التدين عملا لا قولا، والمتديّن تَديُّنًا صحيحا يُعد أنموذجا للإسلام، وطريق هذا التدين إنما يكون بمزيد من الصلاح والتقوى، والالتزام بتطبيق منهج الإسلام فى الحياة تطبيقًا كاملا، والاعتزاز بالانتماء إلى كل ما هو إسلامى من الخلق والسلوك والتعامل مع الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين.

ثالثا :

تعميق المعرفة والثقافة الإسلامية :

المنضم إلى هذه المرحلة عليه عبء أكبر، وواجب أضخم، لاتساع دائرة علمه وعمله وحركته، لأن تلك هى طبيعة المرحلة، ومن أجل ذلك كان عليه أن يعمق معرفته وثقافته الإسلامية ليتمكن من أن يكون على مستوى المرحلة التى ينتمى إليها.

● ومن أجل هذا كان من الواجب عليه أن يتوفر له ما يلى :

- إلمام جيد بظروف وطنه أولا، ثم عالمه الإسلامى من النواحى : الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والعملية والثقافية.

- وإلمام جيد بما فى وطنه وعالمه الإسلامى من مشكلات تعوق الإصلاح، أو تقف فى طريق الدعوة إلى الله، مع ضرورة دراسة أسباب هذه المشكلات وأبعادها، وتصور جيد مدروس لحلول هذه المشكلات.

- ومعرفة جيدة للعالم الإسلامى الذى يعاصره، سكانه، وأرضه، وإمكاناته الاقتصادية، وقضاياه، وأعدائه، وأوليائه.

- ومعرفة جيدة للأقليات الإسلامية فى العالم، وما تعانيه هذه الأقليات من متاعب، وما يمكن أن يقدم لها من مساعدات.

- ومعرفة جيدة بالحركات الإصلاحية الإسلامية المعاصرة فى وطنه وفى العالم الإسلامى، مع تقويم لكل حركة منها، تقويما يتناول منهجها فى الإصلاح ووسائلها فى تحقيق أهدافها، ومدى ما لها من صلة بالحركات الإسلامية الإصلاحية فى غير وطنها.

● كل هذه المعارف والثقافات إنما تكون عن طرق متعددة أهمها :

- القراءة.

- والمدارسة، حواراً ومناقشة.

- والزيارات والتعرف عن قرب.

رابعًا :

تعميق الخبرات الميدانية

هذه الخبرة الميدانية مطلب رئيسى لكل عمل من أجل الإسلام، لأن التجربة أساس فى

شخصية من يدعو أو يدعى، وإذا جاءت الدعوة أو الكلمة من إنسان مر بهذه الخبرة خرجت من القلب لتستقر في القلب، والذين ينضمون إلى مرحلة التكوين أحوج ما يكونون إلى هذه الخبرة العملية الميدانية في مجالات عديدة نذكر منها ما يلي:

– مجال واجباته في مرحلة التعريف، تلك المرحلة التي انتهى منها واختير لهذه المرحلة على أساس نجاحه في مرحلة التعريف.

وذلك معناه أن يستمر عضو مرحلة التكوين في ممارسة مهام مرحلة التعريف بالإسلام بشرحه وتبسيطه والرد على الشبهات والمفتريات التي تثار حوله، فهذا من شأنه أن يعمق خبرته في هذا المجال. ولن يمنعه ذلك من تلقى المتطلبات لمرحلة التكوين وتنفيذها، بل إن ذلك يعين على هذا.

ولا تقبل هنا مقولة من يقول: إن ذلك يعني ازدواجية العمل والاستجابة لمتطلبات مرحلتين، لأن استجابته لمتطلبات مرحلة التكوين أصل وواجب، واستجابته أو استمراره في أداء واجبات مرحلة التعريف فرع وعمل مندوب إليه ولن تكلفه جهداً مضاعفا لأنه قد ألف أداء هذه الأعمال واجتازها بنجاح.

– ومجال الممارسة العملية للالتزام بأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه، التزاما يصاحبه في كل أموره في الحياة، في نفسه وفي بيته وفي عمله، وفي السوق والشارع وكل مكان يلتقى فيه بالناس؛ فإن ذلك من شأنه أن يعمق خبرته فيما يتطلبه الالتزام في مواقف كثيرة ربما لم يكن قد مرَّ بها من قبل، فيضاف ذلك إلى رصيده في العمل من أجل الإسلام، ويزيده قدرة على الإقناع بما يدعو إليه؛ لأن الالتزام يلقى على صاحبه نوعا من الوفاء والمهابة والجدية، وينم عن إخلاصه وتجاوبه مع ما يدعو إليه، ولا ينفع الداعية إلى الله شيء مثل ما ينفعه ذلك الرصيد من الصفات الذى جلبها إليه الالتزام.

– ومجال المرحلة التي يعيشها، فواجباتها كثيرة – وحسبك بها كثرة – أنها تحقق أركان البيعة العشرة، وما يكلفه هذا التحقيق من جهد علمي ومادى وعملي وميداني، وتعميق الخبرة في هذا المجال يعني أن يقبل عضو هذه المرحلة على هذه المتطلبات يؤديها بإخلاص وتفان، وتشاور مع من سبقوه في هذا المجال، لتزداد خبرته عمقا في هذه المرحلة، وبخاصة أن هذه المرحلة ليست مرحلة نهائية، وإنما هي مرحلة تؤدى إلى مرحلة أدق منها وأحوج إلى مضاعفة الجهد.

ومجال التدريب – فى هذه المرحلة – على تعلم حرفة يدوية إلى جوار عمله وتخصصه، وذلك تأسيا بسير الأنبياء عليهم السلام، فقد كانوا جميعا أهل حرف كالنجارة والحدادة ورعى الأغنام ونحو ذلك من الحرف، هذا التأسى بالأنبياء من جانب، ومن جانب آخر فإن أصحاب الحرف اليدوية ليسوا مقيدين بنظم وقوانين خانقة للحرية ومساعدة للحكومات الظالمة على أن تقطع عنهم ما تجلبه وظائفهم من أسباب.

– والإسهام بالضرورة فى تولى مسئولية إدارة مجموعة أو جماعة من مرحلة التعريف – فى ظل تنسيق جيد بين واجبات مرحلة التكوين ونوافل مرحلة التعريف – وذلك للتدريب وتعميق الخبرة فى مجال الإدارة.

والإدارة علم وفن ومهارة يجب أن يلم بها، بل يجيدها كل العاملين فى مجال العمل الإسلامى، وذلك أن الإدارة فى تحليلها الدقيق قيادة للعمل الذى يُدار، وكل عمل إسلامى بحاجة إلى قيادة، وجوهر كل عمل من أجل الإسلام قيادة وجندية؛ قيادة تصدر أمر العمل بعد الشورى والحوار ومراعاة شروط الإسلام وآدابه؛ وجندية تحسن الطاعة المبصرة فى غير معصية لله تعالى.

– وممارسة تولى إدارة أسرة من أسر التكوين، أو على الأقل المشاركة فى إدارتها، لأنه لا يقبل منه أن ينهى هذه المرحلة التكوينية دون أن يتدرب على إدارة أسرة.

والأسرة – كما أوضحنا – [1] وحدة البناء فى العمل الإسلامى كله، بل هى وحدة بناء المجتمع المسلم، والتدرب على إدارتها خبرة لها أكبر الأهمية بالنسبة لأى مسلم ملتزم له نشاط فى العمل من أجل الإسلام.

وعضو مرحلة التكوين لابد أن يُعد للقيادة، أى الإدارة حتى يسهم فيما بعد فى إثراء العمل الإسلامى.

ويكاد يكون العمل فى إدارة أسرة من أسر التكوين أهم عمل فى مجالات العمل من أجل الإسلام.

– وممارسة التدرب على إدارة وسائل التربية الأخرى؛ مثل إدارة رحلة، أو إدارة كتيبة، أو ندوة أو دورة، أو مخيم، أو مؤتمر؛ لأن هذه الوسائل ضرورية فى التربية تخدم كل منها

---

(١) لمعرفة التفاصيل انظر للمؤلف: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين – دراسة تحليلية تاريخية – نشر دار الوفاء بمصر سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

جانبا من شخصية المتربى بشكل مباشر، وبعض الجوانب الأخرى فى شخصية المتربى بشكل غير مباشر، وهذه الوسائل للتربية الإسلامية هى : الأسرة، والرحلة، والكتيبة، والدورة، والندوة، والمخيم، والمؤتمر، وهى وسائل متكاملة يجب التعامل معها جميعا، فالرحلة لتربية بدن الإنسان بشكل مباشر،

والكتيبة لتربية الروح بشكل مباشر،

والدورة والندوة لتربية العقل والثقافة بشكل مباشر،

والمؤتمر لتربية الحس العالمى بقضايا العالم الإسلامى،

والمخيم لتربية الجانب العملى التنفيذى للإسلام، بشكل مباشر،

والأسرة لتربية كل هذه الجوانب(١).

والأصل فى عضو مرحلة التكوين أن يتدرب على ممارسة تربية غيره من خلال كل هذه الوسائل، وطريق ذلك أن يتدرب على إدارة كل وسيلة من هذه الوسائل، لتتعمق خبرته فى هذا المجال الحيوى من مجالات العمل الإسلامى.

خامسا :

تكوين تخصصات معينة فى هذه المرحلة.

مرحلة التكوين مرحلة دراسة متعمقة، بل مرحلة دراسة علمية عملية مكثفة، وإنما كانت كذلك لأن برنامجها - وهو تحقيق أركان البيعة العشرة - يتطلب من الجهود العلمية التى تحتاج إلى دراسة معمقة مكثفة ما يكلف جهداً علميا وعمليا وتدريبيا غير قليل؛ من أجل هذا كانت هذه المرحلة أنسب المراحل لتكوين تخصصات يحتاجها العمل الإسلامى فى مستقبله.

وعلى سبيل المثال، فإن العمل الإسلامى يحتاج إلى أن يتوفر عدد من الدارسين على التخصصات التالية :

- بعض علوم الإسلام، كالعقيدة، وعلوم القرآن، وعلوم السنة، وعلم السيرة، وعلم الفقه، وعلم أصول الفقه، وعلوم البلاغة، وعلم النحو واللغة، وغيرها.
- وبعض العلوم التى تتصل بالتربية مثل :

---

(١) انظر للتوسع : المرجع السابق: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين...

تاريخ التربية،

وأصول التربية،

ومناهج التربية،

ووسائل التربية،

وجهود علماء المسلمين فى التربية، وغير ذلك من العلوم التى تتصل بالتربية عموما والتربية الإسلامية خصوصا.

- وبعض الدراسات الإعلامية.
- والدراسات الخاصة بالاقتصاد عموما، والاقتصاد الإسلامى على وجه الخصوص.
- وبعض الدراسات السياسية، والاجتماعية، بل غير ذلك من التخصصات التى تستدعيها الحاجة إليها - كما يرى ذلك القائمون على هذه المرحلة، والمستشارون فيها- .
- ومن المفروغ منه أن اختيار الدارسين فى هذه التخصصات، إنما يتم وفق معايير دقيقة، وأهلية تكفى للقيام بهذه الدراسات.

وهذه الدراسات تستهدف تأمين مستقبل العمل من أجل الإسلام، لأن كل هذه التخصصات العملية من المطالب الملحة للمشروع الحضارى الإسلامى فى الحاضر والمستقبل على السواء.

- ولا بد من إعداد متخصصين فى مجال الدعوة والحركة والتنظيم، لأن المد الإسلامى لا يبلغ مداه، والدعوة الإسلامية لا تصل إلى كل الناس، والحركة الإسلامية لا تضم الجميع إلا بإعداد العلماء المتخصصين على أعلى مستوى فى كل فروع المعرفة الإسلامية والإنسانية.

ونهاية فى إيضاح هذا البعد الآخر نقول:

- إن ضم بعض هذه العناصر المختارة بعضها إلى بعض واجب.

ومعنى ذلك أن هذه العناصر المستخلصة من مرحلة التعريف لابد أن تشكل وأن تمارس الدعوة إلى الله فى تجمعات، إذ لا قيمة لعمل هذه العناصر، ما دامت تعمل منفردة، وتلك بداية فقه العمل الجماعى أو التنظيم.

فكيف تشكل هذه العناصر المصطفاة؟

● استقرت الجماعة بعد تجارب عديدة على أن أنسب هذه التشكيلات هى أربعة وخامس يكون نقيبا لهم، ولم يأت هذا الاختيار لذلك العدد اعتباطا، وإنما جاء بعد تجارب فى أعداد أكثر، ثبت عدم قدرتها على تحقيق أهداف التربية والتكوين.

● ولهذا الاختيار لهذا العدد مبررات نذكر منها ما يلى:

– أنه عدد قليل نسبيا، يلائم المضى فى تلك الدراسات المنوطة بمرحلة التكوين؛ إذ لو كان أكثر لما أمكن التعامل معه بصورة دقيقة قادرة على تحقيق أهداف الإعداد والتكوين.

– وأنه أدعى إلى الاستقرار على رأى عند طرح أى قضية من القضايا للشورى فهم أربعة ومعهم أخوهم الأكبر أو نقيبهم، فلا يمكن أن ينفرد نصفهم برأى ويختلف معه النصف، لأن هذا العدد لا يمكن قسمته على اثنين، ولأن منطق أن الرئيس يحمل صوتين مرفوض أصلا، فلا بد أن تتضح الصورة التى يتبناها ثلاثة لترجح على ما يتبناه اثنان، وهنا تحسم الشورى كل قضية.

– ولأن هذا العدد «خمسة بما فيهم النقيب» يشكلون أسرة، وهذه الأسرة لابد لها من أن تحقق الأركان المعروفة لها وهى:

التعارف؛ وقف شروطه وآدابه،

والتفاهم؛ وقف شروطه وآدابه،

والتكافل؛[1] وقف شروطه وآدابه.

ولو زاد العدد عن ذلك لكانت هناك صعوبة فى تحقيق هذه الأركان ولما آتت الأسرة أكلها وحققت أهدافها.

– ولأن المدارسات التى تكون داخل الأسرة يصيبها الخلل لو كان العدد أكبر من ذلك، ولا تجدى ولا تثرى إن كان أقل – كما أثبتت التجارب التى خاضتها الجماعة ذلك.

– ولأن التقويم الذى يتم داخل اجتماع الأسرة، والمتابعة لكل فرد من أفرادها، كل ذلك لا يتم فى صوره الجيدة لو زاد العدد عن ذلك، وهذا التقويم وتلك المتابعة ضروريان فى

---

(١) لمعرفة تفاصيل الحديث عن هذه الأركان؛ انظر للمؤلف: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين.. مرجع سابق.

مجال العمل التربوى، حتى يمكن تلافى الخطأ قبل استفحاله، وحتى يمكن أن تقدم المعاونة لمن هو فى حاجة إليها.

- وضم هذه العناصر المستخلصة بعضها لبعض يقتضى تصعيد بعض هذه العناصر - بعد اجتياز مرحلة التكوين - إلى أعمال أكثر أهمية فى مجال العمل من أجل الإسلام، وهذا التصعيد له شروطه وآدابه ومؤهلاته الشخصية علميا وعمليا وروحيا وعقليا، وبالنظر إلى القدرة القيادية فيمن يُصَعَّد.

ولا يتم التصعيد إلا بعد ترشيح وتقديم مبررات كافية، وموافقة القيادة الأعلى - وكانت تلك القيادة هى مسئول الشعبة - والشعبة كما هو معروف تضم عددا من الأسرة التكوينية، ولها مجلس إدارة أشرنا إليه آنفا، وكل أعضاء الأسر التكوينية هم الجمعية العمومية للشعبة.

- وضم هذه العناصر المستخلصة يقتضى تصنيفها وفق قدراتها وإمكانياتها، لمعرفة مدى صلاحيتها لما تكلف به من عمل، وهذا التصنيف يتطلب إجراء اختبارات، وقياس استعدادات وتعرف على مهارات، وقبل ذلك وبعده لابد أن تصحبه تقوى الله تعالى فلا يبالغ فى إمكانات أحد ولا ينقص منها، لاهذا التصنيف أمانة.
- وضم هذه العناصر بعضها لبعض يقتضى توظيف هذه العناصر كل فيما يحبه وفيما يحسنه، وما دام التصنيف قد تَمَّ بدقة، فإن التوظيف سوف يتم كذلك.
- وضم هذه العناصر يقتضى تنسيقًا بينها فى الأسرة الواحدة، ويقتضى تنسيقا بين الأسر على مستوى الشعبة، بحيث تغطى الاحتياجات كلها فى مجالات العمل الإسلامى كلها على مستوى الأسرة ثم على مستوى الشعبة.

وعلى القيادات العليا أن تنسق بين الشعب على مستوى المنطقة، ثم على مستوى المحافظة ثم على مستوى الإقليم، ثم على مستوى العالم العربى، فالعالم الإسلامى، هكذا كانت تفعل قيادة الجماعة، وبهذا أثبتت وجودها، وأكدت أنها كبرى الحركات الإصلاحية فى العالم الإسلامى، وبهذا استعصت على الراغبين فى القضاء عليها فبقيت فى نفوس من بقى من أفرادها، وملأت قلوب وعقول من لم ينتسب إليها آنذاك، ولا غرابة فى ذلك فهى دعوة الله، تستمد منه سبحانه وتعالى، وبه تصول وتجول، ولا حول لها ولا قوة إلا به، ولا تملك أن تحيد عن منهجه ونظامه قيد شعرة.

هذا عن أبعاد تلك المرحلة التكوينية الهامة فى مراحل الدعوة.

أما طبيعة مرحلة التكوين؛ فتكاد تتلخص فى كلمة واحدة هى «الخصوصية» والخصوصية تعنى أموراً عديدة نذكر منها ما يلى:

● **خصوصية الدعوة فى هذه المرحلة:**

أى الدعوة فى هذه المرحلة خاصة وليست عامة، بدليل أنها لا توجه إلى كل أحد، بل لا توجه إلى كل من اجتاز مرحلة التعريف، وإنما إلى من استخلص واصطفى من مرحلة التعريف.

- والدعوة فى هذه المرحلة خصوصية بمعنى أن المحتوى الذى تتضمنه الدعوة محتوى خاص، فليس هو تعريف بالإسلام ورد للشبهات الموجهة إليه كما كان محتوى مرحلة التعريف، وإنما هو محتوى خاص بكل ما تحمله كلمة الخصوصية من معنى - كما سنوضح ذلك فيما بعد.
- والدعوة فى هذه المرحلة خاصة لأنها توجه إلى من استعد استعدادا حقيقيا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات.

● **وخصوصية العمل الذى يمارس فيها:**

وذلك أن العمل فى هذه المرحلة -وإن اشترك مع العمل فى أى مرحلة من مراحل الدعوة فى أنه يجلب للمسلمين مصلحة أو يدفع عنهم مضرة- إلا أنه ينفرد ويتميز عن العمل فى سائر المراحل بما يلى:

- أنه فى مجال العلم والمعرفة عمل خاص يقوم على تفقيه أفراد المرحلة بالجانب العلمى المعرفى لأركان البيعة: من فهم لأصول الإسلام، وإخلاص، وعمل، وجهاد، وتضحية، وطاعة، وثبات، وتجرد، وأخوة، وثقة؛ فلهذه الأركان فقه عميق يقوم عليه العمل فى هذه المرحلة[1].

وفى الجانب العملى التطبيقى هو عمل خاص كذلك، إذ يعتمد على أن يكون ظاهر الفرد فى هذه المرحلة كباطنه، أى إسلاما يمشى على قدمين، وتلك خصوصية لا يطيقها إلا من كان قد اصطفى من مرحلة التعريف ووجه أحسن توجيه وكون أحسن تكوين فى هذه المرحلة.

---

(١) انظر للمولف فى ذلك سلسلة: فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا ففيها تأصيل لهذا الفقه، وتلك الأركان.

وفى جانب فقه الدعوة عامة وفردية، وفقه الحركة، يعد ذلك عملا أكثر خصوصية، وأدخل فى المصطلحات التى لا يعرفها إلا قليل من الناس، وتلك هى الخصوصية فى العمل فى أجلى معانيها.

● وخصوصية التنظيم والإدارة :

فلقد رأينا فى مرحلة التعريف أن نظام الدعوة فيها أو تنظيمها يتوزع ما بين شعب – وحدة إدارية لها مسئول ومجلس إدارة وجمعية عمومية – ومنشآت نافعة كجمعية البر والخدمة الاجتماعية، وبعض المنشآت النافعة كالمدارس وفصول محو الأمية والمستوصفات ونحوها، فإن التنظيم والإدارة فى مرحلة التكوين خاص بل منغلق على أعضاء أسر التكوين – الإخوان العاملين – وما لهذه الأسرة من نظم إدارية تخصها تتمثل فى النقيب ما له وما عليه، وفى مجلس النقباء الذى يقوده أقدم النقباء أو مسئول الشعبة، وفى سائر الأنشطة التى تمارسها الأسرة[1].

– والأسرة بهذا التنظيم وتلك الإدارة وبهؤلاء الأفراد الذين اصطفوا لها تمثل عصب الجماعة وغذاءها الذى تعيش عليه، ومستودعها الذى تختار منه قيادات العمل فى كل فرع من فروعه.

● وخصوصية الدعاة فى مرحلة التكوين :

هؤلاء الدعاة الذين نتحدث عنهم الآن هم قادة العمل فى مرحلة التكوين وهم نقباء الأسر بوجه خاص، وهم قادة مخصوصون، تتضح فيهم صفات المربىّ بأكثر مما تتضح فى غيرهم من قيادات العمل الإسلامى وهم بهذه الصفات لهم خصوصية.

وإن نظرة إلى معايير اختيار نقيب الأسرة لتؤكد هذه الخصوصية وحسبنا هنا أن نشير إلى بعض هذه المعايير فيما يلى :[2]

١ – توافر صفات فطرية فيه تعود إلى العقل مثل :

الذكاء – أى القدرة على التحليل، والتركيب والاستنتاج،

ومثل القدرة على الابتكار، وعلى اتخاذ القرار،

---

(١) انظر فى أنشطة الأسرة. للمؤلف : وسائل التربية عند الإخوان المسلمين.. مرجع سابق.

(٢) أما تفصيل هذه المعايير فانظر فيها كتابنا – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين.. مرجع سابق. من صفحة ١٩٣ إلى صفحة ٢١٨ نشر دار الوفاء بمصر، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

ومثل القدرة على إدراك العلاقات بين الناس والأشياء،

ومثل القدرة على الحكم على الناس والأشياء،

ومثل القدرة على النقد والموازنة،

ومثل القدرة على اقتراح البدائل.

٢ – وتوافر صفات فطرية تعود إلى الروح؛ مثل:

يقظة روحه وسرعة استجابتها لما يحيط بها،

وطموح روحه إلى المثل العليا فى كل أمر،

وقوة صلة هذه الروح بالله تعالى من خلال التقرب إليه سبحانه بالنوافل، وبخاصة قيام الليل، والصوم، والصدقة.

وسلامة هذه الروح من العيوب التى تسىء إليها كالخرافة والوهم وما إليهما من ترهات وأباطيل.

٣ – وتوافر صفات فطرية تعود إلى البدن، مثل:

– خلو هذا البدن من الأمراض المنفرة أو المعوقة لصاحبه عن القيام بالعمل.

– وسلامة حواس هذا البدن من بصر وسمع وشم.. الخ.

– وقدرة هذا البدن على الحركة والعمل والكسب.

– وقدرته على مجاهدة النفس والشيطان.

– وقدرته على حمل أعباء الجهاد فى سبيل الله

كل هذه صفات فطرية يجب أن تتوفر فى النقيب، وهى معايير دقيقة يختار على أساسها ليمارس عمل النقيب.

وهناك معايير أخرى مكتسبة، يختار النقيب على أساسها، نذكر منها ما يلى:

١ – توافر صفات ثقافية معينة فيه؛ مثل:

– الثقافة الدينية العامة،

– والثقافة الإسلامية العامة،

- والثقافة العامة فى الحياة كإلمامه بالتاريخ وغيره من العلوم الهامة للمثقف.

٢ - وتوافر صفات عملية معينة فيه ؛ مثل :

- الإلمام الجيد بفقه الدعوة،

- والإلمام الجيد بفقه الحركة ،

- والإلمام الجيد بفقه التنظيم(١).

٣ - وتوفر صفات قيادية فيه؛ مثل:

- حسن المظهر التابع لحسن المخبر،

- والانضباط والاتزان فى كل أموره وتصرفاته،

- وحبه لإخوانه ومعاونتهم ومشاركتهم فى عملهم،

- والابتعاد عن التسلط وفرض الرأى، والالتزام بالشورى واحترام الرأى الآخر.

- والقدرة على التغيير واتخاذ القرار المناسب،

- والقدرة على التقويم والمتابعة،

- وأن يكون قدوة فى قوله وعمله وقادرا على توريث الدعوة لغيره من الناس.

٤ - وتوفر صفات خلقية فيه ؛ مثل :

- إقباله على النوافل والمستحبات من الأعمال،

- وابتعاده عن الصغائر والشبهات،

- وتمسكه بالعفو والتسامح،

- والتزامه بالإحسان فى كل أموره، وبكل معنى من معانى الإحسان.

- والرفق بإخوانه وبالناس عموما،

- وسعة الصدر، والصبر،

- والكرم، بحب البذل والتضحية بوقته وجهده وعلمه وماله لإخوانه فى الأسرة، ولكل

---

(١) انظر في ذلك لمعرفة التفاصيل - للمؤلف : فقه الدعوة إلى الله، وهو كتاب موسع من جزئين - نشر دار الوفاء بمصر - الجزء الأول - الباب الأول كله.

الناس.

هذا هو الداعية فى مرحلة التكوين، وتلك هى صورة مختصرة من معايير اختياره ليكون نقيبا لأسرة فى مرحلة التكوين، فهل يقال بعد ذلك إن الدعاة فى هذه المرحلة غير مخصوصين؟

إنهم خاصة الخاصة، وليسوا خاصة فقط.

● وخصوصية المدعوين فى هذه المرحلة:

المدعوون فى هذه المرحلة التكوينية هم خاصة من الناس كذلك؛ لأنهم قد اجتازوا مرحلة التعريف بنجاح، ثم اصطفوا وفق معايير معينة لينضموا إلى هذه المرحلة، فهم- بتوفر ذلك لهم- من خيار الناس، بل من خيار العاملين من أجل الإسلام.

● ولكى نفصل هذه المعايير بعض التفصيل نقول:

١ - توفر صفة الصلاح فيهم؛ وذلك فيما يلى:

- صلاح العقيدة والعبادة والتدين،

- وصلاح الأخلاق والأعمال والسلوك،

- وصلاح الروح والعقل والجسم،

- وصلاح المظهر،

- وصلاح القدرة على استيعاب المنهج فى مرحلة التعريف.

- وصلاح الاستعداد للوفاء بمتطلبات مرحلة التكوين.

٢ - وتوفر صفة الاستعداد لتحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله تعالى، وذلك بما يلى:

- الاستعداد البدنى بأن يكون بدنه قويًا خاليا من الآفات والأمراض المعوقة عن ممارسة الجهاد.

- والاستعداد الروحى بأن يؤثر ما عند الله على ما عند الناس، وأن يبيع ماله ووقته وجهده ونفسه لله تعالى.

- والاستعداد العقلى بأن يكون مقتنعا فى داخل نفسه بأن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وأنه فرض على كل مسلم قادر عليه، وأنه فريضة ماضية إلى يوم القيامة لا يتوقف عنها

المسلمون أبدا، فإن لم تكن مواجهة لعدو فهى حماية لثغور وحدود ونجدة لأى بلد مسلم.

- والصبر على متاعب الجهاد ومتطلباته وهى كثيرة.

- والتطلع إلى أن يمكن لدين الله فى الأرض، والعمل على أن تكون كلمة الله هى العليا، والتضحية فى سبيل ذلك بكل شىء.

وبعد: فتلك أبعاد مرحلة التكوين وطبيعتها، أرجو أن أكون قد أوضحتها بما يزيل عنها الغموض، والله ولى التوفيق.

وإلى الحديث عن أهداف مرحلة التكوين، ووسائل تحقيق هذه الأهداف والله تعالى المستعان.

جـ - أهداف مرحلة التكوين ووسائلها

تكاد تنحصر أهداف مرحلة التكوين- على لسان الإمام البنا رحمه الله - فى هدفين كبيرين هما:

١ - تقوية وترقية الناحية الروحية فى الفرد، حتى لتشبه روح المتصوف.

٢ - وتقوية وترقية الناحية العملية فى الفرد، حتى لتشبه النظام العسكرى وتحت كل هدف من هذين الهدفين فروع وتفاصيل، نرجو أن نوفق فى توضيحها وإزالة ما قد يعلق بها من غموض عند بعض المهتمين بالتربية الرسلامية حينا وعند بعض الذين ينكرون الصوفية حينا، وعند الذين يرفضون النظام العسكرى فى بعض الأحيان.

● فلقد وصل سوء الفهم بالجماعة ومنهجها فى التربية إلى حد اتهامها بالصوفية، كأن الصوفية تهمة ونقص فى المسلم!!!

● ولقد وصل سوء الفهم للجماعة ومنهجها فى إعداد المجاهدين إلى اتهامها بإهمال العبادة أو تحرير العقيدة - كما يقولون - لانشغالها بالنواحى العسكرية والجهادية، كأن هذه تهمة وقصور فى المسلم أيضا!!!

● ولقد غُمَّ الأمر على بعض المهتمين بالتربية الإسلامية، فقالوا: إن الجمع بين التصوف والصرامة العسكرية تناقض ليس لمنهج تربوى أن يجمع بينهما،كأن الجمع بين صفاء الروح والتصوف، وبين النظام الدقيق الصارم تهمة أو نقص فى المنهج التربوى للمسلمين!!!

●ولعل ما نسوقه من حديث فى هذه النقطة من الكتاب يجلى هذه القضايا، ويبين وجه الرأى والصواب فيها، ليس مجرد دفاع عن الإخوان ومنهجهم فى التربية، ولكنه توضيح لمنهج الإسلام فى تربية الرجال، ذلك المنهج الذى لجأت إليه جماعة الإخوان فى التربية؛ إذ هو منهج مأخوذ كله من الكتاب والسنة والسيرة النبوية المطهرة(١).

---

(١) لمعرفة تفاصيل هذا المنهج وتأصيله واشتقاقه كله من الكتاب والسنة والسيرة النبوية؛ انظر للمؤلف كتابه الموسع: منهج التربية عند الإخوان المسلمين من مجلدين كبيرين يزيد على الألف والمائتين من الصفحات - نشر دار الوفاء بمصر ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

أولا:

الأهداف

اما الهدف الاول للتربية فى مرحلة التكوين فهو:

تقوية الروح وترقيتها حتى لتشبه روح المتصوف،

وقد عبر عن ذلك الإمام البنا بقوله: «ونظام الدعوة – فى هذه المرحلة – صوفى بحت من الناحية الروحية».

ولقد كثر الكلام عن أن الإمام البنا من المتصوفة، وهى على لسان بعض السلفيين تهمة، ولكنها فى الحقيقة وسام على صدر الرجل الصالح البنا؛ لأنه التصوف منه ما هو خير موافق للشريعة، ومنها ما هو شر لمخالفته للشريعة.

ونرجو أن نلقى ضوءاً على التصوف ومفهومه فى الصفحات التالية، والله المستعان.

يقول ابن خلدون(1) عن علم التصوف:

«هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملّة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة، والتابعين ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية؛ وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة.

وكان ذلك عامًا فى الصحابة – رضى الله عنهم – والسلف.

فلما فشا الإقبال على الدينا فى القرن الثانى وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا؛ اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة». ثم يواصل ابن خلدون قائلا:

«وقال القشيرى رحمه الله: ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية، ولا قياس، والظاهر أنه لقب...»(2).

- وفى تعريف التصوف يقول الجرجانى:
- التصوف مذهب كله جدّ، فلا يخلطوه بشيء من الهزل.

---

(1) ولد سنة ٧٣٢هـ وتوفى ٨٠٨هـ.

(2) ابن خلدون: المقدمة: ٣٩٢، ط المطبعة الأزهرية ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م.

وقيل: هو تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبْعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصْح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، وارتباع رسوله ﷺ فى الشريعة»[1].

● وقال القشيرى موضحا تسمية تصوف ومتصوف:

«اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يَتَسَمَّ أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم، سوى صحبة الرسول ﷺ؛ إذ لا أفضلية فوقها فقيل لهم: الصحابة.

ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة بالتابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين: الزهاد والعباد.

ثم ظهرتْ البدعة وحصل التداعى بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زُهَّادًا، فانفرد خواص أهل السنة، المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة؛ باسم: التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة، أ.هـ[2].

● وقال السيوطى:

«التصوف هو تجريد القلب لله تعالى، واحتقاره ما سواه».

● وقال حاجى خليفة:

«علم التصوف علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنسانى فى مدارج سعادتهم، والأمور العارضة لهم فى درجاتهم بقدرالطاقة البشرية»[3].

● ويقول الإمام النووى:

«أصول التصوف خمسة:

١ – تقوى الله فى السر والعلانية، وتحقيق التقوى بالورع والاستقامة.

٢ – واتباع السنة فى الأقوال والأفعال والأحوال، وتحقيق ذلك بالتحفظ وحسن الخلق.

---

(١) الجرجانى، على بن محمد الشريف الجرجانى (٧٤٠هـ-٨١٦هـ) التعريفات: ٦٢ ط، مكتبة لبنان: ١٩٧٨م.

(٢) الحاج مصطفى عبد الله الشهير بكاتب حلبى: كشف الظنون: ١/٤١٣ ط. مكتبة المثنى ببغداد ١٩٥٥م.

(٣) المرجع السابق: ١/٤١٢.

٣ – والإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار، بالصبر والتوكل.

٤ – والرضى من الله تعالى فى القليل والكثير، بالقناعة والتفويض.

٥ – والرجوع إلى الله تعالى فى السراء والضراء، بالشكر له فى السراء، والالتجاء إليه فى الضراء.

وأصول ذلك كله خمسة:

١ – علو الهمة، فمن علت همته ارتفعت رتبته.

٢ – وحفظ الحرمة، ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته.

٣ – وحسن الخدمة، ومن حسنت خدمته وجبت كرامته.

٤ – ونفوذ العزيمة، ومن نفذت تعزيمته، دامت هدايته.

٥ – وتعظيم النعمة، ومن عظم النعمة شكرها، ومن شكرها استوجب المزيد كما قال الله تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧].

وأصول المعاملات خمسة:

١ – طلب العلم للقيام بالأمر، وآفة طلب العلم؛ صحبة الأحداث سنًا وعقلا ودينا مما لا يرجع إلى أصل ولا قاعدة،

٢ – وصحبة المشايخ والإخوان للتبصر، وآفة الصحبة الاغترار والفضول بكثرة الكلام،

٣ – وترك الرخص والتأويلات للتحفظ، وآفة ترك الرخص والتأويلات: الشفقة على النفس،

٤ – وضبط الأوقات للأوراد (والأذكار) للحضور،

٥ – واتهام النفس فى كل شىء للخروج من الهوى والسلامة من العطب، وآفة اتهام النفس: الأُنس بحسن أحوالها واستقامتها، وقال الله تعالى: ﴿**وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا ...**﴾ [الأنعام: ٧٠]. وأصول ما تداوى به علل النفوس خمسة:

١ – تخفيف المعدة بقلة الطعام والشراب،

٢ – والالتجاء إلى الله تعالى مما يعرض عند عروضه،

٣ – والفرار من مواقف ما يخشى الوقوع فيه،

٤ – ودوام الاستغفار مع الصلاة على النبى ﷺ آناء الليل وأطراف النهار باجتماع الخاطر.

٥ – وصحبة من يدلك على الله تعالى»[١].

● وفى تاريخ التصوف ونشأته ومصادره، يقول المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة[٢]:

«نشأ التصوف روحيًا – وإن كان عند بعض الناس أخذ مسلكا شكليا – ولقد نشأ من ينبوعين:

أولهما:

هو انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد فى الدنيا والانقطاع للعبادة، وقد ابتدأ ذلك فى عصر النبى ﷺ، فكان من الصحابة رضى الله عنهم من اعتزم أن يقوم الليل متهجدا ولا ينام، ومنهم من يصوم ولا يفطر، ومنهم من انقطع عن النساء، فلما بلغ أمرهم النبى ﷺ قال: «ما بال أقوام يقولون كذا كذا، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»[٣].

وقال ﷺ: «رهبانية أمتى الجهاد»[٤].

---

(١) الإمام يحيى بن شرف النووى: المقاصد في بيان ما يجب معرفته من الدين، من العقيدة والعبادة وأصول التصوف: ٨٤ – ٨٧، ط دار الإيمان بدمشق ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٢) الشيخ محمد ابو زهرة: الدعوة إلى الإسلام: ١٠٨ – ١٠٩ نشر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٩٣هـ – ١٩٧٢م.

(٣) هذا جزء من الحديث الشريف، ونصه كما رواه مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها – أى عدوها قليلة – وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً،

وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً، ولا أفطر،

وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا!!! أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى».

(٤) هذا معنى الحديث، ونصه كما رواه أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبى رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله عز وجل».

وفى رواية أخرى لأحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلا جاءه فقال: أوصنى، فقال: =

وبذلك بين النبى ﷺ معنى الزهد، وهو طلب الحلال، وألا يحرم ما أحل الله، كما تلونا من قبل آيات الله تعالى فى ذلك.

ولكن بعد أن انتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ومضى عصر الصحابة والتابعين، دخل فى الإسلام من كان فى نفوسهم أثر من المذاهب القديمة الذين كانوا يحسبون تعذيب الجسم لتقوية الروح نوعا من العبادة.

ولكن مع شيوع هذه الأفكار؛ لفظتها المبادئ الإسلامية، وبقى معنى الزهد الذى قرره الإمام أحمد - فيما أسلفنا - من قوله: «الزهد الاقتصار على الحلال».

وبالجمع بين هدى النبى ﷺ وما جاء من منازع تحارب الحلال؛ كان التصوف الإسلامى الذى لا يقطع عن الحياة، ويربى الروح والقلب، ويوجهها إلى الله تعالى، وكان المزج الكامل بين متعة الحلال، وفطم النفس عن الشهوات.

هذا الينبوع إسلامى خالص، وما خالطه من منازع أخرى، و قد رخصها الإسلام، وأبعده العلماء فكان فى دائرته المعقولة.

والينبوع الثانى للتصوف:

وهو ليس إسلاميا وإن تلاقى فى بعض نواحيه مع الأخلاق الإسلامية التى دل عليها القرآن والسنة، وما كان عليه الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم.

ذلك الينبوع هو ما سرى إلى المسلمين من فكرتين:

الأولى: فلسفة،

والثانية: من الأديان القديمة كالنصارى وغيرهم ممن انتحلوا نحلاً باطلة.

والنظرة الأولى لهذه ترينا أنها زندقة نبرئ التصوف الإسلامى منها تبرئة مطلقة، وإذا كانت قد جرت على أقلام أو أقوال بعض من نُسب لهم التصوف، فهى زور من القول على الإسلام وأهله.

ولنتكلم عن الفكرة الفلسفية الأولى:

فهى نبعت بين الإشراقيين من الفلاسفة، وهم يرون أن المعرفة تقذف فى النفس بالإشراق

= سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك؛ أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شىء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام...»، ولم يرد الحديث فى الكتب الستة ولا فى الكتب التى أخذ عنها السيوطى جامعه الصغير وهى ما يقرب عن عشرين غير الستة، ولم أجده إلا فى مسند أحمد، وفوق كل ذى علم عليم.

الروحى، ومنه تكون الرياضة الروحية والتهذيب النفسى.

وإن هذا بلا ريب ينبوع صاف؛ يتجه بالنفس إلى التهذيب الروحى، والاتصال بالله، ولكن اختلط بهذا النظر الفلسفى ما جاء عن الديانات السابقة كاليهودية والبرهمية والنصرانية، من تعذيب الجسم لتطهير الروح فى زعمهم.

واختلط بهذا عنصر ثالث؛ وهو ما سمى بوحدة الوجود، وجاء تبعا لوحدة الوجود: الحلول؛ وهو حلول الله فى نفوس بعض المخلوقين، وذلك كفر وإلحاد.

ومنهم أوكلهم غلبت عليه نظرية الإشراق، وزال من نفوسهم ما عداها.

ومهما يكن فإن هذه الأفكار تبلورت، ولفظ بعضها بعضا، فكان التصوف الذى ظهر قويا فى القرنين الرابع والخامس، ومن بعدهما السادس الهجرى، ثم ظهر أشكالا لا روح فيها فى القرنين السابع والثامن، وتوارثت أجيالنا الأخيرة هذه الأشكال.

والجوهر كان قائما مع الأشكال فى القرون الأولى، وبه كانت الدعوات الدينية المخلصة، واستمر الجوهر قائما إلى اليوم، وإن اختفى وراء المظاهر، وتريد جماعات إحياءه.

وإنا نعتقد أن مذهب الإشراق الروحى هو الجوهر فى الفلسفة الصوفية الإسلامية، وقد دحض عن جسمه فكرة الحلول وتعذيب الجسم لتطهير الروح - ذاك الذى سرى إلى المسلمين من البرهمية والبوذية، كما سرى إليها من النصرانية الرهبانية والانقطاع عن الحياة.

ولكن بقى له مع الإشراق ناحية قريبة من وحدة الوجود، وهى:

ناحية الشوق إلى الله تعالى ومحبته».

ثم يواصل المرحوم الشيخ أبو زهرة قائلا:

«ولذا نرى أن صوفية الإسلام يلتقى فيها أمران:

أحدهما: الإشراق،

والآخر: الشوق إلى الله تعالى ومحبته.

والمحبة قدر مشترك بين الصوفية المسلمين أجمعين؛ كالإشراق.

وقد راض بعضهم نفسه على المحبة، واتخذ منها سبيلا للاتصال بالله تعالى، وذلك منزع ليس فيه حلول وليس فيه ما يسمى بوحدة الوجود، بل هو إشراق النفس بنور الإيمان، وامتلاؤها بمحبة الله ورياضة النفس على محبة الله حتى يكون سمعه الذى يسمع به، وبصره

الذى يبصر به، وحتى يكون كل شيء فى نفسه، فلا يتحرك حركة عن حركة إلا فى سبيل رضاه ومحبته، وحتى يحب الشيء لا يحبه إلا الله ».

ثم يتحدث الشيخ – رحمه الله – عن بعض انحرافات الصوفيين، وعن بعض الدعايات الصوفية التى اختلطت بالدعوة إلى الإسلام، فيقول:

« إن الشيوخ الذين كانوا يروضون الناس على المحبة والشوق إلى الله تعالى، بدا من عبادتهم أن المحبة إن تحققت ، فإن العاصى والمطيع يكونان على سواء، مع أنه إذا تحققت المحبة لا يكون هناك عاص من المحبين، إذ كيف يحب الله ويعصيه؟ إنه إن لم يطع تكليفا أطاع محبة وتقربا وطلبا للرضوان.

ومع ذلك: بدت عبارات منهم يدل ظاهرها على التساوى بين العصيان والطاعة فى أدعيتهم، فيقول المرسى أبو العباس فى دعاء له: « إلهى معصيتك تنادينى بالطاعة، وطاعتك تنادينى بالمعصية، ففى أيهما أخافك، وفى أيهما أرجوك، إن كان بالمعصية قابلتنى بفضلك فلم تدع لى خوفًا، وإن قلت بالطاعة قابلتنى بعدلك فلم تدع لى رجاء. فليت شعرى كيف أرى إحسانى مع إحسانك، أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك ».

ويقول ابن عطاء الله السكندرى فى بعض أدعيته:

« إلهى: إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك، ولك المنّة علىَّ، وإن ظهرت المساوئ، فبعدلك، ولك الحجة علىّ ».

ثم يواصل الشيخ أبو زهرة – رحمه الله – قائلاً فى مقالاتهم:

« ويغالى بعضهم فيقول: « إذا كانت الشريعة قد فرقت بين المطيع والعاصى، فالحقيقة قد قررت أنه أمام الله تعالى، لا فرق، ولكن من يصل إلى الحقيقة؟ ».

ولذلك كانت الشريعة أولى بالاتباع؛ لأن الوصول طريقه واضح المعالم بيّن المسالك، ولأن الله تعالى جعل الطاعة لشريعته، ولرسوله ﷺ طريق محبته، فقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

[آل عمران: ٣١].

بل نستطيع أن نقول: إنا لا نصل إلى الحقيقة إلا عن طريق الشريعة. وإنهم ليقررون أن المعصية ثم الاستغفار منها تقرب ولا تبعد، وأن تقريب الاستغفار أكبر من تبعيد العصيان!!!

ويقولون: إنه ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «لو لم تذنبوا فتستغفروا، لخلق الله قومًا يذنبون فيستغفرون».

ويقول ابن عطاء الله السكندرى: «رُبَّ معصية أورثت ذُلاً وانكسارًا خير من طاعة أورثت عزًّا وافتخارًا».

أقول: هذا منهاج خاصة الصوفية كالمرسى والسكندرى، وفيه ما فيه من الخلل والخطأ، فما بال عامة الصوفية؟

يقول فى ذلك الشيخ أبو زهرة:

«وإن منهاج عامة الصوفية ليس على هذا النحو، الذى سلكه الخاصة، ذلك أن أتباعهم لم يبلغوا ذلك المبلغ، ولم يدركوا من الحقائق ما أدركوا، فهم قد فهموا أن لا معصية ولا طاعة، وأنه يكتفى بالمحبة، ويدَّعونها لأنفسهم، ومنهم من خلع الربقة.

ووجد منهم من ادعى أنه الشيخ المبتدع فى الصوفية، ولم يمنعه ذلك من أن يتناول الممنوع، ثم اجترع اللذات ونال من الموبقات، من غير جريمة دينية تمنعه، ولا نفس لوامة تدافعه، بل اتخذ التصوف ستارًا، يستتر به مآثمة، ومنهم من كان يدعى مع ذلك الولاية.

ومن العامة - أى عامة الصوفية - من لا يعرف من التصوف إلا مظاهرة، ومن حقائقه إلا أشكالها.

ومنها من كان يشيع أنه يكفى اتباع شيخ من الشيوخ أو ولى من الأولياء حتى تكون الخوارق، فالنار لا تحرقهم والأفاعى لا تلدغهم، وقاموا بأعمال شعبذة، تضل العقول»[1].

● ويقول ابن النفيس[2]: «ومن الجدير بالذكر أن الصوفية التى انتشرت فى مصر ابتعدت عن العناصر غير الإسلامية التى اختلطت بالتصوف فى البلاد الإسلامية الأخرى، فلم تنتشر فيها نظرية وحدة الوجود، ولا مبدأ الحلول والاتحاد.

فقد عنى التصوف المصرى بالجانب العملى الخلقى، ولم يرض المصريون عن المتصوفين الذين غالوا فى تصوفهم وأسرفوا فى الدعوة لنظريات، أُثير حولها بعض الشبهات؛ ولذلك

---

(١) المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة: الدعوة إلى الإسلام، نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٢) ابن النفيس أعلم أهل عصره فى الطب، ولد فى دمشق ومات فى مصر سنة ٦٨٧هـ، له فى الطب مؤلفات كثيرة من أشهرها (الموجز) مطبوع و(الشامل) مخطوط وله فى السيرة: «الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية» ومنها هذا النص. والرسالة الكاملية لا تزال مخطوطة.

أعرضوا عن:

محيى الدين بن عربى (المتوفى ٦٣٨هـ).

وعفيف الدين سليمان التلمسانى (المتوفى ٦٩٠ هـ) الذى دعا إلى طريقة شيخه جلال الدين الرومى (المتوفى ٦٧٢هـ)».

وفى عصر سلاطين المماليك بمصر وفد عليها فى القرن السابع الهجرى- الثالث عشر الميلادى عدد من كبار مشايخ الصوفية أصحاب الشهرة، ومنهم:

- السيد أحمد البدوى (٥٩٦ - ٦٧٥ هـ)،

- وأبو الحسن الشاذلى (٥٩١ - ٦٥٦ هـ)،

- وأبو العباس المرسى (٠٠٠ - ٦٨٦هـ).

ونشطت الحركة الصوفية بهؤلاء المشايخ فشُيدت الخوانق والربط والزوايا التى يقيم فيها شيوخ الصوفية مع المريدين والأتباع.

وقد سمى الصوفية أنفسهم اسم: «الفقراء» وارتدوا خرقة التصوف، ويلتزم المريد بطاعة شيخه طاعة عمياء.

● وبعض هذه الطوائف الصوفية قد بالغت فى التطرف فى آرائهم وأفعالهم، فنشأت عن هذا التطرف طائفة «المجاذيب» أو «الدراويش» وعرف عن هؤلاء المجاذيب أو الدراويش أعمال شاذة لا صلة لها بالدين، أو هى مما نهى عنه الدين مثل: حلق شعر الرأس واللحية والشارب والحاجبيْن ورموش العينين، وكل ذلك تغيير لخلق الله بل تشويه له، وهو مما ينهى عنه الإسلام.

● وأختم الحديث عن التصوف ببيان الأزهر الشريف عن التصوف والمتصوفين، ففيه تلخيص جيد للكلام الموسع عن التصوف والمتصوفين، يقول البيان:

«إن التصوف والطرق الصوفية أمر قديم، وقد كثر الكلام حوله تارة بالتأييد وتارة بالتجريح، ولكن المقياس الصحيح الذى يجب أن تقاس به الأفكار والسلوك، وتوزن به هذه الطرق وكل التشكيلات المنسوبة إلى الدين هو قوله تعالى ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)** ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]. وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا**

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ... ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقول النبى ﷺ : «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخارى ومسلم(١).

فإن كانت الطرق الصوفية ملتزمة بالدين عقيدة وشريعة فهى محمودة، وينبغى تشجيعها، وإن انحرفت فهى مذمومة ويجب تقويمها، والتقويم يكون على المنهج الذى رسمه الله لنبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ [النحل: ١٢٥]. وذلك لتحول هذه الطاقات الهائلة إلى الإنتاج المثمر فى كل مجال.

إن الطرق الصوفية أشبه بالمدارس التربوية التى تضم إلى العلم والثقافة ممارسة عملية تطبيقية، فهى تنطلق فى نشاطها على ضوء الفكر والوجدان، لأن علاقة المريدين والتلاميذ والطلاب بشيخهم علاقة حب واحترام لا نجدها فى كثير من المؤسسات التربوية الأخرى، وبهذا الرباط الروحى يمكن توجيههم بيسر وسهولة.

وكانت لهم وقفات صامدة على مدى التاريخ فى مقاومة الاستعمار وفى إقامة المنشآت الدينية.

وبتوالى الأجيال واختلاف المؤثرات شاب نقاءها شوائب، حاول بعض شيوخها تنقيتها، ولم يحاول بعضهم الآخر.

ومن هنا كثرت التعليقات عليها، ووجدت مؤلفات فيها أمور غريبة، فى ظاهرها مخالفة للشريعة، يلتمس بعض المتعصبين لها الأعذار، إما بأنها مدسوسة، وإما بأنها تعلو على أفهام العامة لا يعرفها إلا من عايشوها، وهناك توجيهات من العقلاء بالحذر من شطحات الصوفية.

وبعض الألفاظ التى تجرى على ألسنتهم أو تنقل عنهم قد تكون محاولة للتعبير عن الأحاسيس التى يحسونها، والألفاظ قاصرة عن الدقة فى التعبير عنها.

والمهم أن نتريث فى الحكم على أى شىء، وأن نوازن بين الإيجابيات والسلبيات فكرًا وسلوكًا، وأن نحاول الإصلاح بالحكمة، دون العمل على الهدم من أجل الهدم»(٢).

وفى هذا البيان إنصاف للصوفية والمتصوفين من حيث الحكم عليهم ووجوب التعامل

---

(١) روياه بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها، ورواه ابن ماجة بسنده عنها أيضًا.

(٢) بيان للناس: البيان رقم ٢. ص ٣٨ - ٤٠.

الحسن معهم.

وبعد:

فهذه هي الصوفية، كما أوضحنا أفكارها وتوجهها، وهي ليست شرًا ولا سبة يعاب بها أحد، مادامت عبادة لله تعالى وتوجهًا إليه وشوقًا إليه وحباً فيه، وزهداً وبعداً عن التهالك على الشهوات.

أما الذين انحرفوا بها فليسوا منها وليسوا على الطريق المستقيم، وليس من الواجب ذمهم والتهجم عليهم، وإنما الواجب توجيههم ودعوتهم إلى سبيل الله بالحكمة الموعظة الحسنة.

وإذا كان هدف التربية في مرحلة التكوين هو: «صوفي بحت من الناحية الروحية» فإن ذلك هدف إسلامي نبيل، إذ يحاول أن يرقى بهذه الروح ويصفيها من الشوائب ويقوى من صلتها بالله تعالى عن طريق العبادة والنوافل من قيام الليل وصوم وصدقات وخدمة للناس وحب للخير وأهله - وهذا ما كانت تمارسه الجماعة - ولا يمكن أن يعاب على ذلك منهج الجماعة في التربية، ولا أن يؤخذ على الإمام البنا أيضًا أنه صوفي، إذ لم يعرف عن تصوفه شيء من الانحراف عن الفقه الصحيح للدين والالتزام الدقيق بالكتاب والسنة.

فكيف عالجت الجماعة هذا الهدف الأول وهو أن يكون نظام الدعوة في مرحلة التكوين صوفيًا بحتًا من الناحية الروحية؟

ذلك ما نرجو أن نوضحه فيما يلي والله الموفق.

- تربية الروح تربية صوفية:

هذا هدف التربية في مرحلة التكوين، لأنها مرحلة البناء والإعداد ولا يكون تكوينًا صحيحًا إلا من كانت روحه على هذا النحو من التصوف الصحيح - الذي أوضحناه آنفًا-

فكيف يمكن الوصول إلى ذلك؟

هناك أسس من الفضائل يجب أن تربى عليها الروح،

وهناك وسائل لغرس هذه الفضائل في النفوس،

وللجماعة فقه في هذا وذاك نوضحه فيما يلي:

أولاً: الفضائل التى يجب أن تربى عليها الروح

هذه الفضائل كثيرة جداً، غير أننا سوف نشير إلى أبرزها من وجهة نظرنا فى هذا المجال الذى تربى فيه الروح لتصل إلى مرحلة التصوف بمعناه الصحيح.

ومن هذه الفضائل:

١ - التقوى:

وهى حفظ النفس عن الوقوع فى الإثم، وذلك بترك المحظور، ومن معانيها المحافظة على آداب الشريعة، والاقتداء بالنبى ﷺ.

- قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: ١٩٤] وليس بعد معية الله منزلة ولا أشرف منها منزلة.

- وقال جل شأنه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢] فباب العلم وطريقه هو تقوى الله تعالى.

- وقال جل و علا: ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فلا مكانة عند الله إلا بالتقوى.

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

- وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم...» الحديث.

- وروى الترمذى بسنده عن أبى أمامة صُدَىّ بن عجلان الباهلى رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله يخطب فى حجة الوداع؛ فقال: «اتقوا الله وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم».

فهذه التقوى هى تربية للروح وصقل لها تصل بها إلى أنبل معانى التصوف الذى تستهدفه مرحلة التكوين.

٢ - الحكمة:

وهى معرفة الحق، والعمل به، والإصابة فى القول والعمل، ولا تتكون هذه الصفة فى

المسلم إلا إذا فهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفقه شرائع الإسلام وعمل بمقتضى ذلك فى حياته.

ومن معانى الحكمة: فعل ما ينبغى على الوجه الذى ينبغى فى الوقت الذى ينبغى.

وللحكمة ركائز معروفة هى: العلم، والحلم، والأناة.

ولها آفات معروفة كذلك هى: الجهل، والطيش، والعجلة، وهى صفة لازمة لكل من يدعو إلى الله لأنها من أهم وسائل الدعوة وأدواتها، ولا يجوز لمسلم أن يفقدها.

وقد امتن الله تعالى على نبيه ﷺ بأن آتاه الحكمة، مما يدل على أنها من النعم الجليلة، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** (١١٣) ﴾ [النساء: ١١٣].

والحكمة من صفات الروح الصافية النقية التى تحسن الاتصال بالله تبارك وتعالى، وهذه الصلة هى من التصوف المحمود.

٣ - والخشوع:

وهو الخضوع لله تعالى والذل له.

والخشوع أكثر ما يستعمل فيما يتصل بالجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب.

ومن معانى الخشوع: الخوف، وخفض الصوت، وغض البصر، وكل تلك صفات فاضلة فى المسلم إذا كان تعامله مع الله تعالى أو مع والديه ومعلمه وأميره، وهى من الصفات التى يتحلى بها الإنسان لأنها من الفضائل.

وتربية الروح بحيث تكون خاشعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وللكتاب والسنة، وللحق، هى التربية الصحيحة، وهى أقرب إلى التصوف الصحيح.

والخشوع محله القلب، وثمرته تظهر على الجوارح؛ بحسن أدب الظاهر، وليس من الخشوع التهاون وطأطأة الرأس.

والطاعة التى نحن بصدد الحديث عنها هى من صميم الخشوع بكل معنى من معانيه، ولكنها ليست طاعة عمياء على أى حال، وليست طاعة مطلقة، وإنما هى مقيدة بالا تكون فى معصيته.

٤ - والطمأنينة:

وهى أن تكون الروح مطمئنة إلى ما قدر الله لها، راضية بعمل ما يأمر الله به، وبترك ما ينهى عنه.

وإنما تكون الطمأنينة بذكر الله والإقبال على عبادته والإكثار من النوافل، وللطمأنينة علامات نذكر منها ما يلى:

- ألا يخاف الإنسان إلا الله تعالى، إيمانًا ويقينًا بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا .... ﴾ [التوبة: ٥١]. وبما رواه الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «احفظ الله يحفظك... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف».

- وألا تختل لديه المقاييس، كما يحدث من الغافلين الذين يقيسون كل الأمور بمقاييس مادية دنيوية فقط، لغفلتهم عن حقيقتين كبيرتين:

إحداهما: «أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك».

والأخرى: أن المقياس الصحيح هو أن لا يأخذ بالدنيا ويغفل الآخرة.

- وألا تختل لديه مقاييس الفهم لموضوع إيثار العافية، لأن كثيراً من الغافلين يتصورون أن الصواب أن ينفضوا أيديهم من كل عمل إسلامى خشية كذا أو كذا، إيثاراً للسلامة والعافية، أو خوف الفتنة، وتلك غفلة عن الحقائق الشرعية والحقائق العقلية المقررة.

إن الطمأنينة إلى قضاء الله وقدره هى التى تعدل هذه المقاييس وتجعل صاحبها أكثر فقهاً وفهماً لما يحيط به من أحداث وأشياء.

وإن تربية الروح على الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لله تعالى فى كل ما يجرى على الإنسان من خير أو شر، هو الذى ينضج هذه الروح ويجعلها أقرب إلى التصوف الصحيح.

٥ - الرجاء:

وهو: ظنٌّ يقتضى حصول ما فيه سرور.

ومن معانيه: الخوف.

وقيل: الرجاء والخوف متلازمان.

والرجاء من أعلى درجات الإيمان، ودرجات الإيمان كثيرة، ولكن أعلاها الرجاء، لأن الرجاء فى حقيقته هو إحسان الظن بالله تعالى، مع تقديم العمل الصالح، والإقبال على طاعة الله تعالى والتقرب إليه بالنوافل.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف: ١١٠].

وفَقْد الرجاء يأس من روح الله ورحمته، وسخط على القضاء والقدر وسوء ظن بالخالق سبحانه وتعالى.

ولا تربى الروح إلا بأن تشرب وتُعلَّم كيف يكون لديها رجاء فى اللّه تبارك وتعالى، واستبشار بجوده وفضله، بل الثقة فى ذلك.

وليس الرجاء كالتمنى، إذ التمنى يكون مع الكسل والابتعاد عن العمل والاجتهاد، والرجاء يكون مع العمل وبذل الجهد وحسن التوكل، وحسن الظن بالله، روى مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول - قبل موته بثلاث-: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه».

وتربية الروح على الرجاء لتبلغ درجة التصوف الصحيح تقتضى معرفة أن الرجاء ثلاثة أنواع:

- رجاء مع العمل بطاعة الله تعالى على نور من الله، وهو محمود مرغوب، وهو يرجو ثواب الله تعالى.
- ورجاء مصاحب لتوبة عن ذنب وهو محمود أيضاً وهو يرجو مغفرة الله تبارك وتعالى.
- ورجاء مع ذنب وتفريط دون توبة وعمل، وهو مذموم لأنه يرجو رحمة الله بغير عمل فهو غرور وحمق.

٦ - والإخلاص:

هو إفراد الله تبارك وتعالى بالقصد فى الطاعات.

وهو استواء أعمال الإنسان فى الظاهر والباطن.

وقيل: هو الا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مُجازيًا سواه سبحانه وتعالى.

والعمل الحسن أو الاحسن هو أخلص العمل وأصوبه كما فسره الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى حين فسّر قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. فقالوا له: يا أبا علي ما أخلصُه وأصوبُه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا.

والخالص أن يكون لله.

والصواب أن يكون على السنة.

ثم قرأ ـ أى الفضيل بن عياض ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وروى مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يَغِلُّ(١) عليهم قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الامر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم».

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركَه».

والروح يجب أن تربّى على الإخلاص حتى لا يحبط العمل، وحتى يكون الاجر عند الله عظيمًا إذا شاء الله.

واجمع كلمة للفضيل فى الإخلاص قوله: ترك العمل من أجل الناس: رياء، والعمل من أجل الناس: شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

٧ - والصدق:

وهو أساس الإيمان، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان.

وهو روح الاعمال، ومَحَكُّ الاحوال، والحامل على اقتحام الاحوال.

وقد اخبر الله تعالى عن أهل البرّ ـ وهم المؤمنون بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، والمتصدقين على ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى

(١) اى لا يحمل الغلّ مع هذه الثلاثة لانها تنفى عنه غله وتنقيه منه.

الرقاب، والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، والذين يوفون بالعهد، والذين يصبرون فى البأساء والضراء وحين البأس - أخبر سبحانه عمن هذه صفاتهم؛ بأنهم أهل الصدق؛ فقال تعالى: ﴿ ... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والصدق واجب فى الأقوال، باستواء اللسان عليه.

والصدق واجب فى الأفعال باستوائها على الأمر والمتابعة.

والصدق واجب فى الأحوال باستواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص.

والصدق مطلب وأمل فى المدخل والمخرج واللسان والقدم والمقعد، إذ بكل ذلك جاءت آيات القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (٨٠) ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقال جل شأنه يخبر عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ (٨٤) ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقال عز من قائل: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٨٠]، وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق.

وحقيقة الصدق فى هذه الأشياء: هو الحق الثابت المتصل بالله تعالى الموصل إليه سبحانه، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك فى الدنيا والآخرة.

- وتربية الروح على الصدق فى الأقوال والأفعال والأحوال هى التى تضفى عليها الصفاء والنقاء، وتدخل بها فى التصوف الصحيح.

٨ - والصبر:

وهو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، فلا تجزع ولا تسخط، وحبس اللسان عن الشكوى لغير الله، وحبس الجوارح عن الوقوع فيما يغضب الله تبارك وتعالى.

والصبر واجب شرعًا لأن الله تعالى أمر به فقال تعالى: ﴿واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والصبر نصف الإيمان ونصفه الآخر الشكر، ومن كلمات عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله: «خير عيش أدركناه بالصبر...».

وروى أحمد بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم، وإنه من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر».

وأنواع الصبر كلها مطلوبة بل واجبة، وأهم هذه الأنواع ثلاثة:

- صبر بالله وهو: الاستعانة به سبحانه وتعالى.

- وصبر لله وهو: أن يكون الباعث على الصبر هو محبة الله تعالى.

- وصبر مع الله وهو: أن يكون الإنسان قد وقف نفسه على الاستجابة لأوامر الله تعالى ومَحَابّه.

وقد أمر الله تعالى فى كتابه بالصبر الجميل، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ۝﴾ [المعارج: ٥]. والصبر الجميل هو الصبر الذى لا شكوى فيه ولا معه.

وللصبر - كما قال أسلافنا - درجات ثلاث:

أولاها: الصبر عن المعصية أى عدم إتيانها.

وثانيها: الصبر على الطاعة أى المداومة عليها.

وآخرها: الصبر على البلاء أى التحمل وترك الشكوى.

وتربية الروح على الصبر؛ صقل لها، وممارسة للتصوف الصحيح.

٩ - والأمانة:

وهى الوفاء عمومًا.

والمحافظة على الوديعة.

ومن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة.

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما - وقد ورفعه - «الإيمان أمانة، ولا دين لمن لا أمانة له».

وروى أبو داود بسنده عن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا» وذلك أن الأصل فى الحلف أن يكون بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، والأمانة ليست من أسمائه تعالى، وإنما هى أمر من أموره، فلا يسوى بينها وبين أسماء الله تعالى.

والأمانة: الأهل والمال المودع.

والأمانة: ضد الخيانة.

وكل مسلم يجب أن يكون أميناً، لأن الله تعالى نهى عن الخيانة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧]. وقال جل شأنه: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨].

والأمانة صفة فاضلة واجبة فى كل مسلم، وهى من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغون عن الله تبارك وتعالى.

وتربية الروح على الأمانة مع الله بالالتزام بمنهجه، ومع الناس بحفظ عهودهم وودائعهم هى التربية الصحيحة التى تحمل روح التصوف الصحيح.

١٠- والطاعة:

هى: الانقياد والائتمار لما أُمر، والارتسام فيما رسم.

وقد عرفناها بتوسع فى الفصل الأول من هذا الكتاب.

ونذكر هنا بأنها طاعة الله ورسوله والوالدين وولى الأمر والمعلم، وكل من له ولاية على المطيع.

وتربية الروح على الطاعة هى من صميم التصوف الصحيح.

وبعد:

فقد كانت الجماعة تربى أفرادها تربية روحية تستهدف طبعها بطابع صوفى بحت على

النحو الصحيح للصوفية.

وكانت للجماعة وسائل لتحقيق هذا الهدف - على نحو ما سنبينه في الوسائل، إذا أذن الله وأعان.

والهدف الثانى للتربية فى مرحلة التكوين هو :

تقوية الناحية العملية فى الفرد. حتى لتشبه النظام العسكرى.

ويقول الإمام البنا فى ذلك : « ونظام الدعوة فى هذه المرحلة، .... عسكرى بحت من الناحية العملية ».

فماذا يقصد بالناحية العملية؟

يقصد بها أمران :

العلم، والعمل.

وكلاهما يجب أن يتعامل مع ممارستهما تعاملا حاسمًا صارمًا يشبه أن يكون عسكريًا، إذ العسكرية تقتضى الحسم والصرامة، أى لا تهاون ولاتوانى ولا تأجيل لشىء، وإنما التنفيذ الفورى.

أما العلم :

فإن المرحلة تقوم على تحصيل أكبر قدر منه لأنها مرحلة تكوين، والتكوين روحى وخلقى وعلمى وعملى أى إعداد متكامل للفرد المسلم الذى يتحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله تعالى.

- والعلم المطلوب فى هذه المرحلة بقوة وحسم وصرامة هو مفردات بعينها تتمثل فيما يلى :

- دقة الفهم بمعنى أن يفكر فى كل معلومة بدقة واهتمام.
- والقدرة على البحث عن العلل والأسباب فى أى ظاهرة من الظواهر، لأن كل الظواهر؛ اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية لها علل وأسباب.
- والقدرة على تحديد الظاهرة وعزلها عن سواها وتحليلها واقتراح حلول لها، حلول عامة أو مرحلية أو موقوتة.
- والقدرة على الالتزام بالنظرة الموضوعية الحيادية لأى قضية أو موضوع، أى التفكير فيه بأسلوب علمى.

● والقدرة على توظيف هذا العلم لتأمين حاجات الناس بصورة أفضل، وهذه القدرة تتطلب صفات بعينها منها:

– الفهم والإدراك العميق لوظيفة العلم فى حياة الإنسان، وهى تسخير ما فى الكون كله لصالح الإنسان فى ضوء ما أحل الله تعالى وما حرم، ورفض استخدام العلم فى الشر وفيما يعود على الإنسان بالضرر.

– والاقتناع بأن العلم وسيلة لا غاية، مع الاقتناع بأن العلم يسهم فى حل كثير من مشكلات الحياة الإنسانية، لكن بشرط أن يكون ذلك فى إطار القيم الإسلامية.

– والقدرة على التحصيل والاستيعاب، لا مجرد الاطلاع، لأن ذلك من متطلبات المرحلة، مع أداء اختبار فيما حصل، لاجتياز هذه المرحلة بنجاح.

– والعلم الذى نقصده فى هذه المرحلة هو:

● العلم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وسيرته، والثقافة الإسلامية والثقافة العامة، وذلك من منطلق قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: ٩].

وقوله جل وعلا: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** (٨٩)﴾ [النحل: ٨٩].

وأما سنة النبى ﷺ وسيرته، فمن منطلق قول الله عز وجل: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧].

● والصلة بالقرآن الكريم تعنى أبعاداً ثلاثة:

التعبّد بالتلاوة فى صورة ورد يومى أقله جزء من القرآن الكريم لكى يختمه فى شهر واحد على الأقل.

والفهم والتدبر فى القراءة مع اصطحاب أحد كتب التفسير، وأحد كتب علوم القرآن.

والعمل بما فهم من القرآن الكريم، وتطبيقه على حياته وظروفه وكل ما يحيط به.

● والصلة بالسنة النبوية، ذات بعدين رئيسيين هما:

استصحاب كتاب من كتب السنة الستة أو الثمانية، بحيث يقرأ فيه كل يوم قدراً مع الفهم والتدبر، حتى يأتى عليه كله فى مدة زمنية كافية.

واستصحاب لكتاب من كتب علوم السنة وأصولها على أن يكون موجزاً.

● والصلة بالسيرة النبوية تكون من خلال كتاب أصيل فى السيرة كسيرة ابن إسحاق، أو إمتاع الأسماع للمقريزى.

● والصلة بالثقافة الإسلامية أو الثقافة العامة تكون باطلاع جيد على معالم الحضارة الإسلامية قديمًا وحديثًا، ومعرفة جيدة ببلدان العالم الإسلامى المعاصر، ومشكلات هذه البلدان، وبخاصة الوطن الذى يعيش فيه.

هذا على الجانب الأول من الناحية العملية وهو: العلم.

ومعنى ذلك أن يتناول هذا العلم تناولاً جادًا حاسمًا صارمًا كما لو كان قد صدر له بذلك أمر عسكرى واجب التنفيذ.

وأما العمل:

الذى يمثل مع العلم الناحية العملية فى مرحلة التكوين، فالمقصود به أن يكون الفرد فى هذه المرحلة رجل أعمال ومواقف، ولا يكتفى بأن يرفع شعارًا، خشية أن يصبح من الناس الذين يقولون ولا يفعلون، فهؤلاء لا يحبهم الله تبارك وتعالى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)** ﴾ [الصف: ٢، ٣].

● وهذا العمل مطالب به كل مسلم قادر عليه، لأنه يجنب له مصلحة فى الدين والدنيا، أو يرد عنه مضرة فى الدين والدنيا.

وممارسة هذا العمل إنما جاءت امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى المفهوم من قوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)** ﴾ [التوبة: ١٠٥].

● وأود هنا أن أشير إلى عدد من الحقائق المتصلة بالعمل المأمور به المسلم عمومًا، وهذه الحقائق هى:

- أن العمل واجب شرعى لا يعفى منه قادر عليه، وأن الله تعالى يجزى عليه يوم القيامة، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. ومن قوله جل شأنه: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ...** ﴾ [الملك: ٢].

– وأن هذا العمل يجب أن يكون صالحًا، وصلاح العمل يعنى موافقته للشريعة الإسلامية، ويفهم هذا الوجوب من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ... فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110) ﴾ [الكهف: 110]. ومن قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا .. ﴾ [النور: 55].

– وأن هذا العمل لا يجوز أن يكون ضارا بصاحبه أو بغيره من الناس فى الدنيا أو فى الآخرة، كما يفهم ذلك من قوله جل شانه: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (123) ﴾ [النساء: 123]. ومن قوله تعالى: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (84) ﴾ [القصص: 84]. ومن قول الرسول ﷺ فيما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».

– وأن يكون هذا العمل خاضعًا لرقابة الله تعالى، لأنه موضع حساب وجزاء عليه من جنسه إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) ﴾ [فصلت: 40]. ومن قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (61) ﴾ [يونس: 61]. ومن قوله جل شانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (46) ﴾ [فصلت: 46][1].

● كما أود أن أشير إلى أن عددًا من الحقائق المتصلة بالعمل فى مرحلة التكوين، على النحو التالى:

– أن العمل فى مرحلة التكوين بنوعيه العلم والعمل يعتبر شرطًا فى أهلية من ينتمى إلى هذه المرحلة، وأن هذا العمل أنواع نشير إلى بعضها فيما يلى:

● أنه العمل الذى يؤدى إلى الخير والكسب الذى يكفل توفير أسباب الحياة والعيش، دون

---

(1) وانظر فى تأصيل وجوب العمل والاستدلال على ذلك بالنصوص من الكتاب والسنة ـ كتابنا فقه الدعوة إلى الله 1 / 414 وما بعدها، مرجع سابق.

مبالغة أو تضييق.

- وأن هذا العمل يجب أن يؤمن للفرد الإيجابية، ويحول بينه وبين أن يكون عالة على غيره، كما يفهم ذلك مما رواه البخارى وأحمد وابن ماجة بأسانيدهم عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى الجبل، فيجىء بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

- وأن هذا العمل فى تلك المرحلة التكوينية يجب أن يكون عملاً موظفًا يخدم العامل ويخدم العمل، فيجلب المصلحة ويدفع المضرة، ويعود على الدعوة وعلى المسلمين بالنفع فى الدنيا والآخرة.

وتحديد هذا العمل والحكم عليه بالنفع إنما تقوم بذلك الجماعة بعد أخذ الرأى فيه والتعامل بالشورى.

- وأن يكون هذا العمل فرديًا على مستوى الفرد، وجماعيًا على مستوى الجماعة، من منطلق أن العمل الجماعى واجب شرعًا، لأن الأصل فى المسلمين أنهم جماعة أو أمة كما تشهد بذلك نصوص من الكتاب والسنة(١).

- وأن على رأس هذا العمل، العمل الجهادى الذى يقصد به أن تكون كلمة الله هى العليا، إذ بغير الجهاد يكون الذل والانكسار وانتقاص بلاد المسلمين.

- وأن أنواع العمل التى تلائم مرحلة التكوين بالذات هى:

استيفاء الأهلية الروحية والخلقية للمرحلة «الصوفية».

واستيفاء الأهلية العلمية والثقافية.

واستيفاء الأهلية العلمية الحركية التنظيمية.

ومعنى ذلك أن يكون المنتمى إلى هذه المرحلة؛ رجل دعوة ورجل حركة ورجل تنظيم

---

(١) ومن تلك النصوص القرآنية كل خطاب قرآنى موجه للمؤمنين بوصفهم جماعة مثل: ﴿وقل اعملوا...﴾ و﴿وجاهدوا فى الله...﴾ ﴿وافعلوا الخير..﴾ و﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ....﴾.

ومن الأحاديث النبوية المطهرة: «إنه لا إسلام إلا بجماعة...» و«المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم...» و«عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ....» و«إن يد الله مع الجماعة...» و«فعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة...».

ورجل جهاد وعمل، أى يكون صوفيًا من الناحية الروحية، وعسكريا من الناحية العملية - على نحو ما بينا فى الحديث عن الصوفية والعسكرية.

ثانيًا: الوسائل

لهذين الهدفين الكبيرين اللذين اندرجت تحتهما أهداف عديدة؛ وسائل يعتمد عليها فى تحقيق الأهداف.

غير أن هذه الوسائل نوعان:

- وسائل خاصة.
- ووسائل عامة.

ولكنّ النوعين يتعاونان كل التعاون فى العمل على الوصول بالتربية الروحية إلى حد الصوفية البحتة، وعلى الوصول بالتربية العملية إلى حد يشبه النظام العسكرى فى حسمه وصرامته.

وسوف نؤكد فيما بعد أن الوصول للنظام الصوفى أوالنظام العسكرى يحتاج إلى الطاعة لكل أمر يصدر من المسئول إلى المنضم إلى هذه المرحلة، إذ سوف نوضح أن شعار هذه المرحلة التكوينية: «أمر وطاعة»، ولكنها الطاعة الإسلامية التى لا تكون فى معصية أبدًا.

هذه الوسائل خاصها وعامها له شروط نحب أن نشير إليها، ومن أهمها ما يلى:

- أن تكون مشروعة بمعنى أن تخلو ممارستها مما يغضب الله.
- وأن تكون ميسورة للمربى ومتيسرة للمتربى.
- وأن تكون قادرة على تحقيق الأهداف.
- وأن تكون مناسبة للمرحلة التى تستعمل فيها.
- وأن تتاح لها فرصة زمنية كافية، بحيث لا يحكم على نتائجها بمجرد التعامل بها.
- وأن تكون هناك متابعة ومعاونة لمن يمارسون هذه الوسائل.
- وأن تُقَوَّم ما بين آن وآخر.
- وأن تُعَدَّل أو تُبَدل على حسب ما ينتهى إليه التقويم، لأن الوسائل ليست من العناصر الثابتة فى العمليات التربوية.

١ - الوسائل الخاصة فى مرحلة التكوين.

وإنما سميتها خاصة لأنها تمارس داخل المرحلة بل فى نهاية المرحلة، من أجل نقل العضو المنتمى إلى هذه المرحلة إلى المرحلة التى تليها.

أما الوسائل العامة فهى وسائل تربوية عامة تصلح لتحقيق أهداف التربية عمومًا فى مراحلها المتعددة، التى منها هذه المرحلة.

وهذه الوسائل الخاصة هى:

الإعداد،

والتوظيف،

والانضباط،

والاصطفاء.

ولكل من هذه الوسائل الخاصة الأربعة حديث يوضح أبعادها.

١ - الإعداد:

وهو تهيئة الفرد لهذه المرحلة فى مصطلحنا هنا، ونعنى به أن نوفر للفرد الأسباب والصفات التى تمكنه من الانضمام إلى هذه المرحلة، وإقداره على المضى فى استيعاب برنامجها بكفاءة ونجاح، وذلك من أجل تجنب الفشل أو الإخفاق فى الوفاء بمتطلبات هذه المرحلة - وهى مرحلة البناء والتكوين، المسبوقة بمرحلة والملحوقة بمرحلة - التى تعد أهم مراحل التربية، وأكثرها فاعلية فى بناء الشخصية المسلمة الناضجة.

● وهذا الإعداد والتهيئة والتجهيز الخاص بهذه المرحلة يتم داخلها، وإن كان قد سبقه إعداد - فى مرحلة التعريف - للالتحاق بهذه المرحلة.

غير أن الذى يعنينا هنا أن نتحدث عن إعداد الفرد فى مرحلة التكوين لكى يلتحق بالمرحلة التالية لها وهى مرحلة التنفيذ.

وهذا الإعداد يتناول جوانب متعددة فى شخصية الفرد، أهمها ما نشير إليه فيما يلى:

● **الإعداد الروحى:**

من وسائل هذه المرحلة أن تعد روح المنضم إليها إعداد جيدًا يؤهله للمرحلة الاعلى التى

تليها.

ومن إعداد الروح فى هذه المرحلة ما يلى:

١ - تدريبه وتعويده على قوة الإحساس بوجود الله تبارك وتعالى:

وإنما يكون ذلك إذا دام شعور الإنسان بأن الله تعالى يراقبه فى كل أقواله وأعماله وحركاته، وليس فى ذلك مشقة على الإنسان؛ لأنه سبحانه وتعالى قد أوضح لنا من خلال المنهج - الكتاب والسنة - ما يجب أن يقال وما يجب أن يفعل، ويسر لنا معرفة الشروط والآداب لكل قول وعمل بأن أرسل لنا الرسول الخاتم ليفصل المنهج، ويخبرنا بأن لنا مطلق الحرية فى الطاعة أو المعصية، وأخبرنا بأن الله تعالى يراقبنا ليرى ما نختار وما نفعل، ثم يحاسبنا ويجازينا، وهذه المراقبة من الله تعالى لنا تعنى أنه سبحانه وتعالى يحبنا، إذ لو تركنا دون مراقبة ومتابعة لغفلت أرواحنا أو فترت عن العبادة والتقرب إلى الله، وإنما يزكى الروح أن نشعر بأن الله تعالى يراقبنا، كما جاء فى الحديث الشريف الذى شرح الإحسان: « .... فإن لم تكن تراه فإنه يراك ».

- ونتيجة لإحساس الفرد بأن الله تعالى يراقبه أن يلتزم بالأمر والنهى فلا يستعمل أعضاءه السبعة[1] إلا فيما أوصى به المنهج، أى فى الحلال لا الحرام.

- ومن نتائج الإحساس بمراقبة الله تعالى لنا:

تطهير الظاهر والباطن منا، أى الإخلاص.

والتلقى عن الوحى وأخذ كل ما فيه بالقبول والرضى.

والاستقامة على الطريق القويم، طريق الله تبارك وتعالى.

٢ - وتعويده وتدريبه على أن يراقب هو الله سبحان وتعالى:

وهذا من شأنه أن يرقق الروح ويصفيها من الأكدار والأغيار والشوائب، ومراقبة الله تعالى تعنى كما جاء فى الحديث الشريف الذى يوضح معنى الإحسان: « أن تعبد الله كأنك تراه ... ».

- ومن نتائج هذا الإحساس:

أن يطهر الإنسان نيته ويحسنها، وإذا حسنت النية حسن العمل، وأن لا يأتى من العمل

---

(١) وهى: العين، والأذن، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل.

إلا ما يحبه الله تبارك وتعالى ويرضى عنه، ومعنى ذلك أن يأتى من العمل كل جميل، ومن الخلق كل عال رفيع، كما ورد فى الحديث الشريف الذى رواه الطبرانى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها».

وفى الأحاديث النبوية التى رواها:

أبو داود عن يعلى بن أمية رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى حَيِىّ يحب الحياء والستر...».

وما رواه البيهقى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

وغير ذلك من الأحاديث الشريفة[1].

- ومن نتائج هذا الإحساس أن تتولد فى النفس التقوى، إذ كيف لا يتقى من يراقب الله ويعلم أن الله يراقبه، ومن اتقى الله حاز خير الدنيا والآخرة.

ومن اتقى الله ذاق حلاوة الإيمان، وكان الله ورسوله أَحَبَّ إليه مما سواهما.

ومن اتقى الله أحسن إلى نفسه وإلى الناس وأجاد وأتقن كل قول أو صمت وكل عمل أو ترك.

٣ - وتعويده وتدريبه على التقرب إلى الله تعالى:

وإنما يكون ذلك بأداء الفرائض، والإكثار من أداء النوافل مثل:

- التهجد: أى الصلاة فى أثناء الليل،
- وتلاوة القرآن الكريم،
- والصوم،
- والصدقة،
- والأذكار والأوراد،
- والعمرة.

---

(١) وانظر بتوسع فى ذلك، للمؤلف: التربية الروحية - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية. ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

– ومن نتائج ذلك الحصول على رضا الله تبارك وتعالى، والحصول على تأييد الله ونصره، وذلك أحوج ما يكون إليه الناس فى كل عصر، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قال: من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى عليها، وإن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه....».

٤ – وتعويده وتدريبه على حب الناس وحب الخير لهم:

وحب الناس وحب الخير لهم تربية للروح وتصفية لها من الأكدار والأغيار والشوائب قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ٩]، وقد روى البيهقى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يجد طعم الإيمان، فليحب المرء لا يحبه إلا لله».

وروى البيهقى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله».

وروى النسائى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير».

وروى الإمام مسلم بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: وجبت محبتى للمتحابين فىَّ، والمتجالسين فىَّ، والمتزاورين فىَّ، والمتباذلين فىَّ».

– ومن نتائج حب الناس وحب الخير لهم استجابة لما أمر الله تعالى به ولما ورد فى أحاديث الرسول ﷺ، ومن استجاب لمنهج الله تعالى فى البذل والعطاء تعود الاستجابة للمنهج فى كل أمر من الأمور، وهذا أحسن ما يرقى الروح ويصفيها من الشوائب.

– ومن نتائج حب الناس وحب الخير لهم، أن يقبل الناس على منهج الله ويلتزموا بما فيه، حبًا فيه لما قدم إليهم المنهج من حب ومن خير، وذلك يجعلهم يسهمون فى فعل الخير والتعاون على البر والتقوى فى كل موقف يمر بهم.

– ومن نتائجه الإسهام فى نشر منهج الله فى الناس والعمل على تمكينه فى الأرض، وفى هذا

الخير كل الخير للمسلمين وللبشرية كلها.

وبهذه التدريبات التى ذكرنا وغيرها، تُعَدُّ الروح إعدادًا جيدًا لكى يرتقى إلى المرحلة التالية، مرحلة التنفيذ.

● **والإعداد الخلقى:**

وهو من وسائل هذه المرحلة للترقية إلى مرحلة أعلى.

ومن إعداد الخلق فى هذه المرحلة ما نشير إلى بعضه فيما يلى:

١ - تعويده وتدريبه على الالتزام بمنهج الإسلام فى الحياة:

ولهذا الالتزام بالمنهج مفردات نشير إلى بعضها فيما يلى:

- الالتزام بالمنهج فى العقيدة وهى توحيد الله تعالى والإيمان به وبأسمائه وصفاته، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

- والالتزام بالمنهج فى العبادة بحيث يعبد الله تعالى وفق ما شرع فى الذكر والصلاة والصيام والزكاة والحج والزواج والطلاق والميراث والوصية، وغيرها.

- والالتزام بالمنهج فى الخلق والسلوك، بحيث يتخلى المسلم عن كل رذيلة، ويتحلى بكل فضيلة.

- والالتزام بالمنهج فى التعامل مع الناس، بيعًا وشراء ورَهْنًا وإجارة، وكل عقود العمل ونحوها.

- فمن أعد خلقه على هذا النحو من الالتزام، كان أهلاً لأن يلتحق بالمرحلة التالية، وكان هذا الإعداد الخلقى وسيلة لهذا التأهيل.

٢ - وتعويده وتدريبه على الولاء لله ولرسوله وللإسلام والمسلمين:

ونعنى بالولاء المحبة والنصرة.

- ولهذا الولاء لله ولرسوله وللإسلام والمسلمين نتائج هامة، نشير إلى بعضها فيما يلى:

● الانخلاع من الولاء لأعداء الله من المشركين والكافرين والفجار، والبراء منهم والابتعاد عنهم، مع الاستمرار فى توجيه الدعوة إليهم فهم أُمّة الدعوة.

● وترك مجالسة الفُسَّاق والعصاة من المسلمين أو مؤاكلتهم، وإنما يدعون إلى الاستقامة،

بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن عند الحاجة إلى ذلك.

- ومولاة المنهج تعنى أن يكون لكل مسلم عمل ومشاركة فى: الدعوة إلى الله، والحركة فى الناس، وتربيتهم، وتنظيمهم، وحثهم على العمل على التمكين لدين الله فى الأرض، والمحافظة على هذا التمكين بعد الوصول إليه، وكل ذلك من فقه الدعوة إلى الله والالتزام بمفرداتها(١).

٣ - والجدية فى تناول أمور الدين والدنيا، أى تعويدهم وتدريبهم عليها:

ونعنى بالجدية أمرين:

- الاجتهاد: أى بذل المجهود فى طلب المقصود.

- وترك الهزل: أى تناول الأمور بغير لعب أو لهو.

ويكون هذا وذاك فى طاعة الله أى تحقيق شعب الإيمان التى أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وهى فى تفصيلها سبع وسبعون شعبة كما فصلها البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) فى كتابيه: شعب الإيمان ومختصر شعب الإيمان.

- وكيف لا يجد المسلمون ويربّون أنفسهم وأبناءهم على الجدية، وكل ظروفهم وما يحيط بهم يدعوهم إلى ذلك؟

إن المسلمين اليوم يعيشون عصراً يتكالب فيه أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين فى كل مكان، وقضايا المسلمين فى فلسطين وفى أفغانستان والبوسنة والشيشان والسودان وإيران، والجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، والعراق، والأردن، وسوريا، ولبنان، ودول الخليج، والصومال، ونيجيريا، والسنغال، وغيرها؛ تحتاج من كل مسلم أن يجد ولا يهزل، وأن يكون إيجابياً فى عمله وإنتاجه وحياته كلها.

- وكيف لا يجد المسلمون وأقلياتهم مطحونة فى الهند والصين وروسيا، والفلبين وعديد من بلدان إفريقيا وآسيا؟

حتى فى المهاجر التى اختارها بعض المسلمين من دول أوربا وأمريكا، لا ينالون فيها

---

(١) لمعرفة هذه المفردات: انظر للمؤلف: فقه الدعوة إلى الله، وفقه الدعوة الفردية، والمرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله - نشر دار الوفاء، وفقه الأخوة فى الإسلام، وفقه المسئولية - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

حقوقهم، ويعاملون معاملة تقوم على التفرقة من أجل الدين!!! كيف لا يجدون وهذه حالهم؟

- كيف لا يجدون وهم يعتمدون على عدوهم فى القمح والسكر والسلاح؟

- كيف لا يجدون وهم يعيشون تبعية ذليلة لأعدائهم، سواء أكانت منظورة أو غير منظورة؟

- كيف لا يجد المسلمون وهم يتحاكمون ويحكمون بهيئة الأمم ومجلس أمنها المحترم، وحق «الفيتو» الاعتراض لخمس دول تملك وحدها السلطة الحقيقية!!!

كثيرًا ما أتساءل لماذا تنضم الدول إلى هيئة الأمم وهى تعلم عنها هذا العار قبل الانضمام؟

- إن تربية المسلمين أخلاقيًا تربية جادة لا هزل فيها ولا لعب ولا سكوت عن ظلم، ولا رضا بتفاوت وتفرقة، وبيض وسود، وشمال وجنوب؛ أصبحت بالنسبة للمسلمين ضرورة أكثر إلحاحًا من أى أمر آخر!!!

٤ - التسامح والعفو؛ أى تعويدهم وتدريبهم على ذلك:

تربية المسلم خُلُقيًّا على التَّسامح والعفو، إحياء لأخلاق الإسلام، وهذا التسامح يعنى أمورًا، نشير إلى بعضها فيما يلى:

- ترك التعصب للرأى أو المذهب، إيثارًا للحق على النفس،
- واحترام الرأى الآخر، ومحاولة الاستفادة منه،
- وإمَاتَةُ النعرات القومية والعرقية والإقليمية،
- وحسن تقدير ظروف الناس والتماس الأعذار لهم،
- والتأسى برسول الله ﷺ فى التسامح، فقد كان ﷺ: «لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه أو سكت» رواه الحاكم بسنده عن أنس رضى الله عنه.
- واليقين بأن الإسلام دين التسامح والعفو والرفق، وأنه لا يقر العنف إلا فى الجهاد فى سبيل الله، وفى إقامة الحدود التى شرعها الله لعقاب من تعدوا على هذه الحدود.

● إن تعويد أفراد هذه المرحلة وتدريبهم على التسامح والعفو هو الذى يؤهل المنضم إلى هذه المرحلة لكى يرتقى ويصطفى لكى يلتحق بالمرحلة التالية.

٥ - وتعويدهم وتدريبهم على الاعتدال:

والاعتدال هو التوسط بين أمرين، والمعتدل هو المتوسط بين طرفين، وهذا التوسط أو الاعتدال فضيلة بين الإفراط والتفريط، أو بين التشدد والتسيب، ومن نعم الله على المسلمين أن جعلهم أمة وسطًا، أى أمة الاعتدال والوسطية والخيرية، قال الله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...** ﴾ [البقرة: ١٤٣].

● **قال المفسرون:** كان الناس قبل الإسلام على قسمين:

- قسم تقضى عليه تقاليده بالمادية المحضة، فلا همَّ له إلا الحظوظ الجسدية كاليهود والمشركين.

- وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة، وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمية، كالنصارى والصابئة وطوائف من وثنيي الهند.

- وأما الأمة الإسلامية فهى المتوسطة المعتدلة التى تجمع بين مطالب الروح ومطالب الجسد.

● **وقال بعض المفسرين:**

الوسط يعنى التوسط فى الدين والاعتدال فيه بين الإفراط والتفريط أو المغالاة والتقصير، فلم يغلو غلوّ النصارى، ولا قصدوا تقصير اليهود.

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشادّ الديَن أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».

● **والإعداد العقلى:**

وهو - كسابقيه من الإعداد الروحى والخلقى - يعد من الوسائل الخاصة بمرحلة التكوين.

ومن الإعداد العقلى للمنضمين إلى مرحلة التكوين، ما نشير إلى بعضه فيما يلى:

١ - تعويد أفراد هذه المرحلة وتدريبهم على التفكير والنظر والتَّدبُّر:

وهذا هو الأصل الذى يحرص عليه الإسلام وهو يربى العقل وينميه ويشحذه ويقويه، وفى القرآن الكريم آيات عديدة تدعو العقل إلى التفكر والنظر والتدبر، مثل قوله تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) ﴾ [الحج: ٤٦].

٢ – وتعويدهم وتدريبهم على النظر في الأدلة والبراهين، وترك ما يتوصل إليه العقل عن طريق الظن والتخمين، حتى الإيمان نفسه يجب أن يكون على الدليل والبرهان، لا على الظن واتباع ما كان عليه الأولون، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: **﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) ﴾** [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨].

ومن قوله جل شأنه: **﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) ﴾** [الجاثية: ١٨].

والمعنى المراد من هاتين الآيتين الكريمتين وأمثالهما دعوة العقل إلى ترك ما يتوصل إليه بالظن والتخمين، واعتماد ما يتوصل إليه بالدليل والبرهان، وفى هذا إعداد للعقل وتربية.

٣ – وتعويدهم على التفكير العلمى:

وهذا النوع من التفكير يقوم على ركائز من أهمها:

– طرح المسلَّمات المعروفة للناس من الخرافة والأسطورة والشعوذة وما إليها من الدجل والسحر، لأن كل ذلك لا يقوم على دليل ولا يسانده برهان.

– وطرح كل أمر من شأنه أن يعطل العقل عن العمل. كالتطير، والعرافة والكهانة؛ فقد روى البزار بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من تَطيَّر أو تُطيِّر له، أو تَكهن أو تُكهن له، أوسَحَر أوسُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ.

– والبحث عن الدليل والبرهان، وفى القرآن الكريم درس عظيم نتعلمه من حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه، وهو ينكر عليهم عبادة الكواكب، ويقيم على ذلك الأدلة والبراهين؛ وذلك فى قوله سبحانه وتعالى: **﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) ﴾**

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) ﴾

﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) ﴾

[الأنعام: ٧٤ - ٨٣].

أى تلك حجتنا وأدلتنا وبراهيننا العظيمة المقنعة على الألوهية والوحدانية أعطاها الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام ليقيمها على قومه، فغلبهم بها لما فيها من الدليل والبرهان والتفكير العلمى المنظم.

ومن سنة الله فى خلقه أن يرفع بالعلم والدليل والحكمة والبرهان درجات مَنْ شاء من عباده.

٤ - وتعويدهم وتدريبهم على التجرد من الميول والأهواء.

وذلك أن الإنسان الذى تتحكم فيه أهواؤه إنسان يلغى عقله تمامًا وما يجوز أن يلغى عقله لأى سبب من الأسباب، ومعنى التجرد عن الميول والأهواء هو الاعتماد على الاستدلال، وإحسان الاستدلال، يفهم هذا من الآيات الكريمة التى تنعى على المشركين أنهم لم يحسنوا الاستدلال فى قوله تعالى عنهم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣) ﴾

[النجم: ٢٣].

ولقد نهى الله تبارك وتعالى عن اتباع الهوى خشية ضياع العدل، قال الله تعالى: ﴿ ...فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾

[النساء: ١٣٥].

٥ - وتعويدهم وتدريبهم على الابتعاد عن الأحكام الجزافية:

ومعنى ذلك وجوب التدقيق والتثبت والتحرى فى الأمور قبل إصدار أحكام قد تدخل فى المجازفة، وكل تلك عمليات عقلية يجب أن يدرب عليها العقل، وهى جزء من المنهج العلمى الذى يربى الإسلام عليه العقل[١]، وهذا المنهج العلمى البعيد عن الأحكام الجزافية تضمنته آيات قرآنية كريمة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)﴾ [النساء: ٩٤].

وقوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾ [الحجرات: ٦].

فهاتان الآيتان الكريمتان تحذران من المجازفة فى إصدار حكم على أمر من الأمور دون تبين وتثبت، وذلك هو الأسلوب العلمى فى التفكير وهو كذلك من صميم الأمانة العلمية.

● إن هذه المرحلة وهى تعد أبناءها وتؤهلهم للمرحلة التالية لها تهتم بإعداد العقل كما اهتمت بإعداد الروح والخلق، بل تهتم بإعداد البدن كما سنوضح هذا فيما يلى:

● والإعداد البدنى:

تربية الجسم لا تقل أهمية عن تربية الروح والخلق والعقل، بل هى إحدى دعائم التربية للإنسان، والتوازن بين الروح والخلق والعقل والجسم هو أهم ما تسعى إليه التربية الإسلامية.

- وتعتمد تربية الجسم على ما فى الإنسان من ميل إلى النشاط الحركى البدنى فتنظمه، وتحدد أوجه نشاطه، وتنسق بين أنواعه، وتحافظ على استمراره فى هذا النشاط، مستهدفة تقوية هذا الجسم وتمكينه من اداء وظائفه على نحو أفضل.

- وتربية البدن تستهدف تعويد الإنسان على صفات سلوكية نافعة له ولغيره من الناس كالنظافة والنظام والتعاون.

---

(١) لمزيد من التوسع فى تربية الإسلام للعقل، انظر للمؤلف: التربية العقلية من سلسلة: مفردات التربية الإسلامية ـ نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- كما تستهدف تعويد الجسم على الاستمرار فى العمل والحركة، لما فى ذلك من الإقدار على ممارسة الحياة ومتطلباتها بتقبل وانشراح ورغبة فى العمل، وبالتالى تجويده وإحسانه.

- وتربية الإسلام للجسم تأخذ فى اعتبارها أن لهذا الجسم مطالب مادية هى من صميم فطرته التى فطره الله عليها، وهى تمثل حاجاته الأساسية للطعام والشراب والجنس الآخر.

- وليس فى التعبير عن هذه الحاجات ونحوها أى محاولة إشباعها ما يؤثم أو يحرج، طالما كان هذا التعبير وذلك الإشباع فى الإطار الذى شرعه الله، دون إسراف؛ لأن الله تعالى حرم الإسراف فى كل شىء دون تضييق أو حرمان؛ لأن الله تعالى لم يسمح لأحد من خلقه أن يعذب نفسه ولا أن يضيق عليها.

- والإطار الذى شرعه الله تعالى هو الحلال الطيب فى مجال الفعل والممارسة، والحرام الخبيث فى مجال الترك والامتناع.

وكل من استهان بهذا الإطار فقد أخطأ وأضر بنفسه وبغيره من الناس؛ وذلك أن الذين يطلقون للجسم العنان فى التعبير عن رغباته مخطئون كأولئك الذين يحرمون الجسم من التعبير عن حاجاته.

ومنطلق الإسلام فى تربية الجسم هو التوسط والاعتدال، وهذا هو الإطار الذى شرعه الله تعالى.

- ومن أهداف التربية الإسلامية للبدن أن يعوده على التحمل والصبر والتعفف؛ يتحمل الأعباء المادية وهو يمارس حياته، فيبذل الجهد البدنى دون كسل أو كلل، ويتدرب على الصبر على الجوع والعطش والمشقة أو التعب، ويتعود على الصبر عن شهواته، وعن كل ما يحقق له لذة مادية؛ فهذه التربية للبدن على هذا النحو هى التى تجعله قادراً على مواجهة أى متاعب أومصاعب تواجهه فى الحياة، ولابد هو مُلاَقٍ شيئًا من ذلك، فإن جاءه ذلك وجده متدربًا على تحمله.

- والتربية الإسلامية تنظر إلى هذا البدن الإنسانى نظرة متكاملة، إذ هو بدن يحوى روحًا ويحركه خلق وعقل، ولابد أن تكون هذه القوى الأربعة: الروح والخلق والعقل والبدن متعاونة يجرى فيما بينها تنسيق وترتيب، حتى يستطيع الإنسان أن يؤدى وظائفه فى الحياة على وجهها الصحيح فى الإطار الذى شرعه الله تعالى، فيعيش قوياً فاعلاً بعيداً عن أسباب الضعف والفساد.

- إن الصحة النفسية والاجتماعية للإنسان تستدعى أن يكون هناك تناسقًا وتعاونًا بين روحه وخلقه وعقله وبدنه، ليكون بذلك هو الإنسان القويم - كما خلقه الله تعالى فى أحسن ما يكون من الصفات - إذ هو قام بما أوجبه الله عليه وانتهى عما نهاه عنه، فعاش هذا الوفاق بين روحه وخلقه وعقله وبدنه، فإن هو لم يحدث هذا التوافق فأخل بما أمر الله به أو نهى عنه رُدّ إلى درجة أدنى من درجة الحيوان، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ .. ﴾ [التين: ٤ - ٦].

- وليس إعداد الجسم ليكون قويًا قوة مادية هو هدف التربية الإسلامية وحده، وإنما هذه القوة المادية وسيلة تمكن هذا الإنسان من أداء وظيفته فى الحياة؛ أن يعبد الله وفق ما شرع وأن يتعاون مع أخيه الإنسان على البر والتقوى، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، أى أن يمكن لدين الله فى الأرض.

- وما دامت مرحلة التكوين تعد أفرادها لحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله، فإن ذلك يتطلب البدن القوى، والحواس السليمة، والخلو من الأمراض والمعوقات، وهذا ما تستهدفه التربية البدنية فى المنهج الإسلامى.

وبعد: فهذا عن الإعداد وهى وسيلة من الوسائل الخاصة فى مرحلة التكوين.

فإلى الحديث عن الوسيلة الخاصة الثانية وهى: «التوظيف».

٢ - التوظيف:

فى مرحلة التكوين يعنينا أن نقصد بالتوظيف أبعادًا ثلاثة:

- **البعد الأول:**

إيجاد الوظيفة ووصفها ومعرفة متطلباتها.

- **والبعد الثانى:**

تحديد الوظيفة، أى تقسيمها بعد إيجادها، لأن الوظيفة أقسام وأنواع، ولكل منها هدف

تحاول تحقيقه، إذا وضعت فى يد من هو أهل لها.

● **والبعد الثالث:**

تحديد الفرد الذى يؤدى هذه الوظيفة، بحيث يكون قادراً على أدائها على الوجه الأحسن، وبحيث لا تكون فوق طاقاته، ولا أقل من أن تستوعب قدراته، وإلا لم تكن ملائمة له، وكان هو غير ملائم لها.

● والوظيفة فى مفهوم تربوى هى: ما قُدر للإنسان فى اليوم والليلة من طعام وشراب ورزق وعمل.

● والوظيفة فى مفهوم تربوى آخر هى: العهد والشرط، أى العهد الذى عُهِد إلى الإنسان أن يؤديه، والشرط الذى شرط عليه أثناء الأداء.

● والتوظيف عند تطبيقه فى مرحلة التكوين يعنى: إسناد العمل المطلوب - فى هذه المرحلة- إنجازه، إلى الفرد الذى تُوُسِّم فيه القدرة على القيام بهذا العمل بإخلاص وكفاءة، فى الإطار الزمنى الذى يحتاج إليه هذا العمل بدقة، وفى المكان المناسب للعمل، وفق خطة مدروسة.

وهذا التوظيف بهذا التعريف يستوجب على القائمين[1] به أن يكونوا على علم وإدراك، بل على فقه دقيق بالأمور الأساسية التالية:

١ - معرفة الهدف العام لمرحلة التكوين كلها، ومعرفة الأهداف الخاصة بكل عمل من أعمال المرحلة، سواء فى ذلك:

- الأعمال الروحية، ومتطلباتها التربوية،

- والأعمال الخلقية، وشروطها السلوكية،

- والأعمال العقلية، ومستلزماتها الثقافية،

- والأعمال البدنية، ومتلطباتها الرياضية،

- والأعمال الدعوية والحركية، وما تحتاج إليه كل منهما من قدرات وإمكانات

---

(١) المقصود بالقائمين به هم الدعاة الذين يتولون قيادة أسر التكوين وهؤلاء الدعاة يجب أن يكونوا -على أقل تقدير- قد اجتازوا مرحلة التكوين بنجاح، وأن تكون لهم سابقة خبرة فى مجالات: الدعوة الفردية، ومرحلة التعريف، والعمل المسجدى، وأن يكونوا صالحين مؤهلين لمرحلة التنفيذ.

وخبرات.

٢ – ومعرفة الإطار الزمنى الذى تحتاج إليه أعمال المرحلة، لكى يتم كل عمل فيها على وجهه الصحيح وفى زمنه الملائم، دون توسع فى الإطار الزمنى أو تضييق فيه، لما لكل من التوسع والتطبيق من آثار سلبية على العمل نفسه وعلى العاملين، بل على المرحلة نفسها، إذ قد يعوق العمل فيها عن بلوغ أهدافه فى الزمن المناسب، مما يؤخر الوصول إلى المرحلة التالية، وقد يتسبب تضييق الإطار الزمنى فى التعجل والتسارع، مما يقلل من فرص إنضاج المنضمين إلى المرحلة، واضطراب تربيتهم تربية متوازنة.

٣ – وتحديد مراحل العمل، لأن مرحلة التكوين ذات إطار زمنى طويل نسبيًا، ولذلك كان من صميم فقه التوظيف أن يقسم العمل فيها إلى مراحل زمنية معينة تحوى كل مرحلة منها جانبًا من العمل؛ حتى يتسنى للقائمين على المرحلة تقويم هذه المراحل وتقويم ما تم من أعمال، ليسهل إصلاح ما يحتاج منها إلى إصلاح وإدراك ما فات بعضه، كى لا تضيع فرصة يكون العمل أحوج إليها، والقاعدة العامة التى يجب أن يدركها كل العاملين من أجل الإسلام هى: أن ما فات أداؤه، يمكن أن لا يفوت قضاؤه، وقديمًا قال أسلافنا: ما لا يُدْرك كُلُّه، لا يُترك جُلُّه.

٤ – وتحديد الأولويات فى العمل فى هذه المرحلة بمعنى أى أعمال هذه المرحلة يجب البدء به، وما الذى يليه، وما هى الأعمال التى يجب أن يتواكب القيام بها بصورة متوازية لا متوالية؟

وفقه الأولويات بحر واسع يحتاج دائمًا إلى أن تتضافر حوله الآراء والمقترحات، وأن تؤدى فيه الشورى عملا لا يمكن الاستغناء عنه.

وكل عمل هام يستغرق زمنًا غير قصير، لابد من تحديد أولويات البدء فيه، وإلا كان الاضطراب والبعد عن الوصول إلى الهدف، وبالتالى تأخر الانتقال من مرحلة إلى التى تليها من مراحل العمل، وتأخر الانتهاء من مرحلة فى إطارها الزمنى الصحيح، ومن المسلم به أن الزمن هو وعاء العمل، وأن لكل عمل الوعاء الزمنى الملائم له.

وعلى الرغم من أهمية مرحلة التكوين بين مراحل الدعوة إلى الله؛ فإنه لا ينبغى بقاء المنضم إليها فى إطارها أكثر مما يجب، وإلا ضمرت المرحلة التالية لها بقلة عدد من يرتقون إليها.

٥ - ومن التوظيف الجيد تحديد الفرد المناسب للعمل بعد التوسم والاختبار الضروريين.

وإذا كان التوسم يقوم على فراسة المؤمن فى الموقف وفى العمل وفيمن يقوم به، وهى فراسة قد تصيب وقد تخطىء لأنها نوع من الاجتهاد، فإن الاختبار يجب أن يختبر فيمن يرشح للعمل أموراً على جانب غير قليل من الأهمية، نشير منها إلى ما يلى:

- اختبار قدرته على هذاالعمل بالذات.

- واختبار حبه للعمل وإقباله عليه.

- واختبار جديته فى أداء العمل وتحمسه له.

- واختبار وعيه لأهمية العمل الذى يناط به.

وبغير هذا التوسم والاختبار، يصبح العمل فى مرحلة التكوين ساذجًا غير مدروس؛ مما يؤدى إلى العجز عن بلوغ الأهداف.

٦ - وتحديد المكان الملائم لأداء العمل؛ فالعمل الواحد قد يؤدى فى مكان فيكون أكثر نجاحًا وفلاحًا من أدائه فى مكان آخر.

وقضية المكان فى العمل لا تقل أهمية عن قضية الزمان فيه، وكلاهما قد يتسببان فى نجاح العمل أو فشله، والعبادات فى ديننا الحنيف مرتبط بعضها بالمكان وبعضها بالزمان، وما هذا الارتباط إلا درس لنا نتعلم منه ربط كل أعمالنا بالزمان وبالمكان، وأمكنة العمل فى مرحلة التكوين كثيرة وبعضها صالح لنوع من العمل دون سواه، وتلك الأمكنة منها:

البيتُ، والمسجد، والنادى، والمدرسة، والشارع، وكل مكان يوجد فيه المنضم إلى هذه المرحلة.

وكل من هذه الأماكن له عمل من أعمال مرحلة التكوين يلائمه أو يكون أكثر ملاءمة له من مكان آخر، وهذا ما يحدده القائمون على هذه المرحلة بعد تحاور وتشاور، قبل اتخاذ القرار.

٧ - وتحديد الوسائل والأساليب التى تتخذ من أجل تحقيق أهداف هذه المرحلة؛ إذ كل عمل فى هذه المرحلة له وسيلة مناسبة له تهيىء له الفرص لكى يحقق أهدافه.

وعلى قدر تنوع الأعمال فى هذه المرحلة يكون تنوع الوسائل فيها، وكل ما نقوله فى

هذه النقطة الثانية من مرحلة التكوين هو من صميم الوسائل عندما ننهى الحديث عن الانضباط والاصطفاء من بين الوسائل الخاصة بهذه المرحلة، وربما زاد أمر الوسائل وضوحًا عندما نتحدث عن الوسائل العامة للتربية فى هذه المرحلة وفى غيرها من مراحل الدعوة إلى الله.

٨ – والتنسيق بين العاملين فى هذه المرحلة، وهدف التنسيق دائمًا فى كل عمل هو أداء العمل على أحسن وجه، لأن التنسيق يكفل للعمل كثيرًا من أسباب نجاحه، وعلى سبيل المثال:

– فإن التنسيق بين العاملين والأعمال لا يسمح لعامل أن يبقى بغير عمل، أو أن يكلف بعمل لا يطيقه.

– والتنسيق يحول بين العمل وسوء الأداء فى الزمان غير الملائم أو المكان غير الملائم.

– والتنسيق بين العاملين يوفر الجهد والطاقة التى قد تكرر دون احتياج إليها إذا فقد التنسيق.

وبعد: فهذا هو التوظيف بوصفه وسيلة خاصة من وسائل مرحلة التكوين، يكتمل الحديث عنها بعد حديثنا التالى عن باقى هذه الوسائل الخاصة بالمرحلة وهى: الانضباط والاصطفاء والله ولى التوفيق.

٣ – الانضباط:

وهذا الانضباط فى مرحلة التكوين يَعْنِى بصورة عامة: انضباط أفرادها مع متطلبات المرحلة، وإنما يكون ذلك بضبط أعمال الأفراد وأدائهم فى كل ما يتصل بهذه المرحلة، أى بإحكام إعدادهم وإحسان تكوينهم والقيام على أمورهم كلها بما يحقق أداءهم الوظيفى كاملاً.

– وهذا هو الجانب الفردى فى الانضباط، والتربية الإسلامية تهتم فى هذا الجانب من الانضباط بأن يستقيم عمل الفرد وقوله مع القيم التى جاء بها الإسلام وأن ينضبط سلوكه مع مفردات المنهج الذى جاء به الإسلام للحياة.

– وهناك انضباط من الناحية الاجتماعية، يقصد به ضبط أداء المجتمع كله وسلوكه بحيث يكون موافقًا للقواعد الاجتماعية التى جاء بها الإسلام ليقيم بها مجتمعًا إنسانيًا قادرًا على ممارسة الحياة الإنسانية الكريمة التى أقرها الإسلام للإنسان.

ودعائم المجتمع الإنسانى الذى يعمل الإسلام على إقامته أهمها ما نشير إليه فيما يلى :

١ - التعارف بين الناس عمومًا مؤمنهم وكافرهم على أمل أن يؤدى هذا التعارف إلى الدخول فى الإيمان، وهذا التعارف هدف من أهداف خَلْق الله تعالى للإنسان، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...** ﴾ [**الحجرات** : ١٣].

٢ - والتعاون بين الناس لدفع المفاسد والمضارّ، ولجلب المصالح والمنافع، لأن الله تعالى حدَّد لهذا التعاون أن يكون تعاونًا على البرّ والتقوى، قال جل شأنه : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ...** ﴾ [المائدة : ٢].

٣ - والتكافل، وهو أن يكون بين المسلمين تعاهد وتعاقد ضمنى على أن يتبادلوا الرعاية والعناية وحمل الأعباء، وهو تشريع إسلامى أوجب الله تعالى به حقوقًا لأصحاب الحاجة من المسلمين على إخوانهم الموسرين، كما يفهم هذا من قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)** ﴾ [المعارج : ٢٤، ٢٥]. وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرَّج على مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة ».

٤ - والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، أى يمكن لدين الله ومنهجه فى الأرض، وهذا الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة لا يجوز للمسلمين أن يتوقفوا عنه أبدًا، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)** ﴾ [التوبة : ١١١].

- والأصل أن ينضبط المجتمع المسلم على الالتزام بإقامة هذه الدعائم ففيها خير المجتمع فى حاضره ومستقبله - أى دنياه - وفى آخرته، وبدون هذه الدعائم يضطرب المجتمع وتكثر الجرائم ويشيع التّعادى بين الناس ويضعف المسلمون أمام أعدائهم وتنتقص أرضهم ويصبحون أذلاء تابعين لأعدائهم.

- وهذا المنهج الذى جاء به الإسلام ضبط الله تعالى به نظام الحياة الدنيا كلها، بل أكثر من

ذلك فى الانضباط، إذ جعل الله للكون كله نظامًا ضبط به حركته وسكونه وسائر ما فيه من مخلوقات، ذلك النظام هو ما سمى فى القرآن الكريم «التقدير» كما يفهم ذلك من قوله الله تبارك وتعالى: ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

- وهذا التقدير معناه: تلك القوانين والسنن الكونية التى تضبط لهذا الكون كله حركته وسكونه، وتكفل له أداء مهامه، فضلا عما تضمنته هذه القوانين من ضبط كل شىء فى حياة المسلم فى المجالات الهامة التالية:

أ - فى عقيدته وفكره،

ب - وفى إيمانه وإسلامه، وعبادته لربه سبحانه وتعالى،

جـ - وفى خلقه وسلوكه،

د - وفى معاملاته كلها وعلى كل مستوى من مستوياتها،

هـ - وفى قوله وصمته وفعله وتركه،

و - وفى مأكله ومشربه ومسكنه وملبسه، وزواجه، وبناء أسرة مسلمة،

ز - وفى كل ماله من حقوق وما عليه من واجبات،

حـ - وفى عمله فى الدعوة إلى الله، وفى الحركة بهذا الدين فى الناس وتحمل أذاهم، وفى إسهامه فى تربية غيره من الناس تربية إسلامية. وفى كل عمل يقوم به من أجل أن يمكن لدين الله فى الأرض، بالغةً ما بلغتْ تضحياته.

وبعد: فهذا هو الانضباط ثالث الوسائل الخاصة التى تسهم فى تحقيق أهداف مرحلة التكوين.

أما الوسيلة الخاصة الرابعة فهى: الاصطفاء، والذى نتحدث عنه فيما يلى.

٤ - الاصطفاء:

وهو الاختيار والانتقاء لبعض أفراد مرحلة التعريف الذين أتموا المرحلة بنجاح، وتوسم فيهم الصلاحية لمرحلة التكوين، حيث يحملون أعباء الجهاد فى سبيل الله فى المرحلة التالية لمرحلة التكوين.

- وهذا الاصطفاء يتم فى نهاية كل مرحلة لترشيح من اصطفوا للمرحلة التالية وفق معايير معينة.

- وهذه المعايير أهمها ما يلى:

أ - معيار القدرة الروحية:

أى اصطفاء الفرد الذى صفت روحه - بعد إنهائه لمرحلة التعريف - وبدا عليه أنه يحس بوجود الله تعالى فى كل ما يقدم عليه من العمل، وكان شاعراً بحب الله تعالى ومطمئناً إلى قضائه وقدره، وموقناً بمراقبة الله تعالى له، ومراقباً هو لربه فى كل ما يأتى وما يدع، مما يملأ قلبه بالخشوع والتقوى، وكان مقبلاً على الله تعالى بالنوافل وأنواع القُرُبات.

- إذا توافرت هذه الصفات فى رجل أنهى مرحلة التعريف بنجاح فإنه يختار ليلتحق بمرحلة التكوين بعد ترشيحه لها.

- ومن لم تتوفر فيه هذه الصفات، فإنه يترك فى مرحلة التعريف حتى يستكمل هذه الصفات، فيؤهل لمرحلة التكوين، دون تهاون فى شىء من ذلك، لأن الاصطفاء أمانة منوطة بالقائمين على هذه المرحلة.

ب - ومعيار القدرة الفعلية:

وهو قياس لابد منه فى هذه المرحلة وغيرها من المراحل، لأن الحاجة ماسة إليه لمعرفة مدى الاستعداد العقلى، لتحمل الأعباء العملية التحصيلية، والعملية التنفيذية فى مرحلة التكوين، إذ هى مرحلة تحصيل واستيعاب، وملاحظة وتأمل وتدبر ونظر، وإنما يتحقق ذلك بالفعل الذى توفرت فيه الصفات التالية:

- نضج يستدعى نبذ الأمور المبنية على الظن والوهم، لأننا نسلم بقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾ [يونس: ٣٦]. وجعل الأمور كلها مبنية على التثبت والتبين قبل الإقدام على تنفيذها.

- ونضج العقل بحيث لا يتسرع صاحبه فى إصدار حكم على الناس والأشياء، لأن فى هذا التسرع ظلماً للناس وفيه ضياع للحقوق وفيه مخالفة لنص القرآن الكريم فى قوله تعالى:
﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)** ﴾ [الحجرات: ٦].

– وقدرة على التدبر وعمق النظر فيما يحيط بالإنسان من مخلوقات الله تعالى لأخذ العظة والعبرة فى هذا الخلق العظيم، مما يزيد اليقين بعظمة الخالق وطلاقة قدرته، وهذا هو الشأن فى العقل المتدبر المتعمق الذى يتبين له الحق، ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...** ﴾ [**فصلت**: ٥٣].

– وقدرته على التأمل فى الحكم الكامنة وراء هذا الخلق على هذا النحو المتكامل المتناسق، المسخر لهذا الإنسان، لأن من شأن هذا التأمل أن يزيد العقل نضجًا والفكر عمقًا، والإيمان يقينًا، ومن كان كذلك فهو الذى يصلح لأن يصطفى لتلك المرحلة التى تعلو غيرها، قال الله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١)** ﴾

[**الغاشية**: ١٧ – ٢١].

جـ – ومعيار القدرة البدنية:

والقضية المسلمة فى هذا المجال هى أن العقل السليم فى الجسم السليم، فلا يسلم العقل من الخلل إلا أن يكون الجسم سليمًا من المرض والآفات، لذلك كان معيار القدرة البدنية فى اصطفاء الصالحين لمرحلة التكوين أمرًا أساسيًا بل ضروريًا؛ وذلك أنها مرحلة تعد لتحمل أعباء الجهاد، ولا يتحمل هذه الأعباء إلا من كان قوى البدن، سليم الحواس، خاليًا من الأمراض والعاهات.

– ولا يكون الإنسان ذا قدرة بدنية إلا إذا قام بعملين يكمل أحدهما الآخر، وهما:

- تجنب كل ما يضعف البدن من كيوف وإسراف فى الطعام أو السهر أو النوم، أى رفض كل ما حرم الله تعالى، والابتعاد عن كل ما يؤدى إلى هذا الحرام.
- وأخذ نفسه بأسباب قوة البدن من طعام وشراب فى غير إسراف، واهتمام بالنظافة والطهارة مادية كالالتزام بسنن الفطرة، أو معنوية كطهارة القلب من الحسد والغل والشرور.
- والتقيد بمنهج الإسلام ونظامه فى كل شىء من الحركة والسكون والنوم واليقظة، والقول والصمت والعمل والترك، إذ لا يقوى البدن ماديًا ومعنويًا إلا التقيد بأدب الإسلام ومنهجه ونظامه.

د - ومعيار القدرة على ممارسة الدعوة والحركة:

فالأصل أن يكون الاصطفاء بناءً على ذلك، لأن المسلم يعيش حياته داعيًا إلى الله، حاملاً هذا الدين، منطلقًا به في الآفاق، يوضحه ويدعو إليه ويتحمل أذى الناس في سبيله.

- إن من ينتمي إلى هذه المرحلة يجب أن تتوفر فيه صفات القدرة على ممارسة الدعوة إلى الله والحركة بهذا الدين، وهي في جملتها ما نشير إليها فيما يلي:

● البصيرة بما يدعو إليه، وهي العلم الملائم بالكتاب الكريم والسنة والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية العطرة.

● والبيان الجيد القادر على الوصول إلى قلوب المدعوين وعقولهم، ومما يساعد على ذلك أن يتمثل في سلوكه وعمله كل فضيلة يدعو إليها، وأن يكون الإخلاص لله هو رائده في دعوته وحركته.

● والعلم المناسب بتاريخ الأنبياء عليهم السلام، وتاريخ دعوتهم إلى الله تعالى، وأن يكون هذا العلم موثقًا، ولا أوثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فليحرص على الصحبة والمدارسة مستمرة لهذين المصدرين العظيمين.

● والعلم المناسب بتاريخ الإسلام وتاريخ رجال الدعوة والإصلاح فيه، وبخاصة المجددون على رأس كل قرن.

● والعلم الملائم بحاضر العالم الإسلامي، وبأهم قضاياه.

● والعلم المناسب بمتطلبات الداعية إلى الله وأبرز صفاته[1].

● والعلم المناسب بظروف المدعوين[2].

هذا من فقه الدعوة إلى الله،

أما عن فقه الحركة بالإسلام بين الناس، فيجب أن تتوفر فيمن يُصطفى لهذه المرحلة صفات بعينها، من أهمها ما نتحدث عنه فيما يلي - على وجه الإجمال أيضًا -:

● الرغبة في الاختلاط بالناس، وفي عقد صلات المودة بينهم.

---

(١) لمعرفة ذلك: انظر للمؤلف كتابه الموسع (فقه الدعوة إلى الله)، الباب الثاني، فقه الداعي إلى الله، مرجع سابق، نشر دار الوفاء بمصر ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) انظر المرجع السابق: الباب الثالث، فقه المدعوين.

• والرغبة فى تقديم الخير والخدمات لهم؛ حسبة لوجه الله تعالى.

• والقدرة على جذب الناس إلى الحق والخير والهدى، والقدرة على التأثير فيهم.

• والقدرة على الصبر عليهم مهما بدا منهم من مضايقات، أسوة برسول الله ﷺ فى رحمته بمكذبيه ومعانديه؛ أى من منطلق قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه «... وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزا...» وما رواه أحمد والبخارى[1] ومسلم بأسانيدهم عن عائشة رضى الله عنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة... فنادانى ملك الجبال فسلّم على ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال قد بعثنى الله عز وجل لتأمرنى بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبى ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئًا».

• والقدرة على معرفة ما بين المدعوين من فروق عقلية وثقافية واجتماعية، للتعامل مع كل بما يناسب ظروفه.

• والقدرة على تصنيف الناس بحيث يضع المتجانسين بعضهم مع بعض ليسهل جمعهم على منهج واحد.

• والقدرة على توفير احتياجات كل مجموعة بما يلائمها من العلم والعمل، بحيث لا يكلف أحدًا بما لا يستطيع.

• والقدرة على الاستمرار فى رعاية هؤلاء المدعوين، والسير بهم فى طريق التقدم والرقى فى مجالات الدعوة والحركة.

هـ- ومعيار القدرة على الإنتاج:

وذلك أن المفروض فيمن ينتمى إلى مرحلة التكوين أن يكون قد استطاع ضم فرد أو أكثر لصفوف العمل من أجل الإسلام عمومًا، أو إلى صفوف مرحلة التعريف، أو إلى مجال الدعوة الفردية، فهو قد اجتاز مرحلة التعريف بنجاح، وربما كان قد اتخذه بعض الدعاة مجالاً لدعوة فردية، فلديه خبرة فى هذين المجالين، ومعنى ذلك أن صفات بعينها يجب أن

---

(١) رواه البخارى فى تاريخه أيضًا، وفى صحيحه فى باب بدء الخلق، وللحديث بطوله روايات أخر.

تتوفر فيمن يرشح لمرحلة التكوين، من أهمها ما نشير إليه فيما يلى :

- الإيجابية والقدرة على العمل، والقدرة على الاستمرار فى الإيجابية والعطاء دون ملل أو فتور.
- والتحمس للعمل الذى يقوم به؛ أى حبه والتفنن فى أدائه على أحسن وجوهه.
- والإحسان والتجويد لكل عمل يقوم به، استجابة لما أمر الله تعالى وكتبه من الإحسان على كل شىء.
- وأن يكون له بالناس نوعان من العلاقة.

– علاقة حميمة ببعض من يصطفى منهم.

– وعلاقة حسنة بهم جميعًا.

- وأن يكون على فقه بالدعوة والحركة والتنظيم والتربية، ومعرفة دقيقة بهذا العمل، ومدى أهميته فى التمكين لدين الله فى الأرض .

وبعد : فهذه بعض معايير الاصطفاء التى تراعى فيمن يرشح لمرحلة التكوين ممن اجتازوا مرحلة التعريف بنجاح.

وإلى كلمة عن الوسائل العامة التى تسهم فى تحقيق أهداف المرحلة، والله المستعان.

ثانياً :

الوسائل العامة فى مرحلة التكوين

اقصد بالعموم هنا أن هذه الوسائل تطبق على أفراد عديدين، لا فرد واحد كما كان الشأن فى الوسائل الخاصة من إعداد وتوظيف، وانضباط واصطفاء ـ وهذا اصطلاح لا مشاحة فيه ـ وعلى الرغم من أن هذه الوسائل ـ التى سأتحدث عنها هنا ـ عامة، فإنها خاصة بالجماعة، بل تُعد من أخص وسائلها التربوية .

● وهذه الوسائل التربوية العامة فى ذاتها، الخاصة فى عرف الجماعة وعرف المرحلة التكوينية ذات الطبيعة الخاصة ـ كما أشرنا إلى ذلك آنفًا ـ هذه الوسائل قادرة على تحقيق أهداف المرحلة التى عبرنا عن مجملها فى هدفين هما :

– تقوية الروح حتى لتشبه روح المتصوف،

– وتقوية الناحية العملية فى الفرد حتى لتشبه النظام العسكرى.

هذه الوسائل هى فى إجمال :

نظام الأسرة، لتقوية الروح والناحية العملية،

ونظام الكتيبة، لتقوية الروح،

ونظام الرحلة، لتقوية الناحية العملية،

ونظام الدورة، لتقوية الناحيتين معًا، والجانب الثقافى بخاصة،

ونظام الندوة، لتقوية الجانب الثقافى فى الناحية العملية،

ونظام المخيم، لتقوية الناحيتين معًا .

ونظام المؤتمر، لتقوية الناحيتين معًا وربط الأعضاء بقضايا الوطن المحلى، والوطن العربى، والوطن الإسلامى، وقضايا العالم كله الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

● وسوف أكتفى هنا بإشارة عابرة إلى كل وسيلة من هذه الوسائل اكتفاء بما قمت به فى هذا المجال من إعداد كتاب خاص عن هذه الوسائل سميته : « وسائل التربية عند الإخوان المسلمين »[1]، فمن أراد مزيداً من المعرفة فليقرأ هذا الكتاب .

---

(١) نشر دار الوفاء بمصر : ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

وفى هذه الإشارات إلى تلك الوسائل نقول:

١ - نظام الأسرة:

وهو نظام تربوى محكم، يتم على يد شيخ مجرب هو النقيب، يستهدف بناء الشخصية المسلمة بأسلوب يجمع بين أنواع التربية النظرية والعملية والتدريبية والتقويمية، أى أنه نظام متكامل، أثبت نجاحًا فى تحقيق الأهداف.

- ونظام الأسرة يقوم على أركان ثلاثة هي: التعارف والتفاهم والتكافل، وهو نظام تحكمه شروط وآداب، وله برنامج دقيق ومدى زمنى معروف، ونقيب، وعدد محدود من الأفراد.
- ونظام الأسرة هو قطب العملية التربوية فى مرحلة التكوين؛ لما يتمتع به من استهداف تكوين الشخصية المسلمة المتكاملة، أى الناضجة روحيًا وخلقيًا وعقليًا وبدنيا ودينيًا، وإسلاميًا، واجتماعيًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، وجماليًا، وجهاديًا.
- ونظام الأسرة نظام يجب أن يكون مستمرًا؛ أى لا يتوقف أبدًا، حتى لو وجدت الحكومة الإسلامية التى تطبق شرع الله؛ لأن الحاجة تظل ماسة إلى تكوين الشخصية المسلمة المتكاملة البناء، لتسهم فى بناء المجتمع المسلم المستمر فى التغير والتأثر.

٢ - ونظام الكتيبة:

والكتيبة مصطلح لدى الجماعة يعنى تجميع عدد من الأفراد يبلغ أربعين فردًا، من أعضاء أسر التكوين، بحيث يكون لهم فى هذه العضوية سبق وتفوق، والتزام.

ويقود هذه الكتيبة أقدم نقباء الأسر الحاضرة لهذه الكتيبة، ويختار من يعاونه من النقباء الآخرين الذين يحضرون الكتيبة.

- وتستهدف الكتيبة بالدرجة الأولى إنضاج الجانب الروحى فى الفرد بتقوية صلته بالله تعالى، وإحياء معنى الجهاد والمجاهدة فى النفوس، كما تستهدف توثيق روابط الأخوة فى الله، وتعويدهم الانضباط والطاعة فى النوم واليقظة، والطعام والشراب، والاجتماع على ذكر الله تعالى.
- وللكتيبة - كما للأسرة - أركان وشروط وآداب وبرنامج وإطار زمنى وقائد ومساعدون[١].

---

(١) انظر المرجع السابق.

٣ - ونظام الرحلة:

وهو نظام يخص الجماعة، إذ يختلف عن نظام الرحلات الذى يعرفه الناس.

- والرحلة تجميع لعدد من أفراد أسر التكوين، غالبًا ما يكون عشرين فردًا، والتوجه بهم إلى مكان خلوى خارج المدينة.

ويقود الرحلة أقدم النقباء الموجودين فى الرحلة، وله أن يختار من النقباء المشاركين من يعاونه.

- وتستهدف الرحلة بالدرجة الأولى تقوية البدن، والترويح عن النفس بالتريض، والتدريب على بذل المجهود البدنى والتدريب على الصبر والاحتمال للجوع والعطش والتعب عمومًا، كما تدرب على الإدارة، والتعاون مع الآخرين، والخروج عما ألفه الأفراد من الحياة الرتيبة التى تخلو فى العادة من التريض.

- وتستهدف الرحلة وراء ذلك التعرف الدقيق على أفراد أسر التكوين المشاركين فى الرحلة، ورفع مستوى القدرات البدنية والرياضية والتعاونية، فهى تخدم الناحية العملية بما يشبه النظام العسكرى فى الحسم والصرامة والطاعة.

- وللرحلة - كغيرها من الوسائل - أركان وشروط وآداب، وبرنامج ووعاء زمنى، وقائد ومساعدون(١).

٤ - نظام الدورة:

وهو تجميع لعدد كبير من أسر التكوين، أكثر ما يكون عدده أربعين فردًا فى الغالب، وتعقد الدورة فى فترات زمنية دورية ربع سنوية أو نصف سنوية، أو كلما دعت الحاجة إليها.

- وتستهدف الدورة - فى الأصل - تقوية الجانب العملى فى الأفراد من خلال تعميق الفكر والثقافة، وتعميق العلم ومفاهيمه وقضاياه، بطرح موضوعات لها أهميتها علميًا وعمليًا وإداريًا، وفى الغالب يكون موضوع الدورة من الموضوعات التى يوصى بها عدد من القادة الذين يحسون بالحاجة إلى مدارسة هذا الموضوع.

- ويشارك فى الدورة بالمحاضرة والمدارسة والبحث أهل التخصص فى الموضوع الذى وقع

---

(١) انظر المرجع السابق.

عليه الاختيار.

ويدير الدورة ويضع لها البرنامج وينظمها عدد من النقباء، يشترط أن يكون أحدهم على الأقل من أهل الاختصاص بموضوع الدورة التى تجرى حوله المدارسة.

● وللدورة - كغيرها من هذه الوسائل - أركان وشروط وآداب وبرنامج، وإطار زمنى، ومدير ومساعدون(١).

٥ - نظام الندوة:

وهى تجميع لعدد من أفراد أسر التكوين، يدعى إليه كل من كان فى هذه الأسر حتى لو كان مبتدئًا فيها، وربما دعى إليه أفراد من مرحلة التعريف.

● وتستهدف الندوة إنضاج الرأى حول موضوع بعينه، تكون له أهمية فى مجال العمل من أجل الإسلام، كما تستهدف تيسير الثقافة وتبسيطها، وتعليم الناس أدب الحوار والمناقشة، وقيمة الرأى فى مواجهة الرأى الآخر.

كما تستهدف معرفة الآراء المتعددة حول الموضوع الواحد، وكيفية علاج هذا الموضوع، وتكوين رأى عام حول موضوع بعينه فى بيئة بعينها، مع تكوين آراء خاصة فى تطوير العمل أو تحسينه.

● وموضوع الندوة يكون من الموضوعات التى تشغل المسلمين فى وطنهم المحلى، أو فى العالم الإسلامى، أو العالم كله مادام الموضوع يمثل اهتمامًا خاصًا عند المسلمين.

● ويستضاف للمشاركة فى الندوة عدد من العلماء والباحثين، حتى لو لم يكونوا على صلة بالجماعة إن كان قد عرف عنهم الموضوعية فى البحث وتقديم البراهين.

● وللندوة - أيضًا - أركان وشروط وآداب، وبرنامج ووقت مُحدَّد، ومدير ومساعدون(١) ويديرها أحد النقباء المشغولين بالدراسة حول موضوعها.

٦ - ونظام المخيم «المعسكر»:

وهو تجميع لعدد كبير من مختلف المناطق أو البلدان المهتمة بالعمل من أجل الإسلام، المهمومة بإحدى القضايا فى العالم الإسلامى.

---

(١) انظر المرجع السابق.

● وهذا التجمع لهذا العدد الكبير يكون على مستويات معينة بالنسبة للمدعوين:

- فقد يكون على مستوى عامة الناس.

- وقد يكون على مستوى المقربين من العاملين فى الحقل الإسلامى،

- وقد يكون على مستوى مجموعات مرحلة التعريف،

- وقد يكون على مستوى أسر التكوين،

- وقد يكون على مستوى القادة فى قطر من الأقطار،

- وقد يكون على مستوى قادة العمل من أجل الإسلام فى قارة من القارات، أو العالم

● ويستهدف المخيم التربية العملية أساسًا، أى أن يطبق الأفراد فى المخيم الإسلام تطبيقًا عمليًا على مدى اليوم والليلة، يصبغهم بصبغة إسلامية فى طعامهم وشرابهم ونومهم ويقظتهم وأمرهم كله، وتعويد المشاركين فى المخيم على التعاون والإيجابية، وتحمل المسئولية.

● كما يستهدف المخيم فى الجانب الثقافى من أهدافه دراسة تاريخ الحركة الإسلامية فى أقطار عديدة، وتدريب عدد من الأفراد على القيادة لنوع أو أكثر من أنواع العمل فى المخيم.

● ويتولى إدارة المخيم أحد القادة للعمل الإسلامى على مستوى أكبر من النقيب، ويعاونه فى ذلك عدد من المسئولين يختارهم بعناية من النقباء وأمثالهم، ليتولى بعضهم مسئولية النظام والإدارة، وبعضهم مسئولية مسجد المخيم، والنواحى الثقافية، وبعضهم مسئولية الرياضة البدنية، وبعضهم مسئولية الطعام والنوم واليقظة وغير ذلك من برامج اليوم والليلة.

● وللمخيم كذلك أركان وشروط وآداب، وبرنامج وإطار زمنى، ومدير ومساعدون(1).

٧ - ونظام المؤتمر:

وهو تجميع يدعى إليه عدد أكبر من الناس من مختلف المناطق أو البلدان المهتمين بالعمل من أجل الإسلام، بشرط أن يغلب على جميع المدعوين أن يكونوا من المثقفين المهتمين

---

(١) انظر المرجع السابق.

بقضايا المسلمين عموماً.

● والمدعوون إلى المشاركة فى المؤتمر يكونون على مستويات عديدة على نحو ما فصلنا فى مستويات من يحضرون المخيم، غير أننا هنا نركز على المدعوين إلى المؤتمر من أفراد أسر التكوين، لأن القصد من حضورهم المؤتمر أن يعيشوا قضية من القضايا التى تشغل العالم الإسلامى.

● ويستهدف المؤتمر جمع أكبر عدد من أفراد أسر التكوين لزيادة إنضاجهم على مستوى القضايا الهامة فى العمل الإسلامى.

– كما يستهدف جمع أكبر عدد من الباحثين والعلماء المختصين فى القضية أو القضايا المطروحة في المؤتمر، من أجل أن تحلل هذ القضية أو القضايا المطروحة على المؤتمر تحليلا علميًا جيداً.

– ومن أبرز أهداف المؤتمر تأصيل حرية الرأى، وتعميق احترام الرأى الآخر، وتثبيت الشورى بين المشاركين جميعاً.

– كما يستهدف المؤتمر التقريب بين أرجاء العالم الإسلامى المترامى الأطراف، عن طريق الاهتمام بقضية في قطر من أقطار العالم الإسلامى على مستوى أقطار إسلامية أخرى، فإن ذلك مما يوثق روابط الأخوة الإسلامية، والوحدة الإسلامية بل الدولة المسلمة الموحدة.

● وللمؤتمر – كغيره من وسائل التربية فى الجماعة – أركان وشروط وآداب وبرنامج، وإطار زمنى، ولجان، وإعداد إدارى، وتنظيم دقيق، وله رئيس ومساعدون[1].

وبعد:

فهذه هى الوسائل الخاصة والعامة فى مرحلة التكوين، وهى فى مجموعها قادرة – بعد تجارب عديدة – على تحقيق هدفى المرحلة الكبيرين وأهدافها التفصيلية المندرجة تحت هذين الهدفين؛ نرجو أن نكون قد وفقنا فى توضيحها بفضل من الله تعالى.

---

(١) انظر المرجع السابق.

د - مكانة الطاعة فى مرحلة التكوين

نود أن نذكر هنا بما قاله الإمام البنا عن الطاعة فى هذه المرحلة، حيث قال: « . . . ونظام الدعوة فى هذه المرحلة صوفى بحت من الناحية الروحية، وعسكرى بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائماً؛ «أمر وطاعة» من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج.

وتمثل الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج سابقًا، وهذه الرسالة الآن.

والدعوة فيها خاصة لا يتصل بها إلا من استعد استعداداً حقيقياً لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات.

وأولى بوادر هذا الاستعداد؛ «كمال الطاعة . . ».

● وبعد هذه التذكرة التى كانت ضرورية؛ لأننا سوف نشرح هذا النص شرحًا يوضح مقاصده، نود أن نوضح عدداً من الحقائق المتصلة بالطاعة فى هذه المرحلة والله الموفق.

أولى هذه الحقائق:

إن المنتمين إلى هذه المرحلة قد اصطفوا ممن أتمُّوا المرحلة السابقة، اصطفوا وفق معايير دقيقة وعديدة، مما نستطيع معه أن نقول: إنهم صفوة العاملين فى مجال العمل من أجل الإسلام، إذ على أكتافهم وسواعدهم يقوم أهم عمل من أجل الإسلام وهو تكوين المسلمين الصالحين لحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

وهم بهذا الوصف أولى بالطاعة بل بكمال الطاعة مِنْ سواهم من العاملين من أجل الإسلام.

تلك هى الحقيقة الأولى.

والحقيقة الثانية:

أن هؤلاء الناس قد اصطفوا ليدخلوا فى هذه المرحلة لتكوينهم تكويناً إسلامياً شاملاً، يتناول كل جانب من جوانب حياتهم، ليصبغه بصبغة الإسلام.

ومن الواضح أن لهم فى هذه المرحلة قيادات – على المستوى المطلوب من القيادة فى هذه المرحلة – وهذه القيادات فى تلك المرحلة لا تستطيع أن تمضى في طريق تحقيق أهدافها إلا بأن تصدر بعض الأوامر، فلابُدّ إذن أن تقابل هذه الأوامر بالطاعة من كل فرد من أفراد هذه المرحلة.

الحقيقة الثالثة:

إن المنتمين إلى هذه المرحلة يُعَدُّون – وفق المعايير الدقيقة التى أشرنا إليها آنفًا – من الإخوان العاملين.

والإخوان العاملون هم قوة الجماعة الدافعة الفاعلة، فهم عدة الجماعة وعتادها فى مختلف مجالات العمل من أجل الإسلام، أى فى الدعوة والحركة والتربية والتنظيم.

ومن المسلَّم به، المتعارف عليه فى صفوف الجماعة أن السَّمْت المعروف عن هؤلاء الإخوة هو الطاعة الكاملة، والاستجابة السريعة لكل ما يصدر إليهم من أوامر من قيادتهم.

وليس لأحد أن يتصور أن إخوان مرحلة التكوين – الإخوان العاملين – يمكن أن يتخلوا عن الطاعة، إذ لو فعلوا لفقدت الجماعة كيانها كله.

الحقيقة الرابعة:

إن الطاعة الواجبة فى هذه المرحلة تعد ترجمة عملية لفقه الدعوة وفقه الحركة وفقه التنظيم وفقه التربية.

وكل إخلال بالطاعة فى هذه المرحلة إخلال بهذا الفقه، ودلالة على أن هذا الفقه لم يحدث، وأن زمنًا إضافيًا يجب أن يراعى لكى يصل الأفراد إلى هذا الفقه، أى إلى تلك الطاعة.

ومن نافلة القول أن نقرر أن الطاعة فى هذه المرحلة هى الوقود أو الطاقة التى تحرك عجلة العمل، وتدفع بالدعوة وبالعاملين فى كافة مجالاتها إلى التقدم، وتضمن لهم الاستمرار فى هذا التقدم.

الحقيقة الخامسة:

إن الطاعة فى هذه المرحلة، بل وفى كل مرحلة مشروطة بشرطين:

أحدهما:

أن تكون فى طاعة الله، إذ لا يملك أحد فى الإسلام – مهما تكن مكانته – أن يأمر

بمعصية الله، فإن فعل لم تجز طاعته، لما سبق أن قدمنا من أحاديث نبوية شريفة تؤكد أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

والآخر:

أن تكون الاستجابة في إمكان الطائع المستجيب، فإن أُمر بما ليس في استطاعته، فلا طاعة للآمر، لما سبق أن أوضحنا من أن نص القرآن الكريم يقرر ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا...﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وإلى شرح هذا النص وبيان مكانة الطاعة في هذه المرحلة.

«ونظام الدعوة في هذه الرحلة صوفي بحت من الناحية الروحية»:

شرحنا هذه العبارة من قبل ووضحنا معنى الصوفية ومكانها من تكوين الفرد المسلم.

ونذكر هنا بأبرز الصفات التي يجب أن تتوفر في الأفراد الذين يطيعون ما صدر إليهم من أوامر في هذه المرحلة، وهي:

- صفاء الروح وخلوصها من الشوائب، أي من كل ما يحول بينها وبين الله تعالى، وقد قال أسلافنا رحمهم الله: «الصوفي هو الذي صفا من الكَدَر، وامتلأ من الفِكَر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر، والحرير والوبر».

- واجتماع العمل مع العلم، لأن تلك هي الوسيلة لأن يفتح الله له باب الموهبة؛ فقد قال الأسلاف رحمهم الله: «أول التصوف علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة من الله تعالى».

- وقوة الاتصال بالله تعالى عن طريق التنقل بالطاعات. دون أن يحس أحد بهذا التنقل، فقد قال الجنيد - من أهل القرن الثالث[1]، وهو قرن من خير القرون كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ - قال: «الصوفية هم القائمون من الله تعالى، بحيث لا يعلم قيامهم إلا الله تعالى».

- والصبر بكل أنواعه؛ الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي، والصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، والصبر على الأمر الصادر إليهم مهما كلفهم مادام ذلك في

---

(١) الجنيد هو: محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز المتوفى سنة ٢٩٧هـ: صوفي من العلماء بالدين، قال عنه ابن الأثير: إمام أهل الدنيا في زمانه، وقد عده العلماء؛ شيخ التصوف. لضبط مذهبه بقواعد الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقالوا: كان مذهبه في التصوف مصونًا من العقائد الذميمة، محميًا من شُبه الغلاة.

إمكانهم، وقد قال أسلافنا رحمهم الله: التصوف هو الصبر تحت الأمر والنهى، وهو ترك الاختيار.

– والجد والاجتهاد، فهم فى مكان من الدعوة يلزمه الجد والاجتهاد، ولا يقبل فيه تراخ، فضلاً عن تكاسل، فضلاً عن هزل، وقد قال الشريف الجرجانى[1]: «التصوف مذهب كله جد، فلا تخلطوه بشيء من الهزل»[2].

ومرحلة التكوين أولى المراحل التى يلزمها الجد والاجتهاد، وإن كانت جميع المراحل ما ينبغى أن تخلو من الجد والاجتهاد.

● فمرحلة التكوين التى تضم هؤلاء الإخوان العاملين، نظامها صوفى بحت من الناحية الروحية، وبغير هذه الصفات التى ذكرنا لا يستطيع أبناء هذه المرحلة أن يمارسوا عملهم بنجاح أو فاعلية.

«وعسكرى بحت من الناحية العملية»:

أى أن نظام الدعوة فى مرحلة التكوين من الناحية العملية التطبيقية أشبه ما يكون بالنظام العسكرى - كما أوضحنا ذلك من قبل -.

ونذكر هنا بأبرز الصفات التى يجب أن تكون فى الأفراد المنتمين إلى هذه المرحلة من الناحية العملية، وهى التى تشبه النظام العسكرى وهى:

– التنظيم الدقيق المتسلسل فى قياداته، إذ هو نظام هرمى يبدأ بالقاعدة العريضة ويظل فى تصاعده، حيث ينتهى بالقمة وهو القائد العام، ومعنى ذلك أن يُتَلَقَّى الأمر من القيادة المباشرة، وأنه ليس لقيادة أن تتخطى قيادة دونها أو فوقها، وإنما هو النظام المتسلسل الدقيق.

---

(١) هو على بن محمد بن على المعروف بالشريف الجرجانى ولد سنة ٧٤٠هـ وتوفى سنة ٨١٦هـ، ولد فى تاكو، ودرس فى شيراز، وأقام فيها إلى أن توفى، من كبار علماء العربية، وله باع طويل فى الفلسفة، له مؤلفات كثيرة تبلغ الخمسين منها: التعريفات، وشرح السراجية فى الفرائض، والحواشى على المطول للتفتازانى، وهذه الثلاثة مطبوعة.

(٢) الشريف الجرجانى: التعريفات، ط مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٧م.

– والانضباط، بمعنى أن كل واحد مطالب بأداء واجباته كاملة، وله فى مقابل ذلك حقوق معروفة لا ينازعه فيها أحد؛ الواجبات نحو القيادة الأعلى ونحو من يرأسهم، وكذلك الحقوق نحو هؤلاء وأولئك، الانضباط فى الكلام والصمت، وفى العمل والترك، وفى الواجب والحق.

– والطاعة لقائده المباشر، فى كل ما يصدر إليه من أوامر، بشرط أن تكون فى غير معصية لله، وأن تكون فى حدود ما يستطيع المأمور، إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

– والإخلاص فى أداء الواجبات جميعًا، بوازع ذاتى، لا يحتاج إلى رقابة أو متابعة، لأن الفرد مؤمن بأن الإخلاص فى الواجبات أصل من أصول التدين، لا يتخلى عنه مسلم، فضلاً عن رجل فى مرحلة التكوين.

● تلك هى مدلولات كلمة العسكرية التى استعارها الإمام البنا من أصلها ليتعامل بها فى مجال مرحلة التكوين، فقال: إن نظام الدعوة فى هذه المرحلة عسكرى بحت من الناحية العملية أى:

منظم بدقة،

ومنضبط فى كل شىء،

وتسيطر عليه الطاعة للقائد،

ويشمل الإخلاص كل أموره.

تلك هى الناحية العملية فى كلمات وهى العسكرية البحتة، وكانت الناحية الصوفية كما أوضحنا آنفًا.

ويقول الإمام المؤسس: «وشعار هاتين الناحيتين دائمًا: أمر وطاعة من غير تردد، ولا مراجعة، ولا شك، ولا حرج».

أى شعار الصوفية البحتة، وشعار العسكرية البحتة؛ أمر وطاعة.

وشعار التربية الروحية فى مرحلة التكوين؛ أمر وطاعة.

وشعار التربية العملية فيها؛ أمر وطاعة أيضًا.

ولتوضيح ذلك نقول:

– المتصوف ما لم يطع شيخه – الذى لا يأمره إلا بخير– فلا تصوف ولا صفاء، ولا صبر

تحت النهى والأمر، ولا جدّ، ولا تحلى بالفضائل ولا تخلى عن الرذائل، ولا قيام مع الله، ولا إعراض عن الاعتراض، ولا وقوف مع الآداب الشرعية!!!

- والعسكرى ما لم يطع قائده - الذى لا يأمره بمعصية - فلا جندية إطلاقًا، ولا تنظيم، ولا انضباط، ولا طاعة، ولا إخلاص، بل أقول لا تصوف أيضًا لانتفاء الصبر على الأمر والنهى وترك الاختيار، وكيف يتصور الأمر أو تكون له قيمة إن لم تكن معه طاعة؟

نوع الطاعة المطلوبة فى مرحلة التكوين

● وهذه الطاعة المطلوبة - فى مرحلة التكوين- فى ناحيتيها الصوفية والعسكرية، ليست مجرد طاعة، وإنما هى طاعة مشروطة ومقيدة وموصوفة بصفات أربع تلا تفارقها وهى:

الأولى: خلوها من التردّد:

والمتردد هو الذى لا ينفذ الأمر فى التّوّ واللحظة، أى فور سماعه الأمر، لأن ذلك شأن الصوفى مع شيخه، والجندى مع قائده؛ لأن التردد قد يضيع المقصود من الأمر أو يضيع بعض هذا المقصود، وتلك أبسط آفات التردد.

إن الآمر لا يأمر - فى الغالب - إلا وهو يريد الامتثال فى الحال، لأنه يختار لحظة الأمر بدقة وعناية، لأنه شيخ مجرب، وقائد محنك.

● والتردد فى تنفيذ الأمر يتضمن دلالة على عدم حب الشيخ المربى، وعدم احترام القائد، وفى هذا وذاك إساءة لهما، لا تليق بمرحلة التكوين ولا بأى مرحلة من مراحل الدعوة. ولا تليق بصوفى ولا بجندى!!!

● والتردد فيه تخاذل لحظى من المتردد، وهذا التخاذل أو الانخذال يتضمن عدم الثقة فى الشيخ والقائد، وهى صفة لا تليق ولا تجوز من رجل عاهد على السمع والطاعة فى العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثره عليه، كما جاء ذلك فى الحديث الشريف الذى ذكرناه آنفًا.

● والتردد، ينطوى على تعويق للعمل، وتفويت لأى مصلحة تترتب على التنفيذ الفورى، وما دام أمرًا فهو يقتضى التنفيذ والفورية، وإلا كان قد جاء على صيغة غير الأمر كالرجاء ونحوه، فالمتردد يفوت المصالح ويعوق العمل.

فكان لابد أن تكون الطاعة بغير تردد.

والثانية: خلو الطاعة من المراجعة:

والمراجعة فى أى أمر تعنى إعادة النظر فيه، ومجادلة الأمر، مع رغبة فى أن يشاور المراجع الآمر فيما أمَر، أى أن يشاركه فى إصدار الامر، وفى هذا من الفوضى ومن الافتيات على حق الآمر فى الأمر ما فيه، ولو كانت الطاعة مصحوبة بالمراجعة لما كانت هناك طاعة على الوجه الذى يحقق المصلحة.

- والمراجعة فى الأمر تعنى عدم الاقتناع به، بدليل أن المرجع يحب أن يعيد النظر فى الأمر، وإعادة النظر فى الأمر تعنى أن الآمر لم يدرس ما أمر به، وأن الأمر على هذه الصورة غير جدير بالطاعة، وفى هذا من الافتيات على القيادة ما فيه، وفيه من تفويت المصلحة ما فيه، وفيه من نفى الطاعة ما فيه.
- والمراجعة - مثل التردد - فيها دلالة على أن المراجع غير مقتنع بشيخه أو قائده وهذا ينفى الحب للشيخ والاحترام للقائد، وإذا فقد الحب للمربى والاحترام للقائد فكيف تكون عملية التربية؟ وكيف تستقيم مرحلة التكوين وهى المرحلة التى تحفل بالتربية والإعداد أكثر من غيرها من المراحل؟
- والمراجعة من التلميذ لشيخه ومن الجندى لقائده، قد تترك فى نفس الشيخ أو القائد إحساسًا بتقاعس التلميذ أو الجندى عن التنفيذ الفورى للأمر، وعندما يحس بذلك فإنه يعمل على إزالة ما فى نفس المراجع عن أسباب أدت به إلى المراجعة، وفى هذا من تكرار الجهد وتضييع الوقت ما فيه.
- والمراجعة تتضمن أكثر من هذا كله وأسوأ؛ إذ تتضمن جهل المراجع بخطوات اتخاذ الأمر، وهى خطوات معروفة لا يحيد عنها شيخ أو قائد، إذ لابد أن يكون الأمر قد سبقته دراسة وأخذت فيه الشورى - على نحو ما سنوضح بعد قليل - وهذا الجهل يعنى أن المراجع لم يحقق ركن الفهم وهو أول أركان البيعة.

وكل ما قدمنا هنا يعنى أن تكون الطاعة بغير مراجعة.

والصفة الثالثة: خلو الطاعة من الشّك:

والشك فى الأمر: ارتياب والتباس فيه، وهو حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات

والنفى، ويتوقف عن الحكم.

والشاكّ كأنه يقول لنفسه عندما يصدر الأمر إليه: لا أدرى إن كان هذا الأمر صحيحًا فأنفذه أو غير صحيح فأتوقف عن تنفيذه.

والشاكون فرقة تعرف عند المسلمين، أوعند الفلاسفة المسلمين «باللا أدرية»؛ أى الذين يترددون بين إثبات الحقائق أو إنكارها، بقول لا أدرى.

● والشك في الأمر يعني أن هذا الأمر لم يستوثق فيه الآمر به، بدليل أن المأمور به يشك فيه، فهو أمر ليس محلا للثقة.

● وفى هذا الشك فى الأمر إساءة إلى الشيخ وإلى القائد، وهذه الإساءة تنفى الطاعة من أساسها، وتجعل المنضم إلى مرحلة التكوين أبعد ما يكون عن الاستقامة على طريق التكوين، مادامت قد نفت عنه الطاعة.

● والشك فى الأمر كالمراجعة فيه والتردد فى قبوله، وكل ذلك يؤدى إلى عدم تنفيذ الأمر على وجه الفورية والثقة، وفى هذا وذاك تفويت للمصالح وتعويق للعمل من أجل الإسلام، وكيف يكون صوفيًا أو جنديًا من كانت هذه صفته؟

وأى مشيخة او أستاذية أو قيادة تلك التى تُؤْخَذ اوامرُها بالشك والتشكك؟

والصفة الرابعة: خلو الطاعة من الحرج:

والحرج ضيق الصدر بالأمر، وضده سعة الصدر بالأمر وتقبله، وفى القرآن الكريم إشارة إلى هذا الضيق فى قول الله تعالى: ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ...** ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

● ومن نفذ الأمر وهو ضيق الصدر به، فإنه يفقد الانشراح للعمل ولذة السعادة بادائه، وهى لذة عميقة قوية لا يعرف مذاقها إلا الطائعون، ومع الحرج والضيق بالأمر لا تكون هناك طاعة.

● والحرج المصاحب للطاعة يعنى أن الطائع ينفذ الأمر وهو منه فى حرج؛ أى أنه لو ترك لرغبته لآثر عدم التنفيذ، وفى هذا من ضياع الأجر على الطاعة ما فيه!!!

● والطاعة مشروطة - كما جاء فى الحديث الشريف - بأن تكون فى العسر واليسر والمنشط

والمكره، وهذا معناه ألا تكون الطاعة مصحوبة بأى حرج عند التنفيذ، لأن الحرج ينفى عن المطيع الصراحة والوضوح أى الإخلاص، ومن فقد الإخلاص فقد الأجر.

- والطاعة المصحوبة بالحرج من الآمر تعنى أن المطيع ينفذ الأمر وهو محرج من الآمر أن يغضبه، وفى هذا ما فيه من مراعاة المخلوق ونسيان مراعاة الخالق، إذ الأصل فى المسلم أن يطيع ما يؤمر به إرضاء لخالقه سبحانه وتعالى قبل أن يكون فى هذه الطاعة إرضاء لشيْخ أو قائد.
- والحرج من معانيه أن المأمور يطيع الأمر مع ضيق صدره بهذا الأمر، ومن ضاق صدره بشيء فكيف يؤديه على وجهه؟

وإذا كان المؤمن يؤدى كل ما يؤمر به طمعًا فى رضا ربه سبحانه وتعالى، فكيف يكون هذا الرضا من الله تعالى مع الحرج والضيق بالتنفيذ؟!

وبعد: فهذه هى الصفات الأربع التى يجب أن تخلو منها الطاعة وهى التردد والمراجعة والشك والحرج؛ إذ يجب أن تكون طاعة الأمر بغير تردد أو مراجعة أو شك أو حرج، وهنا نود أن نوضح كيف يصدر الأمر، حتى يكون المطيع على علم بذلك فتستريح نفسه إلى الأمر الذى يصدر إليه من قيادته ويقبل على نفيذه بتلك الطاعة التى تحدثنا عنها، فنقول وبالله التوفيق.

- الأصل فى الأمر إذا صدر من مسلم مسئول عن عمل أو عن غيره من الناس أن يسبق صدور هذا الأمر اتخاذ خطوات ضرورية، نشير إليها فيما يلى:

– أن يجمع له أهل العلم والخبرة، ويستشيرهم فيه.

– وأن يدرس معهم كل الاحتمالات، مبرارتها ومرجحاتها.

– وأن يطرح ما استقر عليه رأى أهل الخبرة للشورى؛ لأن الشورى صفة إيمانية من صفات المؤمنين، كما هو معروف، إذ قد جمعها الله تبارك وتعالى إلى صفات الإيمان والتوكل واجتناب كبائر الإثم والفواحش والتسامح وإقام الصلاة وأداء الصدقات... كما جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) ﴾ [الشورى: ٣٦ - ٤٣].

– وأن يأخذ بما استقرت عليه الشورى.

– ثم يصدر الأمر بعد ذلك كله.

● ومن قصر فى شىء من ذلك فحسابه على الله، ولكن إذا صدر الأمر فما يسع المأمور إلا أن يطيع دون تردد أو مراجعة أو شك أو حرج.

● وكل مسئول عن عمل من أجل الإسلام فهو يعلم ما له وما عليه بدقة ووعى، ويعلم علم اليقين أن الشورى أساس أصيل فى الدين، ولابد أنه يعرف تمامًا أن الشورى مخرج من كل مأزق، ومصدر أصيل لاتخاذ القرار الصائب الذي لا لوم معه ولا عتاب، فقد روى الخطيب البغدادى بسنده عن علىّ رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: الأمر ينزل بنا بعدك لم ينزل فيه قرآن، ولم يسمع فيه شىء منك؟

قال: «اجمعوا له العابد من أمتى، واجعلوه بينكم شورى، ولا تقضوا برأى واحد».

هكذا يصدر الأمر من كل مسلم مسئول عن عمل من الأعمال فى مجالات الدعوة والحركة والتنظيم والتربية، أو فى مراحل الدعوة كلها.. التمهيد والتعريف والتكوين والتنفيذ والتمكين والمحافظة على التمكين.

● وهكذا يجب أن تكون الطاعة.

وبغير هذا وذلك فما يؤمل أن يتم عمل من أجل الإسلام على وجهه ولا تستطيع مرحلة من مراحل الدعوة أن تؤتى أكلها.

وإلى تحليل باقى النص وشرحه، سائلا الله التوفيق.

مرحلة التكوين ومكانها فى الجماعة

يقول الإمام البنا عن مرحلة التكوين ومكانها فى بناء الجماعة، وعن المنهج الذى يحكم هذه المرحلة:

«وتمثل الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج سابقًا، وهذه الرسالة الآن».

● **إخوان الكتائب:**

هم الذين يمثلون هذه المرحلة، مرحلة التكوين من حياة الدعوة، فمن هم إخوان الكتائب هؤلاء؟

– هم صفوة من الإخوان يقع عليهم الاختيار ليبيتوا معًا ليلة من كل أسبوع على مدى أربعين أسبوعًا، ولهم منهج دراسى خاص بهم يقومون باستيعابه خارج ليالى الكتيبة، أما الكتيبة نفسها فليلتها برنامج خاص سنذكره بعد قليل.

– وكان الأصل أن ينتظم الإخوان العاملون جميعًا فى هذه الكتائب، ويستوعبون المنهج الدراسى الخاص بهم الذى تضمنته رسالة خاصة بهم هى رسالة المنهج[1].

ونستطيع أن نلخص رسالة المنهج هنا فى النقاط التالية:

١ – القرآن الكريم وعلومه وتفسيره، مع حفظ قدر منه،

٢ – والسنة النبوية وعلومها وما يتعلق بها مع حفظ قدر منها،

٣ – والعقائد والآداب وما إليها،

٤ – والفقه والتشريع، أصولهما وتاريخهما ورجالهما،

٥ – والفلسفة وعلم النفس وعلم الأخلاق وما إليها،

٦ – والاجتماع وعلومه، والخدمة الاجتماعية، مع التطبيق على الحالة الحاضرة فى مصر خاصة، وفى العالم الإسلامى عامة.

---

(١) انظر تفصيل هذه الرسالة فى كتابنا الموسع: منهج التربية عند الإخوان المسلمين، الجزء الأول ص ٦٤٦. نشر دار الوفاء ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٧ – والسيرة النبوية.

٨ – والتاريخ الإسلامي.

٩ – والتاريخ العام.

١٠– وفن الخطابة العلمية، والعملية.

– ويعتمد الدارس لهذا المنهج على نفسه وعلى مطالعاته، ويستطيع أن يستعين بمراجع ذُكرت في رسالة المنهج المشار إليها[١].

– ويختار كل دارس أربع موادّ على الأقل - من هذه العشرة التي ذكرنا - ليتقدم إلى الامتحان فيها.

وكان الامتحان يعقد في النصف الثاني من شهر أكتوبر في كل عام.

● أسلوب الامتحان وطريقة السير فيه:

– يعد الدارس رسالة يكتبها تتضمن بحثًا في كل مادة من المواد التي اختارها - وهي أربع على الأقل - يسجل فيها خلاصة دراسته.

– تعقد لجنة من العلماء لتناقش الدارس فيما كتب.

– وهذه الرسالة التي كتبها الدارس إذا قبلت تمنح أحد التقديرات التالية:

ممتاز، أو جيد جدًا، أو جيد، أو متوسط.

– وإذا لم تقبل الرسالة – بعد المناقشة – أعيدت إلى صاحبها، ليعيد كتابتها من جديد، ويتقدم بها في السنة التالية.

● ومن أجيز من الإخوة في هذا الامتحان، حصل على أمرين:

أحدهما: شهادة بأنه اجتاز مرحلة التكوين بنجاح.

والآخر: اعتباره داعية من دعاة الجماعة يحق له أن يمارس الدعوة إلى الله باسم الجماعة.

● نظام الكتيبة الليلية وبرنامجها:

– كانت الكتيبة تعقد كل شهر مرة واحدة.

– وكان عدد أعضائها أربعين عضواً كلهم من الإخوان العاملين أو من إخوان مرحلة التكوين.

– وكان برنامجها على النحو التالي:

---

(١) ذكرنا هذه المراجع بالتفصيل في المرجع السابق، لمن أراد أن يتعرف عليها.

١ - مبيت ليلة تبدأ بصلاة المغرب ثم الإفطار إذ كانوا يصومون هذا اليوم. فإن لم يكونوا صائمين تناولوا عشاءً خفيفًا بين المغرب والعشاء.

٢ - ويتذاكرون ويتسامرون إلى ما بعد صلاة العشاء بوقت قصير.

٣ - وينامون فى ساعة معينة يحددها مسئول الكتيبة، ويكون النوم على الأرض وتكون الوسادة هى الحذاء.

٤ - ويستيقظون بعد منتصف الليل أو قبل الفجر بساعتين أو ثلاث.

٥ - ويتهجدون بعدد من الركعات، يصلونها فرادى.

٦ - ويستمعون إلى تلاوة القرآن الكريم قدر جزء من أجزائه.

٧ - ويستمعون إلى درس فى التكوين النفسى والروحى والعلمى للداعية إلى الله.

٨ - ويستمعون إلى استعراض لتاريخ الدعوة والدعاة، مع بيان مواطن القوة والضعف فى أسلوب الدعوة والدعاة.

وكان هذا الاستعراض يقوم به الإمام البنا بنفسه.

٩ - ثم يكون الاستغفار قبيل الفجر، ويلح الأعضاء فى دعائهم بطلب النصر من الله تعالى.

١٠- ثم تؤدى فريضة الفجر.

١١- ثم توزع عليهم الأوراد القرآنية، وهى أوراد يتكون كل منها من آيات قرآنية عشر، وعدد الأوراد ستة هى:

ورد المعرفة،

وورد الوفاء،

وورد التفكر،

وورد المراقبة.

وورد الإخلاص.

وورد الإيمان(١).

١٢- وعند طلوع الشمس يقرأون الوظيفة وهى المأثورات - وهى مجموعة من الآيات الكريمة والدعوات المأثورة كان يدعو بها النبى ﷺ - وقد جمعها الإمام البنا فى كتيب خاص.

---

(١) سنورد الآيات العشرة الخاصة بكل ورد بعد قليل إذا أذن الله تعالى وأعان

ثم يفطرون معًا، ويتوجه كل منهم إلى عمله.

● وشعار هذا النظام هو الطاعة التامة فى كل شىء، فى الطعام والشراب والنوم واليقظة والتهجد والقراءة والدعاء....

● ومن شروط هذا النظام ما يلى:

– الالتزام بالإجابة على الأسئلة الواردة فى صحيفة المحاسبة بدقة وتفصيل، يجيب بنعم أو لا وصحيفة المحاسبة تشمل أيام الأسبوع كله، وعليه أن يجيب على أسئلتها يوميًا فإن وجد خيرًا حمد الله وسأله المزيد، وإن وجد غير ذلك استغفر وأصلح غدًا من شأن نفسه.

– والامتناع تمامًا عن تناول المنبهات كالشاى والقهوة، فضلاً عن الدخان، وسائر المكيفات.

– والمواظبة على حضور الكتيبة كلما عقدت، بحيث لا يتخلف عن الحضور فيها إلا لعذر مقبول.

– والالتزام بآداب الكتيبة كلها كما يمليها عليه مسئول الكتيبة.

أوراد الكتيبة:

أولاً: وردالمعرفة:

ومجموعة الآيات العشر الخاصة به هى:

١ – قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

٢ – وقوله جل شانه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام: ٣].

٣ – وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٣–١٨].

٤ – وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) ﴾ [الزمر: ٦٢–٦٧].

٥ – وقوله جل وعلا: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) ﴾ [الزخرف: ٨٤ – ٨٥].

٦ – وقوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧) ﴾ [الجاثية: ٣٦، ٣٧].

٧ – وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١) ﴾ [الذاريات: ٥٠، ٥١].

٨ – و وقوله: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

٩ – وقوله: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ [الفجر: ٢٧ – ٣٠].

١٠– وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [سورة الإخلاص].

ثانيًا: ورد الوفاء:

والآيات الكريمة التى تتضمنه هى:

١ - قوله الله عز وجل: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ٤٠].

٢ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣ - وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٨].

٤ - وقوله جل شانه: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٤].

٥ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل: ٩١].

٦ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤].

٧ - وقوله: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٨ - وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)﴾ [الفتح: ١٠].

٩ - وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)﴾ [الفتح: ١٨، ١٩].

١٠- وقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٤)﴾ [الصف: ١ - ٤].

ثالثًا: ورد التفكر:

وقد تضمنته الآيات القرآنية العشر التالية:

١ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة: ١٦٤].

٢ - وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

٣ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ

لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) ﴾ [الأنعام: ٩٥ - ٩٩].

٤ - وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٥ - وقوله جل وعلا: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) ﴾ [يونس: ٥، ٦].

٦ - وقوله عز شانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾ [الرعد: ٢ - ٤].

٧ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) ﴾

[النحل: ١٤ - ١٦].

٨ - وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

٩ - وقوله جل شانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾

[فاطر: ٢٧، ٢٨].

١٠- وقوله عز من قائل: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ [الطلاق: ١٢].

رابعًا: ورد المراقبة:

وتضمنته الآيات القرآنية الكريمة التالية:

١ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢) ﴾ [الأنعام: ٥٩ - ٦٢].

٢ - وقوله جل شأنه: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) ﴾ [يونس: ٦١].

٣ - وقوله عز وجل: ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ... ﴾ [الرعد: ١٠، ١١].

٤ - وقوله جل وعلا: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٧٥) ﴾ [النمل: ٧٤، ٧٥].

٥ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) ﴾

[لقمان: ١٦، ١٧].

٦ - وقوله عز من قائل: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ

فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [فصلت : ٢٢ ، ٢٣] .

٧ – وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) ﴾ [الزخرف : ٧٩ ، ٨٠] .

٨ – وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق : ١٦ – ١٨] .

٩ – وقوله جل جلاله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ﴾ [المجادلة : ٧] .

١٠ – وقوله عز شانه : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ [الملك : ١٣ ، ١٤] .

خامساً : ورد الإخلاص :

وتتضمنه الآيات الكريمة التالية :

١ – قوله تبارك وتعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) ﴾ [البقرة : ١٣٨ ، ١٣٩] .

٢ – وقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧) ﴾ [النساء : ١٤٤ – ١٤٧] .

٣ – وقوله جل وعلا : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن

يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٩ - ٨٢].

٤ - وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٤].

٥ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

٦ - وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَّصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٢ - ٤].

٧ - وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر: ١١ - ١٦].

٨ - وقوله جل جلاله: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر: ١٣، ١٤].

٩ - وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ

فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين (٦٥) ﴾ [غافر: ٦٤، ٦٥].

١٠- وقوله جل وعز: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (٥) ﴾ [البينة: ٥].

سادسًا: ورد الإيمان:

وتتضمنه الآيات القرآنية الكريمة العشر التالية:

١ – قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين (١٧١) الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم (١٧٢) الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (١٧٤) إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين (١٧٥) ﴾ [آل عمران: ١٧١ – ١٧٥].

٢ – وقوله عز وجل: ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار (١٩٣) ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد (١٩٤) فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب (١٩٥) ﴾ [آل عمران: ١٩٣ – ١٩٥].

٣ – وقوله جل جلاله: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون (٢) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم (٤) ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

٤ – وقوله عز من قائل: ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير (٧٢) ﴾ [الأنفال: ٧٢].

٥ – وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢].

٦ – وقوله جل وعلا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ [المؤمنون: ١ – ١١].

٧ – وقوله جل شأنه: ﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ [العنكبوت: ١ – ٣].

٨ – وقول جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)﴾ [الأحزاب: ٢١ – ٢٣].

٩ – وقوله تبارك وتعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾ [الحجرات: ١٤، ١٥].

١٠ – وقوله عز شأنه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)﴾ [التغابن: ٨، ٩].

وبعد: فهذه الأوراد الستة كل منها يذكى فى نفس المؤمن المعنى الجميل الذى يحمله

اسم الورد كمعرفة الله تعالى، والوفاء، والتفكر، والمراقبة، والإخلاص، والإيمان.

والمطلوب ممن يريد أن يستفيد من ترديد هذه الآيات الكريمة العشر لكل ورد، أن يلتزم بما يلى:

– المداومة على قراءة الآيات الكريمة.

– واختيار وقت مناسب للقراءة بحيث تكون النفس مستعدة لذلك، ومتفرغة مما يشغلها عن هذا الذكر.

– والتدبر فى معانى الآيات، لإيقاظ المعنى الذى يدل عليه اسم الورد كالوفاء والإخلاص وغيرهما.

– ومحاسبة النَّفْس على مدى ما استفاده القارئ للورد من صفات تتصل بموضوع الورد، والورد يكون يوميًا، فلتكن المحاسبة يوميًا كذلك.

وبعد:

فهذه نبذة عن إخوان الكتائب الذين كانوا يمثلون مرحلة التكوين فى تاريخ الجماعة، وتلك هى رسالة المنهج التى كانت تمثل الزاد الروحى والعملى والعلمى لإخوان الكتائب.

● ثم حَلَّ محل نظام الكتائب نظام الأسر، ليسير وفق أركانه وشروطه أفراد مرحلة التكوين، وكان ذلك بعد خمسة عشر عامًا من تاريخ إنشاء الجماعة، أى فى عام ١٩٤٣م.

● والمنضمون إلى مرحلة التكوين فى ظل نظام الأسر، يسيرون وفق منهج تتضمنه رسالة التعاليم التى تقوم على بيعة ذات أركان عشرة هى:

١ – الفهم للإسلام فى ضوء الأصول العشرين التى أوضحتها رسالة التعاليم،

٢ – والإخلاص؛ بأن يكون العلم والعمل كله لله، أى أن يكون الله تعالى هو الغاية.

٣ – والعمل؛ أى إصلاح النفس والبيت والمجتمع، وتحرير الوطن من كل سلطان أجنبى غير إسلامى، وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية،

– وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية،

– وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه،

٤ – والجهاد بالقلم واللسان واليد وبكلمة الحق عند السلطان الجائر،

٥ – والتضحية بالنفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية[١]،

٦ – والطاعة؛ أي امتثال الأمر وإنفاذه توًا في العسر واليسر والمنشط والمكره[٢]،

٧ – والثبات بمعنى الاستمرار في العمل من أجل الإسلام والجهاد في سبيله،

٨ – والتجرد بالتخلص من أي أفكار أو أشخاص، والالتزام بالفكرة الإسلامية،

٩ – والأخوة؛ أي ربط القلوب برباط العقيدة وأداء واجبات الأخوة في الإسلام،

١٠– والثقة؛ أي اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئنانًا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة.

وقد كتبت هذه الرسالة مواكبة لنشأة نظام الأسر ١٩٤٣م، وهي منهج صالح لتربية المسلم تربية إسلامية متكاملة؛ لأنها كتبت بعد خبرات وتجارب مرت بها الجماعة، ودعتها إلى تغيير المنهج وتبديله عدة مرات حتى استقرت على منهج رسالة التعاليم.

وقد قدم الإمام البنا لهذه الرسالة بمقدمة معبرة تضع النقاط فوق الحروف لتزيل كل لبس في فهم أهداف هذه الرسالة الجامعة، وذلك حيث قال:

«أما بعد: فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم، وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها.

إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة، وهي ليست دروسًا تحفظ لكنها تعليمات تنفذ.

فإلى العمل أيها الإخوة الصادقون: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾ [التوبة: ١٠٥]. ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات وإداريات، ﴿ ولكل وجهة هو

---

(١) وقد شرحنا هذه الأركان الخمسة في كتب مستقلة تحت عنوان: في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا.

(٢) وهذا الكتاب في هذا الركن، وسنوالي تأليف كتب في الأركان الأربعة الباقية إذا أذن الله تعالى وأعان.

موليها فاستبقوا الخيرات وكلا وعد الله الحسنى... ﴾.

ولابد لنا - قبل ختام الحديث عن مرحلة التكوين ومكان الطاعة فيها- أن نذكر بما قاله الإمام البنا عن كمال الطاعة فى هذه المرحلة، فقد قال: « والدعوة فيها - أى فى مرحلة التكوين - خاصة لا يتصل بها إلا من استعد استعداداً حقيقيًا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد هو: كمال الطاعة ».

وقد سبق لنا الحديث عن طبيعة الدعوة فى هذه المرحلة، وقلنا: إن ا لخصوصية تسيطر على كل شىء فى هذه المرحلة، فالدعوة خاصة والدعاة خاصون والمدعوون خاصون، والعمل المتصل بهذه المرحلة خاص.

● ونذكر هنا - وقد طال الكلام - بما سبق أن قررناه من أن المدعوين فى هذه المرحلة يجب أن تتوفر فيهم صفات خاصة من أهمها:

- أن يكون المنضم إلى هذه المرحلة قد باع نفسه وماله ووقته و جهده لله تعالى.
- وأن يكون قد صدق ما عاهد الله عليه فى البيعة من أجل تمكين هذا الدين العظيم.
- وأن يكون مؤثراً ما عند الله على ما عند الناس، لأن ﴿ ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾.
- وأن يكون مؤمناً موقناً بأن الجهاد فى سبيل الله طويل المدى كثير التبعات، وأنه مستمر فى جهاده إلى أن يلقى الله.

● وهذه الصفات جميعًا - على أهميتها وكثرتها - لا تكفى وحدها، بل لابد أن يصاحبها كمال الطاعة.

فهذه المرحلة هى مرحلة كمال الطاعة.

وكمال الطاعة يعنى - كما أوضحنا - أن تكو طاعة بغير تردد ولا مراجعة ولاشك ولا حرج.

وإلى الحديث عن الطاعة فى مرحلة التنفيذ، والله ولى التوفيق.

ثالثًا : مفهوم الطاعة فى مرحلة التنفيذ

وقد قال الإمام البنا عن هذه المرحلة موضحًا ابعادها وطبيعتها واهدافها ووسائلها، ومكانة الطاعة فيها؛ ما يلى :

والتنفيذ :

والدعوة فى هذه المرحلة جهاد لا هوادة معه، وعمل متواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح فى هذه المرحلة إلا «كمال الطاعة كذلك».

وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين يوم ٥ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ- الموافق ١٤ من إبريل ١٩٤٠م.

وأنت بانضمامك إلى هذه الكتيبة وتقبلك لهذه الرسالة، وتعهدك بهذه البيعة تكون فى الدور الثانى، وبالقرب من الدور الثالث، فقدّر التبعة التى التزمتها، وأعد نفسك للوفاء بها».

ونحاول فى الصفحات التالية أن نتبع نفس المنهج فى حديثنا عن المرحلتين السابقتين؛ التعريف والتكوين، فنلقى ضوءًا على مفهوم هذه المرحلة، ثم نتحدث عن أبعادها وطبيعتها، ثم عن أهدافها ووسائلها، ثم عن مكانة الطاعة فيها.

سائلين الله تعالى العون والتوفيق.

أ - ضوء على مرحلة التنفيذ :

التنفيذ هو : الإجراء العملى، والمضى فى الطريق حتى نهايته؛ أى أن تخرج النظريات إلى حيز التطبيق العملى، فكل نظرية أقرت فى مرحلتى التعريف والتكوين ينبغى أن تخرج إلى التطبيق فى هذه المرحلة، كما سنوضح ذلك فيما بعد؛ بإذن الله تعالى.

- **والتنفيذ عند علماء النفس هو :** المرحلة الأخيرة من مراحل العقل الإرادى؛ لأنه لابد أن يكون مصحوبًا بالتنفيذ، وإلا كان مجرد نية وأمل.

- **التنفيذ فى علم الإدارة هو :** الإنجاز والأداء العملى.

● ومرحلة التنفيذ - بناء على ذلك - هي:

- مرحلة الإجراء العملي لكل ما سبق للأعضاء أن درسوه، وإخراجه إلى حيز التطبيق العملي.

- وهي مرحلة إخراج النوايا والآمال إلى حيز الوجود العملي.

- وهي مرحلة الإنجاز والأداء العملي.

وكل ذلك يعني محصلة واحدة هي إخراج النظريات إلى مجال العمل والتطبيق.

فما هي النظريات الكبرى التي أقرتها المرحلتان السالفتان: التعريف والتكوين؟

تلك النظريات في إجمال شديد هي:

أ - بالنسبة لمرحلة التعريف:

كانت النظريات التي أقرت فيها خمس - هي أهدافها - ونذكر بها فيما يلي، مع اختصار شديد:

١ - التعريف بالإسلام تعريفًا يلائم الناس ولغة العصر الذي يعيشون فيه،

٢ - واستقطاب أكبر عدد من المسلمين ليقبلوا على العلم والثقافة والعمل،

٣ - وإشاعة فقه الالتزام بمنهج الإسلام في الحياة،

٤ - وإذاعة فقه الانتماء إلى الإسلام بين المسلمين،

٥ - وتحبيب المسلمين في العمل الجماعي،

- وهذه النظريات يجب أن تخرج في هذه المرحلة إلى حيز التنفيذ والتطبيق، على النحو الذي أتصوره - فيما يلي:

- جانب العلم في مرحلة التنفيذ:

١ - يعكف عدد من العلماء الذين كُوِّنوا في مرحلة التكوين على تأليف كتاب أو كتب في التعريف بالإسلام يلائم الناس ويكتب بلغة عصرهم، ويزيل عن المسلمين الأمية الإسلامية التي يعيشونها، إلا القليل ممن عصم الله، فهيأ لهم قراءة حرة وثقافة خارج مؤسسات التعليم التي لا تقدم شيئًا له وزن في إزالة الأمية الإسلامية التي تسيطر على المتعلمين، فضلاً عمن هم أقل تعليمًا وثقافة. وهذا

واجب مرحلة التنفيذ، فهى تخرج الأمل إلى عمل.

٢ - والقيام بكل عمل من شأنه أن ييسر على الذين استقطبوا للإقبال على العلم والثقافة والعمل، أن يمارسوا العلم والثقافة والعمل، وقد يكون ذلك بإنشاء مؤسسات علمية وثقافية محدودة، أوتوجيه هذه المؤسسات إن كانت موجودة لتيسر العلم والثقافة والعمل.

وقد يكون تيسير الاطلاع فى المكتبات الخاصة أحد هذه الحلول إن استعصت الحلول الاخرى.

وقد تكون الدروس المسجدية الموجهة لتعميق النواحى العلمية فى المترددين على المساجد إحدى هذه الحلول أيضًا.

وقد تكون الأندية الرياضية مجالاً ثالثًا لتلك الحلول.

٣ - وفى إشاعة فقه الالتزام، يصبح التطبيق العملى للإسلام فى الطعام والشراب واللباس، والزواج وحفلاته، والأعياد وما يجرى فيها؛ يصبح ذلك خير تطبيق للإسلام، فيخرجه من النظرية إلى العمل.

ثم ينسحب ذلك على أنماط السلوك فى الحياة؛ فى السلام والتحية، والمغادرة للمجلس ونحوه، والبيع والشراء وسائر المعاملات، والتعامل مع الرؤساء والوالدين والمعلمين؛ فهذا هو التطبيق العملى للإسلام فى مجال الالتزام، وأولى المراحل بذلك هى مرحلة التنفيذ.

- ولو خرج الالتزام بالإسلام إلى حيز التطبيق، فإن ذلك يسهم فى حل كثير من القضايا والخلافات، فما من خلاف بين اثنين إلا كان أحدهما ظالمًا للطرف الآخر، فلو كان الالتزام مطبقًا عمليا زالت هذه الخلافات، واستراحت المحاكم من ألوف القضايا فى النزاعات التى نشأت من عدم الالتزام بالإسلام.

- ويوم كان المسلمون ملتزمين بالإسلام فى الصدر الأول من تاريخ الإسلام عصر الصحابة رضوان الله عليهم، كان القاضى لا ينظر فى السنة كلها إلا قضية أو قضيتين - كما حدثنا بذلك تاريخهم رضى الله عنهم.

٤ - وفى إذاعة فقه الانتماء إلى الإسلام بين المسلمين، تستطيع مرحلة التنفيذ أن تقدم فى هذا المجال الجهود التالية:

- تعزيز هذا الانتماء للإسلام والاعتزاز بهذا الانتماء، عن طريق الدراسات التى تجلى حياة الصحابة رضوان الله عليهم وحياة المصلحين من المسلمين، وبطولات القادة فى الفكر وفى الحرب، ونشر هذه الدراسات فى الناس.

- وعمل كتب ودراسات تبرز ما فى الإسلام من قيم إنسانية ثابتة لا يتخلى عنها الإسلام حتى فى معاملة الأعداء مثل:

  - تحريم الظلم تحريمًا مطلقًا، ويدخل تحت الظلم ما لا يحصى من المحظورات،
  - وتحريم الغش تحريمًا مطلقًا، وتحت الغش فروع عديدة،
  - وتحريم الزنا وشرب الخمر ولعب الميسر تحريمًا مطلقًا،
  - وتحريم التعاون على الإثم والعدوان تحريمًا مطلقًا،
  - وتحريم الأعراض والأموال والأبشار.

- فى حين تدعى الحضارات الأخرى المحافظة على هذه القيم بينما هى تنتهكها فى البوسنة والشيشان وروسيا الاتحادية، والنظام العالمى الجديد الذى تقوده أمريكا، وتبرره هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها الموصوم بحق الاعتراض «الفيتو» لخمس دول، دون المائة والثمانين دولة المخدوعة فى هيئة الأمم المتحدة!

- وعمل كتب ودراسات تؤكد عدالة الإسلام فى التعامل مع الأعداء، فضلاً عن الأولياء، فى مقابل قول أحد وزراء إحدى الدول الخمسة التى تتمتع بحق «الفيتو» يوم اقترح إرسال قوات أوربية للحيلولة دون دفن مسلمى البوسنة أحياء، قوله: «لماذا نرسل قواتنا لتدافع عن المسلمين»؟! «وتركت البوسنة تفقد كل يوم عشرات القتلى أكثر من سنتين، ثم عقدت أمريكا مؤتمر «دايتون» لتحل القضية على حساب المسلمين وحدهم، وكذلك تفعل إسرائيل فى العالم العربى والإسلامى تؤيدها إلى غير ما حدّ الولايات المتحدة الأمريكية دون حياء، ويؤيدها الاتحاد الأوربى الذى أنشأها!!!

- وعمل كتب ودراسات توضح احترام الإسلام للإنسان وبخاصة المرأة والطفل واليتيم، فى مقابل ما تقوم به الحضارات الأخرى من تحويل المرأة إلى متعة رخيصة لأى رجل، وإبادة ألوف الأطفال بالجوع والمرض فى إفريقية «بروندى وغيرها»، وفى العراق، وفى الشيشان، وفى غير ذلك من بلاد «الملونين».

- هذه الدراسات العلمية الموضوعية المقارنة هى التى تعزز الانتماء إلى الإسلام وتولد الاعتزاز به وبحضارته.

- وعمل كتب ودراسات جادة تؤكد تقرير الإسلام لحقوق الإنسان؛ حقوقه فى الحياة الإنسانية الكريمة، وحقوقه فى الأمان من الفقر والجوع والخوف، وحقوقه فى الحرية وفى الاستفادة بخيرات بلاده، فى مقابل ما تقوم به الحضارات الأخرى من إلقاء القمح والزبد فى المحيط حتى تحافظ على سعره، وتفجير القنابل النووية فوق الأرض كما فعلت أمريكا فى هيروشيما ونجازاكى، أو تحت الأرض كما تفعل فرنسا وغيرها من دول أوربا وآسيا، وكما تحتل أمريكا بلاداً غير محدودة العدد اليوم بإقامة قواعدها العسكرية واستيلائها على خيرات البلاد فى المقابل الذى تراه، وفى وقت السداد الذى تختاره!!!

وكما تفعل إسرائيل تؤازرها فى ذلك أمريكا وروسيا واتحاد أوربا فى الاستيلاء على بلاد الآخرين، وعلى مياه الأنهار، وعلى ما تشاء دون رادع أو زاجر!!!

٥ - أمَّا تحبيب المسلمين فى العمل الجماعى، فإن مرحلة التنفيذ مطالبة بأن تقوم فى هذا المجال بالأعمال التالية:

- عمل كتب ودراسات وبحوث توضح وتيسِّر فقه العمل الجماعى، وتأكيد أنه الأصل فى كل عمل إسلامى، من منطلق أن الخطاب القرآنى خطاب جمعى فى معظمه ومجموعه، وكذلك الخطاب فى السنة النبوية المطهرة، ومن منطلق أن المسلمين أمة واحدة من دون الناس، وأنه لا وزن لهذه الأمة إلا بأن تكون متحدة فى أمة واحدة.

- وعمل دراسات وكتب توضح الأسباب التى جعلت هذا العصر الذى نعيشه عصر الاتحادات والتكتلات، حيث كان الاتحاد السوفيتى سابقًا، ثم حل محله اتحاد روسيا، والاتحاد الأوربى، والنظام العالمى الجديد الذى ضم أمريكا وأوربا بقيادة أمريكا، واتحاد اليهود أو الصهيونيين العالمى الذى يعيش من أجل هدف واحد هو تأييد إسرائيل ودعمها فيما تقوم به من عدوان على العالم العربى والعالم الإسلامى.

فكيف لا يتحد المسلمون؟

– وعمل كتب ودراسات توضح الأسباب التى توجب على المسلمين أن يكونوا متحدين والتى من أبرزها:

● وحدة الدين والمعتقد،

● ووحدة مصدرى هذا الدين: الكتاب والسنة،

● ووحدة لغة الدين، لغة القرآن «العربية»،

● ووحدة المصالح الحالية والمستقبلية،

● ووحدة الأعداء المشتركين وهم:

– اليهود والصليبيون الجدد، والنظام العالمى الجديد، والإلحاديون والعلمانيون، والحاقدون على الإسلام من كل جنس ولون.

– وإنشاء مؤسسات صغيرة تمارس العمل الجماعى، وتقدم بذلك نماذج جيدة للعمل الجماعى.

ب – وبالنسبة لمرحلة التكوين:

فإن النظريات التى تضمنتها هذه المرحلة، تكاد تكون منحصرة فى الهدفين اللذين أشرنا إليها آنفًا وهما:

– تقوية التربية الروحية حتى تصبح تربية صوفية.

– وتقوية التربية العملية حتى تصبح تربية عسكرية.

وكلتا النظريتين تستهدف الطاعة التامة بشروطها الإسلامية المعروفة؛ وهى ألا تكون فى معصية الله تعالى، وأن تكون فى استطاعة من يطيع، كما أوضحنا ذلك من قبل.

● وتستطيع مرحلة التنفيذ أن تخرج نظرية مرحلة التكوين إلى حيز التطبيق، إذا هى قامت - أى قام قادتها وأعضاؤها - بما يلى:

١ – الإكثار من عقد الكتائب على النحو الذى أشرنا إليه آنفًا، بجعلها أسبوعية، مع الجدية فى إدارتها وتحقيق شروطها وآدابها، لما فى ذلك من تصفية الروح من شوائبها وتوثيق صلتها بخالقها سبحانه وتعالى.

٢ – ممارسة العبادات بصورة جمعية، كالصيام، وتلاوة القرآن الكريم، وقيام الليل، تهجداً

وأذكارًا وأورادًا، مع تفريغ النفس من شواغلها الدنيوية وإقبالها على الله تعالى.

٣ – والمداومة الصارمة على ما يلي:

– ورد من القرآن الكريم لا يقل عن جزء مع التدبر، والتطبيق.

– وورد من السنة النبوية يُقرأ كل يوم فى أحد كتب السنة، الستَّة - البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجة - بحيث يستوعب كل حديث فى هذا الكتاب الذى اختاره، وبحيث لا تقل قراءته فيه عن ربع ساعة يوميًا؛ فمن غير اللائق بِفَرْدٍ فى مرحلة التنفيذ أن يكون هناك حديث نبوى لم يطلع عليه ولو مرة واحدة.

٤ – مصاحبة الشيوخ والمربين وأهل السابقة فى العمل الإسلامى، وسؤالهم وحوارهم، والاستجابة لكل ما يطلبون من مطالب تربوية تقوى الروح وتصفيها وتوثق صلتها بخالقها سبحانه وتعالى، ومن لم يكن له شيخ يحبه فقد فاته خير كثير، وكثير من علمائنا ما برعوا ولا تقدموا إلا من خلال قدراتهم الشخصية، ومصاحبتهم لبعض الشيوخ والمربين.

٥ – توثيق عرى المحبة بين أفراد المرحلة؛ بحيث يكون الأخ فى عون أخيه وفى خدمته، يفعل ذلك بسعادة ورضا، ودون أن يطلب منه أخوه شيئًا من ذلك؛ لأن الأخوة فى الله لا تتوطد إلا بالحب فى الله والإيثار والتقرب إلى الله تعالى بهذا الحب وذاك الإيثار.

٦ – والتدريب على البذل والتضحية والعطاء؛ لأن العمل من أجل هذا الدين لا يزكو ولا ينمو إلا بهذه التضحيات، تضحيات بالجهد والوقت والمال بل بالنفس جهادًا فى سبيل الله تعالى، فتلك هى التجارة التى تنجى من العذاب الأليم، وهى التجارة التى لن تبور، هى التجارة التى لا مقابل لها إلا الجنة، كما وعد الله بذلك فى التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعده من الله؟

٧ – والتدريب على تحمل الجوع والعطش، والصبر على مطالب الجسد وتهذيب شهواته، والتدريب على بذل المجهود البدنى وتحمل التعب والصبر عليه، فكل ذلك – عندما يحدث تقربًا إلى الله وسعيًا إلى رضاه، فإن الروح تصفو والقلب يرق، وتتحسن الصلة بالله تعالى. ومما يساعد على ذلك الاشتراك فى الرحلات والكتائب، والبرامج

الرياضية والكشفية، فتلك مدارس يتخرج فيها أقوياء الرجال.

٨ – واختيار يوم بليلته كل شهر على الأكثر - إن لم يكن كل اسبوع - لملئه بالأعمال الصالحة التالية:

– صيام ذلك اليوم تقرباً إلى الله وتعرضاً به لجزاء الصوم،

– والإفطار الجماعي عقب هذا الصوم، بشرط أن يكون الطعام قليلاً،

– وقراءة أوراد الغروب وما بعد الغروب،

– وإحياء ليلة هذا اليوم - بالاستيقاظ في منتصف الليل - بالقراءة والتهجد، والذكر، والدعاء، بل الإلحاح في الدعاء وطلب النصر،

– والاستماع إلى كلمة من أحد الشيوخ ترقق القلوب، وتشجع على الإقبال على عبادة الله والتقرب إليه بالنوافل.

٩ – واختيار يتيم أو أكثر لرعايته وتيسير حاجاته، فإن كان في الإمكان كفالته فذلك أفضل، استجابة لوصية الرسول ﷺ باليتيم، ولو رباه بين أولاده لكان في ذلك كل الخير – بإذن الله تعالى – ليشرف على تربيته عن قرب ويحببه في المسجد، ويرغبه في فعل الخير، وجزاء ذلك معروف وهو أعلى جزاء يناله مسلم، إذ هو مصاحبة رسول الله ﷺ في الجنة.

١٠ – وجعل زيارة القبور عملا رتيباً، كل اسبوع أو كل شهر، ليرى الإنسان مصيره رأى العين، فلا ينسى الموت؛ لأنه لا يقسى القلب ولا يبلد الروح مثل نسيان الموت.

وزيارة القبر دعوة صامتة بلسان الحال – لا بلسان المقال - إلى العمل الصالح الذى يرضى الله تبارك وتعالى.

● كل ذلك وغيره من وسائل تربية الروح وصقلها وتحسين صلتها بربها سبحانه وتعالى هو التطبيق العملي - في مرحلة التنفيذ - للوصول إلى منزلة التصوف أو الصفاء.

وكل ذلك يُمارَس في مرحلة التنفيذ والتطبيق.

أما تقوية التربية العملية في الأعضاء حتى تصبح كالتربية العسكرية، فإن مرحلة التنفيذ تستطيع في هذا المجال أن تؤدى الشيء الكثير؛ لأن التربية العسكرية، وما فيها من صرامة وجدية، تحتاج إلى أساليب تطبيقية تنفيذية تعبر عنها وتحافظ عليها، وتضمن لها

الاستمرار.

- وقد قلنا آنفًا: إن مرحلة التكوين في مجال التربية العسكرية تستهدف أمرين: العلم، والعمل.

– العلم الذى يقوم على دقة الفهم، والقدرة على البحث عن العلل، والقدرة على عزل موضوع البحث عن سواه، وعلى الالتزام بالنظرة الموضوعية، وعلى توظيف هذا العلم لتأمين احتياجات المسلمين.

- وكل ذلك يجب أن تتصدى له قيادة مرحلة التنفيذ، بما يلى:

١ – المعاونة فى تكليف أعضاء مرحلة التنفيذ بإعداد البحوث والدراسات العلمية التى يحتاجها المشروع الحضارى الإسلامى، كلٌ فيما يخصه، فذلك هو إخراج الأمل إلى حيز العمل، والنوايا إلى مجال التطبيق.

– فالمسلمون بحاجة إلى أن يسدوا كل ثغرة من الثغرات فى المشروع الحضارى الذى يستلهم الإسلام فى مجالات عديدة، من أبرزها ما نذكر به فيما يلى:

- مجال الدستور والقانون المأخوذ من الكتاب والسنة،
- ومجال الاجتهاد فى أسلمة المستجدات فى مجالات الحياة،
- ومجالات القوانين المتعددة والمتنوعة،
- ومجال التربية الإسلامية - وهى بحر واسع - يحتاج إلى عشرات بل مئات البحوث العلمية الرصينة،
- ومجال الإعلام أهدافه ووسائله، ومحتواه،
- ومجال التعليم بمراحله المتعددة - وهى بحر واسع أيضًا - يحتاج إلى مئات البحوث والدراسات التى يقوم بها المتخصصون،
- ومجال الاقتصاد وقضاياه العديدة،
- ومجال الاجتماع بعلومه المتعددة،
- ومجال السياسة الداخلية،
- ومجال الخدمة الاجتماعية،

● ومجال التنمية البشرية،

● ومجال الثروة المائية،

● ومجال الزراعة،

● ومجال الصناعة،

● ومجال التعدين،

● ومجال القضاء،

● ومجال البيئة،

● ومجال التقنية.

وما لا أحصى من المجالات التى يحتاج إليها المشروع الحضارى الإسلامى، وما ينبغى أن يكتبها إلا العلماء المتخصصون الذين تحفل بهم مرحلة التنفيذ.

٢ - والمدارسة لهذه البحوث والمناقشة والحوار لمن كتبوها، حتى تنضج، بل تزداد نضجًا، وحبذا لو كانت البحوث العلمية فى هذه المجالات التى ذكرنا ليست منسوبة إلى عالم واحد، وإنما تنسب إلى عدد من العلماء، فإن ذلك - فضلاً عما فيه من توثيق ودعم للعمل الجماعى - أحرى أن يستوفى خصائص البحث العلمى، ويستجمع كل مواصفاته.

٣ - وطبع هذه البحوث والدراسات، وطرحها للناس، ومطالبة سائر العلماء - مسلمين أو غير مسلمين؛ ما داموا متخصصين - بإعادة النظر فيها والمشاركة فى ندوات حول ما فيها؛ لأن فى ذلك ثراءً علميًا نحن فى حاجة إليه، بل فى حاجة ماسة إليه.

● ونحن نعترف بأن الضربات المتلاحقة التى توجه للجماعة تحول بينها وبين إعداد هذا المشروع الحضارى الإسلامى الذى لابد منه، والذى لا ينفذ منه إلا ما يقوم به فرد واحد من العلماء، وهيهات أن يأتى الفرد مهما أوتى من العلم مثل تؤتى الجماعة!!!

ولكنها جهود مشكورة على كل حال.

● ونعترف كذلك بأن أى حكومة إسلامية تمارس تطبيق شرع الله دون أن يكون فى حوزتها هذا المشروع الحضارى الإسلامى متكاملاً، فإنها لا تستطيع أن تمارس عملها على وجهه الصحيح.

هذا شأن العلم فى مجال تقوية النواحى العملية وأخذها بالجد والصرامة حتى لكأنها عسكرية.

أما شأن العمل فى مرحلة التنفيذ فإنه يجب أن يكون متناسقًا مع أنواع العمل التى كانت فى مرحلة التكوين؛ بمعنى أن يكون تنفيذًا وتطبيقًا لها.

وقد أوضحنا أن أنواع العمل فى مرحلة التكوين هى:

- الدعوة،
- والحركة،
- والتنظيم،
- والتربية،
- وتكوين القيادات فى تلك المجالات كلها.

– ومرحلة التنفيذ عليها أن تخرج كل ذل إلى حيز التنفيذ والتطبيق العملى، فكيف يكون ذلك؟

- تتولى قيادة مرحلة التنفيذ بمساعدة أعضائها تهيئة البرامج والأماكن العملية لهذه الأنواع من العمل، وعلى سبيل المثال فإنها تقوم بما يلى:

١ – فى مجال الدعوة:

– وضع برامج للدعوة الفردية،

– ووضع برامج للدعوة العامة،

– ووضع برامج للدعوة فى حلقات،

– ووضع برامج للدعوة فى المساجد،

– ووضع برامج للدعوة فى أى تجمعات أخرى،

– وتهيئة الأماكن والظروف التى تمارس فيها الدعوة،

– ووضع برامج لتحديد أهداف الدعوة ووسائلها، فى مختلف أنواع الدعوة.

٢ – وفى مجال الحركة:

– وضع برامج علمية وفنية وعملية للاختلاط بالناس والتحبب إليهم، والرغبة فى

خدماتهم،

- ووضع برامج للخدمات التى يمكن أن تؤدى للناس، فتحقق لهم الراحة والأمان،

- ووضع برامج لتحديد عناصر التأثير فى الناس وجذبهم،

- ووضع برامج للأسس التى تقوم عليها عملية تصنيف الناس تصنيفًا مفيدًا فى مجال الحركة،

- ووضع برامج اجتماعية واقتصادية وثقافية، ينبغى أن يتزود بها كل من يتحرك فى الناس بهذا الدين،

- ووضع برامج للزاد الإسلامى الذى يجب أن يتزود به كل من يتحرك فى الناس بهذا الدين،

- ووضع برامج تُحدد فيها الأماكن والأوقات التى ينبغى أن يمارس فيها الحركي حركته.

٣ - وفى مجال التنظيم:

- وضع برنامج مفصل لمفهوم التنظيم فى العمل الإسلامى؛ دعوة وحركة؛ ليكون العاملون على علم بذلك، قبل أن يمارسوا أى عمل من أعمال التنظيم.

- ووضع برنامج يحدد أهداف التنظيم وأنواعه والوسائل التى تُحقِّق من خلالها هذه الأهداف،

- ووضع برنامج خاص مفصل للتنظيم فى مجال الدعوة،

- ووضع برنامج خاص مفصل للتنظيم فى مجال الحركة،

- ووضع برنامج خاص مفصل للتنظيم فى مجال التربية،

- وعقد دورات فى علم الإدارة،

- وعقد ندوة أو ندوات لاختيار أنسب أنواع التنظيم، أو اختيار نوعين أو أكثر منه؛ ليتواكب العمل بها جميعًا.

٤ - وفى مجال التربية:

- وضع برنامج أو أكثر لاختيار الصالحين - ممن اجتازوا مرحلة التكوين - لممارسة

أعمال التربية، وفق معايير علمية وفنية معينة،

- ووضع برامج للاستفادة ممن لا يصلحون للإشراف على التربية؛ للاستفادة بهم فى المجالات الأخرى للعمل من أجل الإسلام،

- ووضع برنامج تربوى مناسب للمنتسبين إلى مرحلة التعريف،

- ووضع برنامج تربوى مناسب للمنضمين إلى مرحلة التكوين،

- ووضع نظام دقيق لاختبار من يجتازون مرحلة مَا إلى سواها،

- ووضع برنامج للمنهج التربوى الذى يجب أن يدرسه من يرشحون لقيادة أى عمل تربوى،

- ووضع برنامج ملائم لأعضاء مرحلة التنفيذ أنفسهم.

٥ - وفى مجال تكوين القيادات:

- وضع برنامج يحدد الصفات التى يجب أن تتوفر فى القيادى عمومًا فى مجالات العمل الإسلامى كله: دعوة وحركة وتربية وتنظيمًا،

- ووضع برنامج خاص بقيادة مرحلة التعريف،

- ووضع برنامج خاص بقيادة مرحلة التكوين،

- وعقد ندوة أو أكثر للمناقشة فى احتياجات القيادات عمومًا إلى المؤهلات الإيمانية والخلقية والعقلية والثقافية والبدنية، بحيث تصبح توصيات الندوة وثيقة يؤخذ بها وتلتزم،

- وعقد دورة تدريبية لقيادة كل مرحلة، يسهم فى المشاركة فيها كبار رجال الجماعة من أهل العلم والسابقة،

- ووضع برنامج للمحتوى العلمى والفنى والإدارى الذى يجب أن يجتازه القيادى قبل تصعيده أو ترقيته إلى قيادة أعلى،

- ووضع برنامج للاختبار: التحريرى والشفهى والعملى الذى يجب أن يجتازه كل قيادى فى أى مرحلة.

هذا هو شأن العمل الذى يجب أن تكون سمته الجد والصرامة كأنه نظام عسكرى، وهذا هو واجب مرحلة التنفيذ فيه.

وبعد:

فما هى أبعاد مرحلة التنفيذ، وما هى طبيعة هذ المرحلة؟

ذلك ما نود توضيحه فى الصفحات التالية، والله المستعان.

ب - أبعاد مرحلة التنفيذ وطبيعتها

عَبَّر الإمام البنا عن أبعاد هذه المرحلة وطبيعتها فى الكلمات الوجيزة التالية :

«والتنفيذ» :

والدعوة فى هذه المرحلة جهاد ولا هوادة معه، وعمل متواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح فى هذه المرحلة إلا «كمال الطاعة كذلك» .

وبالتأمل فى هذه الكلمات نجد أن لهذه المرحلة أبعاداً ثلاثة هى :

الأول : الجهاد الذى لا هوادة معه،

والثانى : العمل المتواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية،

والثالث : الصبر على الامتحان والابتلاء والصدق فى ذلك الصبر،

ولنشرح كل بعد من هذه الأبعاد الثلاثة بما ييسره الله تعالى ويعين عليه .

- الأبعاد فى المرحلة :

البعد الأول :

الجهاد الذى لا هوادة معه .

تتحرك هذه المرحلة كلها قيادتها وأعضاؤها فى أطر خاصة بها، لا تستطيع أن تتجاوزها ولا أن تقصر دونها لكى تضمن لنفسها التحرك الصحيح الهادف، وقد أوضحنا ذلك فى حديثنا عن أبعاد مرحلة التكوين، ومرحلة التعريف، وذلك أن الأبعاد لكل مرحلة هى الطرق التى يجب أن تسعى فيها وأن تُعَبِّدها وأن تزيل منها المعوقات والعراقيل، وتلك علامة من علامات الدقة والنظام والفصل بين أبعاد المراحل؛ لكى تسعى كل مرحلة فى طريقها .

● إنها مرحلة جهاد لا هوادة معه .

والسرُّ في ذلك أن مرحلة التنفيذ أكثر نضجًا من أى مرحلة سبقتها، ومعنى ذلك أن العمل يجب أن يكون على أحسن مستوى من النضج والتنوع والحاجة إلى السهر عليه والعناية به والصبر على أدائه.

● وعلى سبيل المثال: فإن مرحلة التنفيذ يجب أن تُمارَس فيها وبشكل متواكب كل أنواع العمل من أجل الإسلام؛ الدعوة والحركة والتربية والتنظيم، وكل نوع من هذه الأنواع له واجباته وشروطه وآدابه.

● ومما يبرر أن الجهاد فى هذه المرحلة لا هوادة معه، أن هذه الأنواع من الأعمال متواكبة متوازية يستمر العمل فيها جميعًا في الوقت نفسه، وليس من المقبول أبدًا أن يكون العمل فى كل نوع من هذه الأنواع متواليًا؛ بمعنى أن يستمر العمل فى مرحلة حتى ينتهى ثم يبدأ العمل فى المرحلة التى تليها؛ لأن العمل فى أى مرحلة لا ينتهى أبدًا طالما على الأرض حياة، ففى كل وقت يستمر العمل في مرحلة التعريف أبدًا للحاجة الماسة إلى التعريف بالإسلام وشرح نصوصه شرحًا ملائمًا للناس وللغة العصر الذى يعيشون فيه، وهكذا كل مرحلة من مراحل التكوين والتنفيذ، وكذلك كل نوع من أنواع العمل فى الدعوة والحركة والتربية والتنظيم.

● ولنوضح هذه المقولة بمثال:

– الأصل أن يعمل قادة مرحلة الدعوة، فى مجالات الدعوة؛ تعريفًا وتفهيمًا، وشرحًا لقواعد الإسلام وأصوله، وحسن عرض لمبادئه وقيمه بلغة العصر، حتى يجذبوا بذلك الناس إلى مجال الدعوة إلى الله، وقد يكون لأحد هؤلاء القادة مكان عمل فى مرحلة أخرى.

– وفى ذات الوقت يعمل قادة الحركة فى مجالات الحركة المعروفة، حيث يجمعون الناس على العمل من أجل الإسلام، ويحببون الناس فيه ويختلطون بالناس ويقدمون لهم الخدمات، ويصنفونهم حسب استعداداتهم وقدراتهم، ويستجيبون لتنمية هذه القدرات والاستعدادات.

– وفى ذات الوقت يكون العمل فى مجال التربية - أى التكوين - قائمًا على قدم وساق، ويهتم قادة التربية بكل مفردة من مفردات التربية التى تهم الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم؛ لا يألون جهدًا ولا يدخرون وسعًا، حتى يحققوا أهداف المرحلة

كاملة، ومن كان من قادة هذه المرحلة أو أفرادها على ثغرة فى العمل بأى مرحلة من مراحل الدعوة أو أى نوع من أنواع العمل، فإنه يجب أن يستمر فى هذا وذاك.

- ومع كل هذا العمل، يستمر التنظيم تخطيطًا وتنسيقًا وتوظيفًا، وإدارة لكل مرحلة من هذه المراحل، وكل نوع من أنواع العمل، وكل مفردة من مفرداته، ومن كان من قادة التنظيم أو من أفراده، صاحب موقع فى أى مرحلة أو أى نوع من أنواع العمل، فإن عليه أن يستمر فى عمله هنا وهناك، وذلك هو معنى المواكبة والموازاة التى أكدناها فيما نقول.

- ومعنى ذلك أن الجهد فى هذه المرحلة جهد مضاعف لقادة المرحلة ولكل المنضمين إليها، وذلك هو الجهاد الذى لا هوادة معه.

وإنما كانت الهوادة واردة فى هذا الجهاد الطويل العميق المتشعب؛ لأن النفس البشرية من شأنها أن تميل إلى التخفف والدعة، ومعنى ذلك أن يلزم كل واحد من القادة أو العاملين فى كل مرحلة وفى أى نوع من أنواع العمل، يلزم نفسه القيام بالعمل فى كل موقع يستطيع أن يؤدى فيه عملاً صالحًا نافعًا مثريًا للعمل من أجل الإسلام، وهذا الإلزام هو الذى يجعل العمل فى مرحلة التنفيذ جهادًا لا هوادة معه.

- وهناك معنى عام للجهاد الذى لا هوادة معه فى هذه المرحلة، وهو أن الجهاد فى الإسلام شامل يتناول:

جهاد الشيطان،

وجهاد النفس الأمارة بالسوء،

وجهاد الأعداء.

- كما أن الجهاد يتنوع كذلك من جهاد باليد إلى جهاد بالكلمة واللسان، إلى جهاد بالقلب لإنكار المنكر وعدم الرضا عنه.

- وكل هذه الأنواع من الجهاد ليست سهلة وإنما تحتاج إلى عزيمة ماضية وقدرات فائقة، وكل ذلك مطلوب؛ لأن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة، ومعنى ذلك أن هذا الجهاد كله لا هوادة معه.

والبعد الثانى:

العمل المتواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية.

ونحن هنا بحاجة إلى توضيح أمرين هامين هما:

- الغاية من هذه المرحلة أو من العمل فى هذه المرحلة.
- والعمل المتواصل.

أما الغاية من العمل فى هذه المرحلة، بل العمل فى كل مرحلة من مراحل الدعوة، فهى فى إيجاز شديد: «تربية الناس أفرادًا وأُسرًا ومجتمعًا تربية إسلامية»؛ تجعل منهم مسلمين حقيقيين عملاً والتزامًا وتنفيذًا، حتى يمكن بهم دين الله فى الأرض، فيحكم عباد الله بمنهج الله.

وقد عبر عن هذه الغاية الإمام حسن البنا، وجعلها غاية جماعة الإخوان كلها فقال: «إن غاية الإخوان تنحصر فى تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح؛ يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة؛ فى كل مظاهر حياتها، ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ وإنَّ وسيلتهم فى ذلك تنحصر فى تغيير العرف العام، وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم، حتى يكونوا قدوة لغيرهم فى التمسك بها والحرص عليها والنزول على حكمها، وإنهم ساروا إلى غايتهم فى حدود وسيلتهم فوصلوا إلى درجة من النجاح يطمئنون إليها، ويحمدون الله عليها، وأظننى لست فى حاجة إلى مزيد شرح أو بيان فى هذه الناحية»(١).

ثم يتحدث مرة أخرى عن هذه الغايات فيحصرها فى هدفين اثنين، وذلك حيث يقول: «... ولكن اذكروا دائمًا أن لكم هدفين أساسيين:

١ - أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى، وذلك حق طبيعى لكل إنسان، لا ينكره إلا ظالم جائر أومستبد قاهر.

٢ - وأن تقوم فى هذا الوطن الحُرّ دولة حُرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعى، وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة الناس.

وما لم تقم هذه الدولة، فإن المسلمين جميعًا آثمون مسئولون بين يدى الله العلى الكبير

---

(١) الإمام البنا: رسالة المؤتمر الخامس: ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

عن تقصيرهم فى إقامتها، وقعودهم عن إيجادها.

ومن العقوق للإنسانية فى هذه الظروف الجائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادئ الظالمة، وتنادى بالدعوات الغاشمة، ولا يكون فى الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام.

نريد تحقيق هذين الهدفين فى وادى النيل، وفى بلاد العروبة، وفى كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام: دين وجنسية وعقيدة توحد بين جميع المسلمين»[1].

● وهذه الغاية الكبرى أو الهدفان الكبيران يندرج تحتهما مئات الأهداف الخاصة ومفردات العمل من أجل الإسلام، مما لا سبيل إلى تفصيله فى هذه الدراسة.

● وذلك معناه أن الوصول إلى هذه الغاية العظمى يحتاج إلى عمل متواصل، متواصل المراحل والحلقات، وأنواع العمل ومفرداته،

ومتواصل فى الأزمان والأوقات،

ومتواصل فى الأمكنة والأصقاع.

– إن هذه الغاية الكبرى لا تتحقق إلا بهذا العمل المتواصل، وإن تواصل العمل يعنى مزيداً من التخطيط لكل نوع من أنواع العمل الإسلامى وفى كل مفردة من مفرداته.

– وهذا التواصل فى العمل من أجل تحقيق هذه الغاية، يعنى الدأْبَ والاستمرار فى كل مرحلة من مراحل الدعوة، وفى كل شُعبة من شُعب العمل، وفى كل جزئية من جزئياته ومفرداته.

● وما أكثر شعب هذا العمل، وما أعظم جزئياته، وما أكثر عدد مفرداته، وإن كل صغيرة أو كبيرة من أعمال المراحل كلها وجزئيات العمل جميعًا داخلة فى وجوب مواصلة العمل واستمراره حتى تتحقق الغاية.

والبعد الثالث:

الصبر على الامتحان والابتلاء والصدق فى ذلك.

هذا هو البعد الثالث أو الطريق الثالث الذى تسعى فيه مرحلة التنفيذ وهو طريق الصبر

---

(١) الإمام البنا: رسالة بين الأمس واليوم: ١٣٦٠هـ - ١٩٤٢م.

على الابتلاء والامتحان، ومعنى ذلك أنه لا بد من امتحان وابتلاء يلقاه كل من يعمل من أجل الله ومن أجل الحق والعدل، تلك سنة الله فى الذين خلوا من قبل، وهى سنة في الذين يجيئون من بعد، ﴿ **ولن تجد لسنة الله تبديلا** ﴾.

- وإذا كانت هذه المرحلة أحفل المراحل بالامتحان والابتلاء؛ لأن العمل يأخذ أسلوبًا عمليًا تنفيذيًا فاعلاً، شديد التأثير فى المجتمع، وهذا من شأنه أن يستفز أنصار الباطل وأعداء الإسلام، لرؤيتهم رأى العين أن الكلام عن الإسلام وقيمه ومبادئه قد تحول إلى عمل.

- وشأن أعداء الاسلام - دائمًا - أن يشنوا حربًا أو حروبًا على الدعاة إلى الله وأبناء الحركة الإسلامية؛ خشية أن يصلوا بهذه الأعمال إلى مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض؛ لاعتقادهم الراسخ بأن ذلك سوف يقتلعهم من مناصبهم ويزيحهم من أماكنهم؛ ومن هذا التصور الذي قد لا يكون صحيحًا، يتصرفون - لأن المبدأ الإسلامى العام هو: « .. ويتوب الله على من تاب » رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عباس رضى الله عنهما.

- ومن أجل هذا التصور يتبارى أعداء الإسلام فيما بينهم أيهم يكون أقسى على الإسلاميين من غيره! إذ فى ذلك حماية لهم جميعًا - كما يتوهمون - وليس التضييق على الإسلاميين فى معظم الأقطار الإسلامية فى أعمالهم من أجل الإسلام، وفى التعبير عن المضمون الإسلامى للإصلاح، ليس هذا التضييق قد جاء عفوًا، وإنما هو تخطيط عالمى تقوده أوربا وأمريكا واليهود، وتقوم عليه الشواهد والبراهين فى كل حين.

- ومن أعجب العجب أن الإسلاميين عندما استطاعوا من خلال لعبة الديموقراطية أن يصلوا إلى المجالس التشريعية، فإن دهاقين الديموقراطية رفضوا هذا الوصول وإن كان عن طريقهم المقدس، كما حدث ذلك فى الجزائر! فإن إلغاء الانتخابات وتدخل الجيش وتشجيع فرنسا أولاً وأوربا وأمريكا واليهود ثانيًا، قد حال بين الإسلاميين وبين التعبير عن مشروعهم الإصلاحى بهذه الصورة الفجة التى ساندها القانون والدستور الذى اصطنعوه!!

- وقد يكون - كما هو مشاهد اليوم فى أكثر من قطر إسلامى - تحريك موجة من الإرهاب الذى يقوم به بعض المسلمين الغافلين الذين لا يفقهون الإسلام[1] من الأسباب التى تغرى

---

(١) أولئك الذين يقتلون الأبرياء من النساء والأطفال وغيرهم فيفجرون القنابل، ويدمرون المقاهى وتجمعات الناس فى الشوارع، لا يمكن أن يجدوا مستندًا -ولو واهيًا- فى الإسلام لإباحة دماء الأبرياء، ولكنه الجهل والتعبير عن السخط على الحكام بأسلوب أبعد ما يكون عن الإسلام، فاللوم على أولئك شديد واتهامهم بجهل الإسلام والخروج على أحكامه يقوم على الدليل والبرهان. =

كثيراً من الحكومات المسلمة بضرب الحركات الإسلامية كلها، حتى الذين يفقهون دينهم ويحافظون على حدوده وأحكامه وشروطه وآدابه.

● وليس التضييق على الإسلاميين فى التعبير عن برامجهم ومناهجم وأفكارهم الإصلاحية، ومنعهم من المشاركة فى أى نظام سياسى أو حزبى أو ديموقراطى، ليس ذلك نتيجة لضيق أعداء الإسلام، من بعض الحكام، وبعض الإعلاميين وبعض التربويين، وكثير من العاملين فى مجالات الفنون وحدهم، وإنما ذلك نتيجة لضيق أعداء الإسلام من غير المسلمين، وبخاصة المتعصبون ضد الإسلام، والصليبية الجديدة، والصهيونية والنظام العالمى الجديد بقيادة أمريكا، وهو - على العموم - ليس مجرد ضيق فقط، ولكنه ضيق يصحبه -إن لم يسبقه- تخطيط وتنسيق وتعاون فى غاية الإحكام.

● ولابد أن يوقع هذا التضييق الإسلاميين - وهم قلة فى الغالب - فى كثير من ألوان الامتحان والابتلاء، فى المال والمنصب والأهل والوطن، بل فى الأنفس فى كثير من الأحيان، ويتصور أعداء الإسلاميين أن هذه المحن والابتلاءات قد تصرف الإسلاميين عن العمل من أجل تحقيق أهدافهم، أو تصيبهم بالفزع والرعب والنكوص والتراجع، ولكن هؤلاء واهمون إن لم يكونوا فى غفلة عن سنن الله تعالى فى الصراع بين الحق والباطل؛ إذ يزيدهم هذا العداء والتضييق وتلك المحن، يزيدهم ذلك تمسكًا بالحق وإصرارً عليه وصبراً على الاستمرار فى العمل، ومزيداً من الإقبال على الله، والتعامل مع المحن بالصبر والاحتساب مثل ما يتعاملون مع المنحة بالشكر والامتنان.

● وما من أحد من الدعاة السابقين أنبياء ومرسلين وغيرهم من الدعاة على مرّ الأزمان إلا وهو يعرف أن العمل من أجل الإسلام يعرضه للامتحان والابتلاء، ولذلك كان التواصى بالصبر على تلك المحن والابتلاءات.

● إن تلك المحن وهذا الصبر المطلوب من الدعاة، سنة من سنن الله تعالى فى المؤمنين، كما دلت على ذلك نصوص إسلامية كثيرة، نذكر منها ما يلى:

= لكن الذين حالوا بينهم وبين التعبير عن أفكارهم الإسلامية الإصلاحية من خلال صناديق الانتخاب، مخطئون كذلك، فالطرفان يتبادلان الخطأ والخروج على سماحة الإسلام واحترامه للحريات وحقوق الإنسان، والرابح فى ذلك كله هو عدو الإسلام الذى أغرى بذلك ومهد له فى نفوس هؤلاء وأولئك، ولو أفاق الجزائريون - حكامًا وإسلاميين - لعلموا أن عدوهم المشترك هو فرنسا وأوربا واليهود!!!

أولاً: من القرآن الكريم:

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) ﴾ [البقرة: ١٥٥].

- وقال جل وعلا: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (31) ﴾ [البقرة: ١٥٥].

- وقال جل شانه: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

قال ابن كثير فى تفسير هاتين الآيتين: «هذا استفهام إنكار، ومعناه: أن الله تعالى لابد أن يبتلى عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى بسنده عن سعد رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صُلْبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتُلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة».

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

- وقال جل شانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214) ﴾ [البقرة: ٢١٤].

- وقال عزَّ من قائل: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16) ﴾ [التوبة: ١٦].

ثانيًا: من الأحاديث النبوية الشريفة:

- روى الإمام مسلم بسنده عن صهيب بن سنان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له».

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبيًّا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قوبه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون».

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه».

– وروى البخارى بسنده عن خبَّاب بن الأرَتّ رضى الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً له فى ظل الكعبة - وفى رواية - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه؛ ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

– وروى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «إن أعظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

– وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى، وما عليه خطيئة».

– وروى مسلم بسنده عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كَبِر قال للملك: إنى كبرتُ فابعث إلىَّ غلامًا أعلّمه السحر، فبعثَ إليه غلامًا يُعَلِّمه، وكان فى طريقه - إذا سلك - راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مَرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى، وإذا خشيت أهلك فقال: حبسنى الساحر، فبينما هو على ذلك إذْ أتى على دابّة عظيمة قد حبستْ الناس، فقال: اليوم أعْلم الساحرُ أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أى بنى، أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من

أمرك ما أرى، وإنك ستُبتَلَى، فإن ابتليت فلا تُدلّ عليّ.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتنى، فقال: إنى لا أشفى أحداً، إنما يشفى الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوتُ الله فشفاك، فآمَنَ بالله تعالى، فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك:

مَنْ رَدَّ عليك بصرك؟

قال: ربى.

قال: أو لك ربٌ غيرى؟

قال: ربى وربك الله.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دَلَّ على الغلام فجيء بالغلام.

فقال له الملك: أى بنى، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل!

فقال: إنى لا أشفى أحداً، إنما يشفى الله تعالى.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب.

فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقَّه حتى وقع شِقَّاه.

ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى.

فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئتَ، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشى إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟

فقال: كفانيهم الله تعالى.

فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه فى قرقور، وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشى إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى.

فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به!

قال: ما هو؟!

قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خُذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلتَ ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فمات.

فقال الناس: آمنَّا برب الغلام.

فأُتيَ الملك، فقيل له: أرأيتَ ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حَذَرُك، قد آمن الناس!

فأمر بالأخدود فأفواه السكك، فخُدّت، وأضرم فيها النيران، وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم. حتى جاءتْ امرأة ومعها صَبيٌّ لها فتقاعَسَتْ أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمّه، اصبرى فإنك على الحق».

● وفى هذه المعانى الرفيعة والأمثلة المعبرة عن الصبر على الامتحان والبلاء، يقول الإمام البنا رحمه الله: «ولا يصبر عليهما إلا الصادقون»؛ أى لا يصبر على الامتحان والابتلاء - فى مرحلة التنفيذ - إلا الصادقون؛ أى صادقوا الإيمان، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه فى سبيل الله وما آمن به، ومنهم من هو ثابت على عهده لا يتزحزح عنه ولا يميل حتى يأتيه أجله وهو على الحق صابر صادق فى صبره.

وبَعْد إيراد هذه النصوص الإسلامية من الكتاب والسنة، فإنى أودّ أن أستخلص منها حقائق ثابتة لا تتخلف، لأنها تعد من سنن الله تعالى فى الصراع بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، وهذه الحقائق هى:

أولا:

أنَّ الامتحان والابتلاء من الله تعالى لعباده المؤمنين سُنَّة ماضية إلى يوم القيامة، وأنها سنة لم تتخلف مع نبى أو رسول أو رجل صالح من المومنين، ولا مع أهل دين من الأديان،

ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

فاليهود؛ ابتُلوا، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) ﴾

[البقرة: ٤٩].

– ولنصارى؛ ابتلوا أيضًا، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) ﴾ [البروج: ٤ - ٨].

– والمسلمون - على عهد النبى ﷺ، ابتُلوا كذلك فعُذّبوا وحُبسوا بالشعب وحوصروا اجتماعيًا واقتصاديًا وطُردوا من ديارهم، وتحداهم النضر بن الحارث فى مكة بالقصص المتحدّى للقرآن الكريم، وتحداهم المنافقون فى المدينة بمسجد الضرار المتحدّى للمسجد النبوى.

وابتُلى المسلمون فى غزوة أحد وغزوة الأحزاب وغزوة حنين.

وابتُلى الرسول ﷺ بحديث الإفك الذى تناول أهل بيته الأطهار.

وابتليت الحركات الإسلامية الإصلاحية فى كل عصر، وصُبَّ عليها البلاء صبًّا فى العصر الحديث بالسِّجن والاعتقال والتعذيب والتشريد والقتل، مما هو معروف ومذاع على العالم كله بمزيد من الصراحة - على الرغم من الادعاء باحترام حقوق الإنسان!!!

ثانيًا:

أنَّ الامتحان والابتلاء كما يكون بالمحنة والعذاب، قد يكون بالمنحة والنعمة، فالله تعالى قد يبتلى بالمضار ليختبر الصابرين، وقد يبتلى بالمسَّار ليختبر الشاكرين، وربما كان القيام بواجب الشكر أشقَّ من القيام بواجب الصبر، كما قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر.

ثالثًا:

أنَّ هدف الابتلاء هو رفع درجات المؤمنين عند الله تعالى، كما يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) ﴾ [العنكبوت: ٢].

كما أن من أهداف الابتلاء اختبار صدق الصادقين وكشف نفاق المنافقين، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** (٣) ﴾ [العنكبوت: ٣].

رابعًا:

أنَّ العاقبة للمتقين، والنصر لمن نصر الله تعالى، والعزة لمن أعز دينه وضحى فى سبيله، تصديقًا لقوله ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن خبَّاب بن الأرت رضى الله عنه: «... والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

وإن هذه الحقيقة لا تغيب عن المؤمنين، ولكن فداحة المحنة وضخامة الابتلاء قد تذهل بعض المؤمنين عن ذلك فيهم بالتراجع عن موقفه، ولكن ما يلبث أن يهيئ الله تعالى فى مثل هذه الظروف صبيًّا ينادى على من تقاعس قائلاً له: إنك على الحق فاصبر!!!

خامسًا:

أنَّ كل ما يصيب الإنسان فى سبيل الله؛ أى فى سبيل الحق والإيمان به والتواصى به والصبر عليه والدفاع عنه والتضحية من أجله، كل ما يصيب الإنسان فى سبيل ذلك من هم أو حزن أو نصب أو وصب، أو محنة أو فتنة، حتى الشوكة التى يشاكها المؤمن فى سبيل الله، إنما يكون كفارة لذنب أذنبه، كما جاء بذلك كلام النبى المعصوم الموحى إليه، بل لا يزال يُكَفَّر ذنبٌ ثم آخر ثم ثالث، كلما تحمل فى سبيل الله تعالى، حتى يمشى على الأرض وما عليه ذنب أو خطيئة، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

فمنْ مِنَ الناس لا يرضيه هذا؟

إنها منزلة لا يستحقها إلا الذين صبروا وإلا كل ذى حظ عظيم.

سادسًا:

أنَّ المؤمن كلما اشتد به الأذى فى سبيل الله، كلما دل ذلك على إيمانه ومكانته عند الله تعالى، وأن أصحاب المكانات العالية والمقامات الرفيعة فى هذا المجال، هم الأنبياء والمرسلون ثم الأمثل فالأمثل، ومَنْ أراد أن يستيقن من ذلك فليتذكر قول الله تعالى: -: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ**

﴿ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٤]. وليتدبر قول الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي بسنده عن أنس رضي الله عنه: «إن اعظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

سابعًا:

أنّ الأنبياء والدعاة إلى الله أكثر علمًا وخبرة بطبائع البشر وخصوصًا الاشرار من المعاندين للحق، وأنّ الله تعالى قد منح الأنبياء والدعاة صبرًا وتحملاً نادرين، بل آتاهم من رحابة الصدر والتسامح وحب الناس وحب الخير لهم، آتاهم من كل ذلك قدرًا، حكى عنه المعصوم ﷺ وهو يقص عن نبي آذاه قومه وضربوه حتى أدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، كما روى ذلك البخاري ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

بل كان ذلك شان المعصوم ﷺ نفسه، فيما رواه البخاري ومسلم واحمد بأسانيدهم عن عائشة رضي الله عنها وقد سالت رسول الله ﷺ عما لقي من قومه، فقال ﷺ: «لقد لقيت من قومك؛ وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردتُ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابه قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع كلام قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم، فناداني ملك الجبال؛ فسلّم عليّ ثم قال: يا محمد، فقال ذلك، فما شئتَ؛ إن شئتَ أطبق عليهم الأخشبين، قلت: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا».

ألا فليتدبر الدعاة إلى الله والمتحملون لأنواع الامتحان والابتلاء في سبيل الله هذا الكلام النبوي الهادي المعلم، الذي يحبب إليهم الصبر ويحيي في نفوسهم الأمل في أن يهتدي الأعداء أو يهتدي أبناؤهم والأجيال الآتية من بعدهم.

وبعد: فلعلي أوضحت أبعاد مرحلة التنفيذ، وحددت الأبعاد التي يجب أن تكون فيها حركتها.

وإذا كانت تلك أبعاد مرحلة التنفيذ، فما هي طبيعتها؟

● أما طبيعة مرحلة التنفيذ فهى موجزة فى كلمة واحدة، عبر عنها الإمام البنا بأنها «كمال الطاعة»؛ حيث قال: «ولا يكفل النجاح فى هذه المرحلة إلا كمال الطاعة».

غير أن «كمال الطاعة» صفة لا تأتى من فراغ، وإنما هى نتيجة لتوافر صفات أخرى فى عضو هذه المرحلة، ونرجو أن نوضح ذلك فى هذه الصفحات من الكتاب، والله ولى التوفيق.

طبيعة مرحلة التنفيذ تتمثل فيما يلى:

أولا: خصوصية المرحلة، بل إفراطها فى الخصوصية،

ثانيًا: تعهد أعضائها بتحقيق أركان البيعة،

ثالثًا: وتطبيق الإسلام عمليًا على النفس والأهل والولد والإخوة الذين هو مسئول عنهم،

رابعًا: وضع أهداف الإسلام نصب العين للعمل على تحقيقها،

خامسًا: كمال الطاعة.

ولنلق ضوءًا على هذه الأمور الخمسة التى تمثل طبيعة مرحلة التنفيذ، والله تعالى هو المستعان.

أولاً: خصوصية المرحلة:

سبق أن وضحنا أن مرحلة التكوين لها طابع خاص فى دعاتها، وفى نوع العمل فيها، وفى أعضائها، ومرحلة التنفيذ تقوم على اصطفاء العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد والاستمرار فى العمل الموصل إلى تحقيق الأهداف ـ من مرحلة التكوين، وكانت مرحلة التكوين قائمة على اصطفاء العناصر الصالحة من مرحلة التعريف، وقد سبق أن قررنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب.

– ونؤكد هنا أن مرحلة التنفيذ بناء على ذلك هى: خيار من خيارمن خيار ـ ولا نزكى على الله أحدًا، وإنما هى الشروط فى هذه المرحلة . ومعنى ذلك أن أعضاء هذه المرحلة هم صفوة مرحلة التكوين الذين هم صفوة مرحلة التعريف، فهم بناء على ذلك: صفوة الصفوة.

– ولابد أن يكون قادة هذه المرحلة صفوة أبنائها الذين اجتازوا برامجها بنجاح، فهم إذن: صفوة صفوة الصفوة.

– والدعوة فى هذه المرحلة، وأعمالها جميعًا على مستوى الخصوصية؛ فهى تمارس الإسلام

عمليًا، وتجاهد جهادًا لا هوادة معه، وتعمل بدأب واستمرار حتى تحقق الأهداف، وتصبر بصدق على كل محنة وابتلاء وتتلقى التوجيهات والتعليمات من قيادتها على مستوى: كمال الطاعة.

● والذى أحب أن أخلص إليه فيما قلت هو:

– خصوصية أعضاء هذه المرحلة، بل هم خاصة الخاصة.

– وخصوصية قادة هذه المرحلة فهم: خاصة خاصة الخاصة.

– وخصوصية العمل فى هذه المرحلة، فهو لب الدعوة ومخها وعصبها، وتلك خصوصية ممعنة فى الخصوصية.

أى أن هذه المرحلة - مرحلة التنفيذ - ذات طابع خاص، بل خاص الخاص، وإنما تزيد الخصوصية فى مرحلة مّا نتيجة لخصوصية مّا تستهدفه المرحلة من أهداف، وهذه المرحلة تستهدف تطبيق الإسلام على الحياة، وهو ذروة الأهداف.

● وعند النظر التفصيلى فى أهداف هذه المرحلة، نجد من بينها:

إعداد العلماء الباحثين فى كل مجال من المجالات التى يحتاج إليها المشروع الحضارى الإسلامى المعاصر، الذى لم يُعَدُّ حتى الآن إعدادًا علميًا يقوم به جمع من العلماء يمثلون فريقًا متكاملاً، بل كل الذى حدث فى هذا المشروع هو جهود فردية لا تعدوا أن تكون اجتهادًا فرديًا لا يزال يحتاج إلى دعم وتوثيق بأن تتبناه جماعة من العلماء المتخصصين فى كل مجال من مجالاته.

– وهذا الإعداد لهؤلاء العلماء المتخصصين تتولاه هذه المرحلة دون غيرها من المراحل التى سبقتها، فتنتقيهم من بين المتميزين علميًا من أعضاء هذه المرحلة، وتلك خصوصية للمرحلة تميزها على غيرها من المراحل، التى تمثل منهج العمل الإسلامى.

هذا - بإيجاز - عن خصوصية مرحلة التنفيذ.

ثانيًا: تعهد أعضاء المرحلة بتحقيق أركان البيعة:

أركان البيعة[1] هى:

– الفهم للإسلام، أصوله وقواعده فى ضوء المبادئ العشرين التى أوضحها الإمام البنا، عليه

---

(١) هذه الأركان هى موضوع هذه السلسلة «فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا»، وهى أركان عشرة.

رحمة الله

- والإخلاص لله وقصد وجهه من كل قول وعمل يقوم به المسلم،
- والعمل بشعبه السبع التى حددها الإمام البنا في ركن العمل،
- والجهاد بالوقت والجهد والمال والنفس فى سبيل الله تعالى، لتمكين دينه فى عباده،
- والتضحية بكل شيء فى سبيل الغاية،
- والطاعة لله ولرسوله وللقائد ولكل من له ولاية؛ بشرط ألا تكون فى معصية والا تكون طاعة عمياء،
- والثبات بمعنى الاستمرار على الجهاد فى سبيل الغاية،
- والتجرد للإسلام من كل مبدأ آخر، ومن كل شخص أو زعيم، والتعامل بالميزان الإسلامى الصحيح للمبادئ والأشخاص والأشياء،
- والأخوة فى الله التى تربط المسلمين برباط العقيدة، وتدعم تعاونهم على البر والتقوى، وان أحدهم لأخيه كالبنيان يشد بعضه بعضا،
- والثقة فى القيادة المسلمة فى إخلاصها وكفاءتها، اطمئنانًا عميقًا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة.

● ومَنْ تعهد بتحقيق هذه الأركان فقد استوفى أسهم الإسلام وشُعب الإيمان، وكان جديراً بأن يتم على يديه النصر، وتتحقق بجهده وجهاده الأهداف، فتكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، ويتمكن دين الله ومنهجه فى الأرض.

● وليس هذا التعهد كلمات تُقال، وليس مجرد نوايا تنعقد عليها القلوب ولكنه نية وعمل، وعزم وتنفيذ، وإلزام والتزام، وإخلاص وتفان؛ لأن هذه الأركان هى دعائم البناء لشخصية المسلم المتكاملة، وهى الصفات التى نراها ونحس بها فى صحابة رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم، الذين انطلقوا بها فى العالم الذى يحيط بهم، يحملون منهج الإسلام وما فيه من عدل وإنصاف للبشرية كلها، حتى بلغوا فيهما يقرب من نصف قرن من الزمان فى نشر هذا الدين الخاتم ما يقرب من نصف العالم المعروف آنذاك!!!

● إن التعهد بتحقيق هذه الأركان العشرة يعنى جهاداً لا هوادة معه، وعملاً متواصلاً فى سبيل الوصول إلى الغاية؛ وصبراً صادقًا على الامتحان والابتلاء، كما يعنى «كمال

الطاعة»، وإن ذلك ليس سهلاً ولا يطيقه إلا أقوياء الرجال ممن صدقت عزائمهم، وأقبلوا على الله بهذه التضحيات، ونسوا ما يصيبهم فى سبيل الله من نصب أو وصب أو هم أو حزن، موقنين بأن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

ومعنى هذا أن تكون مشاغلهم الدنيوية على المستوى الذى شرعه الله للمسلمين والذى تمثل فى قول الرسول فيما رواه البخارى مبوبًا به، وما رواه أحمد والنسائى وابن ماجة بأسانيدهم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة».

ثالثًا:

وتطبيق الإسلام عمليًا فى الحياة:

وهذا من طبيعة هذه المرحلة، فهى مرحلة التنفيذ؛ أى التطبيق، وهذا التطبيق العملى للإسلام ليس أمرًا هينًا؛ لأن ما يسود المجتمعات الإنسانية اليوم من قيم، بعيد بُعْدًا شديدًا عن القيم الإسلامية والتى هى الحق والعدل والصدق والعفة وحب الخير للناس والتعاون على البر والتقوى، وسائر شعب الإيمان السبع والسبعين[1]، ومن هنا يبدو المسلم المتمسك بقيم الإسلام كالغريب فى المجتمع الذى يعيش فيه، ومع هذا الإحساس بالغربة تكون المعاناة ويكون تصدى المجتمع لهذا الغريب المتمسك بدينه المطبق له بين أناس تجرفهم القيم الفاسدة!!!

● إن هذا التطبيق العملى للإسلام يجب أن يكون على المستويات التالية:

– على مستوى الشخص نفسه فى كلامه وعمله وملبسه وطعامه وشرابه ومسكنه وكل أمره،

– وعلى مستوى أهله زوجًا وأبناء،

– وعلى مستوى كل من ولى أمره من الأقارب،

– وعلى مستوى من هو مسئول عنهم من إخوانه فى أى عمل من أعمال الدعوة إلى الله، أو الحركة أو التربية أو التنظيم،

---

(١) انظر فى ذلك: البيهقى: شعب الإيمان أو مختصر شعب الإيمان له أيضًا ،ط: المنيرية، القاهرة: ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦م.

- وعلى مستوى كل من يستطيع أن يؤثر فيه من الناس، أصدقاء وزملاء وجيرانًا.

● ومن المؤكد أن الإسلام لن يجد تعبيرًا عنه أكثر إيجابية من تطبيقه عملياً فى الحياة، إن ذلك أقوى من كل كلام يقال أو يسجل فى كتاب، ومن المؤكد كذلك أن الصراعات التى تجرى بين الناس- نتيجة لاختلال القيم التى تحكمهم - سوف تزول تمامًا إذا هم طبقوا القيم الإسلامية، ويحل محلها الوئام وتبادل فعل الخير، وهذا من شأنه أن يقلل من حجم الجريمة التى تتعاظم فى عصرنا هذا؛ حتى تغطى أكبر مساحة فى المجتمع.

● إن التطبيق العملى للإسلام سوف يقدم للناشئة فى البيت وفى المدرسة وفى الشارع نماذج حية للإسلام، ومنها وبها يتأثر المتلقى فى البيت والمدرسة والشارع، ومن هنا يسهل على الناس تطبيق الإسلام على حياتهم، ويخرجون من دائرة التناقض التى يعيشونها عندما يقرأون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فيرون أرقى درجات الرفعة، وينظرون فيما حولهم وفيمن حولهم من الآباء والمعلمين والقادة والمسئولين فلا يجدونهم على المستوى الذى تضمنه الكتاب الكريم أو دلت عليه السنة النبوية المطهرة.

● وإن هناك مشكلة عويصة فى داخل صفوف الذين يعملون من أجل الإسلام وهى تهاون بعضهم فى الالتزام بأخلاق الإسلام خضوعًا منهم لما يسود المجتمع من قيم، وهو أمر على جانب كبير من الأهمية والخطر؛ إذ يحرم العاملين من أجل الإسلام من النصر؛ لأن النصر لا يكون إلا للمؤمنين، ولا إيمان بغير التزام بأخلاق الإسلام وقيمه، التزامًا عمليًا، يصبح هو الطابع العام الذى يسود المجتمع ويرسم معالم أخلاقه.

رابعًا:

ووضع أهداف الإسلام نصب العين:

من طبيعة مرحلة التنفيذ التى لا تفارقها بحال، أنها المرحلة التى يضع العاملون فيها قادة- وأعضاء- نصب أعينهم أهداف الإسلام، ليجاهدوا بغير هوادة من أجل تحقيقها، وليعملوا فى استمرارية وتواصل على أن يبلغوا الغاية فى جعلها موضع التنفيذ، صابرين محتسبين بالنسبة لكل ما يصيبهم فى ذلك من امتحان وابتلاء، وإن ما يصيبهم فى سبيل ذلك لكثير!!!

● إن تواصل العمل واستمراره من أجل تحقيق هذه الأهداف يعنى أعباءً جسيمة وجهودًا ضخمة فى مجالات العمل من أجل الإسلام، كما تعنى أن واحدًا من العاملين لا يجوز له

أن ينى أو يكسل؛ فضلاً عن أن يتراجع أو ينتكس، خوفًا من بطش ظالم أو استجابة لوسوسة شيطان من الإنس أو من الجن.

● ومجالات العمل من أجل الإسلام التى تلزمها هذه المواصلة كثيرة ، نذكر منها ما يلى :

١ - مجال التعريف بالإسلام:

مبادئه وأصوله وقيمه ونظمه وأخلاقه وآدابه، وهذا التعريف نوعان:

- نوع بالقلم واللسان، وهذا واجب العلماء والقادرين من أهل الاختصاص فيما يكتبون أو يقولون.
- ونوع بالتمسك الفعلى بالإسلام؛ أى إعطاء القدوة.

٢ - ومجال الدعوة إلى الله:

وذلك المجال أنواع:

- مجال الدعوة الفردية،
- ومجال الدعوة العامة فى المسجد ونحوه،
- ومجال الدعوة الخاصة فى مجموعة من الناس.

٣ - ومجال الحركة بالإسلام فى الناس:

وذلك المجال أنواع:

- الاختلاط بالناس وحبهم وحب الخير لهم،
- وجذبهم وتحبيبهم فى الخير،
- وتصنيفهم حسب ما بينهم من فروق فردية،
- والاستجابة لفعل كل ما يصلح دينهم ودنياهم حسب هذا التصنيف.

٤ - ومجال التربية الإسلامية:

وذلك المجال أنواع:

- تربية الروح والخلق،
- وتربية العقل والثقافة،
- وتربية البدن،

– وتربية الحس الاجتماعى والسياسى والاقتصادى،

– وتربية الحس الجمالى،

– وتربيتهم على الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

٥ – ومجال التنظيم والتخطيط والإدارة:

وذلك المجال أنواع:

– حسن التوظيف للعمل وللعاملين،

– وحسن التنسيق بين الأعمال والعاملين،

– وحسن الترشيح ودقته «التزكية لعمل أكبر»،

– وحسن التوريث لأعمال الدعوة كلها،

– وحسن دراسة الموقف وحسن اتخاذ القرار بعد الشورى.

خامساً: كمال الطاعة:

وكمال الطاعة من طبيعة هذه المرحلة، بل من أبرز خصائص طبيعتها؛ وذلك أن كل هذه الأعمال والصفات والخصائص التى اعتبرناها من طبيعة هذه المرحلة لا تؤدى على وجهها، فضلاً عن أن تتم وتكتمل؛ إلا إذا صاحبتها طاعة كاملة للمسئول، فتلك الطاعة من طاعة الله ورسوله وأولى الأمر.

● ومما يدعم هذا الذى نقول ويؤيده، ما قاله الإمام البنا فى هذه المرحلة، حيث قال: «ولا يكفل النجاح فى هذه المرحلة إلا كمال الطاعة»:

كمال الطاعة من الجندى لقائده، وهذه القيادة فى تلك المرحلة جديرة بالطاعة بل بكمال الطاعة؛ لأن قيادة هذه المرحلة - كما قدمنا - صفوةُ صفوة الصفوة؛ فهى قيادة موصوفة بحكم موقعها بالصفات التالية:

– الحكمة والرفق وبعد النظر، والقدرة على التعامل مع المتغيرات،

– والحزم والعزم والحسم، والكفاءة، والغيرة على العمل،

– وسعة الثقافة وصفاء الرؤية لما يحيط بالعمل والعاملين من ظروف،

– والقدرة على الاستشارة والمشاورة، وجعل الشورى أساساً لأى قرار تتخذه فى وقته ومكانه الملائمين،

– والإخلاص والتجرد عن الهوى، والتقرب إلى الله بإنفاذ العمل.

● والجندى فى هذه المرحلة - كما قدمنا - من صفوة الصفوة، فهو جندى موصوف - بحكم موقعه كذلك – بصفات جيدة من أبرزها ما يلى:

– تكامل بناء شخصيته - إذ اجتاز مرحلة التكوين بنجاح - من النواحى الروحية والعقلية والبدنية،

– ونضجه فى مجال العمل الإسلامى، فقد خبر مرحلة التعريف ونجح فى اجتيازها، ومرّ بمرحلة التكوين فاستوعبها ونجح فى اجتيازها، وحسبه بذلك نضجًا ووعيًا وإدراكًا،

– وتمرسه بالعمل من أجل الإسلام فى مجالات الدعوة والحركة والتربية تمرسًا يجعله يقدر العمل والعاملين؛ فضلاً عن تقديره للقادة.

– وفقهه للجندية، إذ أجادها فى مرحلة التكوين، وعرف أهميتها فى الإنجاز، ومدى ما فيها من رضا الله تعالى.

● وهذه الطاعة الكاملة فى هذه المرحلة مشروطة بشروط يجب أن نذكّر بها دائما وهى:

– أن تكون فى غير معصية لله تعالى،

– وأن تكون فى حدود الاستطاعة،

– وأن تكون خالية من التردد والمراجعة والشك والحرج،

– وأن تكون حسبة لوجه الله تبارك وتعالى.

● وعلى هذه الطاعة بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين فى اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ الموافق للرابع عشر من شهر إبريل سنة ١٩٤٠م.

– وهؤلاء الذين بايعوا هم الكتيبة الأولى من الجماعة، وكانوا قد أعُدوا تربويًا وفق رسالة المنهج التى نوهنا عنها آنفًا.

● وكانت نية الإمام البنا متجهة إلى أن تكون التربية عن طريق نظام الكتائب، وكان يريد أن يكون فى الجماعة اثنتا عشرة كتيبة- والكتيبة ألف من الرجال - حتى يضمن اثنى عشراً ألفًا من المجاهدين فلا يغلبون فى معركة، من قلّة، كما ورد ذلك فى الحديث الشريف؛ فقد روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا يغلب اثنا عشر ألفًا من قلّة».

ولكن المتغيرات التى أحاطت بالدعوة، والتجربة التى خاضتها الجماعة جعلت الإمام البنا يتجه إلى نظام الأسر - وعدد أفرادها أربعة - لهم نقيب أى مسئول عنهم، وجعل للنظام برنامجًا هو ما تضمنته «رسالة التعاليم» من أركان البيعة العشرة، التى نحن بصدد شرحها فى هذه السلسلة «من فقه الإصلاح والتجديد عن الإمام حسن البنا».

● وسوف نعود إلى الحديث عن الطاعة فى النقطة الرابعة «د» التى نختتم بها الحديث فى مرحلة التنفيذ، وفى هذا الكتاب سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

وإلى الحديث عن أهداف مرحلة التنفيذ ووسائلها وهى النقطة الثالثة، قبل الحديث عن مكانة الطاعة فى هذه المرحلة وهى النقطة الرابعة «د» والأخيرة، والله المستعان.

حـ - أهداف المرحلة ووسائلها

يحمل اسم «مرحلة التنفيذ» مجمل أهدافها، أو هدفها الرئيس الذى تتفرع عنه سائر أهدافها - كما سنبين بعد قليل - إن الهدف الرئيس لهذه المرحلة هو التنفيذ أو التطبيق العملى للإسلام، بتحويل النظرية الإسلامية للحياة إلى تطبيق عملى، وعمل ميدانى.

● إن شأن النظرية الإسلامية أن تكون بالمؤمنين واقعًا عمليًا، هكذا فهم الصحابة رضوان الله عليهم الإسلام،والتوجيهات القرآنية النبوية على أنها تكاليف بالعمل، لا مجرد كلمات قرآنية تتلى ويتعبد بتلاوتها، فالله تعالى أنزل القرآن هدى وصراطًا مستقيمًا وطريقًا قويمًا وأمر بتطبيق ذلك وتنفيذه دون الاكتفاء بحفظه واستظهاره، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) ﴾ [الإسراء: ١٥٣].

● لقد كان الواحد من الصحابة رضوان الله عليهم يحفظ الآيات ليعمل بما تدعوه إليه، ولا يغادرها إلى سواها حتى يطبقها، لذلك لم يكن عجيبًا أن يحفظ أحدهم سورة البقرة فى أكثر من سنتين اثنتين!!!

● وما فائدة القرآن الكريم للمسلمين إذا لم يعملوا بما فيه وينفذوا أوامره؟ أيكتب بماء الذهب ثم يوضع على كرسى مرصع فى غرفة مفروشة بأغلى الفرش؟ أفى هذا جدوى للمسلمين؟ ألهذا أنزل الله تعالى كتابه وأرسل به رسوله؟

● إن تطبيق الإسلام كله: القرآن الكريم والسنة المطهرة هو الأصل وهو الواجب، وإن الاكتفاء بتلاوة القرآن الكريم، وقراءة السنة النبوية دون تطبيق لما أمرا به ونهيا عنه، هو من الضلال عن الغاية والهدف.

ولو ذهبت أبحث عن الأدلة على صحة هذا المذهب في العمل بما في الكتاب والسنة لاحتجت إلى كتاب مستقل، ولكن وضوح هذه الأدلة وكثرتها يغني قراء هذا الكتاب عن ذكرها، لأن قراء هذا الكتاب دعاة إلى الله، لا يغيب عنهم ذلك ولا شيء منه بإذن الله تعالى.

● وبوصف القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، وأتمها وأكملها، وبوصف السنة النبوية بأنها مثل القرآن، وأنها تُحل وتحرم كالقرآن سواء بسواء؛ لأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، بهذا الوصف جاء القرآن الكريم عامًا شاملاً لم يدع من خير إلا أمر به ولم يدع من شر إلا نهى عنه.

وقد اشتمل القرآن الكريم على كل الأنظمة التي تهيئ للإنسان سعادة الدنيا والآخرة؛ إن هو اتبعها وطبقها، ومن تلك الأنظمة:

١ – النظام الأخلاقي السلوكي،

٢ – النظام الاجتماعي،

٣ – والنظام السياسي،

٤ – والنظام الاقتصادي،

٥ – النظام الجهادي،

٦ – والنظام القضائي،

٧ – والنظام الخاص بنشر الدعوة إلى الله في الناس[1].

تلك كلمات وجيزة كان لابد منها قبل الحديث عن الأهداف في مرحلة التنفيذ، قصدت منها التأكيد على أن القرآن الكريم والسنة المطهرة فيهما كل أهداف الإسلام، فضلا عن أهداف مرحلة التنفيذ، والله حسبي وهو نعم الوكيل.

---

(١) كل نظام من هذه الأنظمة يحتاج إلى كتاب مستقل، ندعو العلماء إلى الكتابة فيه، فذلك جزء هام من المشروع الحضاري للإسلام.

أولاً:

أهداف مرحلة التنفيذ

من المنطقى الذى استقر فى نفسى أن تكون أهداف مرحلة التنفيذ هى تنفيذ الأركان التى سبقتها من أركان البيعة، أى أن الطاعة التى هى أبرز ما فى مرحلة التنفيذ؛ بحيث لا يكون التنفيذ إلا بها، تستهدف الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية؛ أى تنفيذ هذه الأركان وإخراجها من مجال النظريات إلى حيز التطبيق والتنفيذ.

– فمن فهم الإسلام أصوله ومبادئه وفرائضه وشروطه وأخلاقه وآدابه - عقيدة وعبادة وخلقًا ومعاملة - كما يقتضى ذلك الركن الأول من أركان البيعة وهو الفهم؛ فلابد أن يخرج ذلك الفهم إلى حيز التنفيذ، وإلا فلا قيمة لهذا الفهم لأنه لا أثر له.

● فمرحلة التنفيذ تستهدف أن يتحول أثر الفهم إلى عمل وتنفيذ.

– ومن أخلص لله وابتغى وجهه فى كل ما يقوم به من قول وفعل وحركة، وجد أن الأسلوب الأمثل للتعبير عن الإخلاص هو أن يتحول المخلص إلى إنسان يعبر عن إخلاصه فى قوله وعمله بأن يجعل هذا الإخلاص إخلاصًا عمليًا ينعكس أثره على كلامه وصمته وعمله وتركه؛ لأن الإخلاص إذا ظل عملاً قلبيًا دون التعبير عنه، فلا قيمة له؛ لأن ديننا يحتم علينا أن نعبر عن إيماننا وأن نترجمه بالعمل.

● فمرحلة التنفيذ تستهدف أن يقترن الإخلاص بالعمل؛ فهذا هو التطبيق للإخلاص.

– ومن عمل من أجل هذا الدين؛ كما ينادى بذلك الركن الثالث من أركان البيعة، فلابد أن تكون أنواع العمل السبعة التى تضمنها ركن العمل - كما سنوضح ذلك بعد قليل - قد خرجت إلى حيز التطبيق والتنفيذ، وأن تنعكس آثارها على الفرد والأسرة والمجتمع المسلم والمجتمع العالمى كله، وإلا كان العمل بغير طائل، ودخل فى دائرة الهباء المنثور.

● فمرحلة التنفيذ تستهدف أن يكون للعمل مجالات تطبيق وتنفيذ تعود على الفرد والمجتمع بخيرى الدنيا والآخرة.

– ومن جاهد فى سبيل الله بماله ونفسه لتكون كلمة الله هى العليا، فإن هذا الجهاد فى حد ذاته تطبيق وتنفيذ، إذ لا جهاد بمجرد النية ولا بمجرد الكلام وإطلاق الشعارات، وإنما الأصل أن تخرج هذه النية إلى حيز التطبيق والممارسة، وذلك ما تستوجبه مرحلة التنفيذ.

● فمرحلة التنفيذ تستهدف أن يكون الجهاد لا هوادة معه، وأن يكون مستمراً حتى تتحقق الأهداف؛ لأن ذلك هو التطبيق والتنفيذ للجهاد فى سبيل الله.

– ومَنْ ضحى فى سبيل الفكرة الإسلامية بوقته وجهده وماله ونفسه وكل شىء فى سبيل الغاية – كما يَقْتَضى ذلك ركن التضحية، فإن هذه التضحية لا تثمر ولا تعبر عن معناها إلا إذا دخلت حيز التنفيذ، وذلك أن الاستعداد للتضحية وحده دون تنفيذ وتطبيق لا يكفى ولا يجدى ولا يقدم للإسلام والمسلمين شيئًا له قيمته.

● فمرحلة التنفيذ تخرج التضحية من مجال النية والاستعداد إلى مجال العمل والتطبيق، وهذا هو الأصل وهو الأجدى والأقرب إلى الله تعالى.

أما تفصيل أهداف مرحلة التنفيذ فهى من الكثرة بحيث لا يكفى للحديث عنها هذا المجال الذى نتحدث فيه، وبحسبك بها ضخامة وكثرة أنها جميع أهداف الإسلام، لكننا سوف نكتفى بذكرأهداف خمسة استطعنا استشفافها من كلام الإمام البنا عنها، وتلك الأهداف الخمسة هى:

الهدف الأول:

العمل؛ أى التنفيذ والتطبيق على كافة مستوياته، وقد ذكرت رسالة التعاليم للعمل مستويات سبعة هى:

١ – على مستوى الفرد: بحيث يعمل الأخ ما فى وسعه ليكون قوى الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادرًا على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، حريصًا على وقته، نافعًا لغيره.

٢ – وبحيث يعمل الأخ على: تكوين بيت مسلم يحمل فيه أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية، وحسن اختيار الزوجة، وتوقيفها على حقها وواجبها، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام، وذلك واجب كل أخ على حدة كذلك.

٣ – وإرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل، والأمر بالمعروف، والمبادرة إلى فعل الخير، وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائمًا.

وذلك واجب كل أخ على حدة،

وواجب الجماعة كهيئة عامة.

٤ - وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبى - غير إسلامى - سياسى أو اقتصادى أو روحى.

٥ - وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق، وبذلك تؤدى مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها، وعامل على مصلحتها. والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير مجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه.

ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة فى غير منصب الولاية العامة، ولا عبرة بالشكل الذى تتخذه، ولا بالنوع مادام موافقًا للقواعد العامة فى نظام الحكم الإسلامى.

ومن صفاتها(1):

الشعور بالتبعة، والشفقة على الرعية، والعدالة بين الناس، والعفة عن المال العام، والاقتصاد فيه.

ومن واجباتها:

صيانة الأمن، وإنفاذ القانون، ونشر التعاليم، وإعداد القوة، وحفظ الصحة، ورعاية المنافع العامة، وتنمية الثروة، وحراسة المال، وتقوية الأخلاق ونشر الدعوة.

ومن حقها متى أدت واجبها:

الولاء والطاعة، والمساعدة بالنفس وبالأموال، فإذا قصَّرتْ فالنصح والإرشاد، ثم الخلع والإبعاد، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

٦ - وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها وإحياء مجدها، وتقريب ثقافتها، وجمع كلمتها؛ حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة.

٧ - وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه: ﴿**حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: ٣٩]. ﴿**وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ..**﴾ [التوبة: ٣٢].

وهذه المراتب الأربعة الأخيرة - من الرابع إلى السابع - تجب على الجماعة متحدة، وعلى كل أخ باعتباره عضوًا فى الجماعة، وما أثقلها تبعات وما أعظمها مهمات، يراها الناس

---

(1) أى الحكومة.

خيالا ويراها الاخ المسلم حقيقة، ولن نياس أبداً، ولنا فى الله أعظم الامل، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف: ٢١].

تلك هى مستويات العمل السبعة، على اعتبار أن العمل بهذه الصورة هو الهدف الأول لمرحلة التنفيذ.

أليست هى مرحلة التنفيذ والعمل؟!

والهدف الثانى:

الجهاد فى سبيل الله تعالىٰ بكل أنواعه وبغير هوادة.

وهذا الجهاد - كما هو معروف - أنواع، وله مراتب: أعلاها الجهاد بالنفس، ولهذا الجهاد بالنفس مراحل عديدة(١).

وأنواع الجهاد نشير إليها باختصار فيما يلى:

١ - جهاد للنفس:

ويكون بما يلى:

- بكف النفس عن فجورها وهواها،
- وإلزامها بتقوى الله واتباع منهجه - أى الكتاب والسنة،
- وحملها على تعلم الدين ومعرفة الحق وتعليمه للناس،
- وحملها على العمل بما علمت،
- وحملها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٢ - وجهاد الشيطان:

ويكون بما يلى:

- برفض ما يلقى فى النفس من وسوسة وشكوك وشبهات،

---

(١) لمعرفة تلك المراحل بالتفصيل؛ انظر للمؤلف: ركن الجهاد أوالركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة: ١٤١٥هـ ١٩٩٥.

- وبترك ما يزين للإنسان من مخالفة لله ومعصية له ولرسوله ﷺ،

- وبكظم الغيظ؛ لأن ذلك أغيظ للشيطان وأفسد لما يغرى به من شرور،

- وبالعفو عن الظالم، حتى لا تتفاقم الخلافات بين المسلمين ويضيع التسامح.

٣ - وجهاد أهل الظلم والمنكرات:

- وهذا النوع من الجهاد أوجبه الشرع كغيره من أنواع الجهاد الواجبة حتى جعله يصل أحيانًا إلى درجة فرض العين، وإن كان في معظمه من فروض الكفاية.

- وهذا النوع من الجهاد مراتب:

أولاها:

جهادهم بمنعهم من إيقاع الظلم وممارسة المنكر عن طريق اليد؛ أى القوة، وذلك عند القدرة عليهم، وعدم ترتب ضرر على منعهم أو مفسدة.

وثانيها:

جهادهم باللسان والقلم، وذلك واجب العلماء، والقادرين على ذلك من المسلمين.

وفي الخطب والمقالات والمحاضرات والدروس في المدارس والمساجد، والمؤلفات والبحوث والدراسات مجال لكل من استطاع أن يجاهدهم باللسان والقلم.

وثالثها:

جهادهم بالقلب؛ إى إنكار ما يفعلون، وعدم الرضا به، وذلك أضعف الإيمان كما ورد ذلك في الحديث النبوى الشريف، فقد روى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

٤ - وجهاد أعداء الله من الكفار والمنافقين ومن إليهم:

وهؤلاء يُجاهَدون على قدر الوسع، وقد يكون جهادهم فرض عين وقد يكون فرض كفاية.

وهذا النوع من الجهاد قسّمه العلماء إلى مراتب، نشير إليها فى إجمال فيما يلى:

- جهادهم بالقلب، وإنكار ما يقولون وما يعملون،

- وجهادهم باللسان وبالقلم،

- وجهادهم بالمال لإعداد العدة والقوة لمواجهتهم عند اللزوم،

- وجهادهم بالنفس، أى قتالهم بالدخول معهم فى حرب، يقاتل المسلمون فيها حتى ينتصروا على أعداء الله أو يمضوا شهداء فى سبيل الله تعالى.

● ولهذا الجهاد بالنفس مراحل معروفة(١).

والهدف الثالث:

من أهداف مرحلة التنفيذ هو: الاستمرار فى العمل المتواصل حتى يتم الوصول إلى الغاية.

وهذه الاستمرارية والمداومة على العمل الصالح من أحب الأعمال إلى الله تعالى، حتى لو كان هذا العمل قليلاً فهو أحب إلى الله إذا كان دائمًا أى مستمرًا، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل».

والمداومة على العمل الصالح هدف من أهداف مرحلة التنفيذ، حتى يمكن الوصول بهذا العمل المستمر إلى الغاية المنشودة للعمل الإسلامى كله.

● وإن طبع الناس وتعويدهم على الاستمرار فى العمل هو تربية لهم على أخلاق الإسلام وآدابه، وإن شخصية المسلم - وبخاصة ذلك الذى انضم إلى مرحلة التنفيذ - شخصيته مطمئنة إلى ما تقوم به من عمل صالح، ماضية فى أدائه تقربًا به إلى الله تعالى، واستجابة لمقتضيات الإيمان؛ إذ لا إيمان بغير عمل صالح.

- وكل عمل صالح، مهما بدا صغيرًا أو قليلاً، فإنه جزء من العمل الكبير الذى يساعد على الوصول إلى الغاية، وقد أوضحنا أنواع العمل السبعة فيما مضى من الكتاب.

- وكل عمل صالح لا يداوم على أدائه صاحبه، فإنه أجدر ألا يرضى الله تبارك وتعالى؛ لأن

---

(١) انظر هذه المراحل فى كتابنا: ركن الجهاد أو الركن الذي لا تحيا الدعوة إلا به - مرجع سابق - فى الصفحات من: ٥٢ إلى ٦٠، والله يرعاك.

الله تعالى - وقد فرض علينا فرائض، هى أعمال - قد شرع لنا أن نداوم على أدائها لنزداد بذلك قربًا منه سبحانه وتعالى؛ إذ كان من حكمته فى تشريعه أن جعل لنا من جنس كل عمل فرضه علينا كالصلاة والصوم والزكاة والحج؛ بعد النطق بالشهادتين - جعل لنا من جنس هذا العمل نافلة نتقرب بها إليه ليظل باب رحمته لنا ورضاه عنا وحبه وتوفيقه مفتوحا أمامنا، وبذلك نحقق الغاية التى نسعى إليها.

- والأصل فى كل عمل يقوم به المسلم أن يكون صالحًا، ومعنى صلاحه أن يكون موافقًا للشريعة، ومن خلال هذا الشرط يستطيع المسلم أن يمارس من الأعمال ما يشاء متجاوبًا مع المتغيرات التى تحيط به، وذلك معناه تشعب أنواع العمل إلى غير ما حد.

● والغاية التى يسعى العاملون إلى تحقيقها من خلال أعمالهم هى:

- الغاية التى خلقهم الله تعالى من أجلها، وهى عبادته وفق ما شرع، وعبادة الله تعالى فى معناها الصحيح المستقيم هى الالتزام بمنهجه فى الحياة، وذلك يقتضى تحكيم شرعه وتمكين دينه فى الناس، وهذا بدوره لا يكون إلا بالاستمرار فى أداء العمل الصالح.

- وكل غاية من الغايات المشروعه تدخل فى عبادة الله تعالى وفق ما شرع، حتى تلك الغايات التى تبدو صغيرة أو فرعية أو ثانوية فى حياة الإنسان، فإنها من صميم عبادة الله تعالى.

- وكل عمل صالح يقوم به الإنسان عبادة؛ لأن هذا العمل لا يخلو من الاحتمالات التالية:

● أن يكون عبادة فى ذاته كالصلاة والصيام وغيرهما.

● أو أن يكون معينًا على أداء عبادة كالمشى إلى المسجد فإنه من أجل أداء الصلاة، وحساب الأموال وضبطها فإنه يعين على أداء الزكاة... وهكذا.

● أو مانعًا من الوقوع فى خطيئة كغض البصر وكف الأذى والنهى عن المنكر ونحو ذلك.

● وأعضاء هذه المرحلة مطالبون بأن يستمروا على العمل الصالح حتى تتحقق الغاية.

والهدف الرابع:

من أهداف مرحلة التنفيذ هو الصبر على الامتحان والابتلاء فى سبيل الله تعالى، وفى سبيل دعوته، وقد سبق أن أكدنا - أكثر من مرة - أن الامتحان والابتلاء فى سبيل الله تعالى

سنة من سننه فى عبادة الذين اصطفاهم لدعوته وأورثهم الكتاب.

- وما دام الدعاة إلى الله يواصلون عملهم من أجل التمكين لدين الله فى هذه المرحلة - وفى غيرها من المراحل - ويخرجون الإسلام من مجال النظريات إلى حيز التطبيق، فإن هذا العمل يغيظ أعداء الله أعداء الحق فيقعدون للدعاة بكل مرصد، ويوجهون إليهم ما يستطيعون من أسباب التضييق والمشقة والعنت.

- وقد يصبر أعداء الله على الكلام الذى يتحدث به الدعاة - وإن كانوا قليلاً ما يفعلون - ولكنهم لا يسكتون - فضلاً عن أن يصبروا - على العمل التنفيذى الذى يقوم به الدعاة إلى الله فى هذه المرحلة؛ ومن أجل هذا كان لابد من امتحان وابتلاء، ومحنة وفتنة يتعرض لها كل من دعا إلى الله، وتلك - كما قلنا - سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.

● ومن أجل ذلك كان الصبر على الامتحان والابتلاء ضرورة لا بد منها - كما أوضحنا ذلك آنفًا - وكان هذا الصبر هدفًا من أهداف مرحلة التنفيذ، مهما تعرض أعضاء المرحلة إلى متاعب ومشقات؛ وذلك أن الصبر فى هذه المرحلة يحقق أمورًا أساسية بل ضرورية للمرحلة نفسها وللعمل الإسلامى ككل، ومن هذه الأمور ما نشير إلى بعضه فيما يلى:

- الصبر يزيد المؤمنين إيمانًا ويملأ نفوسهم بالرضى لما يصبرون عليه من أذى فى سبيل الله تعالى.

- والصبر على الأذى فى سبيل الله يعلم المؤمنين بل يزيدهم يقينًا بأنهم على الحق؛ أى على طريق الأنبياء والمرسلين والصالحين من الدعاة إلى الله، وفى هذا مزيد اطمئنان إلى الحق الذى يدعون إليه وإلى الصبر على الدعوة إلى هذا الحق.

- والصبر زادٌ على الطريق إلى الله، قد يراه بعض الناس مرًّا وشديدًا، ولكن المؤمنين يرونه غير ذلك، يرونه سببًا من أسباب نجاحهم فى تحقيق أهدافهم؛ تصديقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

بل يرون الصبر شحذًا لعزائمهم وتجديدًا لإيمانهم كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦].

بل يرون فى الصبر صحبة لله تبارك وتعالى، كما جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ

اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ويرون فى الصبر سببًا لأن يحبهم الله تعالى، ومن أحبه الله تعالى كان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وكان بهذا الحب موضع إجابة الدعاء، كما ورد ذلك فى الحديث القدسى الشريف، ويفهم هذا الحب من الله للصابرين من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦)** ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

- والصبر على الأذى فى سبيل الله يوجه رسالة صامتة بليغة عميقة الأثر فى نفس كل ظالم أو طاغية مستبد، تزلزل كيانه وتفقده الثقة في نفسه وفى عمله وتحديه للحق وأهله، إن لم يكن اليوم فغداً، ومهما بدا متجبراً متعاليًا مغروراً ذا حمق وسفاهة، فإنه فى داخل نفسه خائف مرتعب؛ على الرغم مما يحيطه به من أعوان وأجناد!!!

من أجل هذا كان الصبر هدفًا من أهداف مرحلة التنفيذ.

- وتاريخ الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - حافل بألوان الصبر الذي لا يقدر عليه إلا الأنبياء والمرسلون، ومن اتبع نهجهم من الدعاة إلى الله فى كل زمان ومكان.

فكم صبر نوح وإبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

وكل صابر فى سبيل الله فإن له كلمة تعوضه عن كل ما يصيبه من أذى وشر هى: ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾. وفقد روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس ﴿ **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾.

وروى ابن مردوية بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا وقعتم فى الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل ».

- والدعاة إلى الله من أعضاء مرحلة التنفيذ يعرفون حق المعرفة أنواع الصبر الثلاثة ويمارسونها، وهى:

- الصبر بالله - أى الاستعانة به.

● والصبر لله - أى أن يكون الباعث على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه،

● والصبر مع الله - أى أن يكون الصابر مع مراد الله ومع منهجه وأحكامه.

● ولولا الصبر ما تم إيمان، فالصبر نصف الإيمان، كما يفهم ذلك مما رواه البخارى - فى الأدب المفرد - بسنده عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال: سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: «الصبر والسماحة».

والهدف الخامس من أهداف مرحلة التنفيذ:

هو الصدق فى تحمل الامتحان والبلاء؛ لأن أهل الصدق هم أهل الإيمان، والإسلام، والصدقة، والصبر - كما قلنا ذلك آنفًا - وحسب الصدق مكانة وشرفًا أن الله تبارك وتعالى أمر أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين، كما نفهم ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ [التوبة: ١١٩].

وما أكثر ما توحى به هذه الآية الكريمة من مكانة للصدق.

● والصدق المطلوب شرعًا من كل مؤمن هو الصدق فى العمل كله؛ بمعنى أن يكون كل عمل على وجه كماله؛ بإعطائه حقه فى الإجادة والإحسان وقصد وجه الله تعالى، وأبرز ما يكون ذلك فى شعب العمل السبعة التى أوضحناها آنفًا.

- ونضيف هنا أنواع العمل فى الدعوة تعريفًا وتكوينًا وتنفيذًا، وفى الحركة والتأثير فى الناس وجذبهم إلى حب الخير وفعله، وفى التصنيف والتوظيف و التنسيق والترشيح والتوريث، وما لا نهاية له من الفروع التى تقتضيها الدعوة والحركة والتربية والتنظيم.

وكل ذلك مطلوب فيه الصدق بكل معنى من معانيه.

● صدق القول، وهو معروف،

● وصدق العمل، وهو الإخلاص فيه،

● وصدق القدم؛ أى الثبات فى المعارك التى يخوضها المسلم فى سبيل الله تعالى - أى كل أنواع الجهاد التى تحدثنا عنها آنفًا -.

● وإنما كان الصدق فى العمل بكل أنواعه فى هذه المرحلة - وهى كثيرة - مطلوبًا ومرغوبًا، وشرطًا وأدبًا وخلقًا؛ لأنها مرحلة تنفيذ وتطبيق، فكيف يكون تنفيذ بغير صدق؟

● وإنما كان الصدق فى الاستمرار على العمل إلى أن نبلغ الهدف مطلوبًا؛ لأن المرحلة مرحلة تنفيذ تقوم على استمرارية العمل والصبر على الأداء فيه حتى بلوغ الهدف، وبغير الصدق فى هذا كله لا يكون بلوغ هدف من الأهداف.

● وإنما كان الصدق فى تحمل الامتحان والابتداء مطلوبًا أيضًا؛ لأن المرحلة مرحلة تنفيذ، ومع التنفيذ يكون الامتحان والابتلاء والصبر، وبغير الصدق فى الصبر على ذلك يحبط العمل، فيضيع الثواب والأجر والعياذ بالله.

● وإنما كان الصدق فى الجهاد الذى لا هوادة معه؛ لأن المرحلة مرحلة تنفيذ؛ أى جهاد مستمر أبدًا بكل أنواعه، لأن تلك طبيعة المرحلة. وبغير الصدق فى ذلك الجهاد يضعف الثبات أو ينعدم، ويجد العدو الفرصة سانحة لكى ينفذ داخل الصفوف ويقضى على الحق وأهله، والعياذ بالله من أن يكون ذلك يومًا من الإمام.

وبعد: فهذه أهداف مرحلة التنفيذ بشىء من التفصيل، فما هى الوسائل التى توصل إلى تحقيق هذه الأهداف؟

ذلك ما نرجو أن نوضحه فى الصفحات التالية، والله المستعان.

ثانيًا: وسائل مرحلة التنفيذ:

على الرغم من أن مرحلة التنفيذ أعمال وتطبيقات، وأن أهدافها على النحو العملى الذى ذكرنا، فإن وسائلها - عند التأمل والتدبر - أدخل فى المعانى والنظريات، المعانى الروحية القلبية، والنظريات التى توجها العقول السليمة المستقيمة، وكان المظنون أن تكون الوسائل عملية كالأهداف، ولكن التأمل وعمق النظر أديا إلى غير ذلك، مما سنوضحه بعد قليل بإذن الله تعالى[1].

● ولنذكّر بهذه الأهداف ونرصد معها وسائلها، والله المستعان.

كان الهدف الأول هو: العمل على كافة مستوياته،

- والوسيلة لتحقيق هذا الهدف هى: «الجدِّيَّة».

وكان الهدف الثانى هو: الجهاد الذى لا هوادة معه،

---

(١) تلك اجتهادات منى اقتضاها إطالة النظر من جانب، والمعايشة من جانب آخر، والله يهدى من يشاء إلى الصراط السوى.

- والوسيلة لتحقيق هذا الهدف هي: «الحماس».

وكان الهدف الثالث هو: الاستمرار في العمل إلى بلوغ الهدف،

- والوسيلة لتحقيق هذا الهدف هي: «التأني وطول النَّفَس».

وكان الهدف الرابع هو: الصبر على الامتحان والابتلاء،

- والوسيلة لتحقيق هذا الهدف هي: «احتساب الأجر عند الله وحده».

وكان الهدف الخامس والأخير هو: الصدق في كل شيء،

- وكانت الوسيلة لتحقيق هذا الهدف هي: «الإخلاص لله في كل شيء».

● ولنوضح هذه الوسائل بشيء من التفصيل، والله الموفق والمعين.

الوسيلة الأولى:

الجدِّيَّة:

وهي نسبة إلى الجد، وهو الاجتهاد في الأمر، وعدم الهزل فيه، أي تناوله باهتمام ورعاية وعناية، وكل أمر تناوله الإنسان بجدية كان جديراً بأن يؤدي على أحسن وجوه أدائه، وأن يحقق أهدافه.

● والجدّ التي يحقق هدف العمل في مرحلة التنفيذ، يشمل في تصوري أموراً ثلاثة متكاملة.

أولها: تقدير العمل واحترامه:

أي معرفة أن له قدراً هاماً لا يجوز إغفاله أو تجاهله، وعلى سبيل المثال فإن العمل على مستوى الفرد الذي يوجب عليه أن يكون قوي الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، حريصاً على وقته، نافعاً لغيره[1].

هذا العمل الواجب على الفرد ليبني نفسه بناء إسلامياً جيداً، له أكبر القدر وأعظم الأهمية في بناء شخصية الإنسان، فما لم يأخذ الفرد تحقيق هذه الصفات في نفسه بجدية

(١) انظر شرحنا لهذه النقاط في كتابنا: ركن العمل من هذه السلسلة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

واجتهاد فلن تتكامل شخصيته الإسلامية، وإنما سوف يكون فيها نوع من الخلل بمقدار ما أهمل من هذه الصفات، ومن أجل ذلك قد يؤتَى الصف كله من قِبَل هذا الخلل، وقد يعوق العمل كله من أجله!!!

● ومن احترام هذا العمل فى تكوين الشخصية المسلمة أن يُتناول بجدية واجتهاد وأن لايدخله شىء من الهزل أوعدم الاهتمام؛ لأن الأصل هو أن يعتقد الفرد بأهمية أن يكون قوى الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر.. إلخ؛ إذ لا يقلل من شأن هذه الصفات إلا غافل، ومن تأمل فيها اهتدى بعقله وحسه إلى أهمية هذه الصفات وأهمية تكاملها، وأهمية كل واحدة منها على حدة.

وثانيها:

بذل كل جهد ونشاط فى هذا العمل، بمعنى أن يعطى المسلم لهذا العمل جزءاً أساسيًا من جهده ولا يدعه لما يفيض من هذا الجهد عن حاجاته الأخرى، وكذلك الأمر فى شأن الوقت والمال اللذين يحتاجهما العمل، لابد أن يعطى جزءاً أساسيًا لا إضافيًا ولا فائضًا عن بقية الحاجات.

وعلى سبيل المثال:

فلكى يكون الإنسان قوى الجسم عليه أن يبذل جهداً ونشاطًا فى المجالات التى تؤدى إلى تقوية الجسم، مثل:

- العناية بالتغذّى الجيد بغير إسراف ولا تقتير.

- ورعاية النوم بعيد العشاء، والاستيقاظ قبيل الفجر، وأخذ ساعة للقيلولة.

- وتجنب كل الأسباب التى تؤدى إلى إضعاف الجسم كالإسراف فى الطعام والشراب والنوم والسهر،وتعاطى المنبهات أو المكيفات، أى عليه أن يتجنب كل ما حرم الله على هذا البدن.

- ووجوب الأخذ بأسباب تقوية البدن مثل: الاعتدال فى الطعام والشراب والنوم واليقظة والنظافة، والالتزام بسنن الفطرة، والاعتياد على وقت للتريض فى جو نقى وملائم من حيث البرودة والحرارة، كل ذلك يجب أن يُمارس من أجل أن يكون الإنسان قوى الجسم، وهكذا...

وثالث الأمور:

هى إحسان العمل وإتقانه، لأن الجدية فى تناول العمل تعنى ذلك وتؤكده، فقد كتب الله الإحسان على كل شىء، وأخبر سبحانه بأنه يحب من يتقن عمله ويحسنه.

- وعندما لا يمارس المسلم عمله بإتقان وإحسان فقد خالف الله ورسوله وتنكب المنهج الذى شرعه، وأوقع نفسه فى الإثم والحرج، لأن العمل الصالح – ولا يكون العمل صالحا إلا إن كان قد روعى فيه الإحسان – واجب شرعى فى كل مجال من مجالات التعبير عن الإيمان.
- وعندما يهبط الإنسان بعمله عن درجة الإحسان والتجويد، فإنه يعرض عمله للفشل، ولا ينجو من عقاب الله إلا إذا كان صاحب عذر مقبول.

– فقد روى مسلم بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شىء...».

– وروى البيهقى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

– وروى البيهقى بسنده عن كليب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسن».

- ولا جدية فى العمل دون أن يكون معها إحسان، بل إحسان بكل معنى من معانى الإحسان المعروفة؛ الإحسان إلى الله باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، والإحسان إلى النفس بإلزامها بمنهج الله أمره ونهيه، والإحسان إلى الناس بمعنى توصيل الخير لهم، والإحسان بمعنى تجويد العمل وإتقانه، والإحسان الذى هو التسامح بإعطاء أكثر مما على الإنسان وأخذ أقل مما له، وتلك المنزلة من الإحسان أرفع من منزلة العدل.

والوسيلة الثانية:

الحماس:

والجهاد بغير هوادة فى مرحلة التنفيذ، وسيلة تحقيقه هى: الحماس أو الحماسة وهى:

الصلابة والشدة والقوة فى تناول الأمور،

والحماسة هى: الشجاعة والقوة كذلك.

وكل معنى من هذه المعانى للحماس أو الحماسة مطلوب فى هذه المرحلة، بل فى كل مرحلة، لكنه مع الجهاد ألزم،وللجهاد أهم.

● وهذا الحماس الذى يعد وسيلة لتحقيق الجهاد الذى لا هوادة معه، يعنى فى تصورى أمورا ثلاثة أيضا:

أولها:

رفض تأخير أداء العمل عن ساعته التى حددت له، بل عن لحظته لا عن يومه وليلته كما يقولون: «لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد»، وهذا عجز وبُعد عن الحماس، لأننا نقول: لا تؤخر عمل اللحظة عن لحظته!!!

● ويتعلم المسلمون هذا الخلق من التأمل فى التشريعات التى شرعها الله لعباده؛ فالصلاة على مواقيت دقيقة، وكذلك الصيام والزكاة والحج، بحيث لا يجوز فيها التأخير إلا لقدر مقبول، ولا يجوز فى معظمها التبكير فى أدائها، أى قبل وقتها، وما ذلك إلا لتعويد المسلمين على الانضباط فى أداء ما عليهم فى وقته المحدد.

– وعلى سبيل المثال، فلا يجوز أداء صلاة الصبح قبل الفجر، ولا يجوز أداء صلاة المغرب قبل غروب الشمس، وهكذا...

ولا يجوز أداء الحج بعد يوم عرفة – التاسع من ذى الحجة – ولا يجوز صيام شهر رمضان قبل دخول أول يوم منه، وهكذا...

– وما كان ذلك كذلك إلا ليعلمنا الله تعالى كيف ننضبط فى أداء ما فرض الله علينا، لأن مرافق حياتنا كلها تحتاج إلى هذا الانضباط.

● ومرحلة التنفيذ تحتاج إلى جهاد لا هوادة معه، وهذا الجهاد يحتاج إلى حماس، والحماس يعنى أداء العمل فى حينه دون إبطاء أو تأخير.

– والجهاد – كما أوضحنا – أنواع ومراتب، وكل أنواعه ومراتبه تحتاج إلى حماس وأداء منضبط موقوت لكل نوع منه ولكل مرتبة من مراتبه.

– وعنصر احترام التوقيت من العناصر الهامة فى كل شعب الحياة، وفى كل ما يمارسه الإنسان من عمل، فإذا كان العمل جهادا، بل جهادا لا هوادة معه، فإن عنصر الوقت يصبح بالغ الأهمية، ولك أن تتصور – عند نقل الجهاد إلى معركة ميدانية ومع عدو، أن

القائد يجب أن يبادر العدو فى ساعة معينة من نهار أو ليل؛ فأجل تلك المبادرة ساعة أو أكثر فبادره العدو!!! ماذا تكون النتيجة؟ وكيف ينجو القائد من عذاب نفسه وعذاب قيادته وعذاب ربه سبحانه وتعالى؟.

وثانيها:

الاهتمام بأداء العمل مهما بدا بسيطا أو جزئيا، أو غير واضح الصلة بالعمل العام - أى جهاد العدو مثلا - وذلك؛ لأن أعمال الجهاد كثيرة ومتشعبة ومتداخلة ومتشابكة، وربما كان منها عمل صغير أو بسيط ولكنه يمهد لعمل كبير، بل ربما كان يمهد لأكبر عمل من أعمال الجهاد!!! فكيف لا يؤدى هذا العمل بالاهتمام الذى يستحق؟

- ومن الاهتمام بالعمل أداؤه فى مكانه المحدد له، وفى زمانه كما قلنا آنفا.. وفى الظروف التى اختيرت لكى يؤدى فيها، وذلك داخل فى الانضباط وحسن التوقيت، ومعبر عن الحماس فى أداء العمل، وبخاصة إذا كان هذا العمل جهادا لا هوادة معه.

- ويدخل فى هذا الأداء المطلوب على أكمل وجه، ألا يكلَّف بالعمل إلا من كان قادرا عليه، بل مجيدا لأدائه محسنا للقيام به؛ لأن كل تقصير فى ذلك ينعكس على العمل قصورا أو فشلا، وفى ذلك ضياع للعمل الكبير المتصل بالعمل الصغير.

- ومن الحماس فى أداء العمل البسيط أو الصغير، المسارعة إلى تكليف من يقوم به، والمسارعة بمد من يقوم به بأسباب النجاح، وإزالة العوائق من طريقه، والمسارعة بمتابعة هذا الأداء، حتى لا تفوت فرصة مواتية أو توقيت لا يمكن تعويضه.

وثالثها:

أى ثالث الأمور التى تعبر عن الحماس فى الجهاد الذى لا هوادة معه هو: تشجيع الآخرين على الأداء فى المكان والزمان المناسبين.

وإنما يكون ذلك بأن يقوم قائد أى عمل من أعمال الجهاد، بما يلى:

- بتوضيح أهمية العمل وصلته بما هو أكبر منه من أعمال.

- وبتحديد هدفه الذى يجب أن يتحقق بأدائه، حتى يدرك من يقوم بعمل إن كان قد حقق الهدف أو لم يحققه، فيتابع عمله حتى يتأكد من تحقيق الهدف منه.

- وأن ييسر له الأسباب التى تجعل قيامه بالعمل خاليا من المشقة والعناء.

– وأن يذكره دائما بثواب الله وأجره لكل من قام بعمل من أجل الإسلام فأحسن القيام به وأخلص لله فيه.

– وليس التشجيع مجرد كلام يثير الحماس، ولكنه عمل قبل الكلام ومع الكلام وبعد الكلام.

– وأحسن ما يكون تشجيع الآخرين على القيام بالعمل أن يكون المشجع قدوة فى أداء كل عمل يناط به، وأن يكون أكثر حماسا له من أى أحد، وألا يؤخره أو يستصغر شأنه أو يفتر فى أدائه.

● وأصل هذا التشجيع فى الإسلام قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ .... (٦٥)﴾ [الأنفال: ٦٥].

– والتحريض هو: الحث على الشىء بكثرة التزيين وتيسر الخطب فيه، وهذا هو التشجيع بلغتنا اليوم، ومن المعروف أن التحريض أو التشجيع فى الإسلام لا يكون إلا على فعل خير.

والوسيلة الثالثة:

التأنى وطول النفس:

وهى وسيلة لتحقيق الهدف الثالث من أهداف مرحلة التنفيذ وهو: الاستمرار فى العمل للوصول إلى الهدف.

● والتأنى عموما فى أداء كل عمل سبب من أسباب نجاح العمل وأدائه على أكمل وجه متاح، غير أن التأنى لا يعنى التراخى والتأخر فى أداء العمل، وإنما يعنى التمكن من الأداء الجيد، والرضا ببذل مزيد من الجهد فى سبيل إنجاز العمل وإكماله.

.ولهذا التأنى وطول النفس تفسير يعنى أمورا ثلاثة يجب الأخذ بها من أجل تحقيق الاستمرار فى العمل إلى أن يبلغ هدفه وتلك الأمور هى:

أولها:

ترك العجلة ورفض التسرع، لكن دون تباطؤ

والعجلة فى أى أمر تفسده، لما تفوت على صاحبها من النظرة المستأنية والتعمق فيما يقوم به من عمل، و لكن بشرط الا يؤدى ترك العجلة إلى التباطؤ والتراخى، والتأنى هو التؤدة والأناة، وكلها صفات مدحها رسول الله ﷺ.

- فقد روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن سرجس المزنى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة».

- وروى الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة».

- وروى الترمذى بسنده عن سعد الساعدى عن أبيه عن جده - رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان».

● فالمسلم لا يجوز له أن يعجل فى أمره، وإنما عليه أن يتأنى ليستوثق من أمره قبل أن يفعله، هذا شأنه فى كل أمره حتى تأتى أعماله على النحو القريب من الكمال الذى يرضى الله عز وجل.

وهذا التأنى هو الذى يضمن له الاستمرار فى العمل حتى يبلغ الهدف، إذ ربما أصابته العجلة بالإحباط واليأس عندما تتسبب العجلة فى الإخفاق والفشل.

- هذا نوع من التأنى وترك العجلة.

- وهناك نوع آخر من ترك العجلة مطلوب ومرغوب، والتعجل فيه يمنع استجابة الدعاء. فقد روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل؛ يقول: قد دعوت فلم يستجب لى».

وثانيها:

رفض اليأس عند الفشل

والأصل ألا ييأس المسلم أبدا، لأن اليأس قنوط من رحمة الله تعالى، وقد وصى يعقوب عليه السلام أبناءه بالعودة إلى مصر والبحث عن ابنيه يوسف وأخيه، آملين فى رحمة الله أن يعثرهم عليهما، ناهيا لهم عن اليأس من رحمة الله، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) ﴾ [يوسف: ٨٧].

● وقرين التأنى رفض اليأس، فالإنسان لا يدرى ماذا يحدث غدا، وكل المجريات بأمر الله يصرفها كيف يشاء، وفى القرآن الكريم: ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) ﴾ [الطلاق: ١].

● ومن خلق المسلم عندما لا يحالفه التوفيق فى أمر من الأمور أن يفعل ما يلى :

– ألا ييأس أو يفقد الأمل والرجاء فى الله تعالى،

– وألا يفقد الثقة فى نفسه ومن معه بمجرد الفشل،

– وأن يبحث عن أسباب الفشل ليتلافاها فى المرة القادمة،

– وأن يبحث عن وسائل أخرى يمارس بها العمل الذى فشل، لعل الفشل كان بسبب ضعف الوسائل أو عجزها،

– وأن يراجع نفسه فى قيامه بعمله، لعله داخله الإعجاب بالعمل أو الاعتزاز بالنفس، أو مجانية الإخلاص،

– وأن يفكر فى بدائل لهذا العمل، لعل البديل يحقق نجاحا، وبخاصة إذا كان العمل غير مقصود لذاته.

وثالثها :

التعمق فى النظر إلى المستقبل

وذلك أن التفكير فى مستقبل العمل الإسلامى بعمق، يطلق العقل فى البحث عن العمل الأكثر مناسبة لهذا المستقبل، والأيسر على من يقوم به، والأجدى لتحقيق الهدف.

● والتعمق فى النظر إلى المستقبل يعنى خطوات بعينها يجب أن يتخذها من يريد التأنى وطول النفس ليستمر فى العمل، وتلك الخطوات هى :

– تصور هذا المستقبل بالنسبة لمتطلبات المرحلة، والمرحلة كلها عمل وجهاد وصبر وصدق، وهى متطلبات ضخمة، لأنها تسهم فى صنع مستقبل مشرق للعمل من أجل الإسلام، وهذا التصور للمستقبل بعد الفكر العميق واجب يمليه التأنى وطول النفس فى تحمل أعباء العمل.

– وتصور دقيق عميق للمعوقات التى يمكن أن تعترض مستقبل العمل من أجل الإسلام. والتفكير فى إزالتها أو التغلب عليها،

– والتفكير العميق فى الطاقات اللازمة للعمل الإسلامى فى مستقبله، سواء أكانت طاقات بشرية ذات صفات معينة، أم كانت طاقات مادية أو معنوية، ليعدها لمواجهة احتياجات هذا المستقبل، فذلك من فطانة المسلم وكياسته.

تلك هى الأمور الثلاثة التى تلزم من أجل أن يحدث التأنى فى العمل وطول النفس فى أدائه دون عجلة أو يأس.

● وكل هذا التأنى وطول النفس ورفض اليأس عند الفشل، مشروط بأن لا يقع العاملون فى ورطة التباطؤ بحجة ضرورة التأنى، لأن الأصل هو التوسط والاعتدال فى كل أمر.

والوسيلة الرابعة:

احتساب الأجر عند الله:

وذلك أن من أهداف مرحلة التنفيذ الصبر على الامتحان والابتلاء، لأن المرحلة مرحلة ابتلاء فى الغالب الكثير.

● ووسيلة تحقيق هذا الهدف هى احتساب الأجر عند الله على ما يصيب العامل من نصب أو وصب أو هم أو حزن أو محنة أو فتنة، فذلك هو العزاء الوحيد، بل العزاء الصحيح عما يلاقى الدعاة إلى الله من امتحان وابتلاء فى سبيل الله.

● واحتساب الأجر عند الله تعالى يقتضى صفات بعينها ينبغى أن يتصف بها من يحتسب أجره عند الله تعالى وهذه الصفات:

أولها:

أنه لا ينتظر أجراً على عمله من أحد من الناس، سواء أكان الأجر ماديا أم معنويا. لأن العمل من أجل الإسلام لا يستطيع أحد أن يجازى عليه أحداً، لأن أجره عظيم لا ينتظر إلا من الله تبارك وتعالى الذى أمر به وأوجبه على كل مسلم قادر عليه، ووعد عليه بهذا الأجر العظيم.

ومعنى ذلك أن يقوم العامل بالعمل حسبة لوجه الله تعالى واستجابة لأمره، دون طمع فى رضا رئيس أو مسئول أو مشارك فى العمل، ودون رغبة فى أن يثنى عليه وعلى عمله أحد من الناس.

● ومن كان ينتظر الأجر من الناس وكله الله إلى الناس،فضاع عمله وأجره وخسر ما بذل من جهد فى الدنيا وما كان ينتظره من ثواب فى الآخرة، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: حدثنى رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضى بينهم، وكل أمة جاثية.

فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل فى سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ:

الم اعلمك ما انزلتُ على رسولى؟ قال: بلى يارب، قال فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت اقوم به آناءالليل وآناء النهار، فيقول الله له كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول الله له: بل أردت ان يقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك.

ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يارب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟

قال: أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له كذبت، وتقول الملائكة له كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد، وقد قيل ذلك.

ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله، فيقول الله له: فى ماذا قتلت؟

فيقول: أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جرىء، فقد قيل ذلك.

ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتى فقال: يا أبا هريرة: أولئك الثلاثة أول خلق الله تسقر بهم النار يوم القيامة».

● افبعد هذا الحديث الشريف ينتظر احد جزاء من الناس؟

وثانيها:

تجنب الحديث عن العمل

وما دام الإنسان يحتسب أجره على عمله عند الله، فليس له أن يتحدث عن عمله أمام الناس خشية المباهاة والتظاهر، إلا إذا كان الحديث عن العمل غير منسوب لعامل أو منسوب لأحد غير موجود فى مجلس الحديث، فإن ذلك مقبول لما فيه من حث على ممارسة عمل صالح يشبه هذا العمل المتحدث عنه.

● وحديث الإنسان عن عمله غير مقبول لما يتضمنه من أخطاء تحدق بالمتحدث عن عمله نذكر منها:

١ - قد يكون حديثه عن عمله سببا فى إحباط عمله، لما قد يكون فيه من الرياء، فقد روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول: قرأت البارحة البقرة، فقال: ذلك حظه منها. والعمل يحبط بهذا وبمثله.

٢ - وقد يكون حديثه عن عمله متضمنا لرغبته فى أن ينال عند الناس ثناء وذكراً أو

مكافأة، وكل ذلك يجعل العمل غير خالص لله تعالى، والأصل فى كل عمل أن يقصد به وجه الله وحده، وإلا تُرك العامل ليأجره من عمل لأجله، وهيهات أن يقدر على ذلك أحد، وهبه استطاع أن يأجره فى الدنيا دار الفناء، فمن ذا الذى يأجره فى الآخرة دار البقاء؟

٣ – وقد يكون حديثه عن عمله سببا فى طلبه الشهرة وذيوع الصيت، وهذا منهى عنه لما رواه البيهقى فى «الشعب» بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حسب امرئ من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع فى دينه ودنياه إلا من عصمه الله». فإن جاءت الشهرة دون قصد ودون حديث عن العمل، فذلك من أمر الله والحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، ولا لوم فيها على من اشتهر.

وثالثها:

عدم الإعجاب بالعمل

ما دام الإنسان صابرا على المحنة والبلاء محتسبا فى ذلك الأجر عند الله تعالى فإن إعجابه بنفسه أو بعمله يضعه فى موضع الذم والتقريع، فقد أنكر الله تعالى على الصحابة رضوان الله عليهم يوم حنين إعجابهم بكثرتهم، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ .... **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** (٢٥) ﴾ [التوبة: ٢٥]، والإعجاب بالنفس أو بالعمل يوقع صاحبه فى المخاطر التالية:

١ – أن من يعجب بنفسه أو بعمله يوقع نفسه فيما هو أكبر من الذنوب، فقد روى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم تذنبوا لخشيتُ عليكم ماهو أكبر من الذنب: العُجْبَ، العُجْبَ».

٢ – وأن العُجْب يدعو إلى الكبر والاغترار وهذا يغضب الله تعالى، كما قد يؤدى إلى نسيان الذنوب أو استصغارها، وفى ذلك وقوع فى محظور شرعى، لأن الأصل فى المسلم أن لا ينسى ذنبه ولا يراه صغيرا حتى لا يستمرئه، فيكون ممن أمن مكر الله وعذابه.

٣ – وأن الإعجاب بالعمل يدخل صاحبه فى دائرة تزكية النفس، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ .... **فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ** (٣٢) ﴾ [النجم: ٣٢]، أى لا تمدحوا أنفسكم وتتفاخروا بأعمالكم.

٤ – والإعجاب بالعمل يحرم صاحبه من الاستعانة بإخوانه الذين قد ينصحونه بإكمال العمل، ويحرم نفسه من الاستشارة والمشورة لأن المعجب بعمله يتصور أنه على صورة من الكمال، وهذا كله من المخاطر التي يحاسب عليها الإنسان.

- والعمل من أجل الإسلام محتاج أكثر من غيره من الأعمال إلى الناقد البصير،وإلى المشير المستنير، وكل ذلك يمتنع عند إعجاب الإنسان بعمله.

- إن الصبر على الامتحان والبلاء – وهو من أهداف مرحلة التنفيذ – يحتاج إلى احتساب الاجر في هذا الصبر عند الله وحده، ولا يستطيع احد أن يحتسب أجره على هذا الصبر عند الله إلا إذا تصف بتلك الصفات الثلاثة التي ذكرنا، اى لا ينتظر جزاء على عمله من أحد، ولا يتحدث عن عمله أمام غيره، ولا يعجب بعمله ومهما كان عملا جليلا، وإنما يدع ذلك لمن يرى العمل ويحكم عليه.

- وأعضاء مرحلة التنفيذ أولى بذلك من غيرهم من المنضمين إلى المراحل الأخرى لأهمية هذه المرحلة وخطر ما تستهدفه من أهداف.

والوسيلة الخامسة:

الإخلاص:

وذلك أن الصدق الذى طولب به أعضاء هذه المرحلة –بل يطالب به غيرهم من أبناء المراحل الأخرى –ذلك الصدق بمعانيه العديدة التي ذكرناها آنفا، ذلك الصدق الذى هو هدف من أهداف مرحلة التنفيذ، له وسيلة فاعلة لتحقيقه هي: الإخلاص.

- والإخلاص هو التبرؤ من كل ما دون الله تعالى.

– وبمفهومه العقيدى هو: التبرؤ مما يدعيه اليهود من التشبيه، ومما يدعيه النصارى من التثليث، ومن كل ما يدعيه المدعون من صفات لله لا تليق به أو تجعله مشابها لمخلوقاته.

– وبمفهومه العبادى هو: طاعة الله تعالى فى كل ما أمر به، وفى اجتناب كل ما نهى عنه سبحانه.

- والعمل الإسلامى كله موجه إلى الله من أجل إعلاء كلمته وتمكين دينه فى الارض، ومن أجل هذا كان محتاجا إلى رجال صادقين مع الله ومع أنفسهم ومع غيرهم من الناس، ولا يعبر عن هذا الصدق فى القول والعمل والمقصد إلا الإخلاص.

● ولكى يكون الإخلاص على وجهه الصحيح، فإن هناك صفات يجب أن يتصف بها المخلص تقوم كلها على فلسفة ألا يشاهد هو فى إخلاصه إخلاصًا، فإن رأى فى إخلاصه إخلاصا، احتاج إخلاصه إلى إخلاص.

هكذا قال أسلافنا من العلماء رحمهم الله تعالى.

وتلك الصفات التى يجب أن يتحلى بها المخلص ثلاثة:

أولها:

قصد وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته

فالمخلص يجب أن يتصف بهذه الصفة بقوله أو عمله أو جهاده، أى يتوجه بهذا كله إلى الله تعالى، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) ﴾ [الرعد: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) ﴾ [الروم: ٣٨].

وروى أحمد بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليما، ولسانه صادقا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وأذنه مستمعة، وعينه ناظرة».

– والله تبارك وتعالى: لا يقبل من الكلم إلا الطيب ولا من العمل إلا الصالح، ومعنى قبوله تعالى للعمل أن صاحبه أخلص فيه، ويفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى ﴿ .... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (١٠) ﴾ [فاطر: ١٠].

– وإذا خلا العمل من الإخلاص لم يكن لله تعالى، لأنه عندئذ يدخله الشرك والرياء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ .... (٣) ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

وإذا كان العمل كذلك استحق صاحبه العقاب.

– والإخلاص يقوم على النية الخالصة لله تعالى، وبذلك يحاسب صاحبه ويجازى، روى الدار قطنى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليعمل

أعمالا حسنة فتصعد الملائكة بها فى صحف مختتمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول: ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بما فيها وجهى، ثم ينادى الملائكة: اكتبوا له كذا وكذا، اكتبوا له كذا وكذا، فيقولون: إنه لم يعمل شيئا، فيقول الله تعالى: إنه نواه».

● وهذا عمل مرحلة التنفيذ كله - بل عمل جميع مراحل الدعوة - يجب أن يقصد به وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته، حتى يقبل من الله تعالى.

وثانيها:

نسيان حظ النفس من الدنيا

تلك صفة المخلصين، وهى صفة تعنى أن ينسى العامل فى عمله حظ نفسه من المغنم المادى أو المعنوى فى الدنيا، وأن يطمع مع إخلاصه فى عمله فى ثواب الله تعالى فى الآخرة.

● والأصل أن يكون العمل خالصا لوجه الله تعالى سواء أكان هذا العمل دينيا أم دنيويا، فالعمل الدينى إنما يكون من أجل الله تعالى، دينه ودعوته والجهاد فى سبيله، والأصل فى ذلك ألا يكون فيه مغنم مادى، لأن الرغبة فى ذلك تفسد هذا العمل وتجعله لغير الله.

أما العمل الدنيوى، فهو استجابة لأمر الله تعالى أو نهيه، وهذا العمل، وإن كان يجوز لعامله أن يقصد مغانم مادية لمعاشه ومعاش من يقول بأنه يسعى فى الأرض ليكسب رزقه، هذا العمل يشترط فيه الإخلاص كذلك.

- وأعمال الدعوة إلى الله فى كل مراحلها هى أعمال دينية دنيوية معًا، والأصل فى العاملين فيها ألا يغنموا من وراء أعمالهم تلك أى مغانم مادية إلا ما تقتضيه ضرورة العمل، كأن يتفرغ أحد الدعاة للدعوة فتتكفل بعض المراكز الإسلامية بإعاشته ومن يلى.

- والعاملون فى مجالات الدعوة إلى الله لا يعرف عنهم إلا التضحية فى سبيل الله بأوقاتهم وأموالهم وجهودهم بل بنفوسهم فى بعض الأحيان، ومن كان كذلك فى تضحيته، فهو من المخلصين فى عمله البعيدين عن مظنة الرغبة فى المغانم المادية من وراء أعمالهم.

- وقد تكون هذه المغانم معنوية كالجاه والشرف والشهرة ونحو ذلك، وكل ذلك إن دخل فى نية العامل فقد خسر الدنيا والآخرة، فكل من يعمل من أجل الإسلام يعلم تمام العلم ما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها

فهجرته إلى ما هاجر إليه».

– وغافل أشد الغفلة من كان يظن أنه يستطيع أن يخفى رغبته فى المغانم المعنوية من وراء عمله، فمهما حاول إخفائها فلن تخفى، ولو خفيت على الناس – وتسببت فى إحباط العمل –فإنها لن تخفى على الله تعالى الذى يحاسب على ذلك ويجازى عليه، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) ﴾ [آل عمران: ٢٩].

ثالثها:

تجنب الرياء:

وذلك أن الصدق بكل معانيه الذى تستهدفه مرحلة التنفيذ، والذى اعتبرت وسيلة التعبير عنه وتحقيقه الإخلاص، وهذا الإخلاص لا يعد إخلاصا إلا إن خلا من الرياء.

● ومن المسلمات في دين الإسلام أن الرياء حرام، وأن المرائى ممقوت عند الله تعالى، كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) ﴾ [الماعون: ٤ - ٦]. والرياء ضد الإخلاص، وقد مدح الله تعالى المخلصين فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) ﴾ [الإنسان: ٩]. وذم المرائين غير المخلصين، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف: ١١٠]، فكل من طلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله فقد خالف الله ورسوله.

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من راءى راءى الله به، ومن سمَّع سمَّع الله به».

وروى أحمد بسنده عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا؛ هل تجدون عندهم الجزاء».

– والرياء – أعاذنا الله منه – قد قسمه العلماء إلى خمسة أقسام:

١ - الرياء - فى الدين - بالبدن:

وذلك بإظهار النحول وصفرة اللون، ليوهم بذلك شدة الاجتهاد، غلبة الخوف على أمر الدين، وقد يكون بتشعيث الشعر، وخفض الصوت ونحو ذلك من الصفات التى يكون ظاهرها الانشغال بالعبادة.

٢ - والرياء بالهيئة والزى:

وذلك بحلق الشارب، وإطراق الرأس فى المشى، وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب ولبس الصوف وتقصير الثوب والأكمام، وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا أو مرقعا، ولبس زى العلماء وهو ليس منهم - اى الزى الشائع عنهم فى أى عصر أو مصر - وإظهار الزهد إلى غير ذلك من صفات المرائين فى هيئتهم وزيهم.

٣ - والرياء بالقول:

وذلك الرياء الذى يصدر من بعض أهل الوعظ والتذكير، والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لمحاورة الناس، وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس، وإظهار الغضب للمنكرات، وتضعيف الصوت فى الكلام وترقيقه عند قراءة القرآن. والمجادلة بقصد إفحام الخصم ونحو ذلك مما يطول تعديده.

٤ - والرياء بالعمل:

وذلك بإطالة الصلاة ركوعا وسجودا وقياما وقعودا، وكذلك بالصوم نفلا بعلم من الناس، والصدقة أمام الناس، وإطعام الطعام للمباهاة وإرخاء الجفون وتنكيس الرأس، والذكر وقراءة الورد أمام الناس، وغير ذلك من أنواع العمل التى تبدو صالحة فى ظاهرها، بينما هى تنطوى على المراءاة، وليس فيها خوف من الله تعالى.

٥ - والرياء بالأصحاب والزائرين:

وذلك كمن يتكلف استزارة عالم فاضل أو شيخ فاضل، ليقال: إن فلانا زار فلانا، ومثل استزارة ملك أو عامل من عماله، ليقال إنهم يزورونه للتبرك به، ومثل الإكثار من ذكر العلماء والشيوخ ونقل الكلام عنهم مباهاة ومراءاة.

● وكل هذه الأنواع من الرياء تذهب الحسنات وتجلب العقاب من الله تعالى، وتنفى الإخلاص، والصدق بكل أنواع الصدق التى تحدثنا عنها آنفا.

- والأصل أن الأعمال التى يتنفل بها الإنسان يسرها ويغلق بابه دونها، خوف الوقوع فى الرياء، ومستند ذلك قوله ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله:

إمام عادل،

وشاب نشأ فى عبادة الله،

ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه،

ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه،

ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه،

ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله رب العالمين،

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

ذاك هو الأصل لتحقيق الإخلاص والنجاة فى الرياء.

- غير أن إظهار الطاعات قد يكون مقبولا - كما أشرنا إلى ذلك آنفا - لتحقيق عدد من الفوائد أهمها:

- إعطاء فرصة للاقتداء فى فعل الخير،
- وترغيب الناس فى الخير.

وقد ورد هذان الهدفان فى قول الله تبارك وتعالى فى مجال الصدقات: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة: ٢٧١].

وبعد:

فهذه أهداف مرحلة التنفيذ وتلك وسائلها، نرجو أن نكون قد وفقنا فى تحديدها وتوضيحها، وما التوفيق إلا من عند الله تعالى.

وإلى الحديث عن آخر نقطة فى مرحلة التنفيذ وهى: مكانة الطاعة فى مرحلة التنفيذ، وهى آخر نقطة فى هذا الكتاب والله المستعان.

د - مكانة الطاعة فى مرحلة التنفيذ

مرحلة التنفيذ - كما وضح لنا من خلال ما قدمنا - أهم مراحل الدعوة إلى الله، وأولى المراحل بالاهتمام والتدقيق؛ فهى كما قلنا آنفا: مرحلة إخراج أحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه ومنهجه كله من مجال النظريات والكلام إلى مجال العمل والتنفيذ والتطبيق.

● ومن أجل هذه الأهمية الكبرى لمرحلة التنفيذ؛ كانت الطاعة فيها من أهم أسباب نجاحها وتحقيق أهدافها، وليست الطاعة الواجبة فى هذه المرحلة مجرد طاعة، وإنما هى: «كمال الطاعة» أى الطاعة الكاملة، كما سنوضح مكانة هذه الطاعة الكاملة لهذه المرحلة، فى هذه النقطة الخاتمة لنقاط هذا الكتاب.

● ونتناول هذه النقطة الأخيرة من الكتاب من خلال الإجابة على أسئلة ثلاثة نطرحها ونجيب عليها، ومن خلال هذا الطرح وتلك الإجابة تستبين مكانة الطاعة الكاملة فى هذه المرحلة، ويتضح أن هذه المرحلة لا يصلح لها إلا كمال الطاعة، وأن أى تهاون فى إنقاص هذه الطاعة إنما يكون ضررا بالغا بالمرحلة يعوقها عن تحقيق أهدافها، وبالتالى فهو ضرر بالغ يلحق بالعمل الإسلامى كله، يعوق السير فى طريق التمكين لدين الله فى الأرض.

أما هذه الأسئلة فهى:

١ - لماذا كانت مرحلة التنفيذ أهم مراحل الدعوة إلى الله؟

٢ - ولماذا كانت هذه المرحلة أولى مراحل الدعوة إلى الله بالاهتمام والتدقيق؟

٣ - وما مكانة الطاعة الكاملة وأهميتها فى هذه المرحلة؟

وأما الأجوبة على هذه الأسئلة التى تتضمن توضيح مكانة: «كمال الطاعة فى هذه المرحلة» فهى ما نرجو أن نوفق إليه فيما يلى:

أولا:

لماذا كانت مرحلة التنفيذ أهم مراحل الدعوة إلى الله؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

هناك جملة أسباب جعلتها أهم مراحل الدعوة إلى الله، ومن أهم هذه الأسباب ما نذكره فيما يلى:

١ - أنها مرحلة تتوج مرحلتين هامتين يسبقانها هما:

- مرحلة التعريف بالإسلام، والرد على الشبهات المثارة حوله،
- ومرحلة التكوين، أى تكوين المسلم المتكامل الشخصية الذى يستطيع أن يسهم فى التمكين لدين الله.

وهاتان المرحلتان تبعثان إلى مرحلة التنفيذ بصفوة من استطاعوا أن يجتازوهما بجدارة، ومن خلال برامج تعليمية وعملية شديدة الإحكام، ومن خلال أطر فنية محددة، وعلى أيدى شيوخ ومربين ومناهج وأخلاقيات عمل، وأدبيات ومرجعيات جديرة بكل احترام وتقدير، وكل ذلك نابع ومأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

- فمرحلة التنفيذ تتغذى على خلاصة ما تفرزه مرحلتا التعريف والتكوين، وتستمد منهما الرحيق الذى يبعث فيها الحركة والحياة.

ومرحلة التكوين تتغذى على خلاصة مرحلة التعريف، كما هو معروف.

- من أجل ذلك كانت مرحلة التنفيذ مرحلة بالغة الأهمية؛ إذ هى ذروة العمل فى هذه المراحل، والتاج المرصع بجواهر الناس على رأس المراحل كلها.

٢ - وإنها مرحلة يقوم المنتمون إليها قادة وأعضاء بتطبيق الإسلام عمليا، وتنفيذ أحكامه وأخلاقه وآدابه فى أنفسهم وأهلهم ومَن يلونهم.

ومن يستطيعون أن يطلبوا منهم ذلك التطبيق من سائر الناس.

- ومن أجل أنها مرحلة تنفيذ الإسلام عمليا وتطبيقه فى الحياة عموما، فإنها مرحلة هامة بل بالغة الأهمية، ويقدر هذه الأهمية كل العاملين من أجل الإسلام، كما يعترف بهذه الأهمية أعداء الإسلام والحركة الإسلامية، فتثير غيظهم وتستخرج أضغانهم وعداوتهم واضطهادهم للعاملين من أجل الإسلام عموما، ولأبناء هذه المرحلة على وجه الخصوص؛ لأن هؤلاء الأعداء ومن وراءهم من القوى العالمية يحبون أن يظل الإسلام نظرية محبوسة بين دفتى كتاب، لا تخرج إلى الحياة العملية، ولا تسهم فى تنظيم حياة الناس وغرس القيم الإسلامية فى الحياة الإنسانية، إذ يتصورون ذلك خطرا عليهم وعلى أوليائهم فى

● وليس فى الإسلام ومبادئه وقيمه خطرا على احد، إلا ان يكون من الأشرار الذين يعادون الله ورسوله، فلينظر كل واحد أين يضع نفسه؟ ولا إكراه فى الدين، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وما أنت عليهم بمسيطر، و ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) ﴾ [يونس: ٩٩].

● وياليت أعداء الإسلام من الغرب والشرق ، قرأوا عن الإسلام بعين منصفة، إذن لاختاروا الحق وآثروه على الباطل، ودخلوا فى دين الله أفواجا، وأراحوا أنفسهم من حرب دين هو سلم لهم وللبشرية كلها لو أبصرت طريقها.

● ولذلك كانت مرحلة التنفيذ على أعلى درجة من الأهمية عند الأعداء فوجهوا إليها مزيدا من الامتحان والابتلاء والمحن، مما يحتاج إلى مزيد من الصبر والصدق، وكل ذلك يحتاج فى داخل المرحلة إلى الطاعة الكاملة «كمال الطاعة».

٣ – وأنها مرحلة توظف فيها الطاقات البشرية والمادية والمعنوية توظيفا إن أُحْسِن أفضى إلى مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض، ومرحلة التمكين هى قمة ما يصبوا إليها العاملون من أجل الإسلام.

● وعند الدخول فى هذه المرحلة – مرحلة التمكين – يكون الاعتماد على الله تعالى، ثم على المنضمين إلى مرحلة التنفيذ، لأنهم أنضج من فى الصف المسلم كله؛ إذ هم– كما قلنا آنفا– خيار من خيار من خيار، ولا نزكى على الله أحدا، وإنما هى أهليتهم ودراساتهم وما تعلموه وعملوه هو الذى جعلهم كذلك.

● ومن أبناء مرحلة التنفيذ يختار العلماء والمتخصصون فى مختلف مجالات الحياة فى كل فروع المعرفة، لتسد الثغرات وتملأ الفراغات فى مختلف مرافق الحياة وتتعدد شعبها واحتياجاتها، فما دام قد مكن لدين الله فى الأرض فإن كل شىء فى حياة الإنسان يجب أن يخضع لمنهج الله فى الحياة.

● ومن المنتمين إلى هذه المرحلة يكون قادة مرحلة التمكين، أى القائمون على كل شئون الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية أصحاب المناصب الرفيعة والكلمة النافذة.

● وكل ذلك لا يتم على وجهه الصحيح المرجو إلا أن تكون فى هذه المرحلة طاعة كاملة، وعلامة كمالها أن تكون – كما وصفها الإمام البنا– طاعة بغير تردد، ولا مراجعة، ولا

شك، ولا حرج.

● ولا يتصور نجاح لمرحلة التنفيذ - أى قدرة على تحقيق أهدافها - إلا إذا كانت فيها طاعة كاملة من أعضائها لقيادتها، إيمانا منهم بأنها طاعة واجبة شرعا، وأن أجرها وثوابها عند الله تعالى.

- هذا عن إجابة السؤال الأول.

ثانيا:

لماذا كانت مرحلة التنفيذ أولى مراحل الدعوة بالاهتمام؟

وللإجابة على هذا السوال: نقول:

إنها كانت كذلك لجملة أسباب، نذكر منها ما يلى:

١ - أن قادة هذه المرحلة وكل القائمين على أى عمل فيها هم: نواة مرحلة التمكين، وهم أصفى صفوة مختارة من القيادات التى تقوم على مسئولية العمل فى المرحلتين السابقتين.

وهم بغير مبالغة المسئولون عن الحكومة المسلمة فى مرحلة التمكين، بل هم المسئولون عن المحافظة على التمكين بعد الوصول إليه.

● ومن أجل ذلك كان الاهتمام بهذه المرحلة والتدقيق الشديد فيها، من أوجب واجبات العمل من أجل الإسلام، وكان التدقيق فى اختيار أفرادها وقادتها أهم ما يشغل قيادات العمل الإسلامى كله.

●ومظاهر هذا الاهتمام والتدقيق - فى تصورنا - هى التزام خطوات بعينها، يجب الالتزام بها فى هذه المرحلة، منها ما نذكره فيما يلى:

أ - وضع أدق المعايير التى يختار على أساسها قادة هذه المرحلة وأفرادها، بحيث لا يتساهل فى تجاهل معيار منها مهما كان هذا التجاهل قليلا أو هينا، لأن أى إخلال بهذه المعايير ينعكس على المرحلة بمظاهر الضعف والفشل والجمود والعقم، والقعود بل العجز عن تحقيق الأهداف.

ب - ووضع أدق التفاصيل لمفردات الأعمال فى هذه المرحلة، إذ هى المرحلة التى تستوعب

كل أنواع العمل من أجل الإسلام، ابتداء من الكلمة الطيبة، وانتهاء بالتمكين لدين الله فى الأرض، بل المحافظة على هذا التمكين، وما بين هذين الحدين من مئات الأعمال فى مختلف المراحل ومتعدد الأقسام.

● وقادة هذه المرحلة وصفوة من أفرادها هم أولى الناس بوضع هذه البرامج التفصيلية لهذه الأعمال بشروط لابد أن تراعى مثل:

– الدراسة الجادة المتأنية لكل مفردة من مفردات العمل المقترح،

– والرؤية العميقة الواسعة لإيجابيات هذا العمل المقترح، وسلبياته،

– واستلهام الكتاب والسنة فى اقتراح أى عمل.

– وطرح هذا العمل المقترح على مائدة الشورى ليقر أو برفض، وليس لقائد –كائنة ما كانت مكانته– أن ينفرد بإقرار عمل دون أن يصفى بمصفاة الشورى.

– وأهل الشورى عند اقتراح عمل ما، هم المتخصصون فى هذا المجال من أهل العلم والخبرة السابقة فى مجال العمل من أجل الإسلام.

جـ – وممارسة الشورى، وحرية الرأى والتعبير، فى كل ما يتصل بهذه المرحلة، حتى ليمكن اعتبار هذه المرحلة أهم مرحلة تمارس فيها الشورى، وتلتزم نتائجها على كل مستوى من مستويات الأخذ بها، فهذا هو التطبيق الصحيح للشورى والمرحلة مرحلة التطبيق والتنفيذ.

● والشورى هى خلق المسلمين الثابت الذى لا يقبل تعطيلا ولا تبديلا، فالشورى إحدى صفات المسلمين المميزة لهم عمن سواهم، باعتبارها وجبا شرعيا أوجبه الله فى كل أمر ذى بال، فما بالنا بأمر العمل الذى يمكن لدين الله فى الأرض.

● وحسب الشورى شرفا ومكانة وإلزاما للمسلمين فى الأخذ بها؛ أن الله تبارك وتعالى أمر بها خاتم رسله عليهم الصلاة والسلام مع أنه معصوم يوحى إليه فى قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾

[آل عمران: ١٥٩].

● وكلما كانت الشورى على نطاق أوسع من أهل العلم والخبرة، كلما كان ذلك أحسن

وأبعد عن مزلق الرأى الواحد، هذا الرأى الواحد الذى حذر منه الرسول ﷺ، فيما رواه الخطيب بسنده عن علىّ رضى الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله: الأمر ينزل بنا بعدك؛ لم ينزل فيه قرآن، ولم يُسمع فيه شيء منك؟

قال: «اجمعوا له العابد من أمتى واجعلوه بينكم شورى، ولا تقضوا فيه برأى واحد».

● وروى البخارى بسنده عن الحسن رضى الله عنه قال: ما تشاور قوم إلا هدوا، وأرشد أمرهم، ثم تلا: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

● وروى البيهقى فى «شعب الإيمان» بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أراد أمرا فشاور فيه، قضى، وهدى إلى أرشد الأمور».

● وروى الخطيب بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تقصوه فتذموا» والعاقل هو صاحب العلم والخبرة لا مجرد من كان عاقلا، بدليل أنه يشير فيرشد الناس، فإن تركوه دون أن يستشيروه ذُمّوا.

٢ - وأن العمل فى هذه المرحلة - مرحلة التنفيذ - هو أولى أنواع العمل بالتمحيص والتدقيق، لأنه العمل المفضى إلى تحكيم شرع الله تعالى فى عباده، والتمكين لدين الله فى الأرض.

● وهذا العمل فى تلك المرحلة هو جملة العمل من أجل الإسلام وتفصيله، ومن أهم مفردات العمل فى هذه المرحلة، تلك المفردات التى يجب أن يكون العمل فيها متوازيا لا متواليا، وعميقا بعيداً عن السطحية أو العفوية، وممزوجا بالإخلاص من كافة أقطاره.

● ومن هذه المفردات ما نشير إليه فيما يلى:

أ - الدعوة الفردية :

وهى دعوة تقوم على أساس التوسم الذى يقوم به عضو هذه المرحلة نحوأحد الناس، ثم مواصلة الاتصال الشخصى به، وتقديم العون له، وتبصيره بما يجب أن يُبَصَّر به فى أمور دينه ودنياه، ولا يزال به بهذه الصلة الفردية إلى أن ينقله من الضلال إلى الهدى.

● والدعوة الفردية نوع من الدعوة المستمرة التى لا تتوقف أبدا، حتى لو مُكن لدين الله فى الأرض، لأن عملية نقل الناس من الضلال إلى الهدى يجب أن تستمر إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

ويمارس هذه الدعوة الفردية كل قادر عليها، ولا يجيد ذلك مثل اعضاء مرحلة التنفيذ.

ب - والدعوة العامة :

وهي دعوة تمارس في المسجد أو في حلقة أو في مجموعة من الناس لتعريفهم بدينهم، أصوله ومبادئه، وحلاله وحرامه، وتوجيههم نحو ما يصلح لهم دينهم ودنياهم، والاخذ بأيديهم في مجال التَّرقِّي في فهم الدين؛ أحكامه وأخلاقه وآدابه.

- وهذا النوع من الدعوة كسابقه مستمر أيضا، حتى بعد قيام حكومة إسلامية، لأن حاجة بعض الناس إلى أن يفهموا دينهم حاجة مستمرة أبد الآبدين.
- ويمارس الدعوة العامة كل قادر عليها من المسلمين، وأفراد مرحلة التنفيذ أقدر الناس على ممارسة الدعوة العامة، لما لهم من علم وخبرة سابقة في العمل الإسلامي.

جـ - والحركة :

وهي الاختلاط بالناس وحبهم والتودد إليهم وتقديم الخدمات لهم، وتعليمهم ما يجهلون من أمور دينهم، والتعرف على ما يحتاجون إليه من علم وعمل وعون، وتقديم ذلك لهم دون أن يطلبوا، والقدرة على تصنيف هؤلاء الناس إلى فئات متقاربة، لتقديم ما يصلح لكل فئة منهم إليها.

- والحركة عمل مستمر أيضا كسابقيه، لا يتوقف بحال، حتى بعد الوصول إلى مرحلة التمكين، لاحتياج الناس في كل زمان ومكان إلى ما يصلح لهم أمر دينهم ودنياهم.
- ويمارس الحركة كل من يحب الاختلاط بالناس، واستوفى كل الصفات التي ذكرناها آنفا، وأعضاء مرحلة التنفيذ أقدر الدعاة على ممارسة الحركة، لأنهم متمرسون بذلك في سنوات عديدة مروا بها من قبل.

ء - والتربية أو التكوين:

وهذه التربية تمارس من خلال مجموعات قليلة العدد، يختار لها منهج يستهدف فقه الدين وفقه الدنيا، ولهذا المنهج وعاء زمني محدَّد، وعلى يد شيخ عالم مجرب.

- وهذه التربية أو التكوين عمل ينبغي أن يستمر كغيره من أعمال الدعوة إلى الله، بحيث لا يتوقف أبدا، لأن حاجة المسلمين إلى هذه التربية مستمرة أبدا حتى بعد الوصول إلى التمكين.

● وأعضاء مرحلة التنفيذ أقدر من غيرهم على التربية والتكوين لسابق خبرتهم بالعمل التربوى، فهم فرسان تلك الحلبة ورهبان تلك الصوامع، ولهم فى ذلك حظ وفير.

هـ - والتنظيم :

وهو ترتيب كل جهد وكل عمل يؤدى فى سبيل الإسلام، بحيث تعد خطة لكل عمل توضح أهداف هذا العمل ووسائل تحقيق هذه الأهداف، والمدى الزمنى الذى يجب أن تتحقق فيه الأهداف، وتحديد الطاقات اللازمة للعمل سواء أكانت بشرية أو مادية أو معنوية.

● ولا يتم التنظيم على وجهه إلا إن قسم العمل إلى مراحل، وحددت أولويات للعمل يبدأ بها، ويستوجب التنظيم تنسيقا بين هذه الأعمال وبين أولئك العاملين حتى لا يقع فى العمل ولا بين العاملين اضطراب أو توقف أو خلل.

● ولابد فى التنظيم من حسن توظيف للطاقات التى يحتاج إليها العمل، وهدف التوظيف الجيد أن تحدد الوظائف تحديدا جيداً، وأن يحدد من يقومون بها، بحيث لا يؤدى العمل إلا من كان كفؤا له، بل محبا له مقبلا عليه برغبة وتحمس وانشراح نفس.

● والتنظيم ضرورة فى كل عملية إنسانية، وهو فى العمل من أجل الإسلام أكثر ضرورة. لأن التنظيم من صميم أحكام الإسلام وأخلاقه وشروطه.

● ويمارس التنظيم بكفاءة أعضاء مرحلة التنفيذ لما لهم فى ذلك من خبرة وممارسة.

و - والترشيح :

وهو أن يقوم المسئول عن العمل باختيار أحد العاملين معه وفق معايير الاختيار المعروفة فى الاصطفاء - كما أوضحنا آنفا - لترشيحه للقيام بعمل يراه أصلح له وأقدر عليه؛ فيرشحه له، ويخبر بهذا الترشيح القيادة الأعلى لتقر هذا الترشيح أو تقترح له عملا آخر. أو تبقيه فترة ليزداد فيها نضوجا، ويكتسب الأهلية المطلوبة لهذا العمل.

● على أن يتم الترشيح للعمل قبل أن يصبح بغير عامل بأن يظل شاغرا لا يشغله أحد، خشية تعطيل العمل أو تجميد العامل فى مكانه دون ترشيحه لعمل آخر.

● وهذا الترشيح ترشيد لعملية التوظيف، وتوجيه للوظيفة ولمن يقوم بها، وإلا أصبحت الأعمال موسدة لغير الملائمين لها وأصبح العاملون بغير عمل، أو على رأس عمل ظال

بقاؤهم فيه حتى صدئوا وفقدوا الانشراح للقيام به.

● والترشيح عملية يجب أن تستمر، لحاجة العمل والعاملين إليها، ويقوم بالترشيح قيادات معروفة، وأعضاء مرحلة التنفيذ من هذه القيادات بل من أكفأ هذه القيادات وأبصرهم به، وأولاهم بمراعاة شروط الترشيح وآدابه، وتقوى الله فيه وفى تحقيق شروطه دون إخلال بشيء منها، فهم فى الحقيقة حراس الدعوة إلى الله الامناء عليها، وعلى كل عمل فيها.

ز - والتوريث :

وهو نقل العلم والخبرة والمهارة من القائد إلى الجندى، وذاك عمل يؤديه القائد لجنده إرضاء لله واحتسابا للأجر عنده، والعمل الإسلامى عموما بحاجة مستمرة إلى أن تتواصل فى القيام به الأجيال، وأن يحرص الاكبر على نقل خبرته لمن هو دونه، ومجالات العمل فى الدعوة إلى الله كثيرة، وكل منها إذا أُدِّى بإخلاص ترك فيمن اداه خبرة ودراية ومعرفة لأسباب نجاحه أو دواعى فشله، ونقل هذه الخبرات إلى الآخرين حق للأخ على أخيه ما ينبغى أن يتوانى عن أدائه، فضلا عن أن يبخل به على أخيه.

● والتوريث عمل متمم للترشيح، ومُثمِر للتوظيف، وموفر للوقت والجهد؛ فليس من اللائق أن يبدأ كل عامل فى عمله وهو خلو من ميراث الخبرة فيبدأ كما بدأ سواه فيضيع على الدعوة من الأوقات والجهود ما هى فى أمس الحاجة إليه، وإنما الاصل أن يبدأ العامل متسلحا بالخبرة التى وُرِّثت له، ويكون بدؤه من حيث انتهى سلفه فى العمل.

● والتوريث عمل لا يستطيع القيام به إلا من توفرت لديه خبرات فى العلم والعمل، فقها ودعوة وحركة وتنظيما وتربية، وأهل مرحلة التنفيذ هم هؤلاء الذين توفرت فيهم هذه الخبرات.

● وقضية تعليم الأستاذ لتلميذه، والشيخ لمريده والقائد لجنوده، والأب لبنيه، تعليمهم على وجه الوجوب لا الندب، هذه القضية معروفة بل مشهورة مأثورة فى تاريخ أسلافنا المسلمين، حتى لتعد جزءاً حيًّا نابضا فى هذا التراث وفى تلك الحضارة الإسلامية، وقد كانوا يقومون بهذا التوريث حسبة لوجه الله تعالى، والأصل أن نسير على سنتهم ونقفو خطواتهم فى هذا العطاء؛حتى يتم التوريث على أحسن الوجوه التى تدعم العمل من أجل الإسلام وتثريه.

ثالثا - والسؤال الثالث الأخير هو:

ما مكانة الطاعة الكاملة وأهميتها فى مرحلة التنفيذ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

هذه المرحلة - مرحلة التنفيذ - لايمكن أن تؤتى ثمارها دون «كمال الطاعة»، تلك قضية مسلَّمة لا يجادل فيها إلا إنسان بعيدعن فقه الدعوة إلى الله وفقه مراحلها ومتطلبات كل مرحلة، ومن هنا تصبح الطاعة الكاملة شرطا من شروط مرحلة التنفيذ، بل شرط صحة، بحيث لا تصلح المرحلة بغير طاعة كاملة.

- ومكانة الطاعة الكاملة فى هذه المرحلة هى مكانة الشرط من المشروط، أو العلة من المعلول، بحيث إذا تعطلت العلة تعطل المعلول، وإذا انتفى الشرط توقف المشروط، وذلك من المسلمات التى لا تحتمل الجدل؛ لأن المرحلة مرحلة تطبيق وتنفيذ، والتطبيق والتنفيذ فى جوهره يقوم على الأمر لتكون الطاعة، وليس للأمر قيمة إذا لم تصحبه طاعة بل طاعة كاملة، فليس أهم لمرحلة التنفيذ من كمال الطاعة.

- وهناك تساولات ثلاثة تفرض نفسها وتحتاج إلى إجابة، ومن خلال طرح التساؤلات وإجاباتها تتضح مكانة الطاعة الكاملة فى هذه المرحلة وتتضح أهميتها فى العمل كله.

وهذه التساؤلات هى:

١ - هل الطاعة الكاملة واجبة على الجندى نحو قائده؟

٢ - وهل تتنافى الطاعة مع الشورى؟

٣ - وهل الطاعة الكاملة أوجب فى مرحلة التنفيذ؟

ونحاول أن نجيب على هذه التساولات فيما يلى:

أولا:

هل الطاعة الكاملة واجبة على الجندى نحو قائده؟

وللإجابة على ذلك نقول: نعم.

وبيان ذلك أن هذا الوجوب حق للقائد على الجندى؛ ما لم يأمره بمعصية الله تبارك

وتعالى، وهو حق ثابت بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وثابت بناء على ذلك عقلا؛ لأن الشرع لا يأمر بغير ما يسيغه العقل السليم.

– أما وجوب هذا الحق بالقرآن الكريم، فيدل عليه:

● قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وتلك هي الآية الكريمة الوحيدة التي أمر الله تعالى فيها بطاعة أولي الأمر، فمن هم أولوا الأمر الذين أوجب الله طاعتهم؟

– أولوا الأمر هم: الذين يلون أمور المسلمين بشرط أن يكونوا من المسلمين القائمين بالحق والعدل، الذين يطبقون شرع الله.

– وهم بهذه الصفات؛ تجب طاعتهم على المسلمين كوجوب طاعة الله ورسوله.

– فإن فقدوا هذه الصفات، فليست طاعتهم واجبة إلا في حالة خوف الوقوع في الفتنة إن عُصوا.

– وإن أمروا بمعصية لله فلا طاعة لهم.

● وقد اعتنى علماء المسلمين في العصور المختلفة بتحديد أنواع أولي الأمر، من منطلق أن لهم الطاعة كما يطاع الله ورسوله فقالوا:

هم: الصحابة رضوان الله عليهم، وقد ذكر ذلك عن مجاهد(١).

أوْ هم: أهل القرآن والعلم، وقد ذكر ذلك عن جابر رضي الله عنه.

أوْ هم: أهل العقل والرأي، وقد نسب ذلك إلى ابن كيسان(٢).

أوْ هم: أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس، وقد نسب هذا القول إلى

---

(١) هو مجاهد بن جبر – وقيل ابن جبير (٢١ – ١٠٤هـ)، تابعي مفسر من أهل مكة، شيخ القراء والمفسرين، وأحد الفقهاء والزهاد، ذهب إلى الكوفة واستقر بها إلى أن مات بها وهو ساجد – رحمه الله تعالى.

(٢) هو صالح بن كيسان (متوفى سنة ١٤٠هـ) كان من فقهاء المدينة المنورة وقد جمع بين الحديث والفقه، وإن اشتهر في الحديث حتى عُدَّ فيه من الثقات، وهو من أتباع التابعين. وقد اختاره عمر بن عبد العزيز لتأديب أبنائه، وبعض العلماء يعده من التابعين.

السعد[1] فى شرح مقاصد الطالبين.

أوْ هم: خواص الأمة من العملاء ورؤساء الجند، ورؤساء المصالح الحكومية ونحوها الذين تجب طاعتهم، ليستقيم العمل وتجلب المصالح وتدفع المفاسد.

أو هم: من يسند إليهم الناس تدبير شئونهم، ويعتمدون عليهم من ذلك.

– وأولوا الأمر الذين أوجب الله طاعتهم على المسلمين هم الذين ثبتت ولايتهم بطريقة شرعية من الطرق التالية:

- أن تُسند إليهم هذه الولاية من الأمة كالحاكم ونحوه،
- أو يسند إليهم الولاية هذا الحاكم الذى اختارته الأمة،
- أو أن تُسند إليهم الولاية جماعات المسلمين إذ لم يكن للمسلمين حاكم أو خليفة أو أمير.
- أو تكون صفاتهم المشهورة عنهم مرشحة لهم للولاية، دون أن يسندها إليهم أحد، وأهم هذه الصفات هى: الإسلام والعلم والعدالة؛

فأهل العلم العدول يثبت لهم أنهم من أولى الأمر؛ لأن صفة العلم لا تحتاج إلى ولاية، بل هى صفة قائمة بأصحابها، وهذا الرأى مؤيد بما ذكر عن جابر رضى الله عنه من قوله: إن أولى الأمر هم أهل القرآن والعلم.

وقد نسب ذلك إلى الإمام مالك أيضا.

- ونستطيع أن نجمع بين هذه الآراء فى التعريف بأولى الأمر فنقول: هم – بعد رسول الله ﷺ – الخليفة أو الأمير أو الولى لأى ولاية، والصحابة والفقهاء وقواد الجيوش، وكل المجتهدين من أهل العلم فى أى زمان.

هؤلاء جميعا طاعتهم واجبة شرعا بالشروط المعروفة.

- ويدخل فى أولى الأمر قادة العمل الإسلامى بوصفهم من أهل العلم والفقه، واختيار

---

(1) هو مسعود بن عمر التفتزانى سعد الدين (٧١٢-٧٩٣هـ)، من أئمة العلماء فى علوم العربية والمنطق، ولد بتفتازان من بلاد خراسان وأقام فى سرخس وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند فتوفى فيها ولكنه دفن فى سرخس، له عشرات المؤلفات فى البلاغة منها المطول والمختصر، وكتابه: مقاصد الطالبين فى علم الكلام، وله شرح العقائد النَّسَفية وغيرها.

إخوانهم لهم، ولذلك تجب طاعتهم.

- وأما وجوب هذا الحق أو الطاعة بالسنة النبوية فيدل عليه ما نسوقه من أحاديث نبوية شريفة فيما يلى:

- روى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية؛ فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

- وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا واطيعوا وإن استُعمل عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة».

- وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن يعص الأمير فقد عصانى».

- وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من كره شيئا فليصبر، فإن من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية».

- وروى مسلم بسنده عن أبى هنيدة وائل بن حجر رضى الله عنه، قال: سأل سلمة بن يزيد الجُعفى رسول الله ﷺ فقال: يا نبى الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا!!! فما تأمرنا؟ فاعرض عنه، ثم سأله، فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمّلوا وعليكم ما حملتم».

- وأما وجوب الطاعة لأولى الأمر عقلا وعرفا، فنقول فيها:

- إن التجمع الإنسانى منذ عرف الإنسان العيش فى جماعة يخدم بعضهم بعضا، ويتعاونون فيما بينهم على جلب المنافع ودرء المضار، هذا التجمع الإنسانى عرف كذلك أنه لا يستقيم له أمر ولا تجلب له مصلحة ولا تدفع عنه مفسدة إلا إذا اختار أميرا أو رئيسا يوسده المسئولية ويسمع له ويطيع، إن ذلك كان من دواعى العقل والتفكير الصحيح.

- كان ذلك شأن الناس وجرى عليه عرفهم منذ أزمان سحيقة فى تاريخ الإنسان قبل أن تظهر الحكومات أو تعرف أنظمتها أو تحدد سلطات الرؤساء؛ إذ بغير ذلك تكون الفوضى، ولا يعرف حق لذى حق، فلا تكون عدالة ولا تكون حياة إنسانية كريمة؛ وهذا الرئيس أو ذلك الذى يتولى أمر الناس فى أى عمل من أعمالهم، لا وزن له ولا لوجوده إلا

إن أطيع فيما يأمر به أو ينهى عنه.

– ودين الإسلام الخاتم، أتم الأديان والنظم وأكملها،ما كان إلا بجماعة، ولا كانت جماعته إلا بقيادة، ولا كانت قيادته إلا بطاعة في غير معصية لله تعالى.

● وهذا القائد أو الخليفة – بعد الرسول ﷺ – أو ولى الأمر وظيفته إحقاق الحق وإقرار العدل بالأخذ على يد الظالم وإنصاف المظلوم، وهذا ليس في استطاعته وحده، فلابد له من أعوان وأنصار يلون بعض الأمور، وهؤلاء جميعا طاعتهم واجبة شرعا؛ لأنهم أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في كتابه، وفي كلمات رسوله الخاتم ﷺ – الذي لا ينطق عن الهوى.

● ولقد روى الترمذي بسنده عن تميم الداري رضي الله عنه، قال: تطاول الناس في البنيان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه: «يا معشر العُرَيب، الأرضَ الأرضَ، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكا له ولهم».

ثانيا:

هل تتنافى الطاعة مع الشورى؟

هذا هو السؤال الثاني الذي يطرح لتتبين منه – ومن الإجابة عليه– مكانة الطاعة في مرحلة التنفيذ.

ونجيب على هذا السؤال بقولنا:

– ما دامت الشورى صفة أساسية في المسلم لا يتم إسلامه إلا بها كما أوضحنا ذلك آنفا في قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ

إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى: ٣٦ - ٤٣].

وما دامت الشورى كذلك، فإن كل ما يتنافى معها أو يعطلها أو يعارضها حرام لأنه يعطل صفة من صفات المسلمين، والأصل أن طاعة أولى الأمر فى غير معصية لا تعطل الشورى، لأن الله تعالى أمر بهذه الطاعة، وهو سبحانه يستحيل عليه أن يأمر بالطاعة، على حين تكون الطاعة منافية للشورى التى جعلها من صفات المسلمين التى تكمل إسلامهم!!!

فكيف يتضح ذلك؟

جوهر هذا الإشكال أن بعض الناس يتصورون أن صدور الأمر من ولى الأمر، والاستجابة لهذا الأمر بالسمع والطاعة هو تعطيل للشورى!!!

وهذا التصور غير صحيح، وبالتالى فإن ما ينبنى عليه غير صحيح كذلك.

- وإنما الصحيح أن كل ولى أمر لعمل من الأعمال ما دام يفقه دينه ويعرف ما أحل الله وما حرم - وقيادات العمل الإسلامى هم كذلك فيما أحسب، أو يجب أن يكونوا كذلك - لا يجوز له أن يصدر أمرا لمن يليهم من الناس إلا بعد أن يطرحه على بساط الشورى ليسمع فيه رأى أهل العلم والاختصاص والخبرة، ويجرى فيه حواراً ومناقشة ومدارسة، ثم يؤخذ فيه الرأى بعد اتضاح أبعاده كلها، بحيث تحسم الشورى التوجه فيه إلى أى احتمال فيكون العزم ويكون اتخاذ القرار، فيصدر الأمر بعد ذلك.

- ومن إحسان الظن بالقيادة - وذلك واجب شرعى - أن نعتقد أنها لم تصدر أمرا إلا بعد التشاور والتناصح وطلب الرأى، فإذا صدر الأمر وجبت طاعته دون تردد أو مراجعة أو شك أو حرج.

تلك هى الطاعة الكاملة الواجبة فى هذه الظروف وأمثالها، وبخاصة أن الجندى الصادر إليه الأمر من قيادته، يجب أن تكون القيادة فى موضع الثقة والكفاءة والإخلاص.

- ولعلى بذلك أكون قد أوضحت أن الطاعة لا تتعارض مع الشورى، من خلال ما قدمت من أدلة شرعية وعقلية وعرفية،والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

ثالثا:

هل الطاعة الكاملة أوجب فى مرحلة التنفيذ؟

هذا هو السؤال الثالث والأخير فى هذه الأسئلة التى تستهدف هى وأجوبتها بيان مكان

الطاعة فى مرحلة التنفيذ.

- وفى البداية نقول: إن الواجب واحد لا يتفاضل ولا يتفاوت، فلماذا قلنا إذن: الطاعة أوجب فى مرحلة التنفيذ؟

نعنى بالسؤال على تلك الصيغة شدة أهمية الطاعة فى هذه المرحلة عنها فى المراحل الأخرى، لما قدمناه مما تتميز به هذه المرحلة عن غيرها من المراحل، ولنا فى ذلك عذر ومبرر، فهى المرحلة التى تعد للتمكين لدين الله فى الأرض كما قلنا ذلك آنفا.

- وكل واجب أوجبه الله بالأمر به مباشرة أو بالأمر غير المباشر تجب طاعته والامتثال له، لكن هذه الواجبات قد يكون بعضها أكثر أهمية من بعضها الآخر، وعلى سبيل المثال:

– فإن بر الوالدين أوجب من بر غيرهما من الأقارب والأرحام.

– والفرض نفسه منه عينى إذا لم يقم به المسلم أثم، ومنه كفائى إذا قام به بعض المسلمين سقط الإثم عن جميعهم، وهكذا.

- ومرحلة التنفيذ أكثر أهمية بالنسبة للتمكين لدين الله فى الأرض من المراحل الأخرى، لذلك كانت الطاعة الكاملة فيها أوجب؛ بمعنى أنها أكثر أهمية وأشد فاعلية من الطاعة فى غيرها من المراحل.

- وإذا كانت قيادة العمل فى مرحلة التنفيذ على النحو الذى ذكرنا من الاصطفاء والاختيار. بحيث هم صفوة المرحلة، وأهل المرحلة صفوة مرحلة التكوين، وأهل التكوين صفوة مرحلة التعريف فهم بحق: صفوة صفوة الصفوة، ومن كانوا كذلك كانت طاعتهم أكثر أهمية من طاعة سواهم.

- ومرحلة التنفيذ أكثر احتفالا بالأوامر والتوجيهات من غيرها من المراحل، لذلك تكون الطاعة لتلك ألزم وأوجب على من تطلب منهم الطاعة فيها؛ حرصا على أن تحقق المرحلة أهدافها، وذلك أن كل إخلال بكمال الطاعة فيه تعويق لأهدافها أو لبعض هذه الأهداف.

– ولعلى بذلك أكون قد أوضحت مكانة الطاعة فى مرحلة التنفيذ، والله الهادى إلى سواء السبيل.

مفهوم الدور الثانى والدور الثالث

فى كلام الإمام البنا عن مرحلة التنفيذ

يقول الإمام البنا عن ذلك:

«وأنت بانضمامك إلى هذه الكتيبة - أى مرحلة التنفيذ - وتقبلك لهذه الرسالة، وتعهدك بهذه البيعة، تكون فى الدور الثانى، وبالقرب من الدور الثالث، فقدر التبعة التى التزمتها، وأعد نفسك للوفاء بها».

ولنلق ضوءاً على هذه الكلمات:

- الكتيبة التى انضم إليها هى: مرحلة التنفيذ، وما فيها من شروط، وما يجب أن يتوفر فى أعضائها من صفات.

- والرسالة التى تقبلها هى: إقراره وموافقته على الجهاد الذى لا هوادة معه، والعمل المتواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية، وتحمل الامتحان والابتلاء بصبر وصدق.

- والبيعة التى تعهد بها هى: هى العهد الذى أخذه على نفسه أمام ربه وقيادته وإخوانه بأن يحقق أركان البيعة العشرة فى نفسه وفيمن يليه من الناس، وهذه الأركان هى:

- الفهم للإسلام أصوله ومبادئه وأحكامه وأخلاقه وآدابه،
- والإخلاص لله فى كل قول أو صمت وفى كل عمل أو ترك،
- والعمل على مستوياته السبعة التى ذكرناها أكثر من مرة.
- والجهاد فى سبيل الغاية بالمال والنفس وكل شىء،
- والتضحية بالجهد والوقت والمال والنفس من أجل الغاية،
- والطاعة الكاملة لقيادته ما لم تأمر بمعصية،
- والثبات؛ أى الاستمرار على العمل والجهاد ومهما تطاولت الأزمان،
- والتجرد؛ أى التخلص من كل ما سوى الإسلام من مناهج وأشخاص،
- والأخوة فى الله التى يجب أن تربط بين المسلمين برباط العقيدة،

● والثقة؛ أى اطمئنان الجندى إلى كفاءة القيادة وإخلاصها،

– والدور الثانى الذى استقر فيه هو: هذه المرحلة مرحلة التنفيذ بعد أن اختير لها من خلال أدق معايير الاختيار، فهو صفوة مرحلة التكوين التى يعد أفرادها صفوة مرحلة التعريف.

● وهذا الدور الثانى أو تلك المرحلة هى بلا شك أكثر واجبات من المراحل التى سبقتها واحوج ما تكون إلى العمل المتواصل وإلى الجهاد الذى لا هوادة معه، ومن كان كذلك فهو بالقرب من الدور الثالث.

– والدور الثالث الذى أصبح عضو مرحلة التنفيذ بقربه هو:

مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض، والإمام البنا لم يصرح باسم هذه المرحلة فى رسائله وخطاباته ومذكراته المكتوبة، وإن كان تحدث فى كلماته التى كان يخص بها بعض القيادات فى الجماعة.

● ومرحلة التمكين لدين الله فى الأرض هى مرحلة إقامة حكومة مسلمة تطبق شرع الله، أو إصلاح الحكومة – أى حكومة – حتى تكون إسلامية بحق تنفذ تعاليم الإسلام وأحكامه وتؤدى فرائضه، ولا تجاهر بعصيان الله تعالى.

● هذا الدور الثالث هو مرحلة التمكين التى تصلح للناس أمور دينهم ودنياهم، وتعيد الكيان الدولى للأمة الإسلامية، وتُجرد أوطانهم من كل سلطان أجنبى، وتحيى مجدها وتجمع كلمتها، وتقرب ثقافتها.

● وهذا الدور الثالث هو مرحلة التمكين التى تمكن المسلمين من أستاذية العالم كله، بنشر دعوة الإسلام فيه، فلا يعبد إلا الله وحده، ولا يحكم الناس إلا بمنهجه ونظامه، وهى المرحلة التى تنحسم فيها الفتن ويقضى بها على الشر، كما يفهم ذلك من قوله تعالى:
﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) ﴾ [البقرة: ١٩٠ – ١٩٣].

● هذا هو الدور الثالث وتلك بعض واجباته، ذلك الدور الذى أصبح عضو مرحلة لتنفيذ

قريبا منه، إذ هو الخطوة التالية لمرحلة التنفيذ.

- والمطلوب ممن اقترب من مرحلة التمكين أمران:

الأول:

أن يقدر التبعة والمسئولية التي التزم بها يوم انخرط في سلك العمل من أجل الإسلام وتمكينه في الأرض.

وهذه التبعة هي تحمل مسئولية العمل، ووجوب القيام بأعبائه، والصبر عليه حتى يتم، والتواصي به وبالصدق فيه، واحتمال أى امتحان أو ابتلاء في طريقه، واحتساب كل ذلك عند الله في تفان وإخلاص يستهدف وجه الله تعالى.

والآخر:

إعداد النفس للوفاء بهذه التبعة.

وهذا الإعداد ضروب وأشكال منها:

- الإعداد الروحى بالإقبال على طاعة الله بالفرائض والنوافل التي تقرب إليه،

- والإعداد العقلى بالثقافة والعلم،

- والإعداد السلوكى الخلقى بالالتزام بأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه،

- والإعداد البدنى، بالأخذ بأسباب قوة البدن، والبعد عن أسباب ضعفه، والالتزام بسنن الفطرة،

- والإعداد الاجتماعى بحسن اختيار الزوجة لبناء البيت المسلم، وحسن تربية الأبناء تربية إسلامية، ونشر دعوة الخير في المجتمع،

- والإعداد السياسى بمعرفة ظروف وطنه وعالمه العربى وعالمه الإسلامى، وظروف الأقليات المسلمة وما يمكن أن يقدم لهذه الأقليات من عون.

- والإعداد الجهادى بكل أنواعه يوم يدعو داعى الجهاد في سبيل الله، لحرب الشيطان، وحرب العدو، تحرير الوطن العربى والوطن الإسلامى من كل عدو أجنبى، لإعلاء كلمة الله تعالى.

- والإعداد الدعوى والحركى والتربوى والتنظيمى، بحيث تُسد كل ثغرة يحتاج العمل من

أجل الإسلام إلى سدها.

وتلك مكانة رفيعة فى الإسلام لا يتصدى لها ويسد الخلل والثغرات فيها إلا المؤمنون الصادقون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

هؤلاء هم أول من يدخلون الجنة، فقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص فى حديث طويل منه قول الرسول ﷺ: «... الذين تُسد بهم الثغور وتُتَّقَى بهم المكاره....»[1].

هذه هى مفردات الإعداد للنفس لتتأهل للعمل فى مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض.

هذا الإعداد هو الذى يمكن المسلم من الوفاء بما التزم به أمام ربه من تعهدات من أجل التمكين لدين الله فى الأرض.

نسأل الله تعالى أن يجعل لهذا الدين رجالاً يضحون فى سبيله ويصدقون فى تضحياتهم، لا يهابون ما يصيبهم فى سبيل هذا الدين من نصب أو وصب أو هم أو حزن، إنه سبحانه على ما يشاء قدير.

---

(١) الحديث بتمامه فى مسند احمد بن حنبل: ٢/ ١٦٨ ط. مؤسسة قرطبة، دون تاريخ.

الخـاتمـة

الحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على محمد خاتم الرسل والأنبياء وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وادعو الله لى ولكل قارئ لهذا الكتاب أن ينفعه الله بما علم فى دينه ودنياه، وأن يرشده إلى أقوم السبل وأهداها إلى الله العظيم، وأن يجعل الكتاب والسنة النبوية المطهرة نهجه وسبيله، وأن يختم لى وله بخير ما يختم به حياة عباده الصالحين وسبحانك اللهم، وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

على عبد الحليم محمود

القاهرة فى الثامن والعشرين

من شهر شعبان سنة ١٤١٧هـ

الموافق الثامن من يناير ١٩٩٧م

محتوى الكتاب

الموضوع | الصفحة

الفصل الأول

مصطلحات ومفاهيم

يتناول:

الفصل الثانى

شرح النص الذى كتبه الإمام البنا وتحليله

ويتناول :

قائمة بأسماء كتب المؤلف المنشورة

أولا:

فى الفكر الإسلامى وقضاياه:

١ – مع العقيدة والحركة والمنهج	دار الوفـــاء بمصـــر
٢ – الغزو الصليبى والعالم الإسلامى	دار التوزيع والنشر الإسلامية
٣ – المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى	دار المنار – بالقـــاهرة
٤ – الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى	دار المنار – بالقـــاهرة
٥ – التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى، وطرق التغلب عليه	دار الوفـــاء بمصـــر
٦ – التعريف بسنة الرسول ﷺ –أو– علم الحديث دراية	دار التوزيع والنشر الإسلامية
٧ – نحو منهج بحوث إسلامى	دار الوفـــاء بمصـــر
٨ – السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	دار عكاظ بالســعودية

ثانيا:

فى التربية الإسلامية:

٩ – تربية الناشئ المسلم	دار الوفـــاء بمصـــر
١٠ – فقه الاخوة فى الإسلام	دار التوزيع والنشر الإسلامية
١١ – منهج التربية عند الإخوان المسلمين	دار الوفـــاء بمصـــر
١٢ – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين	دار الوفـــاء بمصـــر

ثالثا:

سلسلة التربية فى القرآن الكريم:

١٣ – التربية الإسلامية فى سورة المائدة	دار التوزيع والنشر الإسلامية
١٤ – التربية الإسلامية فى سورة النور	دار التوزيع والنشر الإسلامية

١٥ - التربية الإسلامية فى سورة آل عمران	دار التوزيع والنشر الإسلامية
١٦ - التربية الإسلامية فى سورة الأنفال	دار التوزيع والنشر الإسلامية
١٧ - التربية الإسلامية فى سورة الأحزاب	دار التوزيع والنشر الإسلامية

رابعا :

سلسلة مفردات التربية الإسلامية :

١٨ - التربية الروحية	دار التوزيع والنشر الإسلامية
١٩ - التربية الخلقية	دار التوزيع والنشر الإسلامية
٢٠ - التربية العقلية	دار التوزيع والنشر الإسلامية

خامسا :

فى فقه الدعوة الإسلامية :

٢١ - فقه الدعوة إلى الله	دار الوفاء بمصر
٢٢ - فقه الدعوة الفردية	دار الوفاء بمصر
٢٣ - المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله	دار الوفاء بمصر
٢٤ - التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة	دار الوفاء بمصر
٢٥ - عالمية الدعوة الإسلامية	دار الوفاء بمصر
٢٦ - فقه المسئولية فى الإسلام	دار التوزيع والنشر الإسلامية

سادسا :

سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا :

٢٧ - فهم أصول الإسلام	دار التوزيع والنشر الإسلامية
٢٨ - الإخلاص فى مجال العمل الإسلامى	دار التوزيع والنشر الإسلامية
٢٩ - ركن العمل أو منهج الإصلاح الإسلامى	دار التوزيع والنشر الإسلامية
٣٠ - ركن الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلى به	دار التوزيع والنشر الإسلامية

٣١ – ركن التضحية	دار التوزيع والنشر الإسلامية
٣٢ – ركن الطاعة	دار التوزيع والنشر الإسلامية
٣٣ – ركن الثبات	دار التوزيع والنشر الإسلامية

سابعا :

فى الأدب الإسلامى :

٣٤ – مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه	دار عكاظ بالسعودية
٣٥ – جمال الدين الأفغانى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه	دار عكاظ بالسعودية

ثامنا :

فى الدراسات الأدبية :

٣٦ – القصة العربية فى العصر الجاهلى	دار المعارف بمصر
٣٧ – النصوص الأدبية تحليلها ونقدها	دار عكاظ بالسعودية